وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر
قسم اللغة العربية وآدابها.

جهود علماء العربية
في الحفاظ على السلامة اللغوية

رسالة دكتوراه .
تخصّص : لسانيات عربية .

إعداد الطالبة :
سليمة برطولي

السنـــــــة الجامعية
2009 – 2008

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر
قسم اللغة العربية وآدابها.

جهود علماء العربية
في الحفاظ على السلامة اللغوية

رسالة دكتوراه .
تخصّص : لسانيات عربية .

إعداد الطالبة :
سليمة برطولي

إشراف الأستاذ :
الدكتور / سالم علوي

السنـــــــة الجامعية
2009 – 2008

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر

قسم اللغة العربية وآدابها.

جهود علماء العربية
في الحفاظ على السلامة اللغوية

رسالة دكتوراه .

تخصّص : لسانيات عربية .

إعداد الطالبة :

سليمة برطولي

إشراف الأستاذ :

الدكتور / سالم علوي

لجنة المناقشة

أ.د /	.....	رئيسا
أ.د /	سالـــــــم علوي	مقررا
أ.د /	.....	مناقشا
أ.د /	.....	مناقشا
أ.د /	.....	مناقشا
أ.د /	.....	مناقشا

السنـــــــة الجامعية

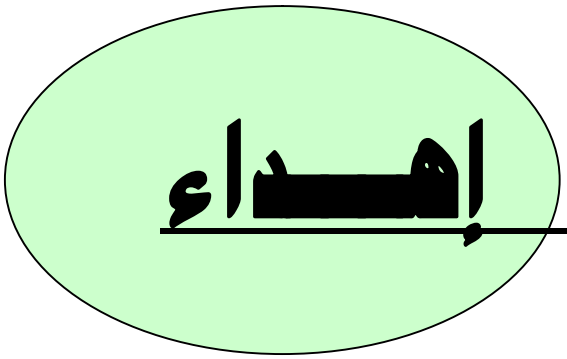
2008 – 2009 م

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!



Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!



إهـــداء

إلى من قال فيهما المولى (ﷻ) :

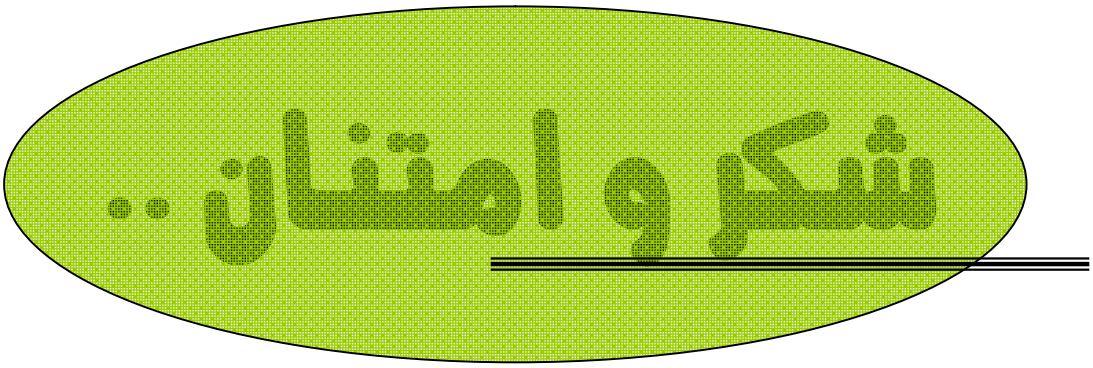
﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾.

صدق الله العظيم

سورة الإسراء ، الآية 24

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!



تتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف { سالم علوي } الـذي تقاسـم معنـا مشقة كبيرة في إنجاز هذا البحث المتواضع .

كما نشكر كل من شجعنا أو أسمعنا كلمة طيبة...

فجازى اللّه الجميع خير الجزاء ووفقنا إلى ما يحبه ويرضاه...

آمين ...

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

مقدمة :

ارتأينـــا أن يكـــون موضـــوع أطروحتنـــا حـــول " **جهود علماء العربية في الحفاظ على السلامة اللغوية** " ذلك لأن جهودا قيمة بذلت قديما وحديثا في سبيل المحافظة على الاستعمال السليم للغة العربية .

وقد اخترنا دراسة بعض هذه الجهود لحبنا الشديد لكل ما يتعلـــق باللغـــة العربية – لغة القرآن الكريم – من جهة ، ولميلنا الكبير لإبراز جهود السلف الصالح في خدمة اللغة العربية وحفظ سلامة استعمالها، وأثر هذه الجهود في الخلف الصالح الذي لا يزال يواصل العمل إيمانا منه بضرورة حفظ هـــذه اللغـــة وحفـــظ ســـلامة استعمالها لدى الناطقين بها .

ويدور موضوع دراستنا حول ثلاثة أمور رئيسية هي :

أ – محاربة الانحراف اللغوي الناتج عن الاستعمال الخاطئ للغة العربية .

ب – محاربة الانحراف اللغوي الناتج عن احتكاك العربية الفـــصيحة باللهجـــات العامية .

ج – محاربة الانحراف اللغوي الناتج عن احتكاك اللغة العربية باللغات الأجنبية .

وذلك من خلال تقسيم البحث إلى ثلاثة أبواب ، وتقسيم كل بـــاب مـــن هـــذه الأبواب إلى ثلاثة فصول ، على الشكل الآتي :

مدخل : العربية الباقية .

الباب الأول : " جهود علماء العربية في حفظ السلامة اللغوية من اللحن " .

الفصل الأول : " تدوين اللغة و الاحتجاج بها " .

أ – حركة الجمع اللغوي و التدوين .

ب – الاحتجاج في اللغة العربية .

ج – البحث عن السلامة اللغوية .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفصل الثاني : " محاربة اللحن وتقويم اللسان " .

أ – اللحن قديما وحديثا .

ب – موقف العلماء من اللحن .

ج – الفرق بين اللحن و التطور اللغوي .

د – مقياس الصواب اللغوي عند المحدثين .

الفصل الثالث : " طرق حفظ اللغة نطقا وكتابة "

أ – وضع النحو العربي .

ب – تشريع القياس .

ج – محاربة التصحيف و التحريف .

الباب الثاني

" جهود علماء العربية في حفظ السلامة اللغوية من تداخل اللهجات العامية"

الفصل الأول : " الفرق بين اللغة و اللهجة " .

أ – مفهوم اللغة و مفهوم اللهجة قديما وحديثا .

ب – عوامل انقسام اللغة إلى لهجات .

ج – عوامل توحد اللهجات في لغة واحدة .

الفصل الثاني: " جهود القدامى في حفظ سلامة اللغة العربية من تداخل اللهجات العامية ".

أ – اللهجات العامية قديما .

ب – مظاهر اختلاف اللهجات .

ج – موقف القدامى من اللهجات .

د – موقف النحاة من اللهجات .

الفصل الثالث : " جهود المحدثين في حفظ سلامة اللغة العربية من تداخل اللهجات العامية " .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أ – اللهجات العامية الحديثة .

ب – موقف المحدثين من اللهجات .

ج – الدعوة إلى العامية وموقف المحدثين منها .

الباب الثالث

" جهود علماء العربية في حفظ السلامة اللغوية من تأثير اللغات الأجنبية "

الفصل الأول : " الترجمة و التعريب و التدخيل "

أ – مفهوم الترجمة .

ب – الفرق بين الترجمة و التعريب .

ج – الفرق بين التعريب و التدخيل .

الفصل الثاني : " جهود القدامى في حفظ سلامة العربية من تأثير اللغات الأجنبية " .

أ – احتكاك العربية بغيرها من اللغات قديما .

ب – الترجمة و التعريب قديما .

ج – موقف النحاة من المعرب .

د – أثر الترجمة في حضارة العرب ولغتهم .

هـ – أثر الترجمة العربية في حضارة الغرب .

الفصل الثالث : " جهود المحدثين في حفظ سلامة العربية من تأثير اللغات الأجنبية " .

أ – واقع اللغة العربية بين اللغات العالمية .

ب – دور الترجمة في العولمة .

ج – الترجمة و التعريب حديثا .

د – موقف المحدثين من الترجمة و التعريب .

هـ – جهود علماء العربية في توفير المصطلح العلمي .

فابتدأنا بحثنا بتقديم نظرة عن العربية الباقية ، هذه العربية التي نحن بـــصدد

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

دراستها والتي هي ضاربة في أعماق التاريخ قرونا قبل مجيء الإسلام ، وارتأينا أن يكون حديثنا عن العربية الباقية مدخلا نلج من خلاله إلى بحثنا وعرضنا للجهود التي حفظت هذه العربية الباقية وأبقتها سليمة سلسة كما هي بين أيدينا .

لنتطرق بعد ذلك في الباب الأول من البحث، والذي خصصنا فيه الحديث عن جهود علماء العربية في حفظها من اللحن والخطأ ، فبدأنا في الفصل الأول منه بالحديث عن حركة الجمع اللغوي والتدوين وما بذل في سبيل هذا الجمع الذي قصد من ورائه جمع شتات اللغة العربية الفصحى وتدوينها خوفا عليها مما بدأ يتسرب إليها من اللحن ، لنعرج بعد ذلك إلى مسألة الاحتجاج في اللغة العربية ودور هذا المبدأ الذي اعتمده علماء العربية القدامى أساسا للغة الفصحى والسليمة لننتقل إلى عرض منهج علماء العربية في بحثهم عن السلامة اللغوية .

بعدها انتقلنا في الفصل الثاني إلى عرض ظاهرة اللحن في التراث اللغوي العربي قديما وحديثا وكيف بدأت وتفشت هذه الظاهرة الطارئة على اللسان العربي ، لنبين بعدها موقف علماء العربية من هذه الظاهرة وما بذلوه لأجل محاربتها وتقويم الألسنة العربية مما أصابها واعتراها، ثم بينا بعد ذلك الفرق بين ظاهرة اللحن –كظاهرة طارئة على اللسان العربي استلزمت وتطلبت محاربتها و التصدي لها بكل حرص – وبين التطور اللغوي كظاهرة طبيعية تخضع لها اللغات كافة، لنبين موقف القدامى المتشدد من مسألة التطور اللغوي و المولد – خوفا على اللغة – وعلى التساهل في استعمال ما لم يسمع عن العرب خلال عصور الاحتجاج وموقف المحدثين القائل بمبدأ التطور اللغوي سنة طبيعية تخضع لها أية لغة .

لننتقل في الفصل الثالث من هذا الباب إلى التطرق إلى مختلف الطرق التي اتبعها علماء العربية في الحفاظ عليها ابتداء من وضع النحو واجتهادهم في ضبط الاستعمال اللغوي العربي حتى يتم انتحاء سمت كلام العرب، انتقالا إلى تشريع القياس وإتباع نهج ما سمع عن العرب في عصور الاحتجاج من استعمالات وصيغ عربية يحتذي بها اللاحق وينسج على منوالها ، لننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن مسألة التصحيف و التحريف ، و الجهد الذي بذله علماء العربية في محاربة هذه الظاهرة وفي الحفاظ على اللغة من الاستعمال الخاطئ نطقا وكتابة .

أما في الباب الثاني من بحثنا هذا – و الذي خصصناه للجهود التي بذلت في سبيل الحفاظ على اللغة العربية من تداخل اللهجات العامية – فقد بدأناه بالحديث عن

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

اللغة من جهة و اللهجة من جهة مقابلة وما يميز كل لفظ عن الآخر ، لنبين بعد ذلك الأسباب و العوامل أو الظروف التي تساهم وتؤدي إلى تشعب لغة من اللغات وتفرقها إلى لهجات عديدة بعد أن كانت لغة متماسكة. والعكس ، تناولنا أهم الأسباب و العوامل التي يؤدي اجتماعها وتواجدها في ظروف معينة إلى توحد لهجات عديدة وانصهارها في لغة واحدة، لنبين بعد ذلك ما توافر للغة العربية من هذه الأسباب والعوامل وساعدها على أن تكون لغة مشتركة هيمنت وطغت على لهجات عديدة لتحتل الصدارة بينها.

لننتقل بعدها في الفصل الثاني إلى تقديم عرض عن اللهجات العربية القديمة وموقع اللغة العربية الفصحى بين هذه اللهجات ونبين أهم المظاهر التي تجلت من خلالها هذه الاستعمالات اللغوية المختلفة وموقف علماء العربية القدامى من هذه اللهجات ، وما بذلوه من جهود لأجل حفظ العربية الفصحى حتى يسلم استعمالها من تأثير اللهجات ، ثم أهم ما بذله النحاة في هذا الجانب ، وموقفهم من اللهجات خاصة لننتقل بعد ذلك إلى العصر الحديث فنقدم نظرة عن واقع اللهجات في عصرنا الحديث وموقع اللغات العربية الفصحى بين هذه اللهجات المزاحمة لها ، ثم نبين موقف المحدثين من هذه اللهجات العامية التي وقفوا لها بالمرصاد خوفا على الفصيحة منها ، لنتناول بعد ذلك قضية الدعوة إلى العامية ، هذه الظاهرة الخطيرة على اللغة العربية الفصحى ، وهذا السهم القاتل الذي يحاول أعداء الأمة الإسلامية تصويبه نحوها للقضاء عليها نهائيا من خلال القضاء على لسانها الجامع الموحد المبلغ للرسالة الإسلامية السامية ، ونبين حرص علماء العربية الذي كان دوما يحفظ هذه اللغة من المؤامرات التي تحاك ضدها ، وما بذله هؤلاء في العصر الحديث من أجل كشف النوايا الخبيثة المتخفية خلف ستار الدعوة إلى العامية ، ومحاربة هذه الدعوة بلا هوادة .

أما في الباب الثالث و الأخير، والذي خصصناه لعرض جهود علماء العربية في الحفاظ على سلامتها من تأثير اللغات الأجنبية ، فقد بدأناه بفصل نفرق فيه بين الترجمة و التعريب و التدخيل مع توضيح معنى كل مصطلح منها .

لننتقل في الفصل الثاني لعرض الجهود التي بذلها القدامى في سبيل خدمة اللغة العربية وتطويعها للاستفادة من غيرها من اللغات و الحضارات ، مع الحفاظ على سلامتها وسلاستها، فتعرضنا إلى قضية احتكاك العربية بغيرها من اللغات ،

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وأثر هذا الاحتكاك في اللغة العربية وكيف واجه علماء العربية هذا التأثير اللغوي ، لنعرج إلى مسألة الترجمة و التعريب قديما وأثر هذا الجهد العظيم الذي بذله علمـــاء العربية القدامى في خدمة اللغة العربية وإثرائها وتنمية أساليبها، ونبين موقف علماء العربية في مواجهة العلوم الوافدة ، وما وضعه النحاة من قيود وشـــروط لإخـــضاع المعرب للصيغ العربية ، ثم بينا الأثر العظيم الذي تركته الترجمة في حياة العـــرب بصفة عامة من جهة، وأثر هذه الحركة العظمى على اللغة العربية من جهة أخرى، لنقدم بعدها فضل هذه الترجمة العربية على حضارة الغرب وأثرهـــا البليـــغ فيمـــا وصلت إليه هذه الحضارة.

وانتقلنا في الفصل الثالث والأخير من البحث إلى العصر الحديث لنبين واقع اللغة العربية الحديثة بين اللغات العالمية ، هذه اللغات التي تتسابق مع الزمن السريع – تحت سهر أهلها والقائمين عليها – لتفي بما يلفظه عصر التكنولوجيا مـــن جديـــد مبتكر في كل حين، فبينا دور الترجمة في العولمة ، وأهمية تعلم اللغات في اختصار المسافات، ثم تطرقنا إلى اهتمام علماء العربية المحدثين بالترجمة والتعريب ، ومـــا يبذلونه من جهود في خدمة العربية لاستيعاب المستجدات الحضارية ونقل المبتكرات العلمية والتكنولوجية، وموقف هؤلاء من الترجمة والتعريب ، لنختم الفصل الأخيـــر هذا – وبالتالي نختم بحثنا – بالحديث عن طرقهم في تـــوفير المـــصطلح العلمـــي العربي كما سبق ووفره علماء العربية القدامى في العصر الذهبي للغة العربية.

وقد حاولنا تسليط الضوء على جهود القدامى و المحدثين في الحفـــاظ علـــى الاستعمال اللغوي السليم متبعين المنهج التاريخي الذي نتدرج من خلاله في عـــرض هذه الجهود من القديم إلى الحديث للوصول إلى إبراز قيمتها في خدمة اللغة العربية وحفظ مكانتها بين اللغات الحية .

مع العلم أن تناول هذا الموضوع الشاسع سيدفعنا إلى بذل الجهد الكبير فـــي البحث و التنقيب في المؤلفات القديمة و الحديثة و التي قد لا نجـــد بعـــضها إلا أن هدفنا في الوصول إلى الإشادة بمجهودات علماء العربية في حفظ سلامتها اللغوية ، وإبرازها للدارسين خدمة لهذه اللغة الشريفةـــ زادنا حماسا وتصميما على خـــوض هذا البحث المتواضع الذي نأمل من خلاله تقديم منفعة – ولو بـــسيطة – لدارســـي العربية والغيارى عليها .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

لهذا فإن دراستنا ستكون بتتبع الجهود المبذولة من طـــرف علمـــاء العربيـــة القدامى والمحدثين إزاء ما لحق اللغة العربية الفصحى من تغييرات وإبـــداء أهميـــة هذه الجهود في محاربة اللحن والحفاظ على الاستعمال السليم للغـــة العربيـــة عبـــر الحقب الزمنية المختلفة حتى تصلنا في العصر الحاضر بالصورة التي هـــي عليهـــا و التي لا تزال تجد منا دين بضرورة الاستمرار في المجال نفسه حتى تبقى اللغـــة العربية الفصحى لغة العلم و المعرفة وتقف وجها لوجه مع اللغات الحية المعاصرة.

- **ففيم تمثلت السلامة اللغوية عند العرب يا ترى ؟**
- **وما هي الجهود المبذولة قديما وحديثا في سبيل الحفاظ على الاستعمال اللغوي السليم ؟**
- **وهل ساهمت هذه الجهود في الإبقاء على لغة عربية فـــصيحة صـــالحة لنقل أية حضارة وفي أي زمان ؟**

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

مدخل : العربية الباقية .

- **قبائل العرب وبلادهم :**

ولتسليط الضوء على أهم الجهود العربية التي بذلت وتبذل في سبيل الحفاظ على اللغة و سلامة استعمالها ، يتطلب الأمر إلقاء نظرة على أصل العربية الباقية وأصل الناطقين بها ، هذه العربية الباقية التي لا تزال تحيى وسط لغات متعددة في عصر يفرض البقاء للأقوى، و الأقوى في الاستعمال اللغوي هو الأكثر شيوعا واستعمالا ، وهذا بحسب عدد الناطقين باللغة.

ونحن إذا رجعنا إلى أصل كلمة " عرب " نجد فيه أقوالا : منها أن هذه اللفظة مأخوذة من " عرب" أي : فصح اعتمادا على أن العربية من أفصح اللغات ، وزعما من السلف بأن الذين لا يتكلمون بها عجم ، ومنها أنها مأخوذة من لفظة " يعرب " الذي هو اسم لأول من نطق بالعربية على ما يزعمون . ([1])

ولا يعرف على وجه الدقة متى استعمل لفظ " عرب " للدلالة على معنى قومي يتعلق بالجنس العربي ، و القرآن الكريم هو أول مصدر ورد فيه لفظ " العرب " للتعبير بوضوح عن هذا المعنى ، مما يدل على وجود كيان قومي خاص يشير إليه هذا اللفظ قبل نزول القرآن الكريم بوقت يصعب تحديده ، فليس من المنطقي أن يخاطب القرآن الكريم قوما بهذا المعنى إلا إذا كان لهم سابق علم به . ([2]) فمن الواضح أن القرآن الكريم هو أقدم مصدر عربي وردت فيه صيغتا " أعراب وعرب " فقد وردت فيه لفظة " أعراب " عشر مرات كما وردت لفظة " عربي " إحدى عشر مرة منها عشر مرات نعتا للغة التي نزل بها القرآن بأنها لغة واضحة بينة . ([3])

ولما كانت دراستنا تهتم بالتركيز على تتبع العربية الباقية كان لزاما علينا أن نمهد بالبحث عن القبائل العربية حتى نقدم نظرة عن هذه القبائل عن مواطنها وديارها ...الخ ، فدراسة هذه العربية الباقية لا يمكن أن تكون دراسة حقة إلا إذا اعتمدت على تسليط الضوء على أماكن القبائل ونزولها في السهل أو في الجبل أو

---

[1] – جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مراجعة وتعليق د.مراد كامل، دار الهلال .1969 ص36

[2] – د. السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب – تاريخ العرب قبل الإسلام – مؤسسة شباب الجامعة إسكندرية (1) 1997 ، ص 44 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 45 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

على مواطن الكلأ أو على سفوح الوديان، كما أن بعد القبائل في الأماكن وانتشار ديارها هنا وهناك ، أو قرب تلك المنازل وانخراطها في وحدة جغرافية مما يترك آثاره العميقة في لغات تلك القبائل ، كما أن مثل هذه الدراسة الجغرافية تفتح ميادين لإبراز الخلافات اللغوية التي تكون بين قبيلة وأخرى .

- **قبائل العرب :**

والعرب في التاريخ قسمان كبيران : العرب البائدة و العرب الباقية . ([1]) البائدة قوم زالوا كجديس وطسم وثمود وعاد وجرهم ، و الباقية منهم : القحطانية و ينتسبون إلى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . ([2]) ومنهم العدنانية وينتسبون إلى عدنان بن أدد من ولد نابت بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قدير بن إسماعيل بن إبراهيم . ([3])

فالقحطانيون هم عرب اليمن أو الجنوب ، وقد نزحت بعض قبائلهم إلى الشمال والشرق من جزيرة العرب ، فنزل بعضهم إلى اليمامة والبحرين وعمان والحجاز ومشارف الشام والعراق ، ومن قبائل القحطانيين : حمير وغسان ولخم والأزد ومذحج وكندة وطيء ، والعدنانيون أو عرب الشمال منازلهم في تهامة ونجد و الحجاز ، ويقال لبطون العدنانيين : المعدية و النزارية ، ومن معد نزار التي تفرعت إلى : أنمار ومضر و ربيعة وإياد ، وتحت كل فرع من هذه الفروع قبائل كثيرة إلا أن الفصاحة اشتهرت في مضر حتى عرفت اللغة العربية بالمضرية ، ومن أشهر قبائل مضر كنانة (ومن بطونها قريش) ثم قيس وتميم وأسد وهذيل وضبة ومزينة وتحت كل قبيلة بطون وأفخاذ . ([4])

---

[1] – أفرام البعلبكي ، مدخل إلى تاريخ الفكر العربي منهجية في النقد ، ط1 ، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ، لبنان 1984 ، ص 44 ، ود. أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، القسم الأول في النظامين الصوتي و الصرفي ــ طبعة جديدة – الدار العربية للكتاب 1983 ، ص 39 .

[2] – البلاذري (أحمد بن يحي) ، أنساب الأشراف ، الجزء الأول ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله يخرجه معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر 1959 ، ص 6 – 8 ، والمسعودي (أبو الحسين بن علي) ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، ج1 ، موفم للنشر 1989 ، ص 53، والنويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب 677 – 733 هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الثاني، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة ، ص 291 – 292 .

[3] – البلاذري ، أنساب الأشراف ، الجزء الأول ، ص 12 .

[4] – د. عبد العزيز عتيق ، المدخل إلى علم النحو و الصرف ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، ص 116 – 117 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

هذا عن قبائل العرب أما عن مواطنها فإننا نجد كثيرا من خصائص الأقاليم الجغرافية تتطبع في لغة قاطنيها ، ومن أجل اختلاف الأقاليم والسكن والنزوح والاستقرار، تختلف المظاهر اللغوية بين سكان الجبل و الصحراء و الأودية ، وبين سكان الجنوب والشمال، كما أن هذه الهجرات في الجزيرة كانت تسبب احتكاكا لغويا بين القاطنين والطارئين " فاللغة كما أنها لصيقة بالدين و الأدب و التاريخ و القومية نراها كذلك لصيقة بالجغرافيا و الأرض" . ([1])

- **بلاد العرب :**

وقد عرفت بلاد العرب عند مؤرخي العرب وجغرافييهم باسم " جزيرة العرب " وهي تسمية مجازية لأن بلاد العرب ليست جزيرة وإنما شبه جزيرة ولكن العرب كانوا يسمون شبه الجزيرة " جزيرة " . ([2]) " وإنما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحار و الأنهار بها من أقطارها ... وصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر" . ([3])

وعن رسم حدود شبه الجزيرة العربية يقول القلقشندي : " اعلم أن مساكن العرب في ابتداء الأمر كانت بجزيرة العرب الواقعة في أواسط المعمور ، وأعدل أماكنه وأفضل بقاعه ....وهذه الجزيرة متسقة الأرجاء ممتدة الأطراف ، يحيط بها من جهة الغرب بعض بادية الشام حيث البلقاء إلى أيلة ثم بحر القلزم الآخذ من أيلة حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن حيث حلى و زبيد وما دناهما ، ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم المقدم ذكره من الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن حيث بلاد مهرة من ظفار وما حولها، ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين ثم إلى البصرة ثم إلى الكوفة من بلاد العراق ، ومن جهة الشمال الفرات آخذ من الكوفة على حدود العراق إلى عانة إلى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية إلى

---

1 – د . أنيس فريحة ، محاضرات في اللهجات ، مطبعة الرسالة، 1374 هـ / 1955م ، ص 34 .

2 – الألوسي البغدادي (محمود شكري) ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، الجزء الأول ، عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجت الأثري ، الطبعة الثالثة ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، ص 187 .

4 – الهمذاني (أبو الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود) المتوفى سنة 334 هـ – صفة جزيرة العرب – قام بنشره وتصحيحه ومراجعته وتحقيق بقاعه المؤرخ محمد بن عبد الله بن بلهيد النجدي مطبعة السعادة بمصر 1953 ، ص 47 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

البلقان من برية الشام حيث وقع الابتداء " . ([1])

هذا عن حدودها ، أما عن أقسامها الداخلية فنحن نحاول أن نتبينها حتى نعرف أي العرب كان يسكن الحضر، وأيهم كان يسكن البادية مما له أثره في حياتهم اللغوية.

فالهمذاني يقسم شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام : تهامة و الحجاز ونجد والعروض واليمن . ([2])

- **أما تِهامة :**

فتشمل المنطقة الساحلية الضيقة الموازية لامتداد البحر الأحمر من اليمن جنوبا إلى العقبة شمالا ويحجزها عن داخل شبه الجزيرة سلسلة جبال السراة أعظم جبال العرب وقد سميت تهامة بذلك الاسم من التهم وهو شدة الحر وركود الريح ، لشدة حرها وركود ريحها وقيل سميت كذلك لتغير هوائها ، وقيل إن التهمة هي الأرض المنصوبة نحو البحر . ([3]) ولانخفاض أرض تهامة سميت بالغور .

قال الأوهري : الغور : تهامة ([4]) ، وسميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها وهو من التهم وهو شدة الحر وركود الريح . ([5])

وقال الأصمعي : التهمة الأرض المنصوبة إلى البحر . ([6])

---

1 – القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله المتوفى 821 هـ) ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 23 .

2 – الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، ص 47 – 48 .

3 – ياقوت الحموي (الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، المتوفى سنة 626 هـ)، معجم البلدان ، الجزء الثاني ــ تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 74 .

4 – المصدر نفسه ، الجزء الرابع ، ص 245 .

5 – المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص 74 .

6 – ابن منظور (الإمام العلامة جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري ، المتوفى سنة 711 هـ) ، لسان العرب ، الجزء الثاني عشر ، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حيدر ، راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1424 هـ / 2003م ، ص 84 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وقد ذكر الألوسي كثيرا من قراها ووديانها وأسماء صحاريها .([1]) وطبيعة أرضها وموقعها خاصة في الجنوب تتيح لساكنيها الاستقرار حيث الخصوبة و الماء، كما أن وقوعها على ساحل البحر جعل أهلها يتجهون إلى الملاحة و النقل البحري.

- **و أما الحجاز :**

قال عبيد الله : والذي أجمع عليه العلماء أنه (أي الحجاز) من قولهم حجزه يحجزه حجزا ، أي منعه ...قال الخليل : سمي الحجاز حجازا لأنه فصل بين الغور و الشام و بين البادية . ([2]) وقال الأزهري : سمي حجازا لأن الحرار حجزت بينه وبين عالية نجد.([3]) أو لكثرة الحرار فيه واحتجاز أهلها من العدو . ([4]) وقد جاء تحديده في معجم البلدان أنه " ما بين نجد وتهامة وهو جبل يقبل من اليمن حتى يصل بالشام ، وسمي بهذا الاسم لأنه يحجز بين نجد وتهامة " . ([5])

وفي الحجاز مناطق استقرار كثيرة " فقصبته مكة، ومن مدنها يثرب وينبع وقرح وخيبر والمروة والحوراء وجدة والطائف والجار والسقيا والعونيد والجحفة والعشيرة ".([6]) وتتخلله أودية كثيرة ، مثل وادي إضم، ووادي القرى...([7]) فالحجاز إذن يكفل لساكنيه الاستقرار والتحضر، حيث توجد مدينة تجارية دينية مثل مكة ، وحيث تتواجد أودية كثيرة.

- **وأما نجْد :**

يحددها الاصطخري بقوله : " وما كان من حد اليمامة إلى قرب المدينة

---

[1] – الألوسي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، الجزء الأول ، ص 194 – 195 .

[2] – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، الجزء الثاني ، ص 252 – 253 .

[3] – ابن منظور ، لسان العرب ، الجزء الخامس ، ص 387 .

[4] – الهمذاني ، كتاب صفة جزيرة العرب ، ص 205 .

[5] – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، الجزء الثاني ، ص 253 – 254 .

[6] – المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المتوفى 380 هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين الضناوي ، الطبعة الأولى منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1424 هـ – 2003 م ، ص 82 .

[7] – د.عبد الوهاب عزام، مهد العرب، دار المعارف بمصر 1946م، ص 55 – 66

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

راجعا إلى بادية البصرة حتى تمتد على البحرين إلى البحر فمن نجد " .([1]) وقسمها العرب إلى قسمين : نجد السافلة ونجد العالية فالسافلة ما ولي العراق و العالية مـــا ولي الحجاز وتهامة ، قال الأصبهاني نقلا عن ابن الأعرابي : نجد اسمان : السافلة و العالية ، فالسافلة ما ولي العراق و العالية ما ولي الحجاز وتهامة . ([2])

وتتألف نجد من الوجهة الطبيعية من مناطق ثلاث :

1 – **منطقة وادي الرمة** ، و تتوافر فيها المياه ويكثر فيها الخصب .

2 – **المنطقة الوسطى** ، وهي هضبة تتخللها أودية تتجه من الشمال إلى الجنوب و فيها جبل طويق .

3 – **المنطقة الجنوبية** ، وتتكون من المنحدرات الممتدة من جبل ّ طويـــق " فـــي اتجاه الجنوب وفيها مناطق معشبة ذات عيون وآبار . ([3])

ففي نجد مناطق تتوافر فيها المياه وبخاصة في الـــشمال فـــي منطقـــة وادي الرمة، لكن معظم المنطقة صحراء وأهلها بدو رحل .

- **وأما العَروض :**

وتعرف أيضا باليمامة ، وسميت عروضا لأنها تعترض ما بـــين نجـــد و اليمن ، وسميت يمامة نسبة إلى اليمامة وهي أشهر بلد فيها. ([4]) يقول الهمذاني : " وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض وفيها نجد و غور لقربها من البحار وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها والعروض يجمع ذلك كلـــه". ([5]) فمنطقة العروض إذن منطقة واحدة متميزة تقع بين الحجاز ونجد و اليمن والخلـــيج الفارسي، ومعظم الأرضين فيها صحراء خاصة كلما ابتعدنا عن الساحل لذلك كـــان أهلها بداة يرتحلون سعيا وراء الماء و الرزق .

---

1 – الاصطخري (ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي ، المتوفى فـــي النصف الأول من القرن الرابع الهجري) ، المسالك و الممالك ، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني ، مراجعة محمد شفيق غربال ، مطابع دار القلم بالقاهرة 1981 هـــ – 1961 م ، ص 21

2 – الألوسي ، بلوغ الأب في معرفة أحوال العرب ، الجزء الأول ، ص 200 .

3 – أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، القسم الأول في النظامين الصوتي و الصرفي، ص 29

4 – ياقوت الحموي، معجم البلدان،الجزء 5، ص 505. ود.عبد الوهاب عزام، مهد العرب، ص 78 – 80

5 – الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، ص 48 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- **و أما اليمن :**

فمنطقة واسعة تمتد حدودها من تهامة إلى العروض ، وسميت بذلك الاسم لتيامن العرب إليها لأنها أيمن الأرض. ([1]) واليمن من أخصب بقاع شبه الجزيرة لجودة أرضها وكثرة مياهها وهي من هنا ليست منطقة بداوة ، بل مقر تحضر واستقرار فقد سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها و زروعها " . ([2])

و من هذا العرض للبيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية نستطيع أن نتصور مناطق التحضر والاستقرار على أنها توجد في اليمن وفي بعض تهامة و الحجاز ، وأن مناطق التبدي توجد في نجد والعروض . هذا عن العرب ومواطنهم ...

- **فماذا عن اللغة العربية التي حملت إلينا آثارهم ؟**

- **العربية الباقية :**

لقد بدأت اللغة العربية على ألسنة العرب الأولين وقبائلهم القديمة من أمثال " عاد " التي كانت تعيش في جنوب الجزيرة ، و"ثمود " التي كانت تجاور الآراميين في شماليها وإن صح أن نطلق على اللهجات التي تحدثت بها قدامى القبائل العربية اسم " العربية البائدة " لأنها قد بادت مع أهلها – فإننا نسمي اللغة – التي وصلتنا بـ" العربية الباقية " لبقائها فينا حتى اليوم " وواضح أن المراد من العربية البائدة عربية النقوش التي بادت لهجاتها قبل الإسلام ،وهي التي ظهر على آثارها الطابع الآرامي لبعدها عن المراكز العربية الأصلية بنجد و الحجاز ، على حين يقصد بالعربية الباقية هذه اللغة التي ما نزال نستخدمها في الكتابة و التأليف و الأدب ، وهي التي وصلت إلينا عن طريق القرآن الكريم و السنة النبوية و الشعر الجاهلي " . ([3])

وقد كانت العربية قبل الإسلام لغة جيل من الناس كبير القاعدة متسع الأرض يعيش في داخل جزيرة العرب وخارجها ، فأما الجيل الذي يعيش في داخل الجزيرة فهو العربي الذي امتد في عروق الزمن مدة لا نعلم بدأها ، ولكننا نعلم أنه موجود

---

[1] – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، الجزء الخامس ، ص 510 – 511 .

[2] – الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، ص 51 .

[3] – د .صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ط13 ، دار العلم للملايين ، بيروت أبريل 1997 ، ص 55 . ومحمد عبد الواحد حجازي ، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الإسكندرية ، ص 14 ، و د. محمد عبد الله عطوات ، اللغة الفصحى و العامية ، الطبعة الأولى ، منشورات دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان 1424 هـ / 2003 م ، ص 22 – 23 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فيها قبل التاريخ بآلاف السنين ، فالموجات التي خرجت من جزيرة العرب إلى أرض الرافدين وأرض كنعان وامتد تأثيرها إلى إفريقيا في سكان شمال إفريقيا ووسطها كمصر وليبيا والحبشة والمغرب وتونس والجزائر، كانت قد خرجت من أرض اليمن وما جاورها في حدود أربعة ألاف سنة قبل الميلاد ، وسكنت أرض العراق وكونت حضارة بابل و آشور كانت تتكلم العربية كما يدل على ذلك النقوش الكتابية التي اكتشفت ، وكذلك الحال في مساكن الكنعانيين في الشام و فلسطين ولبنان والأردن ، فقد كان الكنعانيون عربا خرجوا في حدود ثلاثة ألاف قبل الميلاد وسكنوا أرض كنعان وتميزت لغتهم بعروبيتها فلم تكن إلا عربية ذات لهجات تطبع كل واحدة منها بطابع الموقع و البيئة و الظروف الخاصة بالسكان و التقوقع أو الاختلاط . ([1]) وقد عاشت العربية في شمالي الجزيرة (نجد و الحجاز وتهامة) واستطاعت في القرن السادس الميلادي أن تبسط نفوذها في الجزيرة كلها وتدخل اليمن مرة أخرى وتسيطر عليها وتمحو ما بقي فيها من لهجات وتحل محلها ، وهذا لأن أهلها العدنانيين استطاعوا أن يسيطروا على جنوبي الجزيرة بعد أن ضعفت نتيجة الغزوات المتتالية من الفرس والأحباش ، وتبعهم الزحف اللغوي فتوحدت حينئذ لهجات الشمال والجنوب في لغة عامة واحدة قبل الإسلام بحوالي مائة وخمسين عاما تقريبا . ([2])

إن هذا الامتداد في تاريخ عريق ومكان واسع من الأرض لقبائل العرب الذين يحملون لغة الجزيرة العربية معهم ليدل على أن اللغة العربية قد كان لها هذه السطوة الكبيرة و الانتشار الواسع في الأصقاع إلى جانب اللغات المحلية و الإقليمية، وربما كان لأهلها هناك تأثير كبير في الشعوب المحتكة بهم وليس ذلك بغريب إذا ما علمنا أن رسول الله (ﷺ) في مطلع البعثة النبوية قد راسل الملوك و العظماء في فارس و الروم ومصر يدعوهم إلى الإسلام و قد كتب (ﷺ) إليهم بالعربية . ([3])

---

1 – د.رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مقال " موقع العربية بين اللغات البشرية " مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، ندوة دولية نظامها المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر أيام 10 – 12 شعبان 1421 هـ الموافق 6 – 8 نوفمبر منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر 2001 م ، ص 145 – 146 .

2 – د. عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطور ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1418 هـ / 1998 م ، ص 60 .

3 – أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، الجزء الأول ، العصر الجاهلي ، عصر صدر الإسلام ، المكتبة العلمية ن بيروت ، لبنان ص 37 – 40 – 42 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

واللغة العربية قد ضاعت طفولتها من الذاكرة كما تضيع طفولة الإنسان الأولى الذكريات الأولى لنشأته بل وتنمحي من ذاكرته عندما يحاول أن يتذكر ملامحها فيلجأ إلى شهادة دون فيها تاريخ ميلاده وذكريات من عاصر في وعي هذه الطفولة ([1]) وإذا بحثنا عن أولية العربية الباقية لنتعرف على مراحل تطور هذه اللغة منذ طفولتها، فإننا لا نعثر على ما ينير لنا السبيل في هذه الفترة المظلمة من تاريخها، فليس بين أيدينا غير الأثر الخالد الذي خلفته " العربية الباقية " ونعني به الأدب الجاهلي شعره ونثره بيد أن الأب الجاهلي لا يسير بنا في خطا تطورية ، ولا يطلعنا حتى ولو على لمحات من طفولة اللغة يمكن لنا أن نستجمعها ثم نضعها بعضها إلى جوار بعض مما يعين على تحديد سمات الشخصية إبان طورها الابتدائي فبدلا من أن يسير بنا الأدب الجاهلي هذه المسيرة ويومئ لنا إلى طفولة اللغة العربية وأولى خطاها على درب التطور والتهذيب فإنه يقدم لنا اللغة كاملة العدة منسقة الأركان ، عظيمة البنيان ، ظهر من خلالها الشعر العربي " فنا مستوفيا لأسباب النضج والكمال بحيث لا تستطيع رواية مأثورة أن تقدم لنا خبرا صحيحا عن أولية هذا الشعر " .([2]).

يقول الدكتور أنيس فريحة : " من النواحي المجهولة في تاريخ اللغة العربية نشأتها الأولى فإننا لا نعرف عنها شيئا يقينيا ولكن لا يكاد القرن السابع الميلادي ينتصف حتى يجد مؤرخ اللغة نفسه أمام لغة غنية بمفرداتها تامة في إعرابها متينة في تراكيبها ، صقيلة في أساليبها التعبيرية ناضجة في الصور التجريدية مما يدل على مبلغ من الرقي العقلي " . ([3])

وهذه اللغة التي بلغت غايتها من النضج هيئ لها أن تنتشر في الجزيرة العربية الواسعة حيث تختلف البيئات و العادات و التقاليد بين الشمال و الجنوب ، والأحوال التي يعيش فيها أبناء العرب في مواطنهم المتعددة ، ولذا لم تلبث أن انقسمت إلى لهجات عديدة في أنحاء الجزيرة ، ولم يعش العرب في جزيرتهم منعزلين بعضهم عن بعض ، وإنما كانوا يلتقون في التجارة وفي الأسواق الأدبية التي يتبارى فيها الشعراء و الأدباء ويقدمون نتاج قرائحهم ، وقد أدت لقاءاتهم المتعددة وسماع كل عربي للهجات إخوانه من المناطق الأخرى ، إلى أن يستفيد كل

---

[1] – د . محمد حماسة ، الضرورة الشعرية في النحو العربي ، بدون تاريخ ، ص 24 .

[2] – كارول بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، القسم الأول 1–2 الإشراف على الترجمة العربية أ . د محمود فهمي حجازي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1993 ، ص 104 .

[3] – د . أنيس فريحة ، اللهجات وأسلوب دراستها ، ط1، دار الجيل، بيروت ، 1409 هـ / 1989 م ، ص 15.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

منهم من صاحبه من الناحية اللغوية كما يستفيد منه من النواحي الثقافية وغيرهـــا ، وكان القرشيون يلتقون – كغيرهم من القبائل – بإخوانهم العرب من كل مكان ، وقد ساعدت عوامل كثيرة على تهذيب لهجتهم وتهيئة الفرصة لها لتحتل الـــصدارة بـــين اللهجات العربية الأخرى، أهم هذه العوامل :

1 – نفوذهم الديني :

فقد كان القرشيون يحظون بتقدير العرب لهم لأنهم هم الذين يتولّون القيام بشؤون البيت الحرام ويستضيفون الحجاج ويقومون علـــى ســـقايتهم ([1]) وتعلـــيمهم مناسكهم ([2]) وهذا كله جعل لقريش سلطانا دينيا ، فكانت لها مكانة روحية جعلتهـــا ترتقي عرش القلوب في سائر القبائل العربية ، فلقريش عندها قدرها وجلالها الـــذي استمدته من قدر البيت العتيق وجلاله ومهابته ، فكان لهذا السلطان الروحـــي قـــدرة على امتلاك النفوس عن طواعية وتسليم . ([3])

2 – نفوذهم التجاري :

وكانت التجارة في الفترة التي ظهر فيها الإسلام أهم وسائل اتصال العرب الحضاري بالأمم المختلفة فقد انعدمت الهجرات من شبه الجزيرة وإليها ، واستقرت الأوضاع إلى حد ما على الحدود خوفا من تلك القوى الهائلة التي حشدها الـــصراع بين الدولتين العظيمتين : الفرس و الروم فمن ثم انكمشت القبائل العربية فلم تتجاوز – إلا نادرا – حدودها ، في حين كانت التجارة قد تحددت مسالكها واستقرت تقاليدها منذ هاشم بن عبد مناف وأولاده ، وبذلك أصبحت شبه الجزيرة هي المعبر الأساسي للتجارة العالمية ، إذ تنقل على أرضها ثم يتم تبادلها على حدودها ، وهكـــذا كانـــت التجارة أبرز وسائل الاتصال الاجتماعي و الحضاري في تلك المرحلة التاريخية بما يستلزمه نظامها الدقيق من اتصال حتمي بين العرب وغيرهم . ([4])

---

1 – ابن هشام، السيرة الذاتية، الجزء الأول، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مـــصطفى الـــسقا، إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمـــصر، ص 137 – 143 – 189 .

2 – ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومـــسائلها وســـنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1418 هـــ / 1997 م ، ص 28 .

3 – محمد عبد الواحد حجازي ، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، ص 18 .

4 – د. علي أبو المكارم ، تقويم الفكر النحوي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ص 19 – 20 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وقد كانت أنشطتهم التجارية كبيرة وواسعة ، ففي رواية للطبري أن إحدى قوافلهم التجارية بلغت خمسمائة وألف بعير ومائة رجل ، ولا ريب أن هذه القافلة التجارية الكبيرة كانت تحتاج إلى أدلاء لهم خبرة بالصحراء وطرق التجارة، وحراس يحمونها من السلب والنهب، وكانت قريش تستخدم في ذلك رجالا من قبائل العرب المختلفة في الجزيرة ، ولاسيما البدو. ([1])

وكانت لهم سفن تنقل التجارة من الحبشة وإفريقية الشرقية عبر البحر الأحمر، وكانت تنقل تجارتها وتجارة اليمن إلى أسواق فلسطين ، وتنقل تجارة الشام وحوض البحر المتوسط إلى الحجاز ونجد و اليمن . ([2]) وقد نزل القرآن الكريم مشيرا إلى رحلاتهم التجارية صيفا وشتاء ــ قائلا : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ ﴾ .

3 – نفوذهم السياسي :

لقد كان هذا العامل وليد العاملين السابقين معا ، فهو ثمرة اندماجهما وامتزاجهما وليس ثمرة أحدهما دون الآخر، فما كان يمكن أن ينبثق هذا النفوذ السياسي من العامل الديني وحده ذلك ولو أن له سلطانا على النفوس إلا أنه لا يستطيع أن يرسخ قواعده ويمد أساسه بغير اقتصاد صلب يتيح له الدعم و التفوق، وما كان يمكن أن ينبثق من العامل الاقتصادي وحده إذ ليس في مستطاع الاقتصاد وحده أن يسوس النفوس إذا فقد فطرة الوازع الديني وتطلعاته ، فكان نتيجة لما تمتعت به قريش من نفوذ ديني واقتصادي واسع أن " تهيأ لها طائفة من الزعماء الذين كانوا يتدخلون لفض النزاعات سواء بين بطون القبيلة المتعددة أم بين المتنازعين من غيرهم " . ([3])

كما أن مكة كانت حرما آمنا من ورد إليه لا يظلم ولا يعتدى عليه ، إلى جانب ما كان لها من علاقات ودية طيبة مع القبائل المختلفة في داخل الجزيرة

---

[1] – ابن هشام ، السيرة النبوية ، الجزء الثاني، ص 182

[2] – محمد بن سعد المتوفى 230 هـ الطبقات الكبرى ، ج1 ، راجعه وعلق عليه سهيل كيالي ، ط1 ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت، لبنان 1414 هـ / 1994 م ، ص 48، و د. أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، دار النهضة المصرية 1977م، ص 126.

[3] – د. عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص 62 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وعلى أطرافها في الطريق إلى الشام أو العراق ، ولعل للنفوذ التجاري واستخدام بعض هذه القبائل في شؤون التجارة أثرا بيّنا في تحقيق السيادة القرشية إلى جانب ما تمتعوا به من نفوذ ديني ، وما كانت لهم من أحلاف كثيرة مع القبائل كل هذا جعل لهم سيادة سياسية بين العرب جميعا .

4 – نفوذهم اللغوي :

ونتيجة لما سبق اتسع نفوذ القرشيين اللغوي ، فنمت لهجتهم وازدهرت وسادت اللهجات الأخرى فأصبحت لغة عامة للعرب جميعا واستعملتها القبائل المختلفة في نتاجها الأدبي الرفيع ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس : " فبيئة مكة قد تهيأت لها ظروف وفرص ، بعضها ديني وبعضها اقتصادي واجتماعي مما ساعد على أن تصبح المركز الذي تطلعت إليه القبائل وشدت إليه الرحال قرونا قبل الإسلام فكان أن نشأت بها لغة مشتركة أسست في كثيرة من صفاتها على لهجة مكة ولكنها استمدت أيضا الكثير من صفات اللهجات " . ([1])

وفي تكون هذه اللغة المشتركة يقول ابن فارس : " ... وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب ، تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب " . ([2])

فمما سهل لها الغلب أن أهلها بعدوا عن التعصب لها ففتحوا أمامها لتستفيد من اللهجات الأخرى ما حسن وعذب ، وبهذا استطاعت أن تعبر عن كل حاجات الحياة وفنون الكلام ، وغنيت بكل الوسائل التي جعلتها مرنة تصلح لكل الأغراض وعلى ذلك صاروا بطبيعة أرضهم في وسط العرب كأنهم مجمع لغوي يحوط اللغة ويقوم عليها ويشد أزرها ويرفع من شأنها ويزيد في ثروتها ، وبالجملة يحقق فيها كل معاني الحياة اللغوية " . ([3]) وسواء كانت لغة قريش وحدها هي اللغة الفصحى

---

1 – د. إبراهيم أنيس مستقبل اللغة العربية المشتركة ، معهد الدراسات العربية العالية ، 1960 ، ص 8 .

2 – السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين) ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها – الجزء الأول – شرحه وضبطه وصححه وعنوان موضوعاته وعلق حواشيه ، محمد أحمد جاد المولى– علي محمد البجاوي– محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ص 210، وابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص 28

3 – الرافعي مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب ، الجزء الأول ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1421 هـ / 2000 م ، ص 76 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أم أضيف إليها بعض اللهجات الأخرى لتكوين اللغة المشتركة فقد أصبحت لغة العرب جميعا قبل نزول القرآن الكريم ، لغة يحتذونها في خطبهم وأشعارهم ونزل بها القرآن الكريم فقوى من شأنها ودعم سلطانها .

وقد جمعت اللغة العربية بعد الإسلام بقليل ، وأقدم ما لدينا من الكتابات هو القرآن ، وقد وصل إلينا بعض الأشعار المنظومة قبل ذلك الحين بزمن يسير ، ولا فرق بينها وبين اللغة المجموعة بما يستحق الذكر، فالعربية يوم جمعت كانت على جانب عظيم من الارتقاء و التهذيب ، وقد أجبر المتكلمون بها على المحافظة على نسقها محافظة تامة ، بحيث أن اللغة المكتوبة اليوم تكاد تكون مثل لغة العرب قبل الإسلام ، على أننا لولا محافظتنا على كتب اللغة ، أي لو اتبع كل جيل اصطلاحات أهله لأمست اللغة العربية الفصحى لدينا الآن لغة غريبة لا نفهمها ولتنوعت وتعددت لغات الكتابة أكثر مما هو واقع في لغة التكلم ولتفرعت اللغة العربية فروعا يختلف بعضها عن بعض اختلافا كبيرا كما هو الحال في فروع اللغة اللاتينية .

و اللغة العربية هي اللسان القومي لشعوب الوطن العربي من وادي الرافدين في قلب الشرق الأسيوي ، إلى وادي النيل وأقطار المغرب الممتدة على طول الشمال الإفريقي إلى ساحل المحيط الأطلسي ، ومهما تختلف اللهجات المحلية لهذه الأقطار فإنها لا تعرف غير العربية لسان قوميته ووسيلة تفاهم مشرك وأداة اتصال فكري عبر الحدود و المسافات .

" وقد خضعت أقطار هذا الوطن قبل الإسلام بنحو ألف عام للحكم الأجنبي باستثناء جزيرة العرب التي اعتصمت ببواديها الجرد لا مطمع فيها لغريب وتعاقب عليها الرومان و الفرس و اليونان في أدوار تاريخية واحدة أو متقاربة ففرضوا عليها لغاتهم وعقائدهم وقومياتهم وأعرافهم ، ثم مضوا جميعا لم يتركوا هنا قومية فارسية أو رومانية أو يونانية ، وكل ما خلفوه على المدى الطويل من أثر مادي أو معنوي ، ذاب في عناصر الشخصية الإسلامية لإنسان المنطقة، ثم جاء الإسلام فكان التحول الخطير الذي لا يعرف التاريخ له مثيلا حيث خرج العرب المسلمون من جزيرتهم إلى المشرق فاتحين فما مضى ربع قرن على بدء التاريخ الهجري حتى كانت الشام ومصر والعراق قد انتهى تاريخها الروماني واليوناني والفارسي وبدأ تاريخها الإسلامي العربي، وأنها ما كادت تستجيب للإسلام حتى نبذت كل ماضيها الأجنبي المفروض وحملت لواء دينها الجديد داعية إليه، مناضلة عنه، مشاركة في حركة المد الكبير للفتوح الإسلامية التي بلغت أقصى المغرب ومن المشرق خرجت

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

كتائب الفاتحين تحمل لواء الإسلام إلى أقطار المغرب وفي هذه الكتائب عرب خلص من عدنان و قحطان ومستعربة من العراق و الشام ومصر وبرقة ، اتجهوا غربا إلى افريقية و المغرب الأقصى" . ([1])

فأقطار الوطن العربي التي خضعت على مسار الزمن لأحداث تاريخية متماثلة قد ارتبطت بوحدة وجود ومصير ، ورفضت جميعا أن تندمج في الدول التي احتلتها نحو ألف عام قبل الإسلام ، ثم مضت وكأنها لم تكن هناكن ومع تماثل الأحداث التاريخية لشعوب المنطقة كانت هناك قوميات خاصة مصرية وفينيقية وبربرية وعربية وفارسية بينها حدود قائمة معروفة ، ثم لما جاء الإسلام وترك لها حرية العقيدة لم تلبث أن انضوت تحت لوائه وبدأت تتعرب من الجيل الأول بعد الفتح ، وامتزجت الدماء بالنسب و المصاهرة و القربى ، وانصهرت الأمزجة و العقليات في شخصية جامعة ، واندمجت العناصر و الأجناس في قومية مشتركة ، فلم يكن التحول انتقالا من حكم الرومان و الفرس و اليونان إلى حكم العرب وإنما كان استجابة باهرة لعقيدة اقتنعوا بها. ([2])

ومن قصور الإدراك أن نتصور أن الشخصية الجديدة للأمة الإسلامية العربية هي نفس الشخصية العربية التي خرجت من الجزيرة مع كتائب الفتح بكل ملامحها وسماتها وميراثها ، فليس من طبيعة الأشياء أن تتعرض شخصية العربي لكل التيارات الجديدة الطارئة دون أن تنفعل بها، كما ليس من المنطق أيضا أن تتلقى الشعوب المتعربة جديدها الوافد وقد انقطع كل ما يربطها بقديمها العريق الذي ناضلت عنه ضد كل الغزاة الذين تسلطوا عليها قرونا قبل الإسلام ، فرفضت أن تندمج فيهم وتسالمهم ، وإنما الصحيح هو أن شعوب المنطقة حملت معها تراثها الفكري و الحضاري واندمجت به في جديدها الإسلامي العربي فنتج عن الامتزاج و الانصهار شخصية إسلامية الجوهر عربية اللسان ، وصبت كل الروافد في المجرى المشترك لأمة موحدة مع ظواهر مميزة لكل قطر منها ، جاءت من طبيعة البيئة و الميراث المادي و المعنوي . ([3])

---

1 – د. عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطئ ، لغتنا والحياة ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، قسم البحوث و الدراسات الأدبية و اللغوية، مصر 1969 م ، ص 13 – 14 .

2 – المرجع نفسه ، ص 22 – 23 .

3 – المرجع نفسه ، ص 24 – 25 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ثم تتابعت الأجيال و التعرب يزداد عمقا ورسوخا وتأصلا ، وعناصر الشخصية القومية لشعوب الوطن العربي الإسلامي تتصهر في بوتقة البيئة المادية و المعنوية ، بحيث يتعذر على أدق جهاز علمي أن يميز في عروقنا من الدم العربي الصحيح أو الدم القديم الموروث ، وأيما تختلف أصولنا القديمة فنحن عرب مستعربة رسخت فينا العربية على تتابع أجيال طوال منذ أن أظلنا لواء الإسلام وجمعنا أمة واحدة . ([1])

لهذا فإن الحفاظ على هذه اللغة العربية وعلى سلامة استعمالها واجب علينا كما وجبت على السلف من قبلنا، حين لم يذخروا الوقت و الجهد في سبيل حفظها بجمعها وتدوينها في بطون معاجم عديدة ، هي كنوز لغوية سافرت عبر الزمن لتقطع قرونا وتصل إلينا، ثم ما سجلوه من دراسات وملاحظات للاستعمالات المختلفة للغة العربية عند الناطقين بها من أبناء العرب وغير العرب ، وما ساهمت تلك الجهود القديرة في تقويم الألسنة وحفظ الاستعمال اللغوي السليم للغة العربية ، فكانت تلك الكتب الهامة في لحن العوام والخواص وتقويم اللسان وتعليم البيان ، وفيما يجب أن يقال أو لا يقال وفقا لنظام العربية وضوابطها روافد ثرية تخدم العربية ومن ينشد الاستعمال السليم لها.

[1] – المرجع السابق ، ص 26 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الباب الأول

جهود علماء العربية ...

في حفظ السلامة اللغوية من اللحن

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفصل الأول

تدوين اللغة والاحتجاج بها.

أ - الجمع و التدوين .

ب - الاحتجاج في اللغة العربية .

ج - البحث عن السلامة اللغوية .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أ – الجمع و التدوين :

وهذه العربية التي بين أيدينا اليوم هي ثمرة جهد كبير بذله علماؤنا القدامى في جمعها و تدوينها قصد حفظها و الحفاظ على سلامة استعمالها فقد اعتمدت العرب – لجهلها بالكتابة – على الرواية و المشافهة لحفظ تراثها وتاريخها وجعلت ذلك عادة لها في جاهليتها وصدر إسلامها حتى وصلت من جراء هذا التعود على اكتساب ملكة في الحفظ و الاستظهار قلما تمتعت بها أمة غيرها في العالمين القديم و الوسيط . ([1]) ومهما يكن من أمر فإن التدوين لم يتوسع إلا بعد جمع القرآن الكريم وكتابته وضمه في مصحف واحد ، وحين جاء القرن الثاني وتوقفت الفتوحات وعم الاستقرار ، انصرفت الجهود إلى جمع اللغة و الشعر و التدوين المنظم لكل المعاني الدينية و الأدبية ، ولم يبلغ القرن الثاني نهايته حتى كان التدوين قد بلغ أشده . ([2])

وقد انطبعت الحركة العلمية عند العرب منذ عصر النشأة بطابع الخروج بحثا عن المادة العلمية وظل هذا الطابع سائدا لفترة من الزمن ، وإذا كان المحدثون قد جعلوا " الرحلة " أساس اكتساب العلم فإن اللغويين قد أقاموا علمهم منذ البداية على " الرحلة " إلا أن " رحلة المحدثين كانت تعني قصد شيوخ الحديث حيث يوجدون في أمصار الإسلام ، أما الرحلة عند اللغويين فكانت تعني أساسا الرحلة إلى البادية " . ([3]) وقد عمل الدكتور محمد حسين آل ياسين مسردا بأسماء الأعراب الذين نقلت عنهم اللغة حتى نهاية القرن الثالث الهجري . ([4])

وقد كانت للغريب في المعنى و الصياغة سوق رائجة بين العلماء و الدارسين إذ يجدون فيه مادة غنية لدراستهم سواء ما يتعلق بالألفاظ أو ما يتعلق بالإعراب

---

1 – تمام حسان ، الأصول دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر العربي ، النحو ، فقه اللغة ، البلاغة ، دار الثقافة، الدار البيضاء ، 1411 هـ / 1991 م ، ص 90 .

2 – د. أحمد محمد قدور ، مدخل إلى فقه اللغة العربية ، ط1 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان 1993 م، ص 165 – 167 .

3 – د. شرف الدين علي الراجحي ، مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب ، ط1 ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1983 م ، ص 20 .

4 – د. محمد حسين آل ياسين ، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، ط1 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت 1400 هـ / 1980 ، ص 71 – 77

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والتراكيب وكانت سوقه أشد رواجا للرواية و التكسب لاكتسابه تلك الصفة المرغوبة " صفة البداوة " روى القالي عن الأصمعي قال : جئت إلى أبي عمرو بن العلاء فقال لي: من أين أقبلت يا أصمعي ؟ " قال : جئت من المربد ، قال : هات ما معك فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي فمرت به ستة أحرف لم يعرفها فخرج يعدو في الدرجة وقال : شمرت في الغريب ، أي : غلبتني . ([1])

هذا السعي الدائم من الرواة والأعراب ، وهذا الالتقاء المستمر بين البادية والحضر بدأ عنيفا قويا في تلك الفترة ، ثم أخذ يضعف تياره قليلا حتى توقف تماما مع نهاية القرن الرابع الهجري، وهذا جدول يشمل أهم رواة اللغة في القرنين الثاني والثالث مرتبين حسب الوفاة:

اسم الراوي وشهرته	نسبته المدرسية	حياته ووفاته بالتقريب
1 – أبو عمرو بن العلاء (زبان بن العلاء)	بصري	70 – 154
2 – حماد الراوية (حماد بن سابور)	كوفي	95 – 155
3 – المفضل الضبي	كوفي	... – 167
4 – خلف الأحمر (خلف بن حيان)	بصري	... – 180
5 – أبو عمرو الشيباني (إسحاق بن مرار)	كوفي	94 – 206
6 – أبو عبيدة (معمر بن المثنى)	بصري	110 – 209
7 – أبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس)	بصري	119 – 215
8 – الأصمعي (عبد الملك بن قريب)	بصري	122 – 216
9 – ابن أخت الأصمعي (عبد الرحمن بن عبد الله)	بصري	... – ...
10 – أبو نصر الباهلي (أحمد بن حاتم)	بصري	... – 231
11 – ابن الأعرابي (محمد بن زياد)	كوفي	150 – 231
12 – أبو حاتم السجستاني (سهل بن محمد)	بصري	... – 248
13 – المازني (بكر بن محمد)	بصري	... – 249
14 – الزيادي (إبراهيم بن سفيان)	بصري في الغالب	... – 249
15 – الرياشي (العباس بن الفرج)	بصري	177 – 257

[1] – القالي البغدادي (أبو علي إسماعيل بن القاسم) ، ذيل الأمالي والنوادر، الطبعة الثالثة، ص 183 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

هؤلاء هم مشاهير الرواة وقد توالوا بعد ذلك حتى وجد في أواخر القرن الرابع من يروي أيضا عن الأعراب أحاديثهم وطرائفهم وأشهرهم الأزهري (ت 370 هـ) وابن جني (ت 392 هـ) وابن فارس (ت 395 هـ) ، ثم انقطعت الرواية عن الأعراب بعد ذلك وكان لهذا آثاره العلمية البعيدة . ([1])

وقد كان مبدأ جمع المادة اللغوية " السماع " الذي انتهى إلى أصل واضح من أصول النظر اللغوي عند العرب ، يعرفه السيوطي فيقول : " هو ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته ، فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن ، وكلام نبيه (ﷺ) وكلام العرب قبل بعثه وفي زمانه وبعده إلى زمن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظما أو نثرا عن مسلم أو كافر " . ([2])

أما الكتابة فقد كانت شيئا جديدا ذلك لأن العرب كانوا قوما أميين لم تنتشر الكتابة بينهم إلا بدعوة الإسلام ، ففي أعقاب غزوة بدر ، كان من طرق مفادات أسرى المشركين أن يعلم الأسير عشرة من المسلمين الكتابة فكان زيد بن ثابت كاتب رسول الله (ﷺ) أحد هؤلاء الذين علمهم الأسرى تعلمها في جماعة من الأنصار الذين لم يكن فيهم من يحسن الكتابة كما ذكر المقريزي ([3]) لهذا تشير الروايات الكثيرة التي وردت عن هؤلاء العلماء الرواة اهتمامهم بشدة الحفظ من جهة واهتمامهم بكثرة الكتابة من جهة مقابلة ، قال أبو العباس ثعلب : دخل أبو عمرو (الشيباني إسحاق بن مرار) البادية ومعه دستيجان حبرا فما خرج حتى أفناهما بكتب سماعه عن العرب . ([4]) والكسائي قد خرج إلى البادية ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه . ([5])

---

1 – د. محمد عيد ، الاستشهاد و الاحتجاج باللغة رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، القاهرة 1988 م ، ص 15 .

2 – السيوطي (الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 11 هـ) ، الاقتراح في علم أصول النحو ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ط1 ، بيروت ، لبنان 1418 هـ / 1998 م ، ص 24 .

3 – المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء و الأموال و الحفدة و المتاع ، ج1 ، صححه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة 1941 م ، ص 101 .

4 – القفطي (الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف) إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج1 ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة 1369 هـ / 1950 م ، ص 224 .

5 – المصدر نفسه ، ج2 ، ص 258 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ويقابل هذه الصورة للرواة صورة أخرى تؤكد المشافهة و الحفظ ، ومن ذلك قال أبو العباس ثعلب : شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مائة إنسان وكان يسأل أو يقرأ عليه فيجيب من غير كتاب ، ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتابا قط ، ولقد أملى على الناس ما يحمل على أجمال . ([1]) ويقول القفطي عن محمد بن القاسم الأنباري ، كان يحفظ فيما ذكرته ثلاثمائة ألف بيت من الشعر شاهدة في القرآن وكان يملي من حفظه لا من كتاب . ([2]) وقال ابن مناذر : " كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها ، وكان أبو زيد يجيب في ثلثيها وكان أبو مالك يجيب فيها كلها " . ([3])

وقد تعددت مصادر العلماء في جمع اللغة ، فكان أولها القرآن الكريم الذي تكون ألفاظه مادة كبيرة من مواد اللغة اجتهد العلماء في تحديد معانيها فكانت حافزا لهم على الرحلة والرواية لتبيين مدلولها كما كانت ألفاظه سببا في أن يجمعوا حول كل لفظة ما يتصل بها وبتبيين اشتقاقها وما تفرع من مادتها ، وكان من مصادرهم ما ورد من الشعر الذي يحتج به جاهليا وإسلاميا فقد أتى فيه الكثير من الغريب الذي أخذوا يبحثون عن معانيه ، إضافة إلى اعتمادهم سماع الأعراب في البادية ، ثم اعتماد العلماء المتأخرين على الأخذ عمن قبلهم .

وقد جرى جمع ألفاظ اللغة العربية على ثلاث مراحل متداخلة متعاصرة ، لا متعاقبة تحدها الفواصل الزمنية الثابتة :

- **المرحلة الأولى** : هي مرحلة تدوين ألفاظ اللغة وتفسيرها دون ترتيب وكان السماع من الأعراب و الاتصال المباشر بهم في صحرائهم أو حين قدومهم إلى الأمصار، أحد المصادر الأساسية التي اعتمدها الرواة في جمعهم للغة.
- **المرحلة الثانية** : جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع

---

[1] – ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر المولود سنة 608 والمتوفى سنة 681هـ) وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، ج3 ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1948 ، ص 433 .

[2] – القفطي، إنباه الرواة ، ج3 ، ص 202.

[3] – أبو الطيب اللغوي (عبد الواحد بن علي) مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1423 هـ / 2002 م ، ص 55 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

واحد، وكل هذه الرسائل الصغيرة ذابت في المعاجم الجامعة التي ألفت فيما بعد ، وقد وصلنا الكثير من هذه الرسائل التي تمثل هذه المرحلة فلأبي زيد الأنصاري كتاب " المطر " و كتاب " اللبا و اللبن " و للأصمعي كتاب " الإبل" و" الخيل والشاء " و" النخل والكرم " و" النبات والشجر" ...الخ .

- **المرحلة الثالثة :** وهي مرحلة وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة ما . ([1])

وقد سلك العرب في جمع لغتهم مسلك اللغويين الاجتماعيين للكشف عن الحقائق اللغوية في إطار المجتمع وما يتضمنه من ثقافات وأنماط سلوك ، وفقا للبيئة الخاصة أو الموقع الاجتماعي ، وذلك المسلك هو ما يعرف الآن بالبحث الميداني، وجمع الكلام المنطوق من ميدانه يعد من أهم مبادئ النظر الاجتماعي للغة، حيث إن الكلام بهذه الصفة فيه صدق الواقع ، هذا بالإضافة إلى ما يتضمنه هذا الكلام من خواص صوتية وما يصحبه من إشارات أو حركات جسمية تيسر عملية التواصل بين المرسل و المستقبل ، وهذا التلقي المباشر أو المشافهة هي ما تنعت في اصطلاحهم بـ " السماع " و السماع كان أحد مبدأين أساسين في جمع اللغة بقصد النظر فيها ودرسها وتحليلها لاستخلاص قواعدها وضوابطها ، و المبدأ الثاني لذات الهدف هو " الرواية " و " المقصود بالسماع هو الأخذ المباشر من أصحاب اللغة بالاستماع إليهم وهم ينطقون كلامهم نطقا فعليا واقعيا في مواقعهم الاجتماعية و البيئية المختلفة ، أما الرواية فلا تعني التلقي أو المشافهة المباشرة ، وإنما تعني التلقي (أو المشافهة) بواسطة بين المرسل مصدر المادة اللغوية ، والمستقبل الناظر في هذه المادة و دارسها " . ([2])

والواسطة هنا متعددة المظاهر فقد تتمثل في ناقل لغوي آخر ، أو في نص مكتوب مروي عن أصحاب اللغة الخ ، والأخذ بالرواية (أو السماع بواسطة)

---

1 – د. أمجد الطرابلسي ، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة و الأدب ، ط5 ، دار قرطبة للطباعة و النشر ، الدار البيضاء 1406 هـ / 1986 م ، ص 11 – 12 ، وأحمد أمين ، ضحى الإسلام، ط3 ، الإسلام ، الجزء الثاني، ط8 ، بدون تاريخ ، ص 263 – 265 ، ود. عبد العزيز عتيق ، المدخل إلى علم النحو و الصرف ، ص 126 – 128 .

2 – د. كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل ، ط3 ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 1997 ، ص 85 – 86 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

معرض لأن يقع فيه شيء من التجاوز وخاصة في الأداء الصوتي للمادة المروية، إضافة إلى أن " الراوي" قد يأتي بروايته – على وجه مقبول أو غير مقبول– مخالفا لنص المرسل الأصلي ، وهذا ما قد يفسر كثيرا من الأمثلة والشواهد التي تعددت فيها وجوه التحليل .

ومهما يكن فإن حركة الجمع والتدوين جاءت بتراث ضخم عكف عليه الدارسون يستخلصون منه معظم ألفاظ العربية ، ويميزون قواعد نحوها واشتقاقها وضوابط شعرها وأساليبها البيانية وخصائصها التعبيرية وآخرون منهم اختصوا بدراسته فمنهم من اشتغل بشرح ألفاظه وتفسير غريبه، ومنهم من اهتم بتذوقه ونقده، فأضافوا رصيدهم إلى المجموع من تراث الجاهلية ، وبالإمكان لدى العودة إلى مؤلفات القدامى ملاحظة المجهود الهائل الذي قام به الأوائل في مجال دراسة اللغة والعناية الدقيقة التي بذلوها في جمع أصولها ، ولم شتاتها واستنباط أحكامها العامة، فمثلت هذه اللغة المجموعة عصر الصفاء اللغوي الذي وجب النسج على منواله و الاحتكام إليه والاحتجاج به فيما بعد.

ب – الاحتجاج في اللغة العربية :

ومن معاني (الحج) – كما يقول القاموس – الغلبة بالحجّة و الحجّة بالضم إقامة البرهان فحجج النحو إذن: براهين تقام من نصوص اللغة للدلالة على صحة رأي أو قاعدة ، والاحتجاج في النحو معناه : الاعتماد على إقامة البراهين من نصوص اللغة شعرا ونثرا ومثله الاستشهاد في اللغة ، فالشهادة – كما يقول القاموس – خبر قاطع ، واستشهده : سأله أن يشهد فالشواهد في النحو: أخبار قاطعة موثقة يسوقها علماء اللغة عن الناطقين باللغة و الاستشهاد على هذا النحو: الإخبار بما هو قاطع في الدلالة على القاعدة من شعر ونثر، فكل من الاستشهاد و الاحتجاج بهذا المعنى يتلاقيان في مجرى واحد هو : سوق ما يقطع ويبرهن على صحة القاعدة أو الرأي. ([1]) وهناك موضع آخر يغلب فيه استعمال هذا الأخير ومشتقاته وهو للدلالة على فصاحة عربي أو هجينته ، فيقال عنه مثلا : " يحتج به " أو علماء اللغة يجعلونه حجة ". ([2]) وهذا يعني أن علماء العربية الذين أخذوا

---

[1] – د. محمد عيد ، الاستشهاد و الاحتجاج باللغة ، ص 86 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 87 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

يجمعون اللغة منذ فجر الإسلام أخذوا يمحصون نصوصها كل التمحيص ويخضعونها لطريق الاستقراء ليخرجوا منها بما يسمونه سنن العرب في كلامها ، فتحول عملهم إلى سلطة تحل و تحرم وتفرض نوعا من النظام على اللغة ، ذلك أن وضعهم لقواعدهم التي استنبطوها مما جمعوه من المادة اللغوية أدى بهم إلى جعلها حججا ومردا للناطقين بحيث لا يصح أن تخالف .

ب / 1 – الاحتجاج بالقرآن الكريم :

قبل أن نتطرق إلى موقف علماء اللغة العربية من احتجاجهم بالقرآن الكريم نلقي نظرة على العلاقة بين القرآن الكريم و اللغة العربية لأهمية هذه العلاقة الوطيدة بين الجانبين .

- **القرآن والعربية :**

القرآن الكريم مفخرة العرب في لغتهم ، إذا لم يتح لأمة من الأمم كتاب مثله لا ديني ولا دنيوي من حيث البلاغة و التأثير في النفوس و القلوب. ([1]) فالقرآن يعتبر دستور الإسلام وأساس عقائده وشرائعه ، كان ذا أثر كبير ومباشر في حياة العرب الاجتماعية و العقلية ، فقد " كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم و نسائكم وقرابينهم ، فلما جاء الله تعالى بالإسلام – حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور– ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فعفى الأخير الأول" . ([2])

ولاشك أن ظهور الإسلام كان أضخم حدث غيّر وحوّل التاريخ العربي عن مجراه ، فلا عجب أن يكون له أضخم أثر في حياة الأعراب ، فقد قلب معالم الحياة وبدّل المفاهيم والأنظمة وارتفع بالنفسية العربية إلى درجة من التفكير لم تألفها من قبل. ([3]) كما أثر تأثيرا كبيرا في الحياة الأدبية سواء كان ذلك في ألفاظ اللغة أم في

---

[1] – د. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي ، الطبعة الثالثة عشرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ج م ع ، ص 30 .

[2] – السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج1 ، ص 294 .

[3] – جورج غريب ، صدر الإسلام ، ط4 ، دار الثقافة ، بيروت 1983 م ، ص 12 – 13

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أسلوبها أم في فنون الأدب المختلفة من شعر ونثر وخطابة وكتابة فقد غيّر مجرى الحياة الأدبية تغييرا كبيرا. ([1]) فكسبت اللغة بذلك عذوبة في ألفاظها ورقة في أساليبها ودقة في تراكيبها ، وخصوبة في معانيها ، وقوة في منطقها وحجاجها، وهجرت الألفاظ الوحشية إلى الأساليب القرآنية الراقية ، واتسعت دائرة اللغة باستحداث الألفاظ الدينية. ([2]) فانبهر العرب ببديع الأسلوب القرآني وبمحكم آياته فراحوا يستعينون به ويقتبسون منه ، ومع تمام عجزهم عن محاكاته ظهر تأثرهم به في كلامهم لفظا وأسلوبا ومعنى وأغراضا، فأخذ بيد اللغة إلى الذروة التي بلغها ونهض بها . ([3])

ولهذا يعتبر القرآن في تاريخ العربية حدثا مهما ، وذلك لأنه نموذج جديد لهذه اللغة الكريمة تطورت العربية في هذا النموذج فكانت خليقة بأن تكون معربة عن دين جديد هو في حقيقته حضارة جديدة ، ومن الطبيعي أن تتطلب هذه الحضارة الإسلامية الجديدة مادة لغوية جديدة، ولذلك أدرك العلماء في فترة سابقة من العصر الإسلامي أنه لابد من فهم لغة التنزيل فهما جديدا لما فيها من أسرار لغوية جديدة . ([4]) فعرف الفكر تجددا في أطر القرآن الكريم الذي استهدف هندسة حياة الفرد والجماعة فأمنها من اللحن وقر"بها من نفحات الإعجاز في اللفظ والمعنى ، وصفاء الفكر في الرمز والإيحاء وجودة البنية في الصوت و الجرس ، واعتدال الهيئة في الإيقاع والنغم ، فاتسعت هذه اللغة وتشعبت تصاريف كلامها في أسمائها وأفعالها وحروفها ، وجولاتها في اشتقاقاتها ، ومآخذ البديعة في استعارتها ، وغرائب تصرفها في اختصاراتها وأفانين القول في أكناف مقاصدها . ([5]) ولهذا فإن هناك شبه إجماع على أن وراء اللغة العربية سندا هاما أبقى على روعتها وخلودها، فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة و العصور المتباينة و اللهجات المختلفة ، فمن

---

[1] – د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دارسات في الأدب الجاهلي و الإسلامي ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1992 ، ص 223 والحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل، بيروت ، 1410 هـ / 1990 م ، ص 15.

[2] – علي الجندي ، أطوار الثقافة و الفكر في ظلال العروبة و الإسلام ، ج1 ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1959 ، ص 284 – 289 .

[3] – السباعي بيومي، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1952 ، ص 10.

[4] – د. إبراهيم السمرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ط2 ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ، 1401 هـ / 1981 م ، ص 49 .

[5] – د. التحييني بن عيسى ، مقال " تأثير اللغة العربية في اللغة العبرية " اللغة العربية مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية ، العدد الثالث ، 2000 م ــ ص 130 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المعروف أن كل مسلم مطالب بتلاوة القرآن الكريم ، ومعنى هذا أن كافة المسلمين في جميع العالم مطالبون بتعلم اللغة العربية إذا فالقرآن سر بقاء هذه اللغة " المقدسة " ولولاه لاندثرت أو على الأقل انزوت وقل من يتكلمونها وانهارت أصولها.

فالعربية قد ارتبطت بالعقيدة ارتباطا وثيقا لنزول القرآن الكريم بها – وهو المعجزة الكبرى للإسلام – لذلك يحاول المسلمون من العرب أن يحتفظوا لهذه اللغة بخصائصها وجوهرها حفاظا على الدين، أما اللغات الأخرى فمعظمها لم يرتبط بالعقيدة ولم تنزل بها كتب سماوية ويكتفي أصحاب هذه اللغات أن يترجموا إلى لغاتهم النصوص التي يتعبدون بها ، لهذا فنحن نحافظ على عقيدتنا وتبعا لذلك نحافظ على لغتنا وكل الدراسات اللغوية العربية قد بدأت أو نشأت لخدمة العقيدة و الدين ، ثم بعد ذلك اتجهت لخدمة اللغة لذات اللغة، ومن أجل هذا الارتباط شهدنا علماء العربية ولاسيما المتقدمين منهم يعتزون بنصوص هذه اللغة اعتزازا كبيرا فلما أحصوا أن انتقال هذه اللغة إلى الأمصار – بعد الإسلام – قد أصابها على الألسنة بعض الانحرافات قاموا فقعدوا القواعد لهذه اللغة ودونوا ألفاظها في معاجم ثم أعلنوا دستورهم الذي يسمى بعصور الاحتجاج. ([1]) فبنزول القرآن الكريم – على رسول الله (ﷺ)– بلسان عربي مبين ، حدث تحولان كبيران في المسألة اللغوية سيكون لهما أثرهما البالغ في توجيه الدراسات اللغوية العربية وهما :

أ – ارتباط اللغة العربية بالإسلام ارتباطا وثيقا لا انفصام بعده ، ذلك أن اللغة العربية أصبحت لغة دين عالمي لا يفرق بين العربي والعجمي إلا بالتقوى ، وزاد من قوة هذا الارتباط أن المعجزة القرآنية التي تحدى الله سبحانه وتعالى بها البشر أجمعين عربا وعجما تتجلى في نسق التعبير القرآني المعجز حقا، قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ . ([2])

وقال : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ . ([3])

---

1 – د. إبراهيم أنيس ، طرق تنمية الألفاظ في اللغة ، قسم البحوث و الدراسات الأدبية و اللغوية ، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة 1966 – 1967 ، ص 10 – 11 .

2 – سورة البقرة ، الآية 23

3 – سورة يونس ، الآية 38 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ب – لم تكن اللغة العربية قبل الإسلام تتبع كيانا سياسيا موحدا يدافع عنها ويرتقي بها ويحافظ عليها ، لأنها إذ ذاك كانت لغة قبائل متفرقة في جزيرة العرب لكنها بمجيء الإسلام أصبحت لغة الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة ، وأصبح أمر حمايتها و الحفاظ عليها واجبا من واجبات تلك الدولة ولاسيما أن أساس الدولة القرآن الكريم الذي لا تجوز ترجمته كما هو ، ولا يجوز تحريفه أو تغيير سمته لمراعاة أي تطور يطرأ على اللغة العربية لاحقا .

إن هذين التحولين هما اللذان سيؤتيان أكلهما فيما بعد عندما تتهيأ الظروف والأسباب للتعبير العملي عن ارتباط اللغة العربية بالإسلام وأهمية وجود الدولة في الحفاظ على اللغة و الدفاع عنها . ([1])

فالعربية هي وعاء الكتاب الخالد بها أنزل وحفظ ، ولكونها لغة القرآن فقد اكتسبت جلالا وبهاء وحبا ونفوذا ونفاذا ، كما حفظها القرآن الكريم في صورة أقوى أداء للغة من خلال الفصحى العليا التي نزل بها القرآن " فحفظ للأمة سليقتها اللغوية، وأرهف ذوقها ببيانه المعجز " . ([2]) والقرآن الكريم صاحب الفضل في نشأة الدراسات اللغوية في التراث الإسلامي ، فقد خاف علماء المسلمين على القرآن الكريم من أن يصيبه ما أصاب الألسنة من لحن أو تحريف بعد أن تعددت ألسنة الداخلين في الإسلام وتفشت ظواهر اللحن ، وهذا لأن " الكتب المقدسة تبذل حولها طاقات الدارسين ، وبفضلها تستخرج مكنونات العقول وتتعدد المباحث وتتفجر العلوم و تتنوع ". ([3]) ولما كانت العقائد الدينية راسخة في القلوب على الرغم مما يقال من أن تطور المدنية سيقضي على تأثير هذه العقائد ، فإن العربية باقية بقاء الإسلام أي القرآن، ولما كانت لغة قريش المنزل بها القرآن بلغت حين نزوله أقصى مبالغ من قوة البيان وفصاحة التعبير وكان القرآن موضع التحدي للعرب أن يأتوا بسورة من مثله، اعتبر ذلك الكتاب أسمى نمط للعربية الفصحى وأعلى نموذج للبيان المعجز، فظل القبلة الخالدة في استلهام أنصع الأساليب لنظم الكلام فما دام القرآن

---

1 – د. حسن خميس الملخ ، التفكير العلمي في النحو العربي – الاستقراء – التحليل – التفسير – ط1 ، دار الشرق للنشر و التوزيع ، عمان ،الأردن ، 2002 م ، ص 60 – 61 .

2 – د. أحمد عبده عوض ، في فضل اللغة العربية (تعلما وتحدثا والتزاما) معالجة قرآنية ونبوية وتراثية، ط1 ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة 1420 هـ / 2000 م ، ص 5 .

3 - Bloomfield Leonard , langage- Holt, Rinehart and Winston - New – York , p 10 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

محفوظا والإسلام قائما وأمة العربية موجودة فلن يكتب لهذه اللغة الفناء وذلك في الحق أعظم الأسباب التي صانت العربية عن الزوال في الماضي والحاضر وسيكون السبب الذي يمدها بعوامل البقاء في المستقبل.

ومازالت لغة القرآن الكريم في الوقت الحاضر مرجعا ثريا وموردا خصبا لأولي الفكر والنظر العلمي العارفين بلغتهم الفصيحة و المتعاملين بها في أعمالهم الجادة دون صعوبة تمنعهم أو تحرمهم من العودة إلى آيات الذكر الحكيم من وقت لآخر للاسترشاد بها مبنى ومعنى ، وإن خفي على بعضهم استيعاب معاني بعض هذه الآيات و الوقوف على أسرار دلالتها العميقة فذلك راجع إلى نقص في محصولهم اللغوي وخبرتهم الشخصية في توظيف اللغة العربية في عمومها .

ولما كان القرآن الكريم أو الأسلوب القرآني نمطا معجز المبنى و المعنى ، فقد حظي ولا يزال يحظى بالتقدير كله خاصة من العارفين بأسرار اللغة العربية وأساليبها ولهذا أيضا فإن هذا النمط كان أول حجة وجب الاحتجاج بها على السلامة اللغوية عند تدوين فصيح اللغة في عصور الاحتجاج .

- **الاحتجاج بالقرآن الكريم :**

والذي يتصور أن دراسي اللغة كان ينبغي لهم أن يستمدوا مادة دراستهم من مصادر أربعة هي : القرآن و الحديث وما وثقه العلماء من النثر العادي أو الفني وما رووه من الشعر لكن الذي حدث هو أنهم فرقوا بينها من حيث الاستخدام و الدراسة. وأفضل ما يحتج به في تقرير أصول اللغة " القرآن الكريم " فإنه نزل بلسان عربي مبين فهو بالغ في الفصاحة وحسن البيان الذروة التي ليس بعدها مرتقى ، قال الراغب الاصبهاني في كتابه المفردات : فألفاظ القرآن : هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء و الحكماء في أحكامهم وحِكمهم ، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ، وما عداها وماعدا الألفاظ المتفرعة عنها والمشتقات منها، هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة و كالحثالة و التبن بالنسبة إلى لبوب الحنطة . ([1])

[1] – السيوطي، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ــ ج1 ،ص 201.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فقد أجمع علماء اللغة على الأخذ من القرآن الكريم وأن لغة القرآن تمثل الفصاحة و البيان في أجل صورها وأعظم مبانيها ، يقول البغدادي : " كلامه – عز اسمه – أفصح كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه " . ([1]) ويقول الفراء : " والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر" . ([2])

والفكرة الأولى الشائعة من اختلاف القراءات وتنوع الأداء فيها إنما كان التيسير على الناس في قراءة القرآن وذلك لاختلاف لغات الناس وألسنتهم " فلو كلفوا بالعدول عن لغتهم وألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع " . ([3])

لهذا تبدو المسألة للوهلة الأولى في غاية الوضوح ، إذ ينص علماء اللغة صراحة على أن القرآن " سيد الحجج " و أن قراءاته كلها سواء كانت متواترة أم شاذة مما لا يصح رده ، وإن كانت القراءة التي وردت مخالفة للقياس ، يقول السيوطي : " كل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أو شاذا ، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة إذا لم تخالف قياسا معروفا بل ولو خالفته يحتج بها في ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه نحو (استحوذ) " . ([4])

و في الحقيقة اختلف النحاة من قديم في شأن القراءات فكان بعضهم يتجرأ على نقدها ونسبة الخطأ إليها إذا خالفت مذهبه النحوي ، وكان بعضهم لا يقدم على ذلك ويلتمس لكل قراءة وجها – وإن كان بعيدا – في العربية ، ومن الفريق الأول: الفراء والزجاج والمبرد والزمخشري ، وحجة هؤلاء أن الذين نقلوا القراءات كان فيهم قوم أدركوا زمن الفصاحة فجاءوا بها على ما يجب ، وقوم سبقتهم الفصاحة

---

[1] – البغدادي (عبد القادر بن عمر 1030 – 1093 هـ) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، المجلد الأول، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه د. محمد نبيل طريفي ، إشراف د. إميل بديع يعقوب ، ط1 ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، 1418 هـ / 1998 م ، ص 32 ، والسيوطي، الاقتراح ، ص 24 .

[2] – الفراء (أبو زكريا يحي بن زياد ، المتوفى 207 هـ)، معاني القرآن ، ج1 ، الطبعة 3 ، عالم الكتب 1403 هـ / 1983 ، ص 14 .

[3] – ابن الجزري (الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، المتوفى 833 هـ) ، النشر في القراءات العشر، ج1 ، أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل علي محمد الضباع ، دار الكتاب العربي ، ص 22 .

[4] – السيوطي ، الاقتراح ،ص 24

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ولم يكن لهم علم بقياس العربية فلحقهم الوهم . ([1]) أما الفريق الثاني : فكان من أئمته ابن خالويه وابن جني وأبو علي الفارسي ، وهؤلاء يرون أن القراءة متى صح سندها ووافقت وجها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحا ، مجمعا عليه أو مختلفا فيه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها ،بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن سواء كانت عن السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم . ([2]) وحجتهم في ذلك " أن القراءة سنة " وأن " الرواية تصلها إلى رسول الله " . ([3])

فمن الحق أن مكانة القرآن الكريم المتناهية في الفصاحة و البلاغة تقتضي بالاحتجاج به في كل حال ، ولا ريب أنه يحمل طابع الاستعمالات العربية الأصيلة، وهو موثوق به غاية الثقة ، ويعد أقوى النصوص التي يجب اتخاذها أصلا للقياس عليها كما تعتبر قراءاته – التي ثبتت صحة روايتها – مصدرا مهما للقياس لأنها تعبر عن لهجات عربية صحيحة .

لكن ما تجدر الإشارة إليه هو عدم اهتمام اللغويين و النحاة بالاستشهاد على الظواهر اللغوية وقوانينها بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة اهتماما واسعا، فالباحث يرى أنهم يأتون بالشاهد من مأثور الكلام شعرا ونثرا وربما اعتمدوا في تقعيد قواعدهم على شاهد واحد – كما هو معروف عند الكوفيين – وربما لم يعرف قائله ، وقد يكون مصنوعا فقد أجاز الكوفيون دخول اللام في خبر (لكن) واستشهدوا بهذا الشطر الذي لا تعرف له تتمة : " ولكنني من حبها لعميد " . ([4])

---

1 – المعري (الشيخ الإمام أبو العلاء أحمد بن عبد الله ابن سليمان التنوخي)، رسالة الملائكة ، تحقيق لجنة من العلماء ، الطبعة الثالثة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1979 ، ص 202 .

2 – ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج1 ، ص 9 ، و الدمياطي (العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، المتوفى سنة 1117 هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان 1422 هـ / 2001 م ، ص 8 .

3 – ابن جني (أبو الفتح عثمان، المتوفى سنة 392 هـ) ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، المجلد الأول ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط1 ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1419 هـ / 1998 م ، ص 103 .

4 – الأشموني (أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى، المتوفى سنة 900 هـ) ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ج1 ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن حمد، إشراف الدكتور إميل بديع يعقوب ، ط1 ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1419 هـ / 1998 ، ص 306.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ولو أنهم استشهدوا بالقرآن لرجعوا إلى النص الصحيح الأقدم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

إن أهم باعث على وضع النحو ونشوئه هو الحرص على صون النص القرآني من شوائب اللحن ، وقد أثارت قراءاته المشهورة و الشاذة مواقف متباينة عند النحاة ، مع أن تعدد القراءات و اختلافها تيسير للناس في قراءة القرآن ، فقد روي عن النبي (ﷺ) قوله : " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فقرؤوا ما تيسر منه " . ([1])

وعلى هذا تكون دراسة القراءات ووجوهها المختلفة منطلقا إلى تيسير النحو وإعادة النظر في أصوله وقواعده على وفق ما ورد فيها من وجوه ، لأن " كل قراءة متصلة السند بالرسول على ما بينها وبين الأخرى من تخالف ". ([2]) فضلا عن أن " القراءة لا تخالف لأن القراءة سنة " . ([3]) و" أن الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر " . ([4])

إلا أن هذا لم يمنع النحاة من أن يقفوا من القراءات موقفا مخالفا لهذا ، فلم يتخذوها أصلا يبنون عليها قواعدهم ، بل اعتمدوا طائفة وتأولوا لطائفة ثانية وجوها تتفق ومذاهبهم في العربية ، وحكموا القياس في طائفة ثالثة فما خرج منها عليه شذَّذوه .

وهنا ينبغي أن نفرق بين الاحتجاج للغة القرآن ، و الاحتجاج بها فالأول تكون فيه لغة القراءة القرآنية غير متفقة مع قواعد النحو أو مخالفة للشائع من الظواهر أو مجافية لقياس النحاة ولذلك يلتمس النحوي لها الأعذار و النظائر حتى يثبت أنها مقبولة في النحو، على غرار ما فعله أبو علي الفارسي في كتاب " الحجة " وابن جني في " المحتسب " أما الثاني فتكون فيه لغة القرآن هي

---

[1] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، صيدا، بيروت ، 1408هـ/ 1988م، ج1 ، ص 133

[2] – د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة العربية و آثاره في القراءات و النحو بمناسبة مرور ألف عام على وفاته 1377 هـ ، ملتزم الطبع و النشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، الفجالة ، القاهرة ، مصر. ص 12

[3] – سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) الكتاب ج1 ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط1 ، دار الجيل بيروت ، بدون تاريخ ، ص 148 .

[4] – الفراء ، معاني القرآن ،الجزء الأول ، ص 14 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المصححة للأصول و الدالة على صحة الاستنباط و القياس . ([1]) وليس هناك خلاف كبير بين البصريين و الكوفيين في احتجاجهم بالقراءات . ([2])

- **في المحيط البصري :** انفردت القراءة القرآنية بإثبات قاعدة أو تقرير أصل على الرغم من أن البصريين كانوا ينظرون إلى القراءات وكأنها على درجات من الفصاحة فاختلفوا في قبول القراءات حتى السبع " إلا ما كان موافقا لقواعدهم وأقيستهم وأصولهم المقررة ، فإن خالفتها ردوها " . ([3])

- **في المحيط الكوفي :** موقف قد يختلف قليلا عن موقف البصريين من القراءات فإنهم : " قبلوها واحتجوا بها وعقدوا على ما جاء فيها كثيرا من أصولهم وأحكامهم " . ([4]) وليس في موقفهم حدة البصريين الذين أنكروا بعض القراءات أو وصفوها بالقبح واللحن والضعف والكراهة والوهم والشذوذ والرداءة . ([5])

إن ما نلاحظه على النحاة عند استدلالهم بالقرآن الكريم وقراءاته ليس في كثرة ما يسوقونه من الآيات أو قلته ولا في توثيقهم هذه القراءة أو تضعيفهم تلك ، وإنما يكمن في عدم وضوح منهج ثابت لهم في الاستدلال يكون معلما للدارسين.([6]) فالبصريون والكوفيون استدلوا بلغة القرآن وقراءاته ، وهم سواء في قبول القراءات وردها ، على أن الشيء الذي يذكر هو أن نحاة الكوفة استقروا لغة القرآن واستدلوا بها أكثر مما فعل البصريون ولم يتحفظوا، وأنهم أكثر ذكرا للقراءات القراء؛ لأن في الكوفة " ثلاثة من أربعة كانوا أئمة القراءة في العراق، وهم : عاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي بن حمزة الكسائي" . ([7])

---

1 – د. سعيد جاسم الزبيدي ، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ، ط1 ، دار الشروق 1997 م ، ص 81 – 82 .

2 – د. عفاف حسنين ، في أدلة النحو ، طبعة جديدة ، الناشر المكتبة الأكاديمية ، القاهرة 1996 ، م ، ص 65 – 66 .

3 – خديجة الحديثي ، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه ، مطبوعات جامعة الكويت (37) طباعة مطابع مقهوي ، الكويت 1974 م ، ص 47 .

4 – د. مهدي المخزومي ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة و النحو ، مطبعة دار المعرفة ، بغداد ، 1374 هـ / 1955 م . ص 389

5 – سعيد جاسم الزبيدي ، القياس في النحو العربي ، نشأته وتطوره ، ص 88 .

6 – المرجع نفسه ، ص 94 .

7 – د. مهدي المخزومي ، مدرسة الكوفة ، ص 393 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

إذن القراءات كلها شواهد نحوية ينبغي أن يعتمد على المشهور والمتواتر منها ، ويختار من القراءات الأخرى ما يقرب قاعدة ويوضح غامضا ويؤسس أصلا حتى لا يكون هناك تناقض واضطراب وفوضى في الأحكام ويستقيم لنا منهج نعززه بشواهد أخرى من النثر و الشعر للإطراء و الاستئناس .

هذا عن لغة القرآن الكريم وقراءاته وموقف اللغويين و النحاة من الاحتجاج بها، وإذا كان القرآن يحتل المرتبة الأولى في الفصاحة والبلاغة والبيان، فإن الحديث الشريف يأتي في المرتبة الثانية فلماذا عن احتجاج اللغويين به وموقفهم منه؟!

ب / 2 – الاحتجاج بالحديث الشريف :

يعد الحديث مصدرا يحتج به في اللغة ويقاس على ما ورد من ألفاظه واستعمالاته لأن الرسول (ﷺ) أفصح العرب – كما قال : أنا أفصح العرب بيد أني من قريش – وقد أوتي جوامع الكلم كما قال (ﷺ) إلا أن النحاة المتقدمين لهم موقف من الحديث النبوي الشريف تميز بالإعراض عنه وعدم الاحتجاج به إلا في مواضع قليلة مما جعل حقيقة موقفهم منه مضطربة ، فقد جرى جمهور النحاة على عدم الاحتجاج بالحديث الشريف في تقرير أحكام العربية وامتنعوا عنه لكثرة ما وقع فيه من الرواية بالمعنى " وفي الرواية مولدون لم ينشئوا على النطق بالعربية الصحيحة" . ([1]) و الدليل على تصرف الرواة في ألفاظ الحديث بعد احتفاظهم بمعانيها وجود أحاديث تختلف ألفاظها اختلافا كثيرا ، ومن هذه الألفاظ ما يكون جاريا على المعروف في كلام العرب ، ومنها ما يكون مخالفا ، وقد تصرف الرواة في الأحاديث هذا التصرف لأنهم كانوا يوجهون همهم إلى ما أودعه الحديث من أحكام وآداب ، فمتى عرف الراوي أن عبارته أحاطت بالمعنى وأخذته من جوانبه أطلقها غير ملتزم بالألفاظ التي تلقى فيها المعنى أولا ، يقول السيوطي : إن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين ، و الكسائي و الفراء

---

[1] – محمد الخضر حسين ، دراسات في العربية وتاريخها ، جمعه وصححه علي رضا التونسي ، ط2 ، الناشر ، المكتب الإسلامي، مكتبة دار الفتح ، دمشق 1380 هـ / 1960 م ، ص 34 و د. حسام البهنساوي، العربية الفصحى ولهجاتها ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1424 هـ / 2004 م ، ص 56 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وعلي بن مبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس . ([1])

فالحديث قد تأخر تدوينه وكان طبيعيا أن يتداوله الأعاجم و المولدون قبل هذا التدوين حتى ينهجوا نهج الرسول (ﷺ) ويقتفوا أثره ، فزادوا ونقصوا في عبارته وقدموا في الكلمات وأخروا وأبدلوا ألفاظا ومن أجل ذلك رأى أئمة اللغة و النحو من علماء البصرة و الكوفة وبغداد ألا يحتجوا بشيء من الحديث في إثبات لغة العرب و الاستدلال على القواعد التي دونوها . ([2])

كما أن قلة ما ورد من أحاديث عن النحاة الأوائل ومن تابعهم تعود إلى أنهم قرروا في البدء أن مادة اللغة النقية الأصيلة مرتبطة بالبداوة ونظروا إلى هذه البداوة نظرة تقديس، فكانوا يتسابقون في شد الرحال إلى البادية ومشافهة الأعراب والإقامة بين ظهرانيهم زمنا ، ويتنافسون في الحفظ و التدوين، لذا فإن طغيان هذه الظاهرة قد شغلهم وحال بينهم وبين رواية الحديث بكثرة ، فضلا عما تتطلبه رواية الحديث من تفرغ ومن ضوابط صارمة في السّند والمتن([3]) ومن الحق أن يقال : إن الرواد الأوائل من دراسي النحو في القرن الأول وأوائل القرن الثاني كانوا في فترة البداية ولم يكن الحديث قد جمع نهائيا بعد ، لكن مع فترة النضج العلمي كانت نصوصه موثقة موجودة بين أيديهم ، وقد بذل علماؤه جهدا طيبا في الحصول عليه وتوثيق طرقه، وعلى الرغم من ذلك فإن علماء النحو قد اجتنبوه في دراستهم وراحوا يبذلون الجهد في غيره مما اعتقدوا فيه صلاحية لصنعتهم . ([4]) لهذا كان موقف النحاة من الحديث شبيه بموقفهم من القراءات ، فمنهم من يرفض الاستشهاد به ومنهم من يستشهد به . جاء في خزانة الأدب : " وأما الاستدلال بحديث النبي (ﷺ) فقد جوزه ابن مالك وتبعه الشارح المحقق في ذلك ، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضي الله عنهم ، وقد منعه ابن الضائع و أبو حيان" . ([5]) وسندهما أمران:

---

[1] – السيوطي ، الاقتراح ، ص 29 – 30 .

[2] – د. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي 2 ، العصر الإسلامي ، ص 38 .

[3] – د. سعيد جاسم الزبيدي ، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ، ص 98 .

[4] – د. محمد عيد ، الاستشهاد و الاحتجاج باللغة ، ص 108 – 109 .

[5] – البغدادي ، خزانة الأدب ، ج1 ، ص 32 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أحدهما : أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي (ﷺ) وإنما رويت بالمعنى، وثانيهما : أن أئمة النحو المتقدمين من المصرين لم يحتجوا بشيء منه " . ([1])

إذن كانت السنة بين أيديهم وهي صالحة للدراسة اللغوية كما كان بين أيديهم القرآن أيضا ، لكنهم صرفوا أنفسهم عنها قصدا للسبب نفسه الذي لم يعتمدوا على القرآن من أجله ، وهو" التحرز الديني " إذ وقف الإحساس الشديد بتنزيه السنة مانعا لهم عند الاتجاه إلى نصوصها بالتحليل والدراسة واستنباط القواعد ، وسكتوا عن الخوض في ذلك منذ البداية وانتقل هذا التحرج و السكوت إلى من جاء بعدهم وتابعهم من النحاة ، فنامت القضية كلها بفعل العادة و التبعية إلا ما حدث من شرح الحديث الديني المجموع واستخدام قواعد النحو في ذلك ، تماما كما حدث في كتب " إعراب القرآن ومعانيه " فأصبح نص الحديث محلا لتطبيق القواعد لكنه لم يكن وسيلة لاستنباطها . ([2])

ومع أن كثرة الاستشهاد بالحديث ذات أهمية كبيرة غير أنها لا تعد ميزة إن لم تقم أصلا يتيح للنحوي أن يستنبط منها قواعد لم يسبق إليها أو أن يقوي ما ضعفه القدماء من استعمال أو أن يرجح مذهبا على آخر، وإذا جرى جمهور النحاة على عدم الاحتجاج بالحديث الشريف في تقرير أحكام العربية ، فإن هذا لا يعني اعتقادهم النقص في فصاحة الرسول الكريم فقد عرف أنه كان أفصح من نطق بالضاد ولا يجاريه أحد سبقه أو جاء بعده ، وإنما امتنعوا عن ذلك لكثرة ما وقع في الحديث الشريف من الرواية بالمعنى ، وفي الرواية مولودون لم ينشئوا على النطق بالعربية السليقة .

وإن كان هذا هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم و الحديث الشريف، **فكيف كان الحال بالنسبة للشعر ؟**

ب / 31 – الاحتجاج بالشعر :

إن للشعر مكانة هامة عند العرب قبل الإسلام ، إذ اعتبروه من أشرف الكلام وأصوبه فيه شاهد حكمتهم وخزانة معارفهم لذلك قال ابن خلدون في وصف

---

[1] – المصدر السابق ، ج1 ،ص 32 .

[2] – د. محمد عيد ، الاستشهاد و الاحتجاج باللغة ، ص 113 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

حالهم وقتئذ : " واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ، ولـذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم ، وأصلا يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم ، وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن الملكات كلها " . ([1])

يقول ابن سلام في طبقاته : " وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون" . ([2]) ويقول ابن قتيبة :" و للعرب الشعر الـذي أقامه الله مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعا ولآدابها حافظـا ولأنسابها مقيدا و لأخبارها ديوانا ..." ([3]) لهذا كان الشعر عند العرب – كما قال عمـر بـن الخطاب (ﷺ) " علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه " . ([4]) فقد روي عن النبـي (ﷺ) أنه قال : " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين : ([5]) كمـا كـان الـشاعر عندهم يسمي بالعالم أو الحكيم . ([6]) وهو عندهم أربعة طبقـات؛ أولهـا : الفحـل الخنذيذ والخنذيذ هو التام ، ودون الفحل الخنذيذ : الشاعر المفلق ودون ذلك الشاعر فقط و الرابع : الشعرور . ([7])

ومن مظاهر تمجيد العرب للشعراء كانت القبيلة من العرب إذا نبـغ فيهـا شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعـبن بـالمزاهر كمـا يصنعون في الأعراس ويتباشر الرجال و الولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عـن أحسابهم وتخليد لمآثرهم و إشادة بذكرهم . ([8]) لهذا فقد كان معظم اللغويين شعراء ،

---

[1] – ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة الطبعة السابعة، دار القلم بيروت، لبنان 1409 هـ/1989 م، ص 570.

[2] – ابن سلام (محمد بن سلام الجمحي)، طبقات الشعراء، ج1 ، تحقيق محمود شاكر، طبعة المدني القاهرة 1974 م ، ص 24 .

[3] – ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) تأويل مشكل القرآن ، تحقيق سيد صقر ، طبعة القاهرة ، ص 14 .

[4] – ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن 390 – 456 هـ / 1000 – 1064 م)، العمدة في محاسن الـشعر وآدابه ونقده ، ج1 ، قدم له وشرحه وفهرسه د. صلاح الدين الهوازي ، أ. هـدى عـودة ، ط1 ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان 1416 هـ / 1996 م ، ص 41 و السيوطي ، المزهـر ، ج1 ، ص 248 ، وابن جني الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بدون تاريخ، ج1 ، ص 386 .

[5] – ابن رشيق ، العمدة ، ج1 ، ص 46 .

[6] – د. نايف معروف ، الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، ط1 ، دار النفـائس للطباعـة و النشر و التوزيع ، 1990 م ، ص 89 .

[7] – الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، البيان و التبيين ، ج2 ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ص 9 .

[8] – ابن رشيق ، العمدة ، ج1 ، ص 109 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فقد كان الخليل بن أحمد عالما شاعرا وكان الأصمعي عالما شاعرا وكان الكسائي كذلك وكان خلف بن حيان الأحمر أشعر العلماء . ([1])

إذن فقد كان الشعر في الجاهلية ميدان البلاغة ومجال الفصاحة وشغل العرب الشاغل وسجل أيامهم الخالدة ، ومفاخرهم التليدة ، والناطق بمآثرهم والمعبر عن آمالهم و الذائد عن أعراضهم وأحسابهم فكان له أثره في نفوسهم وحياتهم ، و للشعراء منزلتهم العالية عند الخاصة والعامة ، لهذا فقد استأثر الشعر باهتمام النحاة واللغويين فكانوا في كثير من الأحيان يبنون قواعدهم على الشعر وحده، فقد نقل عن ابن نباتة قوله : " من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه و الحجج لا تؤخذ إلا منه، أعني أن العلماء والحكماء والفقهاء والنحويين واللغويين يقولون: قال الشاعر وهذا كثير في الشعر، والشعر قد أتى به، فعلى هذا الشاعر هو صاحب الحجة و الشعر هو الحجة". ([2]) مع أن الاقتصار على الشعر وحده خطوة متعثرة في إثبات أسلوب عربي" فللشعر لغته الخاصة به ، اقتضاها الأسلوب الشعري". ([3])

إن الظاهرة الواضحة في كتب النحو العربي هي الاعتماد الأساسي على الشعر إذ يكون وحده العنصر الغالب في دراسات النحاة المتقدمين و المتأخرين من بين مصادر الاستشهاد ، وذلك باستثناء " ابن مالك " الذي اعتمد على الحديث و " أبو حيان النحوي " الذي اهتم بإيراد الكثير عن لغات القبائل في كتابه " ارتشاف الضرب من كلام العرب " و" ابن هشام " الذي وجه عناية خاصة لنصوص القرآن، فعلماء اللغة الأقدمين كانوا يستشهدون بالشعر الجاهلي و الإسلامي ويحتجون به، بل لقد تجاوزا ذلك حتى استشهدوا بشعر كثير من المحدثين الذين وثقوا بفصاحتهم ، قال الجاحظ : "ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب ، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج ، ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد و المثل " . ([4]) وهذا راجع إلى أن

---

1 – الآمدي (الإمام الحسن بن بشر بن يحي الآمدي البصري، المتوفى عام 370 هـ)، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ص 25.

2 – أبو حيان (علي بن محمد بن العباس التوحيدي المتوفى في حدود سنة 400 هـ) ، كتاب الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ص 250 .

3 – د. مهدي المخزومي ، مدرسة الكوفة ، ص 382 .

4 – الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج3 ، ص 222 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

" رواية الشعر أدق من رواية النثر، وأن تذكر المنظوم أيسر من تذكر المنثور، وأن احتمال التغيير والتبديل في الشعر أقل من احتماله في المروي من النثر". ([1])

واضطرت التراكيب الشعرية المتفردة النحاة إلى متابعتها و البحث عن مسوّغاتها وبذل الجهد في ذلك مما تعقدت به دراسة النحو ، وكثر بسببه التأويل و التخريج وتنازع الآراء ، ذلك أن الشعر بقيوده اقتضى إخضاع الصيغ ونظم الكلمات وإعرابها إلى طرق خاصة، وقد تسبب ذلك في وضع قواعد النحو في موقع حرج فكانت " الضرورة الشعرية " هي الوسيلة المعدة للتعبير عن هذا التسليم و القصور، وقد كثرت تلك " الضرائر" كثرة فائقة حتى ألفت فيها كتب مستقلة لحصرها وبيان مواضعها، وقد كانت الشواهد الشعرية حتى بدء القرن الثالث للهجرة تؤخذ عن العرب الفصحاء و رواية الشيوخ عنهم ، وكان البصريون و الكوفيون في هذا سواء وأن خلافهم كان يكمن في الاتساع لا في التساهل في الرواية والمروي ، لأن" الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة " . ([2]) فللكوفيين بوجه خاص عناية فائقة بالشواهد و النوادر، وكان من بين أصحاب الكسائي والفراء وثعلب حفظة لهذه الشواهد ، كعلي بن المبارك الأحمر صاحب الكسائي ، الذي قيل : إنه كان يحفظ أربعين ألف بيت شاهد في النحو . ([3])

كما لم يكن الاهتمام بالشعر و الشواهد مما اختص به الكوفيون ، فإن من بين البصريين حفظة لكثير من النوادر و الشواهد كالأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما إلا أن حصيلة الكوفيين من بعد أن وسعوا محصول روايتهم اللغوية كانت أوفر وأكثر.

وقد امتد الاحتجاج بالشعر إلى الاستشهاد بالبيت الذي لا يعرف قائله متى رواه عربي ينطق بالعربية سليقة، فقد كان العرب ينشد بعضهم شعره للآخر فيرويه عنه كما سمعه أو يتصرف فيه على مقتضى لغته ، ولهذا تكثر الروايات في بعض الأحيان ويكون كل منها صالحا للاحتجاج ، وقد تلقى علماء العربية شواهد كتاب سيبويه بالقبول " و فيها نحو خمسين شاهدا لم يعرف أسماء قائليها " . ([4])

---

[1] – د. إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة . الطبعة 7 ، مكتبة الإنجلو– المصرية، القاهرة، 1994م، ص 342

[2] – أبو الطيب اللغوي ، مراتب النحويين، ص 88 .

[3] – أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، نزهة الألباء في طبقة الأدباء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1418 هـ / 1998 م ، ص 89 .

[4] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 142 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ب / 4 – الاحتجاج بالنثر :

ولغة النثر هنا تشمل لغة الحديث المستعملة في التخاطب وهي اللغة الدارجة المستعملة في البوادي و المدن طوال عصور الاحتجاج أو عصور الفصاحة، وتشمل أيضا لغة الأمثال، وقد انصرف النحاة عن النثر لأنهم وجدوا " في بيوت الشعر الأمثال و الأوابد ومنها الشواهد ومنها الشوارد " ([1]) فلم يعتمدوا عليه إلا قليلا .

أولا / لغة الحديث اليومي :

إن النحاة – بصريين وكوفيين – جعلوا من كلام العرب دليلا اعتمدوا عليه في بناء أصولهم وصحتها سواء كان مصدره الأعراب أو رواية الشيوخ . ([2]) فقد كان المتوقع أن يكون النثر الدليل الأسبق عند النحاة في استنباطهم – لخلوه من الضرائر – ولأن العرب حين تتكلم ، تتكلم على سجيتها بلا تكلف ، فيكون كلامها العفوي منطلقا لتأصيل قاعدة واحتذاء أسلوب ورصد تطور ، ولكن هذا لم يحصل فجاء هذا الدليل من حيث المرتبة والكمية متخلفا بوضوح عن دليل الشعر و القرآن الكريم . ([3])

وعند انتهاء القرن الرابع للهجرة انتهت معه مشافهة الأعراب ،ولم تعد للغة الحديث اليومي قيمة في استنباط شيء ولم يبق منها إلا ما رواه النحاة في كتبهم، فلما جاء المتأخرون لم يجدوا بدا من أن يعولوا على نقولهم وشواهدهم وأدلتهم فلا جديد في الشواهد ولا جديد في الاستنباط .

ثانيا / لغة الأمثال .

و المثل السائر في كلام العرب كثير نظما ونثرا . ([4]) قال أبو عبيد : الأمثال حكمة العرب في الجاهلية و الإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال :

---

[1] – الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج2 ، ص 9 .

[2] – د. سعيد جاسم الزبيدي ، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ، ص 116 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 120 .

[4] – ابن رشيق ، العمدة ، ج1 ،ص 445 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وقد ضربها النبي (ﷺ) وتمثل بها هو ومن بعده من السلف، وقال الفارابي في ديوان الأدب : المثل ما ترضاه العامة و الخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم و فاهوا به في السراء و الضراء، واستدروا به الممتنع من الدر ووصلوا به إلى المطالب القصيّة ، وتفرجوا به عن الكرب و المكربة ، وهو من أبلغ الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة . ([1]) والأمثال لا تغير بل تجري كما جاءت . ([2])

و الحق أن المثل يفوق الشعر ذلك لأن الشعر له طبقة خاصة تنطق به فهو أرقى من مستوى العامة ، أما المثل فعام تنطبع فيه أسرار الحياة كلها وتشترك فيه جميع الطبقات . ([3])

ولعل مما يدل على عناية عرب الجاهلية بكتابة الأمثال عناية قديمة ، أن من أوائل المؤلفات التي حفظت لنا المصادر العربية ذكرها في العصر الإسلامي : كتب الأمثال. ([4]) ومن هنا يمكن عد " الأمثال " من بقايا أقدم النثر العربي. ([5]) وهي مصدر مهم من مصادر الاستدلال اللغوي و النحوي ،وهي مسموعة عن الأعراب رواية وقد رأى فيها النحاة نموذجا حيا يعتمدون عليه في استنباط قواعد نحوية ، وعلى الرغم من أنها موجزة في بنائها قصد الخفة حتى تسير بين الناس ، فقد أدركها التغيير، وفي كتب الأمثال شواهد لا حصر لها في اختلاف الروايات ، ولم يمنع النحاة أن يجعلوها مصدرا من مصادرهم ، ودليلا من أدلتهم التي يحتج بها لاستنباط الأصول، و النحاة الأوائل كعيسى بن عمر و الخليل ويونس كانوا يعيشون في محيط شاع فيه تداول الأمثال ، إلا أنها على كثرتها لم تكن عند النحاة في منزلة الشواهد الشعرية و القرآنية " وتوالى النحاة في احتجاجهم بالأمثال على ظواهر النحو، إلا أنهم أخذوا – كعادتهم في الشواهد – يعيدون ما سبق أن قدمه إليهم النحاة

---

[1] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 486 .

[2] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص 487 .

[3] – أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، القسم الأول في النظام الصوتي و الصرفي ، ص 124.

[4] – د. ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط8 ، دار الجيل ، بيروت ، 1996 م، ص 168 .

[5] – كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، القسم الأول 1 – 2 ، ص 187 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الذين سبقوهم فلا يستنبط منها أصل جديد". ([1]) وهنا تجدر الإشارة إلى أن كثيرا من الأمثال التي وردت في كتب النحو تختلف رواياتها عما في كتب الأمثال المجموعة، فالأمثال – كغيرها من الشواهد – يعود الاختلاف في رواياتها إلى الأعراب أو الشيوخ الثقات وهذا التعدد في رواية المثل أكثر ورودا من اختلاف رواية الشعر؛ لأن الشعر محكوم بالوزن و الروي ولأن النحاة اعتمدوا على ما شاع من الأمثال في المحيط الذي عاشوا فيه، أو على رواية شيوخهم لا على الكتب التي جمعت هذه الأمثال.

ج – البحث عن السلامة اللغوية :

هكذا كان هدف اللغويين من الاحتجاج ، فقد اعتمدوه عنصرا هاما للوصول إلى بناء الصورة المثلى للغة العربية الفصحى السليمة التي تمثل سنن العرب في كلامها ، و التي ينبغي أن ينسج اللاحقون على منوالها ، وحتى يبرز أكثر جهد علماء اللغة العربية في بحثهم عن السلامة اللغوية ،وقيمة هذا الجهد ينبغي التعرض إلى طرفي هذا النشاط العلمي بالحديث عن مدى توفر شروط الباحث العلمي في علماء اللغة الذين جمعوا مادة اللغة العربية ونشدوا سلامة استعمالها من جهة ، و بالحديث عن الأعراب مصدر هذه المادة اللغوية من جهة مقابلة .

إن أبرز خصائص البحث العلمي :

ج / 1 – الموثوقية :

والموثوقية أو الثقة مصطلح يستعمل للدلالة على براءة المشتغل بالبحث اللغوي من الكذب في النقل أو الخلط أو الوضع أو ما شابه مما يقع في دائرة الريبة و الشك ، وعادة لا يصدره العلماء إلا عن تحر و تقص لسيرة المشتغل بالبحث من الناحية العلمية بالدرجة الأولى ، لهذا لا يحمل على محمل الشك إلا إذا وقع اختلاف في توثيق شخص ما ، أما الاتفاق على توثيق شخص ما فهو دليل يمكن الاطمئنان إليه و البناء عليه ما لم يظهر في سيرة الشخص شيء لم يطلع عليه أولئك العلماء الموثوقون له ، ويندر أن يحدث ذلك . ([2])

---

[1] – د. سعيد جاسم الزبيدي ، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ، ص 132 .

[2] – د. حسن خميس الملخ ،التفكير العلمي في النحو العربي ، الاستقراء ، التحليل ، التفسير ، ص 82

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ولهذا سنستعرض نماذج من موقف العلماء من توثيق علماء اللغة والنحو:

- كان أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ / 688 م) بصريا ثقة في الحديث واللغة والنحو. ([1])
- وكان نصر بن عاصم الليثي (ت 89 هـ / 709 م) قارئا فقيها عالما بالعربية فصيحا غير متهم . ([2])
- أما عيسى بن عمر الثقفي (ت 149 هـ / 766 م) فقد كان ثقة فصيحا عالما بالعربية و النحو و القراءة . ([3])
- ومثله أبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ / 770 م) فكان من جلة القراء والموثوق بهم، واسع العلم بكلام العرب ولغاتها. ([4])
- أما الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ / 791 م) فإمام العربية الثقة الذي يضرب به المثل . ([5])
- وكان تلميذ الخليل بن أحمد، عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه (ت 180 هـ / 796 م) ثقة غير متهم سمع الأعراب في البصرة و الثقات من العلماء . ([6])
- وكان يونس بن حبيب البصري (ت 183 م / 799 م) أمينا في النقل، صادقا في القول، مخلصا للعلم . ([7]) وكان أعلم الناس بتصاريف النحو . ([8])

---

1 – ابن عساكر (علي بن الحسين، المتوفى 571هـ/1175م)، تاريخ مدينة دمشق ، دراسة وتحقيق محب الدين عمر غرامه، دار الفكر بيروت 1995، ج25، ص181 – 183

2 – السيرافي (أبو سعيد الحسن بن عبد الله) أخبار النحويين البصريين ، تحقيق نخبة من العلماء ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، ص 20 وابن الأنباري ، نزهة الألباء ، ص 23.

3 – الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن، المتوفى سنة 379 هـ) ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، وقف على طبعة ونشره محمد سامي أمين الخانجي الكتبي بمصر، (ص 35 – 41) وابن الأنباري ، نزهة الألباء ، ص 29.

4 – الزبيدي ، طبقات النحويين و اللغويين ، ص 28.

5 – جعفر نايف عبابنة ، مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي. دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان 1404هـ /1984م، ط1، ص 55

6 – القفطي، إنباه الرواة،ج2، ص346 – 360، جعفر عبابنة، مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي،ص 56

7 – د. عبد العال سالم مكرم ، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي ، ط2 ، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت 1413 هـ / 1993 م ، ص 272.

8 – ابن النديم (محمد بن إسحاق النديم) ، الفهرست تحقيق الدكتورة ناهد عباس عثمان ، الطبعة الأولى ، دار قطري بن الفجاءة 1985 ، ص 90.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- وكان المفضّل بن محمد الضبي من أكابر الكوفيين علامة راوية للآداب والأخبار وأيام العرب موثقا في روايته عند الكوفيين والبصريين. ([1])
- وعن علي بن حمزة الكسائي (ت 179 هـ/ 804 م) يقول تلميذه الفراء: " وكان والله ما علمته إلا صدوقا" . ([2])
- وكان محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت 206 هـ / 821 م) موثقا فيما يمليه عن الأعراب و العلماء . ([3])
- وكان الفراء (ت 207 هـ/ 822 م) إماما ثقة وثقة الكوفيون والبصريون ([4])
- وكان الأصمعي ثقة ([5]) وأبو زيد الأنصاري ثقة ([6]) وهو المقصود بقول سيبويه " سمعت الثقة " . ([7])

ج / 2 – المعرفية :

وتزخر كتب التراجم و الأخبار بروايات كثيرة عن سعة حفظ اللغويين و النحاة ومعرفتهم باللغة وغريبها وفصيحها وعليلها و بالشعر و الشعراء ، وبتواريخ العرب وقبائلها ومنازلها من ذلك ما يقال من أن " الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة ، وكان أبو زيد يحفظ ثلثي اللغة ، وكان الخليل يحفظ نصف اللغة وكان أبو مالك عمرو بن كركرة يحفظ اللغة كلها" . ([8]) وكان أبو عمرو الشيباني (ت 206 هـ / 821 م) عالما باللغة حافظا لها جامعا لأشعار العرب ([9]) أما علي بن المبارك الأحمر (ت 206 هـ / 821 م) فقد كان يحفظ أربعين ألف بيت شاهد في

---

[1] – ابن الأنباري ، نزهة الألباء ، ص 57 والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية بيروت 1997م ، ج 13، ص 122

[2] – الفراء ، معاني القرآن ، ج3 ، ص 107.

[3] – القفطي ، إنباه الرواة ، ج3 ، ص 219.

[4] – ابن الأنباري ، نزهة الألباء ، ص 90.

[5] – المصدر نفسه ، ص 111.

[6] – ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2 ، ص 121.

[7] – ابن الأنباري ، نزهة الألباء ، ص 113.

[8] – المصدر نفسه ، ص 118 ، والسيرافي، أخبار النحويين البصريين ، ص 40.

[9] – المصدر نفسه ، ص 86 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

النحو سوى ما كان يحفظه من القصائد و أبيات الغريب ([1]) وكان الرياشين العباس بن الفرج (ت 257 هـ / 870 م) يقول : " تحفظت كتب أبي زيد ودرستها إلا أني لم أجالسه مجالستي للأصمعي وأما كتب الأصمعي فإني حفظتها" . ([2]) أما المبرد فقد كان من العلم وغزارة الأدب وكثرة الحفظ على ما ليس عليه أحد ممن تقدم أو تأخر عنه. ([3]) أما أبو العباس ثعلب فقد كان" من الحفظ والعلم وصدق اللهجة و المعرفة بالغريب ورواية الشعر القديم ، ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين على ما ليس عليه أحد" . ([4]) وكان ثعلب يقول: " وبلغت خمسا وعشرين سنة وما بقي علي مسألة للفراء إلا وأنا أحفظها وأحفظ موضعها من الكتاب ولم يبق شيء من كتب الفراء في هذا الوقت إلا وقد حفظته" . ([5])

وفي وصف سعة معرفة أبي عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب (ت 345 هـ / 957 م) أنه أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة وجميع كتبه التي بين أيدي الناس إنما أملاها من حفظه بغير تصنيف ،ولسعة حفظه اتهم بالكذب وكان يسأل عن الشيء الذي يقدر السائل أنه قد وضعه فيجيب عنه ،ثم يسأله غيره بعد سنة على مواطأة فيجيب بذلك الجواب بعينه . ([6])

ج / 3 – الموضوعية :

ومن الموضوعية ما اشتهر به النحاة من مخالفة بعضهم بعضا في الرأي أو التعليل أو التوجيه وهو خلاف علمي يحترم فيه النحاة – غالبا – بعضهم بعضا ويفسحون في كتبهم مكانا للرأي الآخر ، وقد تتعدد الآراء وتصل حدا يجعل الطالب المبتدئ في حيرة من أمره لا يستطيع أن يقطع برأي ، وما ذلك لضعف في علم النحو بل لصفة أساسية في العلم و العلماء وهي قبول الرأي الآخر ، فإن لم يكن قبول تسليم وإقرار فهو قبول معرفة واحترام ، كما في مخالفة سيبويه لشيخه الخليل

---

[1] – المصدر السابق ، ص 89 .

[2] – الزبيدي ، طبقات النحويين و اللغويين ، ص 103 – 104 ، وابن النديم الفهرست ، ص 118 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 108 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 155 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 163 ، وابن النديم ، الفهرست ، ص 146 .

[6] – الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ج3، ص 160

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

في بعض المسائل ، ومن الموضوعية الروح النقدية التي كانت تتقد في النحاة فتجعلهم في بحث دائم عن الدليل و التعليل ، ففي سيرة اللغويين و النحاة حتى القرن الرابع سيرورة لروح نقدية علمية في إطار من الموضوعية في البحث و المنهج وتاريخ العلم. ([1]) فهذا أبو عمرو مع جلالة قدره وغزارة علمه ، يرى أن المرء ينبغي أن يعد نفسه طالب علم مادام حيا، قال ابن مناذر: " سألت أبا عمرو بن العلاء حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم ...؟ قال : مادامت الحياة تحسن إليه " . ([2])

هذا عن توفّر شروط الباحث العلمي في علماء اللغة العربية الذين حملوا على عاتقهم حفظ اللغة وحفظ سلامة استعمالها لكن ماذا عن المصدر الذي أخذت عنه هذه المادة اللغوية ؟

ج / 4 – اختبار الأعراب :

لم يكن جمهور اللغويين و النحاة يأخذون عن الأعراب إلا إذا وثقوا بسلامة لغتهم وفصاحتهم وكانوا يصلون إلى الثقة بطرق متبانية : كالانطباع أو معرفة مكان السكن والمخالطة أو الاختبار، فابن جني سأل يوما أبا عبد الله الشجري الأعرابي فقال له : " كيف تجمع (دكانا) ؟ فقال : دكاكين، فقال : فسرحانا ؟ قال: سراحين، فقال : فقرطانا ؟ قال: قراطين، فقال : فعثمان ؟ قال : عثمانون، فقال له ابن جني: هلا قلت أيضا عثامين ؟ فقال أبو عبد الله : أيش عثامين ! أرأيت إنسانا يتكلم بما ليس من لغته، والله لا أقولها أبدا " . ([3])

وسأل أبو عمرو بن العلاء أبا خيرة الأعرابي عن قول العرب : " استأصل الله عرقاتهم " فنصب أبو خيرة التاء من (عرقاتهم) فقال له أبو عمرو : هيهات أبا خيرةَ لاَنَ جِلْدُك " . ([4])

وقد اصطنع العلماء للكشف عن مدى سلامة لغة الأعراب وسائل ذكية تتنوع بحسب المواقف و الأحوال وأجروا لهم اختبارات دقيقة لتطمئن قلوبهم إليهم ويتأكدوا

---

[1] – فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت 1978م. ص 294 – 303 .

[2] – ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج3 ، ص 137 .

[3] – ابن جني (أبو الفتح عثمان) ، الخصائص ، ج1 ، ص 242

[4] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص 384 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

من خشونتهم ووعورتهم ، فإذا ما اكتسب الأعرابي صفتي البداوة و الفصاحة – بالشهرة أو بالاختبار – فيصبح من حقه هو أن يتحكم في العلماء وآرائهم بالتصويب و التخطئة ويصبح حديثه قانونا ينصاع له العلماء ، يقول الجاحظ : " ومتى وجد النحويون أعرابيا يفهم هذا وأشباهه – يقصد الكلام الملحون في الحضر – بهرجوه ولم يسمعوا منه، لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة، لأن تلك اللغة إنما انقادت واستوت واطردت وتكاملت بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة وفي تلك الجيرة، ولفقد الخطاء من جميع الأمم". ([1])

هذا الموقف بين النحاة والأعراب ظل قائما مدة طويلة منذ القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الرابع تقريبا حيث استشهد الأزهري (ت 370 هـ) في كتابه " تهذيب اللغة " بأحاديث شتى للأعراب الذين التقى بهم وهو أسير فتنة " القرامطة " بالبادية ويبدو أن ذلك كان نهاية الثقة بهم ، قال ابن جني" وكذلك أيضا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في أهل الحضر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها وترك تلقي ما يرد عنها، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا لأنا لا نكاد نرى بدويا فصيحا" . ([2])

ومنذ شاع في البدو اضطراب الألسنة وخبالها أصبح العلماء يتوجسون خيفة من الذين يدعون الفصاحة فلا ينخدعون بالبدوي فيحكموا له بالفصاحة إذا آنسوها منه في وضوح نطقه ورشاقة لفظة فقط " فما كان للبيان وحده أو يكون مقياس الفصاحة إن لم يرتد إلى أصل ينم عليه أو قياس يسوغه " . ([3])

إن الاختلاط الذي صادف العرب في الواسع الفصيح من أقطار الأرض وبين الملايين من الدماء المختلفة ، كان حريا بأن يخفف من كثافة مادة اللغة وقوة تماسكها ويخلخل نسيجها منذ اللحظة الأولى التي بدأ فيها، فدخلها الضعف و الوهن في صيغها وتراكيبها وبيانها، إذ تفعل بها الألسن ما تفعل دائما باللغى على ما تقرر سنة الوجود ، ولم يغفل أهلها منذ أول الأمر عن هذا الأثر ، بل هالهم أمره فهبوا يحاولون أن يحفظوا على العربية تماسكها ويحفظوها من التخلخل

---

[1] – الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 162 – 163 .

[2] – ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 5 .

[3] – د. صبحي الصالح . دراسات في فقه اللغة ، ص 114 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والتحلل فبذلوا جهودا عظيمة ليخلصوا جوهر العربية ويصفوا معدنها ، ورأوا أن التماس ذلك لا يكون إلا عند من بقي من أهلها بموطنها ، فخرجوا إلى البادية حيث البقية الباقية من خالص العربية ، واستقدموا هم إلى حواضرهم – من أهلها – من استقدموا ليلقنوهم ما عندهم وليتلقوا منهم بالممارسة والمشافهة التي هي طبيعة الأمر في تلقين اللغات، وأقرب الطرق وأسلمها في كسب اللغة الحية، وما كان ذلك التلقي بالممارسة ليدوم أجيالا طوالا فما لبث الباقون بالبادية أن تغير حالهم ، وما لبث القادمون إلى الحاضرة أن لان جلدهم ، لهذا فلم تكن عملية جمع اللغة محاولة شاملة لتسجيل كل الألفاظ التي عرفتها القبائل العربية، بل كان اللغويون يصدرون في اختيارهم للقبائل واختيارهم للرواة عن مبدأ أساسي وهو تسجيل اللغة الفصحى والابتعاد عن الصيغ والألفاظ غير الفصيحة" وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط و الفرس، ولا من عبد قيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند و الفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند و الحبشة ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم و الذي نقل اللغة و اللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها علما وصناعة هم أهل البصرة و الكوفة فقط من بين أمصار العرب " . ([1])

و الواقع أن اللغويين لم يهتموا في القرن الثاني الهجري بالتنوع اللغوي في الجزيرة العربية وقصروا اهتمامهم على تقرير فصاحة لغة قبيلة أو عدم فصاحتها فشغلتهم قضية الفصاحة عن باقي القضايا الكثيرة التي يمكن طرحها في العمل اللغوي الميداني، فلم يكن هذا الأخير في القرن الثاني الهجري محاولة لتسجيل جوانب الحياة اللغوية عند أبناء اللغة العربية ، أو محاولة لبحث جوانب التنوع اللغوي في الجزيرة العربية ،بل كان محاولة للبحث عن الصيغ الفصيحة عند القبائل

[1] – السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج1 ، ص 212 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

العربية التي يقترب استخدامها للغة من المستوى اللغوي المنشود ، وقد أثمرت حركة الجمع اللغوي مجموعة من الكتب و الرسائل اللغوية ، وإذا كان اللغويون في القرن الثاني الهجري قد قصروا جهدهم على جمع الصيغ و الدلالات الفصيحة فإن الأكثرية من علماء اللغة في القرون التالية قد لاحظت تغير الاستخدام اللغوي ، ولذا توقفت حركة العمل اللغوي الميداني توقفا تاما فظل اللغويون في القرون التالية يقصرون عملهم على المادة اللغوية التي اعترف علماء القرن الثاني بفصاحتها . ([1])

ومهما يكن من جدوى هذه المحاولة التي شهدها عصر التدوين ، فالذي لاشك فيه هو أنها ما كانت لتستطيع أن تحكم الحصار على الحياة اللغوية بعد الذي كان من قديم مجاورة ومخالطة ، فالحياة اللغوية لم تكن محكومة بهؤلاء اللغويين فحسب وإنما كانت تحكمها قبل كل شيء عوامل اجتماعية واقتصادية ودينية لم يفلت منها فصحاء العرب في المناطق المعتمدة من اللغويين ،إن لم يكن بطريق مباشر فعن طريق الاتصال بالقبائل العربية التي خالطت الأمم المجاورة ، كما أن حركة التدوين نفسها لم تصبر على قيود علماء اللغة القدامى لحصر مناطق الرواية و الاستشهاد في قبائل معينة، فالطبقة الأولى من الرواة الذين جمعوا تراث العربية لم ينبذوا تراث الشعراء الذين عاشوا في غير المناطق المعتمدة من علماء اللغة مثل " عدي بن زيد اللخمي" الذي أتقن الفارسية وترجم لكسرى و للنعمان، وكان من الشعراء الذين ضرب عليهم علماء اللغة أشد الحصار. وقلما يخلو كتاب من أمهات مراجعنا الأدبية من مختارات من قصائد " عدي" وأبياته ، بعد أن قيل فيه : " والعرب لا تروي شعره" . وكذلك رويت قصائد أبي دؤاد، ولقيط بن معمر الإياديين ، وقصائد طرفة والأعمش والحارث بن حلزة، وقد كانوا من قبيلة بكر المبعدة عن الاستشهاد لمجاورتهم الفرس، وقصائد مهلهل وعمرو بن كلثوم وقد كانا من تغلب ومنزلها بالجزيرة من مناطق المخالطة . ([2])

كما أن اعتماد اللغويين على الأعراب الفصحاء الذين عاشوا في البادية ولم يختلطوا بالمدن، جعل هؤلاء الأعراب يشعرون بأهميتهم وأخذوا يتجهون إلى المدن و يختلطون بالعلماء ليقدموا لهم فصيح اللغة، ورغم هذه الثقة فيهم فقد اصطنع

---

[1] – د. محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية ، وكالة المطبوعات 27 شارع فهد السالم الكويت ، توزيع دار العلم للملايين ، بيروت ص 97 – 99 .

[2] – د . عائشة عبد الرحمن ، لغتنا و الحياة ، ص 33 – 35 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الأعراب اللغة إرضاء للسائلين أو مباهاة أو تكسباً ، فبدأ حب الغريب عند الذين أخذت عنهم اللغة إظهارا لفصاحتهم وخشونتهم ، مما جعل بعض العلماء يهتمون بالغريب في مصنفاتهم منهم ابن دريد (ت 321 هـ) ونقل عنه أبو علي القالي (ت 356 هـ) كثيرا من غريب اللغة في كتاب الأمالي. ([1]) ومما يتصل بالغريب ما صنفه اللغويون عن " النوادر" وهي تتناول تعبيرات واستعمالات غريبة لا تجري على القواعد المعروفة ولا على اللغة الشائعة الاستعمال ، وقد وصلنا منها كتاب " النوادر" في اللغة لأبي زيد الأنصاري (ت 215 هـ) وكتاب " النوادر" لأبي مسحل الأعرابي (تلميذ الكسائي و اللحياني) . ([2])

هذا عن الطريقة الأولى التي اعتمدها اللغويون لحفظ اللغة الفصيحة ، و التي كانت مشافهة الأعراب أساسا لها، لكن لما انقطع حبل الممارسة اللغوية و المشافهة والأخذ المباشر للغة ، فزعوا إلى الطريقة الثانية وهي الممارسة وكسب اللغة بالتعلم، وهي طريقة تحتاج إلى القواعد والأصول والضوابط ، فذهبوا يتلمسون هذه الخصائص والمعالم اللغوية والقوانين التعليمية فاستقرؤوا مما جمعوه في اللغة ما استقرؤوا واقتبسوا مما حولهم ما اقتبسوا، حتى قرروا وألفوا في ذلك وتدرج التأليف وتطور فاتسع ونضج . ([3])

ومهما قيل في هذا، فإن جهود الأقدمين من النحاة على درجة عظيمة من الفائدة فقد استطاعوا أن ينتقلوا من مجرد ضوابط يسيرة تقوم الألسنة بعد أن ضاعت السليقة العربية إلى علم دقيق متطور يدرس لذاته.

---

[1] – د. شرف الدين علي الراجحي، مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب، ص 202 – 204

[2] – المرجع نفسه ، ص 207 .

[3] – أمين الخولي، مشكلات حياتنا اللغوية ، دار المعرفة ، القاهرة ، ط2 ، 1965 ، ص 17 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفصل الثاني

تقويم اللسان و حفظه من اللحن .

أ - اللحن قديما وحديثا .

ب - موقف العلماء من اللحن .

ج - الفرق بين اللحن و التطور اللغوي .

د - مقياس الصواب اللغوي عند المحدثين .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أ – اللحن قديما وحديثا :

إن البحث في ظاهرة اللحن في اللغة العربية يتطلب أن نبحث فيما يقابلها وهي الفصاحة عند اللغويين العرب القدامى فنحن في هذه الدراسة أمام ظاهرتين متقابلتين : ظاهرة الفصاحة من جهة وظاهرة اللحن من جهة ثانية .

أ / 1 – الفرق بين الفصاحة واللحن :

والفصاحة في اللغة : خلوص الشيء مما يشوبه وأصله في اللبن ، يقال : فصح اللبن إذا ذهب عنه اللبأ أي الرغوة التي تغطي سطحه . ([1]) يقول ابن سنان الخفاجي : " الفصاحة الظهور و البيان ومنها أفصح اللبن إذا انجلت رغوته ، وفصح فهو فصيح ، قال الشاعر : وتحت الرغوة اللبن الفصيح ، ويقال أفصح الصبح إذا بدا ضوءه وأفصح كل شيء إذا وضح ..." ([2]) فمعنى خلوص الشيء مما يشوبه كونه واضحا بينا واستعير للدلالة على البيّن من القول ، ذكر الأزهري عن الليث : " وقد يجيء في الشعر وصف العجم أفصح يراد به بيان القول وإن كان بغير العربية كقول أبي النجّم : أعجم في آذانها فصيحا ، يعني صوت الحمار أنه أعجم وهو في آذان الأتن فصيح بيّن " . ([3])

فيقصد بالفصاحة لغة : الانجلاء والظهور، ومن قوله : أفصح اللبن إذا ظهر فانجلت عنه رغوته فكان فصيحا خالصا ، ومنه نقول أيضا أفصح الإنسان إذا عبر وأبان عما في جوارحه ، وأفصح الصبح إذا أضاء ، وقد ارتبط مفهوم الفصاحة :

- **بكثرة الاستعمال :**

وقد عبر جلال الدين السيوطي عن ذلك بقوله : " فالمراد بالفصيح ما كثر

---

1 – السيوطي ، المزهر ج 1 ، ص 184، و الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسن بن محمد 502 هـ)، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص 380 – 381 .

2 – ابن سنان الخفاجي الحلبي (الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد سعيد، المتوفى سنة 466 هـ)، سر الفصاحة ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1402 هـ / 1982 م ، ص 58 .

3 – الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد ، 282 هـ/ 370 هـ)، تهذيب اللغة ، ج4 ، تحقيق الأستاذ عبد الكريم العرباوي ، مراجعة الأستاذ محمد علي النجار ، مطابع سجل العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص 253

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

استعماله في ألسنة العرب ". ([1]) وهذا ما نجده في كتاب سيبويه حين يقول مـــثلا : " وذلك قولك : ضرب زيدا عبد الله ؛ لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ فمن ثم كان حد اللفـــظ أن يكون فيه مقدما وهو عربي جيد كثير .." ([2]) فقوله جيد كثير يعني أنه شائع فـــي الاستعمال ويمكن الأخذ به ، وعندما يكون الأمر غير شائع فإن سيبويه يستعمل مـــا يلي : هذا شاذ ، وهذا ضعيف ، وهذا قليل " .

- **بمفهوم عدم العجمة :**

استعملـــت الفصاحة كذلك في مقابل العجمة ، فالمتكلم الفصيح هو الذي لـــم يخالط لسانه لسانا أعجميا ، وقد عبر عن ذلك ابن خلدون في قوله : " ولهذا كانـــت لغة قريش أفصح اللغات العربية و أصرحها لبعدهم عن بلاد العجـــم مـــن جميـــع جهاتهم " . ([3])

- **مفهوم الموافقة لقياس العربية :**

استعملت الفصاحة أيضا في مقابل " اللحن " الذي هو مخالفة قواعـــد اللغـــة يقول الفارابي : " فتصير عبارته خارجة عن عبارة الأمة ويكون خطأ ولحنا وغيـــر فصيح " . ([4]) فالفصاحة اللغوية عند اللغويين العرب القدامى كانت تعني الـــسليقة ، أي التكلم باللغة دون تعلم . ([5]) وهي مقابلة للحن الذي فشا على ألسنة المولـــدين : " ولم تـــزل العرب في جاهليـــتها وصدر من إسلامـــها تبرع في نطـــقها بالسجية وتتكلم على السليقة حتى فتحت المدائن ... فوقع الخلل في الكلام وبدأ اللحـــن فـــي ألسنة العوام" . ([6])

وهذا عن معنى الفصاحة في اللغة وما ارتبطت به من مفاهيم أما فيما يخص " اللحن " .

---

[1] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 187 .

[2] – سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، ص 34 .

[3] – ابن خلدون ، المقدمة ، ص 555 .

[4] – الفارابي ، كتاب الحروف ، حققه وقدم له وعلق عليه محسن مهدي، دار المشرق، بيروت ، لبنان، ص 145

[5] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج10 ، ص 192 .

[6] – الزبيدي ، لحن العوام ، تحقيق وتعليق الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة دار المعرفة القـــاهرة 1964، ص 4

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- **تعريف اللحن :**

ترد لفظة " اللحن " في اللغة للدلالة على معان عدة ، نذكر منها :

أ – **الغناء وترجيح الصوت :** وشاهد ذلك قول ابن مخرمة السعدي :

وهاتفين بشجو بعدما سجعـــــت ورق الحـــمام بترجيع وإرنان

باتا على غصن بان في ذرا فنن يـــــرددان لحـــونا ذات ألوان .

ب – **التورية و الرمز :** وهو أن تريد الشيء فتوري عنه أو ترمز إليـــه بقـــول آخر ، وشاهد ذلك قول القتال الكلابي :

ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب .

قال الشريف المرتضى : " إنما أراد الكناية عن الشيء و التعريض بـــذكره و العدول عن الإيضاح عنه " . ([1])

ج – **اللهجة الخاصة :** وشاهد ذلك قول أبي مهدية ردا على اليزيدي حين قال: " ليس ملاك الأمر إلاّ طاعةُ الله " برفع (طاعة) على لغة تميم ، وكان أبو مهديـــة حجازيا ينصب خبر " ليس" بعد " إلاّ " فرد عليه اليزيدي قائلا : " لـــيس هـــذا مـــن لحني ولا من لحن قومي" . ([2]) أي : ليس هذا من لغتي ولا من لغة قومي .

د – **الفطنة و الذكاء :** وشاهد ذلك قول أبي بكر : معنى قولنا الملاحـــن ؛ لأن اللحن عند العرب " الفطنة " ، ومنه قول النبي (ﷺ) : " ولعل أحدكم أن يكون ألحـــن بحجته من بعض " أي : أفطن لها وأغوص عليها . ([3])

هـــ – **معنى القول وفحواه :** وشاهد ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ ﴾ ([4]) ؛ أي في معناه وفحواه ومذهبه .

---

[1] – الشريف المرتضى على بن الحسين الموسوي العلوي (355 – 436 هـــ) ، أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد ، المجلد الأول ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ، ص 14.

[2] – الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) ، مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط2 ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة 1403 هـــ / 1983 م ، ص 4 .

[3] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 568 و الشريف المرتضى، أمال المرتضى ، ج1 ، ص 15 .

[4] – سورة محمد، الآية 30

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و – **الخطأ في اللغة :** يقول أبو البقاء في كلياته : " واللحن يعرفه ذوو الألبـــاب ومنه قيل للمخطئ لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب " . ([1])

ولعل هذا المعنى الأخير للحن وهو " الخطأ في اللغة " قد ظهـــر متـــأخرا عن غيره من المعاني الأخرى ، حيث لم تظهر الحاجة إليه إلا بعد أن اختلط العرب بغيرهم من الأعاجم ، وتنبه العرب إلى شيوع الخطأ في لغتهم العربية حيث يقـــول يوهان فك : " وأغلب الظن أنه – أي اللحن – استعمل لأول مرة بهذا المعنى عندما تنبه العرب – بعد اختلاطهم بالأعاجم – إلى فرق ما بين التعبير الصحيح و التعبير الملحون ..." ([2]) ومن ثم جاء تعريف أحمد بن فارس للحن بقوله : " فأمـــا اللحـــن – بسكون الحاء – فإحالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية يقال : لحـــن لحنـــا وهذا عندنا من الكلام المولد ، لأن اللحن محدث لم يكن في العرب العاريـــة الـــذين تكلموا بطباعهم السليمة " . ([3])

- **مظاهر اللحن :**

قال الزمخشري في تعريفه للحن : " لحن في كلامه ، إذا مـــال بـــه عـــن الإعراب إلى الخطأ " . ([4]) .

– قال الوليد بن عبد الملك لغلامه – وكان بحضرته عمر بن عبد العزيز – يا غلام أدع لي صالح ، فقال الغلام : " يا صالحا فقال الوليد : يا غـــلام انقص من صالحك ألفا فقال عمر: وأنت أمير المؤمنين فزد في صـــالحك ألفا " . ([5])

---

[1] – أبو البقاء (أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، المتوفى سنة 1094 هـــ / 1683 م) ، الكليات معجم فـــي المصطلحات والفروق اللغوية، القسم الرابع، قابله كتب على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه، د. عدنان درويش، محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1976 ، ص 172.

[3] – يوهان فك، العربية دراسات في اللغة و اللهجات و الأساليب ، ترجمه وقدم له وعلق عليـــه وصـــنع فهارسه الدكتور رمضان عبد التواب ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر 1400 هـــ / 1980 م ، ص 254 .

[4] – ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) معجم مقاييس اللغة ، المجلد الخـــامس ، تحقيـــق وضبط عبد السلام محمد هارون ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، بيروت 1411 هـــ / 1991 م ، ص 239 .

[4] – الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد ، المتوفى سنة 538هـــ)، أساس البلاغة، محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان1419هـــ/1998ن، ج2، ص 163

[5] – ابن عبد ربه، العقد الفريد الجزء الثاني، ص 481, والجاحظ ،البيان والتبيين، الجزء الثاني، ص 211

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- وسئل أبو حنيفة – وكان لحانا – على أنه في الفتيا ولطف النظر واحد زمانه ما تقول في رجل تناول صخرة فضرب بها رأس رجل فقتل أتقيده به ؟ فقال : لا ، ولو ضربه بأبا قبيس " . ([1])

- قال ابن دريد : فأما اللحن في العربية ، لأنك إذا قلت (ضرب عبد الله زيد) لم يدر أيهما الضارب ولا المضروب ، فكأنك قد عدلته عن وجهه فإذا أعربت عن معناك فُهم عنك " . ([2])

- قال ابن الجوزي : واعلم أن غلط العامة يتنوع ، فتارة يضمون المكسور وتارة يكسرون المضموم وتارة يمدون المقصور وتارة يقصرون الممدود، وتارة يشددون المخفّف، وتارة يخففون المشدد وتارة يزيدون في الكلمة، وتارة ينقصون منها، وتارة يضعونها في غير موضعها " . ([3])

فالخطأ اللغوي يتخذ أشكالا مختلفة ومظاهر متعددة فيصيب الأصوات اللغوية أو الصور البنيوية أو التراكيب النحوية أو الطرائق البيانية ، وقد عرف هذا في مختلف اللغات الإنسانية ومنها العربية ، وهو يتجلى في اللغة العربية في مظهرين متمايزين :

أ – الخطأ في الأصوات والصيغ والبنية، ويمكن أن نطلق عليه : الخطأ في الصرف.

ب – الخطأ في الإعراب ، ويمكن أن نطلق عليه : الخطأ في النحو .

أما النوع الأول فقد جرى على ألسنة الموالي والعبيد والجواري تبعا لما ألفته ألسنتهم في البيئات التي نشئوا فيها مما يخالف ما هو موجود في اللغة العربية من أصوات وصيغ وبنية الكلمة ولكن ذلك النوع من اللحن لم يكن بالأمر الذي يقلق علماء العربية ويقض مضجعهم ويجعلهم ينهضون للتصدي له ومقاومته ، إذ لم يكن

---

[1] – المصدر السابق ، ص 483 ، و المصدر السابق ، ص 212 .

[2] – ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد) ، الملاحن ، تحقيق إبراهيم أطفيش الجزائري ، القاهرة، 1347 هـ ، ص 6.

[3] – ابن الجوزي، (أبو الفرج عبد الرحمن، المتوفى 597 هـ/1201م) ، تقويم اللسان. حققه وقدم له د. عبد العزيز مطر، ط1 ، دار المعرفة القاهرة 1966م، ص 74

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

له كبير خطر على اللغة العربية ولا التأثير فيها والخروج بها عن جادة الصواب التي ألفها العربي بسليقته وفطرته ، فلم تكن هذه اللكنات التي كانت تعتري نطق الموالي و العبيد و الجواري لتعدو نطق قائلها رغم وجودهم بين ظهراني أهالي البيئات العربية الخالصة المعترف بسلامة لغتها. ([1]) إذن فليس ذلك النوع من اللحن المفسد للغة أو الدال على ضعفها وفسادها ، وليست تلك اللكنة بالتي تجعل العربي يفزع خوفا على لغته ويحاول أن يلتمس لها الضوابط و المعايير ليحفظ عليها صحتها ونقاءها، اللهم إلا أن يفعل ذلك المتشددون منهم. ([2]) وفي هذا يقول ابن جني: " إلا أنهم أشد استنكارا لزيغ الإعراب منهم لخلاف اللغة ، لأن بعضهم قد ينطق بحضرته بكثير من اللغات فلا ينكرها، إلا أن أهل الجفاء وقوة الفصاحة يتناكرون خلاف اللغة تناكرهم زيغ الإعراب " . ([3])

أما النوع الثاني من اللحن وهو الخطأ في إعراب الكلمات ، لم ينتبه له العرب إلا بعد أن فتحوا الأمصار ودانت لهم الأقطار واختلطوا بأهالي هذه البلاد المفتوحة اختلاطا مستمرا في البيوت و الأسواق و المناسك و المساجد وتصاهروا واندمجوا حتى تكون منهم شعب واحد ، وبطول هذا الامتزاج تسرب الضعف إلى نحيزة العربي وسليقته ، ولقد كان هذا النوع أول اختلاط طرأ على اللغة العربية منذ كان الإسلام . ([4]) قال أبو الطيب اللغوي : " واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب فأحوج إلى التعلم : الإعراب " . ([5])

أ / 2 – نفور العرب من اللحن :

ونظرا لخطورة هذا النوع من اللحن على اللغة العربية و كبير أثره على النيل منها وشدة مجافاته للسليقة العربية ومخالفته للفطرة السليمة التي جبل عليها العربي، كان العرب يأنفون منه ولا يستسيغونه، بل ينفرون منه ويأخذونه على من يقترفه حتى كانوا يحصون اللحانين عدا ويعرفونهم بأسمائهم وينبهون عليهم ليتحرزوا منهم، وينظروا فيما يسمعونه منهم بعين التمحيص والتدقيق ، ومن مظاهر

---

[1] – د. عبد الرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها ، مطابع سجل العرب 1968م ، ص 4

[2] – المرجع نفسه ، ص 5.

[3] – ابن جني، الخصائص ، الجزء الثاني ، ص 26 .

[4] – الشيخ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ط2 ، دار المعارف، القاهرة ، ج م ع، ص 15

[5] – أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين ، ص 19 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

إنكار العرب للحن ونفورهم منه:

- قول الرسول (ﷺ) عندما لحن رجل بحضرته: " أرشدوا أخاكم فقد ظل ". ([1])

- وقوله (ﷺ) : " أنا أفصح العرب ولدت في قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فأنى يأتيني اللحن ؟ " . ([2])

- وقول أبي بكر الصديق (رضي الله عنه): " لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أقرأ فألحن". ([3])

- وروي أن أبا موسى الأشعري – وهو واليه على البصرة – أرسل إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كتابا وقد بدأه كاتبه أبو الحصين بن أبي الحر العنبري بقوله : من أبو موسى الأشعري ...فكتب إليه عمر : أنا قنع كاتبك سوطا . ([4])

- وروي عن أنس بن مالك انه قال : " الإعراب حلي اللسان فلا تمنعوا ألسنتكم حليها " . ([5])

- وقال مسلمة بن عبد الملك : " إني لأحب أن أسأل هذا الشيخ – يعني عمرو بن مسلم – فما يمنعني منه إلا لحنه " . ([6])

- وقال عبد الملك بن مروان : " اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب والجدري في الوجه ، وقيل له : لقد عجل إليك الشيب يا أمير المؤمنين فقال شيّبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن " . ([7])

- وقال عبد الملك بن مروان أيضا : " اللحن هجنة على الشريف " وقيل : " اللحن في المنطق أقبح من آثار الجدري في الوجه " . ([8])

---

[1] – المصدر السابق ، ص 19 ، وابن جني الخصائص ، الجزء الثالث ، ص 246 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 19 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 19 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 19.

[5] – الزبيدي ، طبقات النحويين و اللغويين ، ص 4 .

[6] – الجاحظ ، البيان و التبيين ، الجزء الثاني ، ص 219 .

[7] – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،الجزء الثاني ، ص 480 .

[8] – الجاحظ ، البيان و التبيين ، الجزء الثاني ، ص 216 ، وابن عبد ربه ، العقد الفريد ، الجزء الثاني ، ص 480 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- وقال بعضهم : ارتفع إلى زياد رجل وأخوه في ميراث ، فقال : إن أبو نامات وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله ، فقال زياد : الذي أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك . ([1])

- وقال مالك بن عمارة اللخّمي : كنت أجالس في ظل الكعبة أيام الموسم عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير وكنا نخوض في الفقه مرة وفي الذكر مرة وفي أشعار العرب وأثار الناس مرة ، فكنت لا أجد عند أحد منهم ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة و التصرف في فنون العلم و الفصاحة و البلاغة " . ([2])

فكانوا أيضا يفخرون بأن اللحن لم يتسرب إلى كلامهم ، وأنهم مبرؤون من هذه الهجنة الذميمة ، وكذلك أخذوا يعدون الفصحاء ممن لم يتسرب اللحن إليهم ولم يظهر في كلامهم، حيث قال الأصمعي : " أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي، وعبد الملك بن مروان ، و الحجاج بن يوسف ، وابن القرية ، و الحجاج أفصحهم " . ([3]) وقد صدق إسحاق بن خلف البهراني حين قال : ([4])

النحو يبسط من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها منها مقيم الألسن .

أ / 3 - رحلة اللحن في اللسان العربي :

وقد مرّ اللحن أو الخطأ اللغوي برحلة طويلة في اللسان العربي ، نحاول تسليط الضوء على أهم المحطات فيه بعد أن نتحدث عن السبب الأساسي الذي أدى إلى ظهوره .

---

2 - المصدر السابق ، ص 222 ، و القلقشندي (أحمد بن علي المتوفى 821 هـ / 1418 م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، الجزء الأول ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ، ص 206 – 207 .

2 - التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ، ص 207 .

3 - الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى 340 هـ) أمالي الزجاجي ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان 1407 هـ / 1987 م ، ص 20 .

5 - ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم المتوفى 276 هـ) ، عيون الأخبار ، المجلد الثاني ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، 1346 هـ / 1928 م ، ص 157 وابن عبد ربه ، العقد الفريد ، الجزء الثاني ، ص 481 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

لقد نشأت اللغة العربية في أحضان جزيرة العرب خالصة لأبنائها نقية سليمة مما يشينها من أدران اللغات الأخرى ، وبقيت كذلك متماسكة البنيان غير مشوبة بلوثة الأعجام إلى أن سطع نور الإسلام على ما حول الجزيرة العربية بالفتوح الإسلامية ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ثم تتابعت الفتوح في عهد الخلفاء الراشدين فكان من الطبيعي هبوط العرب ومعهم عشائرهم وعمائرهم إلى هذه الأمصار التي افتتحوها ودخلت تحت حوزتهم ، كما كان من الطبيعي تقاطر الوافدين من هذه الأمصار المفتوحة إلى الجزيرة العربية إذ فيها المدينة المنورة حاضرة الإسلام ومقر الخلفاء الراشدين وعلية الدولة وفيها مكة المكرمة و بها الكعبة المشرفة التي يؤمها كل من قال : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " .

وهكذا ازداد هذا النزوح من الجانبين كلما توالت الفتوح، وكان أثرا لهذه الفتوح أن اختلط العرب بغيرهم اختلاطا مستمرا في البيوت و الأسواق و المناسك والمساجد، وتصاهروا واندمج بعضهم في بعض حتى تكون منهم شعب واحد اجتمع فيه الصريح و الهجين والمقرف والعبد ، واقتضى كل أولئك أن يسمع بعضهم من بعض وأن يتفاهموا في كل ما يتصل بهم، ولغة التخاطب الوحيدة بينهم في كل ما يحيط بهم هي العربية ، فكان لزاما على غير العربي أن تكون لغته العربية مهما عالج في ذلك وعانى ، كما كان لزاما على العربي أن يترفق بغير العربي ويتريث معه في التخاطب لضرورة التعاون بين الطرفين ، فكل منهما يسمع من الآخر و السمع سبيل الملكات اللسانية، وبطول هذا الامتزاج تسرب الضعف إلى نحيزة العربي وسليقته ، على أن غير العربي كان ينزع قسرا عنه إلى بني جلدته وإن طال لبثه بين ظهراني العرب ، فقد كان في عهد الرسول (ﷺ) صهيب يرتضح الرومية وسلمان الفارسية وبلال الحبشية ، تولد من هذا كله أن اللغة العربية تسرب إليها اللحن . ([1])

فمن المعروف أن الاستعمال اللغوي تحكمه " مهارة حركية في إعمال أعضاء الكلام المضبوطة بواسطة عضلات تقع تحت سيطرة المخ فتؤدي قدرة التحكم فيها إلى النطق الجيد عند تعلم لغة ثانية ، وتتحقق هذه المهارة الحركية بصورة مثالية عند الأطفال فنراهم يكتسبون نطق اللغة الثانية كنطق أهلها لها ، أما عند الكبار

[1] – الشيخ محمد الطنطاوي ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 13 – 15 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فرغم وجود استثناءات ورغم سهولة اكتسابهم تراكيب اللغة الثانية ومفرداتها ، فإننا نستشف لكنة أجنبية في نطقهم للغة الثانية وتكون هذه اللكنة متأثرة دائما بخصائص لغتهم الأم ، بمعنى أن المهارة الحركية تأخذ في الانخفاض كلما تقدم بالإنسان العمر فالمهارة الحركية عند طفل دون السابعة تفوق درجة مهارة الطفل فوق السابعة، وتفوق الدرجة عندهما درجة المهارة الحركية عند الكبار". ([1])

فمن ناحية القدرة على اكتساب المهارات الحركية " فكلما تقدم بالإنسان العمر تدهورت قدرته على أمر أعضاء الكلام باستحداث حركة جديدة خاصة بنطق اللغة الثانية . ([2])

لهذا فقد ربط علماء العربية بين ما كانوا يستشعرونه من فساد اللسان العربي والاحتكاك ، بالأقوام و الأمم التي تجاور العرب، وردوا ما لمسوه من انتشار اللحن إلى اختلاط العرب الخلص بمن حولهم من الشعوب في الحواضر الإسلامية، والهجنة التي شاعت في الكلام إلى تأثير الموالي والأعاجم بما كانوا يتداولونه من أحاديث تنحرف باللغة عن طرائقها الفصيحة التي جرى عليها العرب في باديتهم التي لا يخالطهم فيها من لا يتحدث بغير لسانهم الفصيح وحينما سعى العلماء إلى حفظ اللغة العربية من الفساد وما يمكن أن يفضي إليه من اضطراب في فهم لغة القرآن الكريم والقدرة على الكلام العربي الفصيح، راحوا يلتمسون ضالتهم لدى أكثر القبائل العربية بعدا عن الاحتكاك بالعوامل الخارجية وأكثرها انعزالا عن التأثر بالأمم و الشعوب المختلفة على النحو الذي أوضحه الفارابي في قوله : والذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين . ([3])

وقد تحرز علماء العربية و رواتها عن الأخذ عن غير هذه القبائل ممن كانوا يخشون أن تكون العجمة قد أخذت طريقها إلى طرائقهم في القول.

فقد أضحى الأمر مختلفا بعد ظهور الإسلام و اختلاط العرب بغيرهم من

---

[1] – أ.د. نازك إبراهيم عبد الفتاح ، مشكلات اللغة و التخاطب في ضوء علم اللغة النفسي ، الناشر دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة 2002 م ، ص 228 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 231 .

[3] – السيوطي ، المزهر ، الجزء الأول ، ص 211 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الأمم والشعوب في فضاءات لم يعد ممكنا التحكم فيها على كل مناحي التعاملات الشائكة بهذه اللغة، وتسجيل ما يطرأ على كل حالة منها شذت أو انحرفت انحرافا عن سلامتها الفطرية ، وهذا دون أن يغيب عنا ما فرض عليها التعامل الثقافي و الاجتماعي والتفاعل الحضاري الجديد من تشعبات لا تخلو من إشكال وتعقيد تجليا بشكل أخص في الاتصال الذي كان كلما عظم الاختلاط بين العرب والأعاجم ازداد تنوعا في مستوياته .

وقد نشأ عن توخي الصفاء والنقاء والبعد عن الهجنة أن أصبح الدرس اللغوي تتبعا للغة فيما كان يعتقد أنه أصلي وفصيح منها منفصلا عن سياقات تطور اللغة و ما يعرض لها من عوامل التغيير الناتج عن احتكاكها باللغات الأخرى، وكان الأصل الذي راح العلماء يتتبعون شواهده وبقاياه هو تلك السجية والسليقة التي كان العرب يتحدثون بها في الجاهلية وصدر الإسلام، والتي افتقدوها حين فتحت المدائن ومصرت الأمصار ودونت الدواوين. ([1])

يقول ابن الأثير متحدثا عن تلك الحقبة حديث من لا يخفي أسفه على ضياعها : " كان اللسان العربي عندهم صحيحا محروسا لا يتداخله الخلل ، ولا يتطرق إليه الزلل، إلى أن فتحت الأمصار وخالط العرب غير جنسهم من الروم و الفرس والحبش والنبط، وغيرهم من أنواع الأمم الذين فتح الله على المسلمين بلادهم، وأفاء عليهم أموالهم ورقابهم، فاختلطت الفرق وامتزجت الألسن وتداخلت اللغات". ([2])

وفي هذا السياق يرتبط الفساد واللحن والزيغ والضعف بحركة التمدن و التحضر والانفتاح على الأمم والثقافات المختلفة من ناحية، ومن ناحية أخرى يرتبط مفهوم الصفاء والنقاء والفصاحة بعالم البداوة والعزلة والبعد عن التأثر، وقد أفضى الحرص على ترصد هذا النقاء أن غدا الدرس اللغوي درسا للغة في طور بداوتها وعزلتها على اعتبار أن ما يمكن أن يحدثه التحضر فيها من تغيير، وما يتركه عليها من أثر لا يتجاوز أن يكون ضربا من الهجنة التي تتناقض مع قيم الأصالة والفصاحة والنقاء.

---

[1] – الزبيدي ، لحن العوام ، ص 4

[2] – ابن الأثير (الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، 544 هـ – 606 هـ) ، النهاية في غريب الحديث و الأثر ، الجزء الأول ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطانجي، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه 1383 هـ / 1963 م ، ص 5 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ويتضح هذا الربط بين فساد اللسان و الاحتكاك بالشعوب الأخرى في دلالة كلمة " هجين" حيث الهجنة في الكلام ما يلزمك العيب فيه ، وفي الإنسان ما لم يكن عربيا صرفا والهجين هو ولد الأمة ، وتهجين الأمر تقبيحه. ([1]) وكذلك كلمة الأعجم التي تدل على من لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان عربي النسب ، كما تدل كذلك على غير العربي . ([2])

لقد ارتبط اللحن بالاختلاط إذن ، لكن التدقيق في أمر بداية ظهور هذا اللحن تتطلب الغوص و البحث أكثر لصعوبة المهمة ومشقتها فـ " لا يستطاع الوصول إلى حقيقة حاسمة عن هذه الظاهرة في العصر الجاهلي ،شأنها في ذلك شأن كثير من ظواهر اللغة والأدب عن هذا العصر، فإن كثيرا من شؤون الجاهلية تكاد تكون مطموسة تماما ، أو على الأقل غير مؤكدة ، إذ تعتمد على الظن الغالب لا على الأدلة المقنعة والغالب أن اللغة العربية في العصر الجاهلي كان لها مستويات متعددة ، وأن اللغة العامة التي كانت وسيلة التفاهم بين الجميع ، حدث فيها أحيانا اللحن و الخطأ ، ولو صح أن الاهتمام باللغة ودراستها قد تقدم به الزمن إلى العصر الجاهلي لجاءتنا كتب في لحن العامة عن هذا العصر كما حدث في القرن الثاني الهجري وما تلاه حين نضجت الدراسة و تنوعت وكان اللحن أحد المظاهر التي اهتمت بها " . ([3])

ومن أمثال اللحن في الجاهلية قول طرفة بن العبد وهو صغير :

يا لك من قبرة بمعمر خلالك الجو فبيضي واصغري

وانقري ما شئنا أن تنقري قد رفع الفخ فماذا تحذري ؟

و اللحن هنا في قوله : " تحذري " مكان " تحذرين " وكذلك قول النابغة الذبياني :

فبت كأنّي ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السمّ ناقع .

قال النحاة : كان حقه أن يقول : (ناقعا) لا (ناقع) فإن النكرة لا تصف المعرفة . ([4])

---

[1] – لبن منور ، لسان العرب ، الجزء الثالث عشر ، ص 532 .

[2] – المصدر نفسه ، الجزء الثاني عشر ، ص 449 .

[3] – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، اللحن ، التصحيف ، التوليد ،التعريب ، المصطلح العلمي ، عالم الكتب ، القاهرة 1980 م ، ص 24 – 25 .

[4] – ماجد الصايغ ، الأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية ، إشراف الدكتور عفيف دمشقية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1990 م ، ص 26 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و أن المهمّ هو أن كلمة " اللحن " قد ترددت بين العرب مع ظهور الإسلام ، فيما نقل عن عهده المبكر ، إذ نقل أن الرسول (ﷺ) قال : " أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنى لي اللحن" . ([1]) ونقل عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) قوله : " لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقر فألحن" . ([2]) وكذلك قصة الكتاب المشهور الذي بعث به من العراق أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب وجاء فيه " من أبو موسى الأشعري" وما رد به عليه عمر: اضرب كاتبك سوطا واحدا وأخر عطاءه سنة . ([3])

وهذه الروايات – إن صحت – تدل على معرفة اللحن في ذلك العصر ، وفيما قبل ذلك العصر الإسلامي المبكر إذ إن استخدام اللفظة في ذلك الوقت المبكر وفهم المقصود منها قد سبقه ما يسوغ هذا الاستخدام وذلك الفهم وفي ذلك دلالة غير مباشرة على حدوث اللحن في الجاهلية.

ولما استقرت الفتوح الإسلامية في العهد الأموي واتصل العرب بأقوام آخرين في الأمصار لهم لسان غير لسانهم عملت الدولة الأموية على نشر اللغة العربية ، وأرسل الخلفاء أبناءهم إلى البادية ليكونوا بمنجاة من اللحن الذي شاع في الأمصار حفاظا على عروبتهم بالحفاظ على سليقتهم العربية.

وقد قرّب عبد الملك شعراء الدولة وأدباءها من مجلسه ونصب نفسه حاميا للغة العربية ، فاشتهرت في عهده المجالس الأدبية التي اجتمع فيها الشعراء وأهل الفصاحة والبيان، وأثيرت فيها مسائل من النقد الأدبي والغوص في نواحي الجمال والبلاغة في النص العربي وكان يحاول جاهدا الحفاظ على اللغة ووقايتها من الانحراف والزلل الذي بدأ يجري على بعض ألسنة الناس في عهده . ([4]) و لذلك حين سئل : لقد عجل إليك الشيب يا أمير المؤمنين أجاب : " شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن " . ([5]) ففي عهد الأمويين – في القرن الأول الهجري – أصبح اللحن قضية ذات خطر في استعمال اللغة نتيجة اتساع الدولة الإسلامية وكثرة

---

[1] – أبو الطيب اللغوي ، مراتب النحويين ، ص 19 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 19 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 19 .

[4] – د. إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ج م ع ، ص 184 .

[5] – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، الجزء الثاني ، ص 480 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

دواعي الاختلاط بالأجانب ، وجاءت عن ذلك روايات تصور مواقف حدث فيها اللحن بين الخاصة وفي حضرة الخلفاء ، وهي لهذا السبب نفسه استحقت الرواية و النقل ، ولنا أن نتخيل الأخطاء الكثيرة مما لم ينقله أحد أو يعنى به لأنه كان يحدث بين الناس العاديين من جمهرة العرب و المسلمين .

كان لخالد بن يزيد بن معاوية أخ فجاءه يوما فقال : إن الوليد بن عبد الملك يعبث بي ويحتقرني فدخل خالد على عبد الملك – والوليد عنده – فقال : يا أمير المؤمنين إن الوليد قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره – وعبد الملك مطرق – فرفع رأسه وقال: " إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها " ، فقال خالد : " وإذا أردنا أن نهلك قرية " ، فقال عبد الملك : أفي عبد الله تكلمني وقد دخل علي فما أقام لسانه لحنا !! فقال خالد : أفعلى الوليد تعول !! فقال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان. فقال خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد. ([1])

وتكلمت هند بنت أسماء بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها : أتلحنين وأنت شريفة في بيت قيس !! فقالت : أما سمعت قول أخي مالك لامرأته الأنصارية ؟ قال : وما هو : قالت :

منطق صائب وتلحن أحيا نا وخير الحديث ما كان لحنا

فقال لها الحجاج : وإنما عنى أخوك اللحن في القول ، إذا كنى المحدث عما يريد، ولم يعن اللحن في العربية ، فأصلحي لسانك . ([2])

– وروي عن الأصمعي قوله : أربعة لم يلحنوا في جد و لا هزل ، الشعبي و عبد الملك بن مروان و الحجاج بن يوسف وابن القرية و الحجاج أفصحهم . ([3])

و الواضح من هذه الروايات الثلاث أنها جاءت من شخصيات لها تميزها في العصر الأموي ، سواء من حدثت منه أو من حدثت في حضرته أو من قيلت عنه ، ويعود هذا التميز إلى أنهم من أصحاب الحكم ، أو من أهل العلم في العصر الأموي فكيف كان الأمر بين العوام من الناس ؟! ومع ذلك فإنها تدل على العار والاحتقار اللذين يتعرض لهما من يلحن في حديثه ، والتشدد والعنف مع من يلحن في كلامه،

---

[1] – القلقشندي ، صبح الأعشى ، الجزء الأول ، ص 205 .

[2] – الشريف المرتضى ، أمالي مرتضى ، الجزء الأول ، ص 15 .

[3] – الزجاجي ، أمالي الزجاجي ، ص 20 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

كما تدل في الجانب المقابل على أن الخلو من اللحن يمثل الجانب الشريف الذي يستحق به صاحبه الفخر والثناء كما هو واضح في المثال الأخير.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصراع اللغوي بين العربية و الفارسية في المشرق كان له دور كبير في تفشي ظاهرة اللحن ذلك أن المجتمع الإسلامي في أمصار العراق قد تألف معظمه من الموالي الفرس الذين لا يكادون يحسنون العربية وكضرورة للتفاهم مع العرب ، قنع كل من الفريقين في بادئ الأمر أن يصطنعوا في الأمور العامة لغة عربية في بعض ظواهرها تعد في الحقيقة مسخا للعربية الفصيحة، وقد اتسمت هذه العربية الجديدة بأبسط وسائل التعبير وتحريف العناصر الصوتية التي اختصت بها لغة العرب ، بل شملها أيضا بعض الانحرافات في الصيغ و تراكيب الجمل و التخلص من ظاهرة الإعراب وكثير من الألفاظ و العبارات الفارسية ، ولم تقتصر هذه الظاهرة أو هذه الحال على الجهات القريبة من بلاد فارس ، بل جاوزتها إلى المدن الإسلامية التي أسسها العرب كالبصرة و الكوفة ، وبالرغم من هذا فقد شهد العهد الأموي بعضا من الموالي أصحاب الطموح الذين حاولوا جهدهم السيطرة على اللغة العربية الفصيحة ، ولكن بقيت في ألسنتهم لكنة تكشف عن أصلهم الفارسي. ([1])

وفي القرن الثاني الهجري – وخاصة النصف الثاني منه وما تلاه – أصبح ما كان إحساسا بالخطر خطرا حقيقيا ملموسا وما كان مواقف متناثرة تذكر فتتكر أمرا شائعا بين الناس، مما ترتب على ذلك نشاط علمي كبير.

- قال الرشيد يوما لبنيه : ما ضر أحدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه !! أيسر أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمته . ([2])
- ودخل الفراء يوما على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه ، فقال جعفر بن يحي: يا أمير المؤمنين إنه قد لحن فقال الرشيد للفراء : أتلحن يا يحي ؟؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن طباع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضر اللحن، فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت فاستحسن الرشيد كلامه . ([3])

---

[1] – إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، ص 186 – 188 .

[2] – القلقشندي ، صبح الأعشى ، الجزء الأول ، ص 205 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 211 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- وكان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزلالات إذا ركبها ، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعرا يغنون فيه، فوجه إلى أبي العتاهية وهو سجين فصنع لهم " زُهديّتَه " التي أبكت الرشيد حين سمعها منهم. ([1])

هذه النماذج عن عهد الرشيد الذي عاصر الفترة الأخيرة من القرن الثاني وهي تدل على :

- أن إجادة الفصحى أصبحت صناعة يحث الرشيد أبناءه على الأخذ منها بما يصلح اللسان كي لا يكونوا كمن يخالطونهم من العبيد و الإماء في اللحن و الخطأ.

- وأن العلماء أنفسهم كانوا يلحنون في حياتهم العادية ولم يروا ذلك عيبا ينقص من شأنهم وقد اعترف بذلك الفراء قائلا : " إذا حفظت أو كتبت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت " . ونال هذا الاعتراف استحسان الرشيد لأنه الحقيقة .

- وأن العامة كانوا أشد من ذلك لحنا ، ويمثلهم هؤلاء الملاحون في الزلالات ، الذين يغنون على مقتضى طبيعتهم فيعجب غناؤهم الرشيد ، لكنه يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ، فمنع عن نفسه التأذي بتقديم الكلام الفصيح لهم .

وقد استمرت موجة اللحن قوية مندفعة واطرد نموها بتأخر الزمن ، فالقرن الثالث أقل حظا في الفصاحة من القرن الثاني – كما عظم اللحن فيه أكثر من ذي قبل – وقد روى الجاحظ نوادر كثيرة عن اللحن في القرن الثالث في كتابه " البيان والتبيين" مما سمعه ووصفه وعابه على من يتكلمون الفصاحة من علماء اللغة والأعراب فقال: " إن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم، وأقبح من ذلك لحن الأعاريب النازلين على طرق السابلة وبقرب مجامع الأسواق". ([2])

---

[1] – الأصفهاني أبو الفرج ، الأغاني ، المجلد الرابع ، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء ، الطبعة السادسة ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1404 هـ / 1983 م ، ص 104 .

[2] – الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 146 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وإذا كان اللحن قد امتد إلى هؤلاء الأعراب و العلماء المتقعرين في نطق اللغة ، فلنا أن نتصور ما كان بين عامة الناس الذين لا يجيدون اللغة بالطبع أو بالصنعة!!

أما في القرن الرابع الهجري – الذي انتهى في آخره الاستشهاد – فقد طغى اللحن فيه على الخاصة و العامة وعلى أصحاب الطبع في البادية و أصحاب الصنعة في الحضر" فكان اللحن يؤاخذ به خواص العلماء و الأدباء في كتابتهم لا في أقوالهم ،أما العامة فكانت مناطقهم لغة في اللحن لا لحنا في اللغة ! " . ([1])

يقول الآمدي: " والمتأخرون لا يكادون يسلمون من اللحن ، وهذا في أشعارهم كثير جدا " . ([2])

ويقول ابن فارس راثيا العربية : " وقد كان الناس قديما يجتنبون اللحن فيما يكتبون أو يقرؤونه اجتنابهم بعض الذنوب فأما الآن فقد تجوّزوا حتى إن المحدّث يحدّث فليحن والفقيه يؤلف فيلحن ، فإذا نبّها قالا : ما ندري ما الإعراب ! وإنما نحن محدّثون وفقهاء فهما يسران بما يساء به اللبيب " . ([3])

هذا هو حال القرن الرابع الذي طغى فيه اللحن و تفشى ليصبح سمة من سماته فلم يكد أحد من المتأخرين يسلم منه ، وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل تعداه إلى السخرية من متعلمي العربية ، يقول أبو جعفر النحاس : وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلمي العربية جهلا وتعديا ، حتى إنهم يحتجون بما يزعمون أن القاسم بن محيمرة قال : النحو أوله شغل وآخره بغي . ([4])

لقد انقلب الأمر وأصبح تعلم العربية عن طريق الصناعة النحوية موضع سخرية الناس وهذا يؤسف له الأسف الشديد فقد ضاعت السلامة اللغوية وحل اللحن ليصبح سمة الألسنة مما يدفع إلى النعي والرثاء على ما آل إليه الحال . قال المتنبي ينعي : ([5])

---

[1] – الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، الجزء الأول ، ص 201 .

[2] – الآمدي ، الموازنة بين أبي تمام و البحتري ، ص 31

[3] – ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص 35 . .

[4] – القلقشندي ، صبح الأعشى ، الجزء الأول ، ص 208 .

[5] – د. عبد الجليل مرتاض، "هذه العربية واقع وآفاق" ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، المجلس الأعلى للغة العربية، بالجزائر ، ص 450

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيـــع من الزمان

ولكـــــــنّ الفتىَ العربيَّ فيها غريبُ الوجه واليد واللسان

ملاعب جِنّة لو سار فيهـــا سليمـــــانُ لسار بترجمان .

هذا حال اللسان العربي مع اللحن بعد عصر الاستشهاد حتى إنه تسرب إلى التأليف العلمي نفسه كما هو واضح في بعض موسوعات التاريخ في القرن السادس وما بعده ، حتى قال أحد المتأخرين : " إن اللحن قد فشا في الناس ، والألسنة قد تغيرت حتى صار التكلم بالإعراب عيبا والنطق بالكلام الفصيح عيّا " . ([1])

فكيف واجه علماء اللغة هذه الظاهرة ؟ وما موقفُهم منها ؟

ب – موقف علماء العربية من ظاهرة اللحن :

إن ظهور وباء اللحن اقترن بدواء مقاومته وكلما كان يزيد انتشارا وعمومية ويقرب شبحه من ألسنة الصفوة والخواص من العرب أنفسهم عظمت مقاومته ويعد اللحن الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها ، وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها ، فقد أقلق اتساع اللحن أولي الأمر والنظر – فحذروا منه واستهجنوه – وسعوا إلى مقاومته للحفاظ على الصورة المثلى للغة العربية التي ما استساغوا لها أن تتعرض للتحريف . ([2])

وعلى ذلك المدى الطويل كان علماء اللغة ساهرين على حراستها يشددون رقابتهم على الأقلام و الألسن ، وإذا كان العصر الأموي قد شهد نوعا من هذه الرقابة على الشعراء المولدين من العرب ،فإن الأمر قد تعقد أكثر بعد أن قويت المخالطة اللغوية وصارت العربية اللسان القومي للأقطار المتعربة ولم يسلم خاصة اللغويين أنفسهم من أعلام الطبقات الأولى من عثرة لسان أو زلة قلم ، وهذا ما جعل الرقابة تزداد حدة وصرامة مع تدفق مجرى الحياة اللغوية حتى صار الأمر إلى خصومة حادة بين حراس الفصحى وبين المؤلفين والأدباء، ومنذ عصر التدوين بدأت المكتبة العربية تتلقى مؤلفات في مآخذ العلماء على أقلام الخاصة و ألسنتهم وكتاب " الموشح " للمرزباني في تتبع هذه المآخذ على ألسنة الشعراء وهم من خاصة أصحاب فن القول لا يقف عند المولدين منهم بل يمضي مع الشعراء

---

[1] – القلقشندي ، صبح الأعشى ، الجزء الأول ، ص 210 – 211 .

[2] – د . أحمد محمد قدور ، مدخل إلى فقه اللغة العربية ، ص 72 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المحدثين من بشار بن برد إلى ابن الرومي ، والمرزباني، توفي في النصف الثـــاني من القرن الرابع للهجرة (384 هـــ) والعربية ما تزال في أوج نهـــضتها و الدولـــة الإسلامية لم تدخل بعد عصر الضعف و الهبوط . ([1])

وفي تراثنا من كتب الرقابة : ([2])

- ما تلحن فيه العوام : علي بن حمزة الكسائي (172) .
- ما يلحن فيه العامة : يحي بن زياد الفراء (207) .
- ما يلحن فيه العامة : لأبي عبيدة معمر بن المثنى (210) .
- ما يلحن فيه العامة : لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي (231) .
- إصلاح المنطق : لابن السكيت يعقوب بن إسحاق (244) .
- ما يلحن فيه العامة : لأبي عثمان المازني (248) .
- ما يلحن فيه العامة : لأبي حاتم السجستاني (250) .
- تقويم اللسان : لأبي محمد عبد الله بن مسلم .
- أدب الكاتب : ابن قتيبة (276) .
- لحن العامة : لأبي حنيفة أحمد الدينوري (290)
- ما يلحن فيه العامة : لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب (291) .
- ما يلحن فيه العامة : لأبي الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي (300) .
- اللحن الخفي : هاشم بن أحمد الحلبي (377) .
- لحن العوام : لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (380) .
- لحن الخاصة : لأبي هلال العسكري (395) .
- تثقيف اللسان : عمر بن مكي الصقلي (501) .
- درة الغواص : لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (516) .
- تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة : لأبي منصور الجواليقي (539) .

---

[1] – د . عائشة عبد الرحمن ، لغتنا و الحياة ، ص 79 – 80 .

[2] – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 33 – 34 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- تقويم اللسان : لأبي الفرج عبد الرحمن الجوزي (597) .
- لحن العامة : لابن هشام محمد بن أحمد اللخمي (ق 600) .
- لحن العامة : لابن هاني محمد بن علي السبتي (733) .
- غلطات العوام : جلال الدين السيوطي (911) .
- التنبيه على غلط الجاهل و النبيه : لابن كمال أحمد بن سليمان (940) .
- بحر العوام فيما أصاب فيه العوام : لرضي الدين محمد بن إبراهيم الحنبلي (971) .
- غلطات العوام : لمصطفى بن محمد خسر وزاده (1000) .
- لف القماط لتصحيح ما استعملته العامة : لمحمد صديق بن حسن البخاري (1307) .
- أغلاط العوام و الخواص : مجهول .
- سقطات العوام : مجهول .
- أصول الكلمات العامية : حسن توفيق العدل (1322) .
- تهذيب العامي و المحرّف : حسن علي البدراوي .

والأمر مع ذلك يفوت الاستقصاء فقاموس الفيروزبادي عليه حاشية للشيخ نصر الهوريني تصحيحا واستدراكا وابن سيده على " المحكم " لا يكاد يدع فرصة تمضي دون تصيد أغلاط اللغويين وقذفهم بالجهل و الغفلة . ([1])

ثم إن كثرة ما ورد بالصحاح من الأخطاء و التصحيف و التحريف كان سببا في قيام الدراسات المختلفة حوله ، بين مكمل لما فاته من المواد الصحيحة ، و بين منبه على الأخطاء وبني مصحح لتحريف أو تصحيف و بين مهذب لما ورد به من مواد لم يتفق عليها ، و بين شارح لما غمض من عباراته ، فقد ألف ابن بري

[1] – د . عائشة عبد الرحمن ، لغتنا و الحياة ، ص 81 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المصري (ت 582 هـ) كتاب " التنبيه والإيضاح عما وقع من الوهم في كتاب الصحاح " وألف الصاغاني (ت 650 هـ) على الصحاح كتاب " التكملة و الذيل و الصلة " وألف خليل بن أبيك الصفدي (764 هـ) كتاب " نقوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم " وألف الزنجاني (656 هـ) كتاب " ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح " وألف أبو بكر الرازي (ت 691 هـ) كتاب " مختار الصحاح " وألف أبو الحسن بن إبراهيم الشيباني القفطي (ت 646 هـ) كتاب " الإصلاح لما وقع من الخطأ في الصحاح " . ([1])

وكتب الشروح والحواشي النحوية مليئة بالطعن والتجريح، وكتب المفسرين اللغويين والبلاغيين كـ " البحر المحيط " لأبي حيان ، و" التفسير الكبير " للفخر الرازي و" كشاف " الزمخشري، تحمل آثار الخلاف الحاد بينهم ، يخطئ بعضهم بعضا، ويرد بعضهم على بعض، وكتب المدارس النحوية والبلاغية تكاد تقوم على الجدل بينهم في أوجه الخلاف، وكتب النقد الأدبي تضع في ميزان الترجيح بين الكتاب والشعراء ما أخذ عليهم من سقطات لغوية وخروج على سنن الفصحاء في الأساليب ، ويكفي لبيان صرامة هذه الرقابة اللغوية من حراس الفصحى في تتبع عثرات الألسنة وسقطات الأقلام ، أن نجد من بين اللغويين أنفسهم من تصدوا للرد عليهم ، وألفوا كتبا في تصحيح ما عدوه خطأ أو التماس وجه الصواب فيه ، فكتاب الحريري" درة الغواص في أوهام الخواص" رد عليه ابن الخشاب وابن بري ، وألف الشهاب الخفاجي كتاب " شرح درة الغواص لبيان أوهام الحريري في أوهام الخواص" ، ثم جاء العلامة الألوسي فأخذ في كتابه " كشف الطرة عن الدرة " موقفا وسطا بين الحريري والشهاب الخفاجي ، فأقر من الغواص بعض أوهام الخواص، وسلم ببعض ما رده الخفاجي منها في شرح الدرة، وما ذكره ابن مكي الصقلي في " تثقيف اللسان " من أغلاط الخواص، رد عليه ابن هشام اللخمي في كتابه " المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان" . ([2])

وما من شك في أن تشدد اللغويين في رقابتهم كان ضروريا لكبح التهاون في الفصحى أو الخروج على سننها ، وقد كانوا يمثلون التيار المحافظ الذي لم يكن منه بد لكي يحمي أصالة العربية .

---

[1] – د. صلاح راوي ، المدارس المعجمية العربية ؛ نشأتها ، تطورها ، مناهجها ، ط1 ، دار الثقافة العربية، القاهرة ، 1411 هـ / 1990 م ، ص 130 .

[2] – د. عائشة عبد الرحمن ، لغتنا و الحياة ، ص 81 – 82 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ومنذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر صدرت مجموعة من الكتب – بعضها نشر مفرقا في الصحف – وقفها مؤلفوها على بعض الظواهر الجزئية في العربية المعاصرة يبينون فيها – على تفاوت أصحابها – خطأها ويحاولون ردها إلى الصواب حسب رأيهم . ([1]) وهذه الحركة التصويبية هي امتداد لكتب اللحن التي تعنى برصد الأخطاء اللغوية .

ومن هذه المؤلفات الحديثة التي اهتمت بالأخطاء الشائعة ومحاولة معالجتها نذكر : ([2])

- دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة ، معروف الرصافي الأستانة (مطبعة صنداي ملت) 1331 هـ / 1912 م .
- رد الشارد إلى طريق القواعد ، جرجي شاهين عطية ، بيروت ، مطبعة القديس جاورجيوس 1339 هـ / 1912 م
- تذكر الكاتب، أسعد خليل داغز، مطبعة المقتطف والقطم، القاهرة 1923 م.
- المنذر في نقد أغلاط الكتاب ، الشيخ إبراهيم المنذر ، مطبعة السلام ، بيروت 1927 م ، الجزء 1.
- إصلاح الفاسد في لغة الجرائد ، محمد سليم الجندي ، دمشق ، مطبعة الترقية 1343 هـ / 1925 م .
- البستان،عبد الله البستاني، بيروت، المطبعة الأمريكانية 1345 هـ/ 1927 م.
- كتاب المنذر إلى المجمع العلمي العربي بدمشق ، إبراهيم المنذر، بيروت، مطبعة الاجتهاد 1345 هـ/ 1927 م
- أغلاط اللغويين الأقدمين ، انستاس الكرملي ، بغداد ، مطبعة الأيتام 1352 هـ / 1933 م .
- أغلاف الكُتّاب ، كمال إبراهيم ، بغداد، المطبعة العربية 1354 هـ/ 1935م.

---

[1] – د . عباس السوسوة ، العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ص 18 .

– أ. د . زين كامل الخويسكي ، في التحليل اللغوي و الأخطاء الشائعة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة ، إسكندرية ص 8 – 11 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- إصلاح خطأ المحدثين، أبو سليمان الخطابي، القاهرة، لجنة الشبيبة السورية 1355 هـ /1937 م .
- أخطاؤنا في الصحف و الدواوين، صلاح الدين الزعبلاوي، دمشق ، المطبعة الهاشمية 1358 هـ / 1939 م .
- محاضرات عن الأخطاء اللغوية الشائعة ، محمد علي النجار ، القاهرة معهد الدراسات العربية العالمية 1379 هـ / 1959 م .
- أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية والنباتية وكلمات مولدة يفيد إقرارها، مصطفى الشهابي، دمشق، المجمع العلمي العربي، 1383 هـ / 1963 م.
- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د. عبد العزيز مطر، القاهرة ، الدار القومية 1386 هـ / 1966 م.
- لغة الجرائد ، إبراهيم اليازجي ، القاهرة مطبعة مطر د.ت .
- دقائق العربية جامع أسرار اللغة وخصائصها، أمين آل ناصر الدين ، بيروت (مكتبة لبنان) 1388 هـ / 1968 م ، ط2 .
- قل ولا تقل، د. مصطفى جواد، بغداد، مطبعة الإيمان 1389 هـ / 1969 م.
- أزاهير الفصحى في دقائق اللغة، عباس أبو السعود، القاهرة ، دار المعارف 1390هـ / 1970 م .
- معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني، بيروت، نشر مكتبة لبنان 1393 هـ / 1973 م .
- الاستدراك على كتاب قل ولا تقل ، صبحي البصام ، بغداد ، مطبعة المعارف 1396 هـ / 1977 م .
- مغالط الكتاب ومناهج الصواب ، جرجي جنن البولسي ، مطبعة القديس بولس د.ت .
- أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب و الإذاعيين د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، 1993 م .

كما يتجلى جهد المحدثين في محاربة اللحن فيما تبذله المجامع اللغوية في هذا

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المجال ، وذلك منذ إنشائها فقد انبرى أعضاء مجمع دمشق مثلا يتتبعون ما ينشر في الصحف والمجلات ، فإذا وقعوا على لحن شائع أو تركيب ركيك جمعوا ذلك ثم نشروه على الناس مبينين موضع العيب فيه ومشيرين بما يقوم مقامه من تعبير سليم، فبدأ المجمع ينشر هذه المسارد من الأغلاط وتصحيحاتها منذ سنة 1921 تحت عنوان " عثرات الأقلام " في مقالات متتابعة تتسلسل ثلاثين مقالة آخرها نشر سنة 1927م، ولم ينس المجمع أخطاء النطق الشائعة فانبرى لتصحيحها هي الأخرى ، وألقى الشيخ عبد القادر المغربي محاضرة في (1924/2/1 م) بعنوان " عثرات الأفمام " نشرت سنة 1943م، وألحق بها بعد ذلك عددا من المقالات يضم ما تم له جمعه من أفواه العامة من خطأ النطق . ([1])

إذن رغم مواقف التخطئة و الاستهجان التي وقفها علماء العربية القدامى إزاء ظاهرة اللحن وما أبدوه من حرص على تقويم اللسان و تصويب الخلل ،فإن الخطأ بقي مستبدا باللغة العربية ، بل إن اطراده وشيوعه يتفاقمان يوما بعد يوم ، ولعل المنزلة الإعلامية الخطيرة التي أصبحت تحظى بها الصحافة في العصر الحاضر هي التي ساعدت على ترويج أنماط أسلوبية عمل التكرار و الاستعمال على ترسيخها حتى غدت عادات كلامية مستحكمة يصعب تقويمها أو اجتثاثها ، فالصحافيون قد اعتادوا الاهتمام بالتبليغ دون أن يتروا فيما يكتبون أو يتشددوا فيما يذيعون مما نتج عنه طغيان" لغة وسطى" تخالف اللغة الفصحى في كثير من القواعد والاستعمالات . ([2])

لذلك فلا يزال الغيارى على العربية يدافعون عنها وعن سلامتها من أمثال أحمد فارس الشدياق الذي شن حربا على الركاكة من جهة وعلى التقليد والجمود من جهة ثانية، وإبراهيم اليازجي الذي كمل طريق الشدياق في هذا المجال. ([3])

فقد اهتم إبراهيم اليازجي بلغة الجرائد حيث رأى فيها ألفاظا شاذة عن منقول اللغة، منزّلة في غير منازلها ومستعملة في غير معانيها مما يتطلب تصحيح هذه الأخطاء نظرا لخطورة الدور الذي تلعبه الجرائد في الحياة العامة فقال: " ... لا نزال نرى في بعض جرائدنا ألفاظا قد عن شذت عن منقول اللغة فأنزلت

---

[1] – سعيد الأفغاني ، من حاضر اللغة العربية ، ط2 ، دار الفكر 1971 ، ص 103 .

[2] – الجمعية المعجمية العربية بتونس ، وقائع إسهام التونسيين في إثراء المعجم العربي ، تونس 1 ، 2 ، 3 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، مارس 1985 م ، ص 182 .

[3] – محمد الهادي مطوي ، أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآرؤوه في النهضة العربية الحديثة ، القسم الأول و الثاني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1989 م ، ص 52 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

في غير منازلها أو استعملت في غير معناها فجاءت بها العبارة مشوهة وذهبت بما فيهـــا من الرونق وجـــودة السبك ، فضلا عما يترتب على مثل ذلك مـــن انتـــشار الوهم و الخطأ ولاسيما إذا وقع في كلام من يوثق به فتتناوله الأقلام بغيـــر بحـــث ولا نكير". ([1]) " وإنما غرضنا فيه تنبيه أولئك الكتاب إلـــى وجـــوب التثبـــت فيمـــا ينشرون على صفحات جرائدهم ...لأن الجرائد اليوم بمنزلة مدرسة عامـــة يتلقـــى عنها القراء اللغة كما يتلقون الأخبار السياسية والتجارية والفوائد العلميـــة والأدبيـــة وغيرها " . ([2])

كما ألف إبراهيم اليازجي كتابه " نجعة الرائد وشرعة الوارد في المتـــرادف و المتوارد " رغبة في خدمة أهل العربية الذين كما يقول : " ربما قعدت بهم الذرائع عن الوقوف على ضالتهم من اللفظ الفصيح ، وأعوزتهم القوالب في تصوير يتمثـــل لهم من الخواطر على الأسلوب العربي الصحيح ... ولذلك رأيت أن أخدم المشتغلين بهذه الصناعة ... بأن اجمع لهم من مترادف ألفاظ هذه اللغة وتراكيبها ... للجـــري على محكم أسلوبها " . ([3])

ومثله إبراهيم السامرائي الذي أورد مجموعة من الأخطاء التي عثر عليها في رسائل علمين شهيرين من علماء اللغة العربية المحدثين ، وهما الكرملي وتيمـــور ، فقال: " وبعد ، فهذه جملة فوائد اتخذتها نماذج للغة الحديثة في نثر علمين شـــهيرين من علماء اللغة في عصرنا ، وهي كثيرة وقد تكرر أغلبها في الرسائل ، ولـــم أرد أن آخذ عليهما هذه المآخذ وإنما أردت أن أكشف أن اللغة الفصيحة فـــي عـــصرنا شيء متغير متطور حتى عند أصحاب الحفاظ على اللغة القويمة و القديمة ، الـــذين ينظرون إلى الفصيح والأفصح، ولولا ما عرف عنهما من الاطلاع بالدقائق اللغوية، ومن التنقير على الهفوات الهينات ، ما ذهبت إلى كشف هذه الرسائل التي استحالت إلى فصيح عصرنا هذا " . ([4])

وكذلك أحمد مختار عمر الذي ألف كتابه " أخطاء اللغة العربيـــة المعاصـــرة

---

1 – إبراهيم اليازجي ، لغة الجرائد ، ط1 ، مطبعة مصر ، مصر بدون تاريخ ، ص 3 .

2 – المرجع نفسه، ص 124 .

3 – إبراهيم اليازجي ، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد ، وقف على طبعه وضبطه على أصله الأمير نديم آل ناصر الدين ، ط3 ، مكتبة لبنان ، بيروت 1985 م (المقدمة) .

4 – د. إبراهيم أنيس، مقال" الرسائل المتبادلة بين الكرملي وتيمور" ، المورد، المجلد الخامس، العدد الثاني، دار الحرية للطباعة، بغداد 1396 هـــ/1976، ص 301.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

عند الكتاب والإذاعيين" والذي يقول فيه إن دافعه لهذا النقد هو الأخذ بيد من ينشد الكمال اللغوي من أصحاب القلم و اللسان ، وخاصة المذيعين ومعدي البرامج الإخبارية ورجال الصحافة ، لما للغة الإعلام من أثر في الارتقاء بلغة الناس أو الانحدار بها ، فيقول: " وإذا كانت الصحة اللغوية مطلبا عسرا حتى على المتخصصين، فلابد أن نقدر مدى صعوبتها على غير المتخصصين سواء كانوا من كتاب المقالات ، أو قارئي النشرات، أو مذيعي الربط أو مقدمي البرامج ، ولهذا رأيت من واجبي أن آخذ بيد هؤلاء جميعا وأن أقدم لهم العون و المساعدة وأن أضع أمامهم بعض الهفوات التي قد ينتبهون إليها ولا يفطنون إلى وقوعها منهم ، وما أظن أن أحدا على وجه الأرض يمكن أن يدعي لنفسه العصمة من الخطأ اللغوي وبخاصة إذا لم يأخذ فرصة من المراجعة والتدقيق والضبط بالشكل ، وأمامنا الأمثلة كثيرة من كبار الأدباء والمثقفين والمتحدثين وقدامى المذيعين الذين لم ينج أحد منهم من الوقوع في الخطأ " . ([1])

فقد كان هدف هؤلاء المحدثين وغيرهم – الحفاظ على سلامة اللغة العربية من الخطأ – تماما كما فعل علماء اللغة العربية الأوائل ، فهم لم يذخروا جهودهم في سبيل تحقيق هذا الهدف ، وبذلوا وما يزالوا يبذلون الجهد الكبير لأجل سلامة هذه اللغة وحفظ مكانتها بين أهم اللغات الحية .

ب/ 2 – نظرة النّحاة إلى اللحن بين القواعد و الاستعمال :

وقد نظر النحاة إلى اللحن على أنه " خطأ وانحراف " عن الطريقة الصحيحة التي ينبغي أن يأتي عليها النطق العربي السليم، ولم يؤخذ في الاعتبار لديهم قوة الاستعمال وقهره وما يترتب على ذلك من تطور وتغير ، فإن اللغة شأنها شأن الظواهر الاجتماعية كلها تتطور باستمرار في معانيها وبنيتها وتراكيبها ، ولا تخضع طويلا للقواعد المنسقة و النظام الجميل، لأن للغة نظامها الذي يفرضه استعمالها بين المتكلمين ، وعمل الباحث اللغوي يكمن في ملاحقة التطور لا مصادرته ، وملاحظته لا تجميده ؛ لأن المصادرة و التجميد لا يمكن تحققهما بالنسبة للغة نفسها ، ونظرة النحاة لما أسموه " اللحن أو الخطأ " كان سندها القواعد

[1] – أحمد مختار عمر، أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب و الإذاعيين ، ط2 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1993 م ، ص 20.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الحادة التي وضعوها وألزموا أنفسهم بها ، وإن لم يستطيعوا فرضها على الاستعمال المتطور باستمرار.

إن جهود النحاة في جمع مادة " اللحن " التي نقلتها كتب طبقات النحاة وضمتها كتب " لحن العوام " في القرن الثاني الهجري وما بعده ، جهود موفقة جديرة بالاحترام و التقدير، و المادة العلمية التي حوتها عن مظاهر اللحن المختلفة تدل على دقة التتبع للجزئيات وطول الاستقراء و النظر في اللغة الفصحى ، لكن هذا الجهد – للأسف – لم يؤد دوره الصحيح باعتباره تغيرا في اللغة وتطورا في عناصرها على مدى العصور ، فقد تجاوز النحاة موقف الباحث في وصف الاستعمال المتطور ، إلى موقف آخر قاموا فيه بالنص على ما يجوز وما لا يجوز ، فناصبوا تطوّر اللغة العداء واستخدموا في ذلك القواعد التي وتوصّلوا إليها من قبل لوضع عناصر التغير في اللغة تحت سيطرتها ثم الحكم عليها بالخطأ. ([1])

ويبدو أن هذه الصلة بين القواعد واللحن في فترة البداية ظلت قائمة بعد ذلك مع تأخر الزمن ونضج الدراسة وهي صلة قوامها التنافر بين القواعد وما خرج عن هذه القواعد من مظاهر اللحن، على أن تكون القواعد – من جهة نظر النحاة – هي الحكم في هذه المظاهر، أو بعبارة أخرى : القواعد هي" الصواب" وما لا يتفق معها من مظاهر الاستعمال هو" الخطأ " .

إن النظرية اللغوية عند العرب كانت نظرية معيارية " أي أنهم بنوا عملهم على أساس محاولة الوصول إلى مجموعة من القواعد و الأحكام التي ينبغي اتباعها ولا يجوز الخروج عنها إذا كان للمتكلم أن يأتي بكلامه صحيحا فصيحا ، وأن ينجو من خطيئة اللحن و الزلل ، كان هذا هو هدفهم الأول الذي جهدوا أنفسهم في تحقيقه وإقراره مبدأ واجب الأخذ به وتطبيقه في التوظيف اللغوي . ([2])

- قال ابن سلام : اضطرب كلام العرب فغلبت السليقة ولم تكن نحوية ، فكان سراة الناس يلحنون ووجوه الناس، فوضع أبو الأسود باب الفاعل و المفعول به والمضاف وحروف الرفع والنصب والجر والجزم . ([3])
- وروى القفطي عن أبي الأسود قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن

---

[1] – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 48 – 49.

[2] – د. كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي مدخل ، ص 71 .

[3] – محمد بن سلام الجمحي (139 هـ – 231 هـ) ، طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر، الناشر دار المدني بجدة ، ص 12.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أبي طالب (ﷺ) فأخرج لي رقعه فيها (الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى) ، قال : فقلت : ما دعاك إلى هذا ؟ قال :رأيت فسادا في كلام بعض أهلي فأحببت أن أرسم رسما يعرف به الصواب من الخطأ ،فأخذ أبو الأسود النحو عن علي (عليه السلام) ولم يظهره لأحد ([1]) ثم أظهره فيما بعد.

وينبغي التوقف في فهم هاتين الروايتين عن نشأة النحو عند عبارتين فيهما هما : (غلبت السليقة ولم تكن نحوية) و (رأيت فسادا في كلام بعض أهلي فأحببت أن أرسم رسما يعرف به الصواب من الخطأ) فإن هاتين الروايتين تبينان طبيعة الصلة بين القواعد و السليقة غير النحوية التي يطلق عليها " اللحن " منذ البداية واتخاذ القواعد – منذ البداية أيضا – سلطة التمييز بين " الصواب و الخطأ " وقد بقي هذا الفهم نفسه قائما على مدى الزمن ، إذ طبقه الدارسون وخضع له الناطقون، بل ازداد مع تأخر الزمن قوة وثباتا ، وفي الوقت نفسه اطرد نمو طرفي القضية من " القواعد" و " السليقة غير النحوية " فزادت مؤلفات النحو تضخما وفي المقابل كان اللحن يزداد انتشارا .

هذا هو طابع الجهد الذي بذل في مقاومة اللحن يلخصه أنه التمسك بالقواعد أساسا للتصويب وإيراد مالا يوافق ذلك من مادة اللغة للحكم عليه بالتخطئة .

أما الأمر الثاني يدل على سطوة القواعد على أذهان الدارسين بمقدار ما يدل على سطوة الاستعمال على ألسنة المتكلمين فيمثله تلك المفارقة الطريفة عن أفراد من علماء النحاة ، نسب إلى بعضهم أنه كان يتقعر ويغرب في حديثه على الناس حتى لا يكاد يفهم ، ونسب إلى البعض الآخر أنه كان يلحن في كلامه وربما اعترف أحيانا بوقوع ذلك منه ولم يعتبره شيئا ينقص من شأنه ، و النظرة المدققة تكشف أن هذين المظهرين يصدران عن ظرف لغوي واحد هو" سطوة الاستعمال " الذي وصفه ابن سلام بقوله : " غلبت السليقة ولم تكن نحوية " فقد دفع ذلك بعض النحاة إلى التظاهر أحيانا بالتمكن من تلك السليقة النحوية فأغربوا في حديثهم وفخموه ، واستسلم آخرون للاستعمال اللغوي الشائع فخضعوا له معترفين بأنه الواقع وإن خالف قوانين النحو و قواعد الإعراب. ([2])

---

[1] – القفطي إنباه الرواة ، الجزء الأول ، ص 5 .

[2] – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 38 – 41 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ومن النحاة الأولين الذين روي عنهم التقعر والإغراب " عيسى بن عمر الثقفي" (ت149) الذي روي عنه ذلك في كتب الطبقات التي ترجمت له ومن ذلك هذا الموقف الطريف الذي كان يضرب فيه بالسياط لوديعة أضاعها وهو يصيح قائلا : " والله ما كان إلا أثيابا في أسيفاط قبضها عشاروك" . ([1]) وروي ذلك أيضا عن أبي علقمة النحوي الذي ساق السيوطي عنه المشهد الطريق التالي :

مر أبو علقمة يوما على عبد حبشي وصقلبي ، فإذا الحبشي قد ضرب الصقلبي الأرض فأدخل ركبتيه في بطنه وأصابعه في عينيه وعض أذنيه وضربه بعصا فشجه وأسال دمه ، فقال الصقلبي لأبي علقمة اشهد لي فمضوا إلى الأمير فقال له الأمير : بم أشهد ؟! فقال : أصلح الله الأمير ، بينما أنا أسير على كودني إذ مررت بهذين العبدين فرأيت الأسحم قد مال على هذا الأبقع فحطأه على فدفد ، ثم ضغطه برضفتيه في أحشائه حتى ظننت أنه تدعج جوفه وجعل يلج بشناتره في جحمتيه يكاد يفقؤهما وقبض على صنارتيه بميرمه وكاد يحذهما ، ثم علاه بمنسأة كانت معه فعجفه بها، وهذا أثر الجريان عليه بينا ، فقال الأمير: والله ما فهمت مما قلت شيئا، فقال أبو علقمة : قد فهمناك إن فهمت وأعلمناك إن علمت وأديت إليك ما علمت، وما أقدر أن أتكلم الفارسية فجهد الأمير في كشف الكلام حتى ضاق صدره ثم كشف الأمير رأسه، وقال للصقلبي : شجّني خمسا وأعفني من شهادة هذا. ([2])

وهذا المشهد يشير إلى ما كان يحمله أبو علقمة نفسه من الجهد في التقعر و الإغراب ، في حين أن الأمير الذي يعاصره ولا يستطيع فهم كلامه يمثل الاستعمال العادي للكلام .

أما لحن علماء النحو في حياتهم العادية واعترافهم بذلك فهو مظهر مهم ، إذ إن في هذا الاعتراف نفسه دلالة على سطوة الاستعمال حتى على النحاة الذين يناصرون القواعد و يفرضون سلطانها على الاستعمال اللغوي :

- أورد الأصفهاني أن مروان بن أبي حفصة وجه كلامه لحماد الراوية في

---

[1] – ياقوت ، معجم الأدباء في عشرين جزء ، المجلد الثامن ، الجزء السادس عشر ، منقحة ومصححة وفيها زيادات ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع 1400 هـ / 1980 م ، ص 148 .

[2] – السيوطي جلال الدين عبد الرحمن ، بغية الوُعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، الجزء الثاني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ص 139 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

حضرة الوليد بن يزيد فقال : ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحانة !! فأقبل الشيخ علي وقال: يا ابن أخي إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها . ([1])

- ودخل الفراء يوما على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه ، فقال له جعفر بن يحي : يا أمير المؤمنين إنه قد لحن فقال الرشيد للفراء : أتلحن يا يحي !! فقال : يا أمير المؤمنين إن طباعَ أهل البدوِ الإعرابُ ، وطباعَ أهل الحضرِ اللحنُ، فإذا حفظتُ أو كتبتُ لم ألحن ، وإذا رجعتُ إلى الطبع لحنتُ ، فاستحسنَ الرشيدُ كلامَه . ([2])

فهذه المواقف – على قلتها – قد اعترف فيها بعض النحاة على أنفسهم باللحن وأنهم يخضعون له جريا على استعمال بقية الناس ، لكنهم في مجال الدراسة لم يأخذوا ذلك في الاعتبار ، بل حكّموا القواعد في ذلك وحكموا على مظاهر اللحن بالخطأ.

إذن من خلال رصد نظرة النحاة لما أطلق عليه " اللحن " في الكلام العربي تبين أنهم بذلوا جهودا مفيدة في جمع مظاهره و مادته اللغوية التي تسربت للفصحى على مر العصور، لكن المتأمل في هذه الجهود يفهم منها أنهم نظروا إليه في ضوء القواعد التي اعتبروها مقاييس الحكم عليه بالخطأ، فاعتبروه أمرا خطيرا يهدد الفصحى في المعاني والصيغ وتأليف الكلام و إعرابه، لذلك حاربوه بشدة ووقفوا منه موقف الشك و الإنكار، وهكذا تلخصت نظرة القدامى إلى اللغة واللحن إذن:

- أولا / أن الكمال اللغوي ينحصر في قبائل الجزيرة العربية التي لم تفسد الحضارة لغتهم ، وفي زمن لا يتجاوز صدر الدولة الإسلامية ، فقد أوقفوا الأخذ عن العرب في منتصف القرن الثاني للهجرة ، وقد حدد منتصف القرن الرابع للاستشهاد بعرب البادية .

- ثانيا / كل ما خالف قياسهم النحوي فهو لحن وإن كان مطردا في الاستعمال بعكس ما يقول السيوطي الأقل تعصبا : " فلابد من إتباع السمع

---

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، الجزء السادس ، ص 69 .

[2] – القلقشندي ، صبح الأعشى ، الجزء الأول ، ص 211 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الوارد به فيه نفسه ، لكنه لا يتخذ أصـــلا يقـــاس عليـــه غيـــره " . ([1]) لاعتقادهم أن اللغة الكاملة وقف على العصور القديمة التي لها قداستها.

- ثالثا / كل تطور في الصيغ و الدلالة والأصوات فهـــو لحـــن ، وشـــعار القائلين بذلك هو : ليس لنا أن نخترع ولا أن نقول غيـــر مـــا قـــالوا لأن الفصحى في الحضر قد بلغت غاية كمالها حوالي منتصف القرن الثـــاني الهجري وأن ما طرأ عليها من تغير بعد ذلك فساد وانحراف .

في حين إن نظرة اللغويين المحدثين للتغير تتسم بالتسامح ، إذ تصف هـــذا التغير في ضوء استعمال الناطقين له فقط ، فلا تربط بينه وبين مستوى لغوي آخـــر لعصر مضى أو عصر لاحق كي تؤسس على ذلك حكما عليه بالتقدم أو التقهقـــر ، كما لا تنظر إليه في ضوء معايير جاهزة ، فما وافقها كان صوابا وما خالفها كـــان خطـــأ ولحنا ، لأن مرجع ذلك كله الجماعة اللغوية التي تستعمل اللغة و ما ترفضه من معاني الألفاظ وصيغها وطريقة تأليفها .

يقول جسبرسن : من رأي علماء اللغة أن المقـــصود بـــالتطور لا يـــصح أن يلصق به المعنى المشهور في الأمور الأخرى بأنه اتجاه تقدمي نحـــو الكمـــال فـــي مقابل من يصرون على اعتبار التغير تقهقر إلى الوراء أكثر منه اتجاها إلى التقدم، إذ يقصد بالتطور ببساطة : أنه تغير مستوى في اللغة بدون حكم علـــى قيمـــة هـــذا التغير، والذي يجب أخذه في الاعتبار هو اهتمام الجماعة نفسها المتحدثة باللغة، فهي سلسلة من الأعمال الإنسانية بقصد الاتصال الفكري والشعوري، وتلك وحدها هـــي الطريقة التي تقاس بها القيم اللغوية. ([2])

إذ ينفي جسبرسن في نصه السابق أن يوصف التغير فـــي اللغـــة بالتقـــدم أو التقهقر أو الرقي أو الانحطاط فهو تغير مستمر فقط ، وهذا مـــن طبيعـــة اللغـــات – وينبغي النظر إليه في ضوء الاستعمال– ومن حق الناطقين وحدهم الموافقة عليه أو رفضه.

ويقرر أولمان أن" اللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال على الـــرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئا في بعض الأحايين ،فالأصوات والتراكيـــب والعناصـــر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغير والتطور، ولكن سرعة الحركة

---

[1] – السيوطي ، المزهر ، الجزء الأول ، ص 229 .

[2] - O. Jespersen – Language , its nature , development and origin , London 1947 , p 320 – 324 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والتغير فقط هي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى ، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة ، فلو قمنا بمقارنة كاملة بين فترتين متباعدتين لتكشف لنا الأمر عن اختلافات عميقة كثيرة من شأنها أن تعوق فهم المرحلة السابقة وإدراكها إدراكا تاما " . ([1])

وكل التغيرات التي تصيب اللغة تسير وفقا لقاعدة أساسية واحدة هي أنها دائما وأبدا تقع على مرحلتين : المرحلة الأولى مرحلة التغير نفسه أو الابتداع و التجديد ، يحدث ذلك من فرد أو أفراد فإذا صادف التغير قبولا بين من يستعملون اللغة ، انتقلت إلى مرحلة أخرى هي مرحلة انتشار هذا التغير ، حينئذ ينفذ إلى نظام اللغة ويصبح عنصرا من عناصرها بقوة الاستعمال . ([2])

فإدخال التغير في عنصر من اللغة لا يعني بالضرورة استعماله ثم انتشاره بين جماعة الناطقين ، فقد لا يبقى أصلا إذ ينسى وينتهي أمره ، وقد يبقى مقصورا على صاحبه أو على جماعة صغيرة محددة لا يتعداها ، لكن إذا قدر له الانتشار بقوة الاستعمال وقبوله ، فإن ذلك يعني حدوث تغير في اللغة ، وليس من حق أحد رفضه أو رده ، وسواء جاء هذا التغير دون قصد من الناطقين أنفسهم – كما هو الغالب فيه – أم حدث بطريقة مقصودة من فرد أو أفراد كأن يقترح أحد العلماء أو الأدباء لفظا أو تعبيرا يراه جديرا بالاستخدام أو تقترح هيئة مختصة – كالمجمع اللغوي مثلا – استعمال مصطلح أو صيغة أو تركيب ما فإن كل ذلك يبقى مجرد اقتراح يتوقف الأمر فيه على الرضى به واستخدامه من الناطقين أنفسهم .

ج – الفرق بين اللحن و التطور اللغوي :

إن الكثير من علماء العربية المعاصرين يستعملون مصطلح التطور بدلا من التغير ، ومصطلح التطوير بدلا من التغيير ، فإبراهيم أنيس يقول : " يدرك دارس اللغة الانجليزية في مراحلها التاريخية أن كثيرا من الألفاظ قد أصابها مع الزمن تطور وتغير في صورتها حينا وفي دلالتها حينا آخر ... ذلك لأن اللغة الانجليزية في تلك الفترة قد تركت نهبا للتطور و التغير" . ([3])

---

[1] – ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ترجمه وقدم له وعلق عليه د. كمال بشر ، ط12 ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ص 178 .

[2] – المرجع السابق ، ص 179 .

[3] – د. إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية 1997 م ، ص 122 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

كما استعمل إبراهيم السامرائي مصطلح التطور اللغوي، يقول : " ولعل الأجيال المتعاقبة كانت تحدث هذا التطور ويحصل في لغاتها ولكنها لا تفطن إلى هذا التبديل والتغيير". ([1]) ومحمد المبارك استعمل التبديل و التطور والتغير و التنقل. ([2])

ويعتبر التطور الأصل التجريبي لفهم سير الحياة بالكائنات الحية على اختلافها، وعلى هذا الأصل يتحدث الباحثون في اللغات اليوم عن تطور اللاغي نفسه وتطور اللغة ، فالصوت وجهازه في الإنسان يتطور تطورا طبيعيا مطردا ، وبذلك تتطور الأصوات اللغوية ويتطور معها تأليف الكلم ، ومع تطور اللاغي و تأثيره في اللغة تفعل الحياة ما تفعل بظواهرها المختلفة في تطور اللغة ، فالبيئة الطبيعية المادية تؤثر في اللغة وتطورها ، والظروف النفسية العاطفية والعقلية لمتكلمي اللغة تؤثر في تطور اللغة ، وأنماط الحياة التي يحياها متكلمو اللغة تؤثر في تطور اللغة ، وتوارث اللغة بين أجيال متكلميها يغير اللغة ويؤثر في تطورها. ([3])

والتطور اللغوي يعرض للعربية كما يعرض لأية لغة في عالمنا المعاصر ، ولعل اللغات التي لم يكتب لها أن تتبوأ مكانة الصدارة في هذه الحياة المعاصرة أشد تأثرا بغيرها من اللغات المتطورة . ([4]) ففي كل بيئة لغوية ظروف تدفع إلى تطور الكلام وتغيره في كثير من الظواهر، وظروف أخرى تعمل على استقرار هذه الظواهر وتحصنها فلا يطرأ عليها تغير . ([5])

وعندما تترك اللغة وفق أنظمة التطور اللغوي التلقائية فإنها لا تستشير أصحابها ، ولا يمكن على المستوى العملي أن نقف في وجه هذا التطور الذي لا إرادة لنا فيه متكلمين وناطقين. ([6]) ولهذا فإن المبدأ الذي حدد نهاية فترة الاحتجاج جمد حركة تقعيد اللغة ، وإن حاول بعضهم فيما بعد النظر في بعض

---

[1] – د. إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي ، ص 27 .

[4] – محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، ط7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1401 هـ/ 1981 م، ص207

[3] – أمين الخولي ، مشكلات حياتنا اللغوية ، ص 61

[4] – د. إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 5

[5] – د. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط9، مكتبة الأنجلو – المصرية، القاهرة 1995 م، ص 86 – 87.

[6] – أ. د . يحي عبابنة ، دراسات في فقه اللغة و الفنولوجيا العربية ، ط1 ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 2000 م ، ص 80 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الظواهر الحادثة نتيجة للتطور الطبيعي للغة ولكن من زاوية مختلفة هي أن هذه الظواهر لا تعدو أن تكون ضربا من الخطأ أو الخروج عن القواعد الرسمية التي فرغوا من وضعها وتأصيلها ، ومن ثم ظهرت حركة لغوية أخرى تتمثل فيما عرف بهد بحركة " التصويب اللغوي" المتمثلة أثارها في كتب اللحن .

إن اللغة وهي مادة حية وظاهرة اجتماعية تخضع كما يخضع غيرها من ألوان النشاط الإنساني إلى عوامل الزمان فتتأثر سلبا وإيجابا وتتعرض لتطور خارجي هو عبارة عن تطور بطيء غير أنه لا يعرف التوقف ، وهو يتناول اللون الخارجي للغة من حيث الأسلوب ومن حيث الدلالة ، ولعل الأجيال المتعاقبة كانت تحدث هذا التطور ويحصل في لغاتها ولكنها لا تفطن إلى هذا التبدل و التغير ، فالناس لا يشعرون وهم يتكلمون لغة معينة أنها تختلف عن اللغة نفسها في جيل عفى عليه الزمان ، ويعرض هذا التطور للغات جميعها أيا كان مستواها اللغوي أو الحضاري ، وقد يكون هذا التطور طبيعيا إيجابيا إذا كان نتيجة تأثر بحضارة أمة من الأمم ، كما قد يكون سير التطور سلبيا ، فربما لا تتطور اللغة نحو مستوى متقدم ورفيع ، بل تنزل إلى درك من التغير و التبدل تبعا للمستوى الحضاري و الثقافي الذي عليه الأمة .([1])

ومع أن اللغة ككل سلوك اجتماعي يحكمها العرف ،يجب أن نفرق بين عرف وعرف ، فليس العرف في الأفراح و المآتم ، أو في المأكل و المشرب و الملبس ، أو في الأعياد و المناسبات الاجتماعية كالعرف في اللغة من حيث تأصل الجذور و حرص الشعوب عليه ؛ لأن العرف اللغوي قد يكتسب مع الزمن ما يشبه القداسة ، لاسيما بعد أن نزلت باللغة الإنسانية الكتب المقدسة وكتب بها روائع الأدب في العالم، فيعمد كل شعب إلى الحفاظ على عادات لغته بكل الوسائل عن طريق اختيار فترة من تاريخه يعدها المرحلة الذهبية من تاريخ هذه اللغة ويتخذ مما ساد فيها من أساليب و تعابير نماذج يحرص على تقليدها وتثبيت قواعدها ، فيعقد لها المجامع اللغوية ويصنف المعاجم و الكتب ويعمل على تدريسها أو تلقينها في معاهد العلم ، وكل ذلك من أجل إبطاء التغير المحتوم في تاريخ كل لغة . ([2])

---

[1] – د. إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 27 – 29 .

[2] – إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، ص 17 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

غير أننا نلحظ في كل حلقة من حلقات التطور اللغوي أمثلة شاذة عن تلك القواعد المطردة ويرجع السبب في وجودها في اللغة في غالب الأحيان إلى واحد من ثلاثة أمور فإما أن تكون تلك الشواذ بقايا حلقة قديمة ماتت واندثرت ، و هو ما يسمى بـ " الركام اللغوي للظواهر المندثرة في اللغة " وإما أن يكون هذا الشاذ بداية و إرهاصا لتطور جديد لظاهرة من الظواهر تسود حلقة تالية وتقضي على سلفها في الحلقة القديمة ، وإما أن يكون ذلك الشاذ شيئا مستعارا من نظام لغوي مجاور. ([1])

ولابد لنا من الاعتراف أن من بين اللغات ما هو أكثر تطورا من اللغات الأخرى من حيث الأصوات والصيغ والتراكيب، وأن منها ما أتيحت له فرص أكثر من التطور في هذه النواحي ، ومنها ما لا يزال يمثل مرحلة متقدمة من مراحل التطور اللغوي" فالتغير يصيب اللغة في كل ظواهرها بلا استثناء ، ونعني بذلك أصواتها وصرفها ونحوها وألفاظها ودلالات هذه الألفاظ ، غاية الأمر أن درجات التغير متفاوتة من مستوى إلى آخر ، فالملاحظ أن الأصوات و الألفاظ ودلالاتها أكثر قابلية للتغير من قواعد الصرف و النحو ، والنحو بالذات يقع التغير فيه ببطء شديد لدرجة أن المثقف العادي لا يكاد يدركه أو أن يعين ظواهره ومواقعه". ([2])

ج / 1 – أسباب التطوّر اللغوي :

ويرجع التطور اللغوي في الغالب لعدة أسباب أهمها :

أ – المكان و الزمان :

فالطبيعة التي تحيط بالإنسان تؤثر في سماته الخلقية وسائر تصرفاته ومنها اللغة ، إذ هي لون من التصرف ، و لا ريب أن اللغة في بلد زراعية تختلف في اتجاهها عنها في بلد صناعية أو صحراوية أو جبلية أو ساحلية ، ويمكن أن نرى ذلك واضحا في البيئة العربية ، إذ كان البدو يعيشون حياة لا تعرف الاستقرار ، على حين كانت طائفة منهم تسكن المدن التي تتصل بما يجاورها عن طريق التجارة و الثقافة ، فاختلفت في اتجاهها اللغوي على ما نرى في اختلاف لهجات البدو و الحضر في الجهد العضلي والأناة و السرعة في النطق ،و الفروق النطقية بينهم

---

[1] – د. رمضان عبد التواب ، بحوث ومقالات في اللغة ، ط2 ، القاهرة 1988م ، ص 58 .

[2] – د. كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي مدخل ، ص 174 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

مبثوثة في كتب اللغة ، كما أن انتقال اللغة من جيل إلى آخر يصاحبه شيء من التغير في النظام الصوتي ، فالطفل منذ نشأته يحاول أن يقلد والديه ويتعلم منهم " وأغلب الظن أن استعدادات الطفل الموروثة تلعب دورها في هذا التعلم ، ولكن يمكننا أن نقدر دون عناء العوارض التي يمكن أن تعرض لسلامة النطق في كل جيل" . ([1])

ومع مرور الزمن يحدث تقليد الأبناء للآباء تبدلات في الحروف مهما يبالغ السلف في تلقينهم وتعليمهم ، وهذا لا تسلم منه لغة في العالم ولكن هناك عوامل أخرى قد تقلل من هذا التأثير كالكتابة والتقين في المدارس. ([2])

وقد أشار ابن خلدون لحقيقة التطور الزماني والأثر الذي يتركه في اللغة في فصول شبه مستقلة يتناول فيها هذه القضية وأبعادها ومظاهرها ، يقول في بداية فصل من هذه الفصول: " اعلم أن عرف التخاطب في الأمصار وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة ولا لغة أهل الجيل العربي الذي لعهدنا ، وهي عن لغة مضر أبعد" . ([3])

وهذا النص بالإضافة إلى ما فيه من لمحة تتصل بالتغير بسبب المكان ، يتضمن الإشارة إلى ثلاث فترات من الزمن : فترة أهل الأمصار ومضر وأهل الجيل الحاضر في زمنه ، ويقول في بداية فصل آخر " اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ، ولغة أهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر الذي نزل بها القرآن ، وإنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها " . ([4])

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اللغة العربية الفصحى قد حظيت بما لم تحظ به لغة على الإطلاق ، فقد بذل أهلها وعلماؤها جهدا كبيرا في الحفاظ عليها ووصف أصواتها وصفا دقيقا، وكان ذلك اهتماما بالقرآن الكريم الذي نقل إلينا أصوات العربية حتى فيما قبل القرآن من آماد بعيدة .

---

[1] – ج. فندريس ، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص ، مطبعة لجنة البيان العربي ، الناشر مكتبة الأنجلو– المصرية ، ص 64 .

[2] – محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص 55 – 56 .

[3] – ابن خلدون، المقدمة، ص 558.

[4] – المصدر نفسه، ص 559 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

إذن لاشك أن البيئة الطبيعة ومرور الزمن يؤثران على الجماعة البشرية بما يحدث بعض التغيرات في لغتها ومن بينها تبدلات تعتري الأصوات مما يسبب ظهور ألفاظ تحمل اسم ظاهرة الإبدال .

ب – العزلة و الاختلاط :

يقول فيرث : " إن كلام الجماعة المتزامنة لغويا يعتبر شيئا مختلفا عن كلام أولئك الذين لا ينتسبون لنفس الجماعة، وإن هذا الكلام كما يعد رابطة بينهم هو في الوقت نفسه حدد مميز يخرج غيرهم منه " . ([1]) لهذا يقتصر المستوى الصوابي على زمن خاص، فهو ما يتفق في استعمال اللغة مع الواقع الشاهد ، لأن المرء ينطق اللغة على حسب نظامها الذي وجدها به في عصره ، إذ اللغة تتغير من عصر إلى عصر وقد يكون هذا التغير بطيئا لا يظهر إلا بعد مرور جيل أو أجيال، لكنه تغير يحدث فعلا ولا ينفيه بطء حدوثه أو طول الزمن به ، و الأفراد يكتسبون اللغة من بيئتهم وفي عصرهم الذي عاشوا فيه ، وبناء على ذلك يراعون اللغة كما تنطق في عصرهم لا كما كانت تنطق في عصور سبقت ، ولا كما ينبغي أن تنطق وفق نموذج مثالي لعصر ذهبي غيبته الأيام. ([2])

يقول ابن رشيق مشيرا إلى هذا المعنى : " قد تختلف المقامات و الأزمنة و البلاد فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر ، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره ، ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجد فيه وكثر استعماله عند أهله ، بعد ألا تخرج من حسن الاستواء وحد الاعتدال وجودة الصنعة " . ([3])

فاللغة تتأثر – كغيرها من وسائل الحياة – بلقاء الإنسان بالآخر وانعزاله عنه، والعزلة لها دور مهم في صيانة اللغة و الحفاظ عليها من التغير أو الفساد " و قد أدرك ابن خلدون هذه الحقيقة وأشار إليها بكلام صريح حين قال : " ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ..." . ([4])

---

[1] - J . R . Firth , Papers in linguistics 1934 – 1951 , London , 1964 , p 186 .

[2] – د. عبد الغفار هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، دار الثقافة العربية للطباعة ، ص 27 .

[3] – ابن رشيق ، العمدة ، الجزء الأول ، ص 162 – 163 .

[4] – ابن خلدون ، المقدمة ، ص 555 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فاللغة تقليد وعادة اجتماعية، والعادات تتغير وتتعدل طبقا لظروف المجتمع أو البيئة المعينة لأسباب كثيرة منها تنوع بعض العادات والثقافات بتنوع فئات المجتمع وطبقاته من متنوّرين ومثقفين وتجار وحرفيين وعامة ..الخ ، واختلاط هؤلاء بعضهم ببعض يظهر أثره حتما في الظواهر اللغوية للغة العامة ، وتختلف درجة التأثير باختلاف العوامل الفاعلة في هذه السبيل، ويزداد الاختلاف والتنوع في ظواهر اللغة بوجه خاص عندما يقع الاختلاط بين المواطنين الأصليين وغيرهم من الفئات أو الأجناس الوافدة ذات الألسن و الرطانات المختلفة، حدث هذا مثلا عند ما كثر الأعاجم في الأمصار الإسلامية في العصر العباسي ، وحدث مثله وأكثر في عهد ابن خلدون يقول : " اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة أهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن ، وإنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها ... " ([1])

وهذه المغايرة في اللغة قد تؤدي إلى الخلط في العبارة و القصد معا وقد يؤول الأمر إلى استحداث عادة أو ملكة لغوية أخرى هي ما يسمى عند ابن خلدون " فساد اللغة " وهي في الحقيقة تنوع وتغير يصيب اللغة يقول ابن خلدون : " إن الناشئ من الجيل (في عهده) صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ، ويسمع كيفيات العرب أيضا ، فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه ، فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الأولى ، وهذا معنى فساد اللسان العربي " .([2])

فاحتكاك اللغات يؤدي حتما إلى تداخلها ، فنحن نرى بالقرب منّا أقاليم جمع فيها التاريخ شعوبا تتكلم لغات مختلفة، وفي أقاليم من هذا القبيل يقتضي التوسع في التبادل التجاري وضرورة الاتصال ، والنتائج اللغوية التي تنجم عن ذلك كبيرة الخطر، لأنه إذا احتكت لغتان إحداهما بالأخرى أثرت كل منهما على صاحبتها، حتى ذهب بعض علماء اللغة إلى القول بأنه لا توجد لغة غير مختلطة ولو إلى حد ما . ([3])

وقد ركّز الدارسون – منذ الستينيات – على علاقة اللغة بالمجتمع ، وظهر

---

[1] – المصدر السابق ، ص 559 .

[2] – المصدر السابق ، ص 555 .

[3] – فندريس ، اللغة ، 348 – 349 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

علم جديد يسمى علم اللغة الاجتماعي" Soçio - linguistique " شغل نفسه باختلافات الجنس وتنوعات اللغة بوجه عام في السلوك اللغوي للأفراد . ([1])
فـ " اللغة – أية لغة – في حركة دائمة ، ويؤدي ذلك إلى التغيير في مختلف مظاهرها أصواتا وصيغا ومفردات وتراكيب و التطور في اللغة يعود إلى طبيعتها الاجتماعية، إذ هو سمة من سمات الظاهرات الاجتماعية المختلفة فهو في اندفاع مستمر لا يد لأحد على إيقافه ووضع القيود و المعايير في طريقة كما أنه لا قدرة لأحد على مخالفته أو الخروج عن مقتضى التوافق معه ، هذا التطور المستمر في اللغة لا يوصف بأنه اتجاه إلى الأحسن أو الأقبح أو أنه تطور إلى الارتفاع أو الانخفاض أو الصحة أو الفساد ، فاللغة أو اللهجة لا تقاس صلاحيتها بحسب التقدم أو التأخر في الزمن والرقي أو التأخر في الحضارة ، بل بحسب قدرتها على أداء دورها الاجتماعي بين من ينطقونها، إذ تستجيب للتعبير عن تجاربهم ومظاهر حياتهم و تحقيق الاتصال والتفاهم بينهم ". ([2])

ويتجلى التغير والتطور الذي يصيب اللغة في صور مختلف حسب المستوى اللغوي الذي لحقه التغير والتطور.

ج / 2 – مظاهر التطوّر اللغوي :

فقد يكون التطور خاصا بالأصوات أو بنية الكلمة أو دلالتها.

أ – التطور الصوتي :

فكلمات اللغة تتألف من أصوات ينسجم بعضها مع بعض ، يقول فندريس : " في كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، فهي تكون نظاما متجانسا مغلقا تنسجم أجزاؤه كلها فيما بينها ، هذه هي أول قاعدة من قواعد الصوتيات ، وهي ذات أهمية قصوى لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة بل من نظام من الأصوات ". ([3]) وأن الانسجام والتآلف يقتضي بعض التبدلات الصوتية باختلاف الناطقين وبيئاتهم ، وتبعا لنواح طبيعية فسيولوجية ونفسية معا . ([4])

---

[1] – د. أحمد مختار عمر، اللغة واختلاف الجنسين، ط1، عالم الكتب القاهرة 1416 هـ / 1996 م ، ص 33.
[2] – د. عبد الغفار هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 29 .
[3] – فندريس ، اللغة ، ص 62 .
[4] – المرجع نفسه ، ص 91 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ولا يقصد بتطور الأصوات في اللغة أن القديم منها يفنى فنـــاء كليـــا دون أن يترك أثرا له ، أو أن أصواتا جديدة لا وجود لها من قبل تنمو وتنتشر في الكـــلام ، وإنما الذي نعنيه هو أن الأصوات القديمة تنتقل من مخارجها وتستعمل في مخـــارج جديدة ، أو يبطل استعمالها في مكانها الأصلي . ([1])

وتطور الأصوات لا يحدث فجأة بين يوم وليلة وإنما يظهر أثره بعد أجيال ، لأن " اختلاف الأصوات في جيل عما كانت عليه في الجيل السابق لـــه مباشـــرة ، لا يكاد يتبيّنه إلا الراسخون في ملاحظة هذه الشؤون ولكنه يظهر في صورة جليـــة إذا وازنا بين حالتيهما في جيلين تفصلهما مئات السنين" . ([2]) وهذا التطور يـــؤدي إلى وجود صيغ جديدة ، وفي البيئة الواحدة قد تستعمل هذه الصيغ بجانب القديمة في فترة معينة ثم بعدها تبقى الجديدة وحدها في الاستعمال، ولهـــذا التطـــور الـــصوتي عوامل كثيرة ساعدت عليه :

1 – أعضاء النطق :

فالكلام يحدث نتيجة لنشاط يقوم به عدد من الأعضاء في الجسم الإنـــساني يطلق عليها علماء الأصوات " أعضاء النطق " أو " جهاز النطق" . ([3])

ويكمن دور أعضاء النطق في التطور الصوتي في :

1 / 1 – تطوّر أعضاء النطق :

ينسب بعض العلماء التطور الصوتي إلى اختلاف أعضاء النطـــق فـــي تكوينها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتي تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلـــى الخلـــف. ([4]) وهذا يعني أن لكل شعب جهازا مكونا على نمط خاص يجعله قادرا علـــى إصـــدار

---

[1] – د. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو – المصرية ، بدون تاريخ ، ص 187

[2] – د. علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ط5، مكتبة نهضة مصر، بالفجالة 1382هـــ/1962م ، ص 260 .

[3] – حلمي خليل ، مقدمة لدراسته علم اللغة ، دار المعرفة الجامعيـــة 2000 م ، ص 45 ، وديدييـــه يـــورو اضطرابات اللغة ترجمة أنطون إ. الهاشم ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ص 34 – 55 وإبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 19 – 20

[4] – وافي ، علم اللغة ، ص 274 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الأصوات بطريقة معينة تختلف عن الشعوب الأخرى ، ولكن هذه النظرية لم يثبتها علم التشريح، بل لقد برهن معظم علماء التشريح على أن أعضاء النطق عند الإنسان تتحد في جميع تفاصيلها، وعجز بعض الشعوب عن نطق بعض الحروف ليس دليلا على اختلاف أعضاء النطق ، لأن الجهاز الصوتي مستعد لإصدار جميع الأصوات بلا استثناء ، كل ما هنالك أنه يحتاج إلى المران عليها " وقد ثبت بالتجربة أن مُدرّس (الفوناتيك) يستطيع أن يعلم تلاميذه أي صوت من الأصوات في أية لغة من لغات العالم مع شيء من المران و الشرح العلمي دون أن يصحب عضلات نطق التلاميذ أي تغير في تكوينها التشريحي . ([1])

وقد حاول بعض العلماء أن يطبق على الجهاز الصوتي نظرية النشوء والارتقاء ، فلابد أن يتطور كما يتطور كلما في الكون، ولذلك تأثيره في الأصوات لأن النظام الصوتي يتغير من سن إلى أخرى . ([2]) ويقول الدكتور وافي أن هذا أمر مقرر فسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين ، إن لم يكن في تكوينها الطبيعي – فعلى الأقل في استعداداتها – وذلك تبعه تطور في أصوات الكلمات – وقد كشف ذلك جماعة من العلماء على رأسهم هرمان بول و رسلو الذي تجري حقائقه بالوسائل القديمة وبوسيلة الأجهزة الحديثة . ([3])

ولكن الدكتور مبارك نقض ذلك بقول : " إن ما دعاه بعضهم من تطور الجهاز الصوتي تطورا مطردا مردود إذ لا برهان له عليه " . ([4])

ونحن نوافقه الرأي لأن جهاز النطق لدى أي إنسان يستطيع أن ينطق بأي صوت خاصة في السن المبكرة أين يبدأ الإنسان في تدريب جهاز نطقه على إصدار أصوات لغته الأم أو أية لغة تصل إلى مسامعه ويود محاكات أصواتها.

1 / ₂ – عيوب أعضاء النطق :

وأمراض الكلام ولاسيما ما كان مختصا منها باللسان يثير تحولا صوتيا وانتقالا لمخارج الحروف حتى يتكون للصيغة تشكل جديد يختلف عما كانت عليه

---

[1] – إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 187 .

[2] – فندريس ، اللغة ، ص 66

[3] – وافي ، علم اللغة ، ص 264 – 265

[4] – محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، ص 56

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

من قبل، وليس السبب في تلك الصورة الجديدة إلا عيوب المنطق وإصابة الجهاز الصوتي بعلة فيه فيتحول اللسان من النطق بالسين إلى الثاء أو التاء أو الدال أو الشين ، أو من الراء إلى الغين أو اللام أو الياء أو من حرف إلى حرف آخر ، ولاشك أن عدم انتظام تكوين الأسنان له دخل في اللثغات لهذا لا يستطيع الإنسان أن يعدل من نطق الألثغ إلا إذا تدخل أخصائي الأسنان فيها ، وقد يرث الطفل هذه اللثغات عن آبائه ويرثها منه جيله ثم يرثها منه جيل آخر حتى تصبح اللثغة سنة فيهم بل تكون صوابا في جيل المستقبل بينما هي نفسها في الجيل الأول كانت آفة نطقية محط ازدراء الناس واحتقارهم .([1])

وقد يولد الإنسان مصابا بعلة تمنع أعضاء النطق عن تأدية وظيفتها ، وقد يعرض للإنسان في أثناء حياته مرض يتسبب في إحداث عيب في أعضاء النطق وهذا يؤثر في حديثه ، والمعروف أن الرواة كانوا يتحرون جمع اللغة عن القبائل الفصيحة ، ولم يكن لهم اتجاه إلى النظر في أعضاء النطق للتحقق من سلامتها ، وكانوا يكتفون بالأخذ عن العربي الواحد كما قرر ابن جني حيث أورد بابا سماه " باب في الشيء يسمع من العربي الفصيح ، لا يسمع من غيره " . ([2])

وربما كان هذا العربي الذي شهد له بالفصاحة مصابا بلكنة تسببت في تغير بعض الأصوات ، وربما انتقلت الكلمة على هذا النحو إلى التراث اللغوي " فاللثغة اللسانية تتسبب في إبدال بعض الحروف " . ([3])

وقد عزا الأستاذ جرجي زيدان إلى عيب أعضاء النطق معظم ما عرف من ألفاظ هذه الظاهرة ، وقال : " أما أسبابه فهي في الغالب نتيجة علة طبيعية في أعضاء النطق في أول الأمر" . ([4])

2 – تفاعل الأصوات : ويتأثر الصوت اللغوي بما يجاوره قبله أو بعده من حروف ، وهذا يشمل ما يسمى بالمماثلة والمخالفة والتناوب بين الأصوات :

2 / 1 – المماثلة :

حيث تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات

---

[1] – د. أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، القسم الأول ، ص 356 – 357 .

[2] – ابن جني ، الخصائص ، الجزء الثاني ، ص 21 .

[3] – الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص 130 .

[4] – جرجي زيدان ، الفلسفة اللغوية ، ص 65 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والجمل فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها لكي تتفق في المخرج أو الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام ، فيحدث عن ذلك نوع التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات ، وذلك أن أصوات اللغة تختلف فيما بينها في المخارج والشدة والرخاوة و الجهر والهمس والتفخيم والترقيق وما إلى ذلك ، فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين وكان أحدهما مجهورا والآخر مهموسا مثلا حدث بينهما شد وجذب ، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها أو في بعضها. ([1])

فحروف الهجاء منها ما يأتلف ومنها ما يختلف ، ولابد من تحقيق التآلف بين الحروف عند تركيب الكلام حتى يتحقق الانسجام الصوتي فتتمكن أعضاء النطق من التفوه به ، فإذا تجاور حرفان متنافران غيّر أحدهما ليقترب من الآخر ويتحد معه مخرجا أو صفة " وهذه الظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثر وفي نوعه " . ([2])

2 / ₂ – المخالفة :

هناك قانون صوتي آخر يسير عكس اتجاه قانون المماثلة وهو ما يعرف عند علماء الأصوات باسم " قانون المخالفة " الذي يعمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات ،فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة، وهي اللام و الميم و النون و الراء . ([3])

والسبب في المخالفة من الناحية الصوتية هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة ،ولتيسير هذا الجهد العضلي يقلب أحد الصوتين صوتا آخر. ([4]) فالأحوال اللغوية مختلفة ، فقد يكون الصوتان مقبولين في موضع وغير مقبولين في موضع آخر لاعتبارات خاصة ، أشار إليها سيبويه في

---

[1] – د. رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ط2 ، مكتبة الخانجي القاهرة ، 1415 هـ / 1995 م ، ص 30 .

[2] – إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 145 .

[3] – رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي ، مظاهره وعلله ، ص 57 .

[4] – المرجع نفسه ، ص 64 وإبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ، ص 170 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

" باب ما شد فأبدل مكان اللام ياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد " . ومثّل لها بقولهم : تسريت وتقصيت وأصلها تسررت و تقصصت . ([1])

ويرى الدكتور أنيس أن هذه الظاهرة قد شاعت في كثير من اللغات السامية ، وليست إلا تطوّرا تاريخيًّا للأصوات. ([2])

كما يرى أن كلا من المماثلة و المخالفة راجع إلى التيسير في بذل الجهد العضلي ، ذلك " أن الأصوات في تطورها تهدف إلى الاقتصاد في الجهد العضلي ، فالمماثلة تقرب بين الأصوات المتجاورة في الصفة و المخرج ، وقد يصل هذا التقريب بين الصوتين المتجاورين إلى أن يصبحا متماثلين تمام التماثل ، وهنا قد تبدأ عملية المخالفة التي تهدف أيضا إلى التقليل من الجهد العضلي فنرى أن أحد المتماثلين المتجاورين يقلب إلى صوت لين طويل أو إلى ما يشبه أصوات اللين كاللام و النون و في هذا أقصى مراحل التيسير في الجهد العضلي " . ([3])

2 / 3 – التناوب بين الأصوات :

وقد تبين من ملاحظة ظواهر التطور في مختلف اللغات الإنسانية أن الأصوات المتحدة النوع القريبة المخرج تميل بطبعها إلى التناوب وحلول بعضها محل بعض ، فكل صوت عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت لين آخر ،وكل صوت ساكن عرضة بطبعه بأن ينحرف إلى صوت ساكن متحد معه في مخرجه أو قريب منه . ([4])

ب – التطور الدلالي :

و" من الثابت أن التطور اللغوي يحدث في مادة اللغة التي تؤلف بنيتها وكيانها وأعني بذلك الألفاظ التي تبنى منها اللغة هذه الألفاظ يخضعها الاستعمال فتجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية جديدة يستدعيها الزمان و المكان ، وليست العربية بدعا بين اللغات ، ذلك أن اللغات كافة تخضع لسنة التطور وأن الكلمة في كثير من اللغات مادة حية يعمل فيها الزمان ويؤثر فيها وتجد فيها الحياة

---

[1] – سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، ص 424 .
[2] – إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوي ، ص 169 .
[3] – المرجع نفسه ، ص 171 .
[4] – وافي ، فقه اللغة ، ص 136 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فتتطور وتتبدل وربما اكتسبت خصوصيات معنوية أبعدها الاستعمال عن أصلها بعدا قليلا أو كثيرا " ([1])

وتتغير معاني الألفاظ من آن لآخر تبعا للأحوال التي تمر بها اللغة فيتطور المعنى بإحدى الصور الثلاث (توسيع المعنى ، تضييقه ، انتقاله) . ([2]) " وينحرف الناس – عادة – باللفظ من مجاله المألوف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة في التعبير، وتتزاحم المعاني في أذهانهم أو التجارب في حياتهم ، ثم لا يسعفهم ما ادخروه من ألفاظ وما تعلموه من كلمات " . ([3]) ثم يشيع ذلك المجاز حتى يصبح مألوفا – ويعد حينئذ من الحقيقة – وتظل تلك الدلالة القديمة ملازمة للفظ في حدود ضيقة ويكون للفظ دلالتان واستعمالان – وكلاهما من الحقيقة – غير أن إحدى الدلالتين تكون أكثر شيوعا من الأخرى ، بل قد يصل الأمر إلى أن تصبح الدلالة القديمة من الندرة وقلة الاستعمال بحيث تستدعي الانتباه ، وتكاد تعد بمثابة المجاز حين تقارن بالدلالة الجديدة الشائعة المألوفة . ([4]) " فالبداوة كانت الطابع المميز لعربيتنا ، ولكن عبقرية هذه اللغة نقلت تلك الأصول البدوية القديمة إلى مواد أخرى عن طريق المجاز بادئ ذي بدء ، ثم إنها أصبحت حقيقة من الحقائق " . ([5])

ويتضح ذلك من خلال ما يلي :

– مادة " ركب " هذه الكلمة في استعمال أهل عصرنا هذا عصر العلم و التكنولوجيا يكتبون ويخطبون فترد في رسائلهم وخطبهم عبارة " البلدان المتخلفة عن " ركب الحضارة " ومعنى الركب هنا مختلف عما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ ﴾ . ([6]) فهي في الآية الكريمة تعني جماعة الإبل، فللكلمة العربية مسيرة في المعاني منذ أقدم العصور مستفيدة من الأبنية في تكثير هذه المعاني .

---

[1] – إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 228 – 229 .

[2] – أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص 190 – 191 .

[3] – إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 130 .

[4] – علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار إحياء الكتب العربية، 1364 هـ / 1945م ، ص 19 – 20.

[5] – د. إبراهيم السامرائي، العربية تاريخ وتطور، ط1 ، مكتبة المعارف، بيروت ، لبنان 1413 هـ / 1993 ، ص 189.

[6] – سورة الأنفال ، الآية 42 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

– ومن هذا الفعل " ركب " ومنه : ركب الجمل أو الناقة أو أية دابة ثم كان " المركب " للدابة عموما غير أن هذا المعنى قد عرض له من التطور و التوسع ، فكان " المركب" أحد مراكب البر و البحر، ومن هنا كانت السفينة أو القارب أو غير ذلك " مراكب" ، ثم صار من يحل في هذه الوسائط " ركابا " جمع " راكب " وقد شاء ذوق أهل هذا العصر أن يطلقوا " مركبة " على كل ما يستعمل من سيارات في أغراض شتى". ([1])

ومثل هذا كثير في العربية مما تحول إلى المعاني المجردة المعنوية حتى كأن أصولها الحسية قد هجرت في الاستعمال فنسيت العلاقة بين ما هو معنوي وما هو محسوس في اللفظ الواحد . ([2])

– ومادة " عقل " احتلت مكانا وافيا في العربية لصلتها بالفلسفة وسائر المعارف البشرية ، و أصل هذه المادة من " العقل " وهو " الشد " فقد قالوا : " عقل " البعير يعقله عقلا و" اعتقله " وكذلك الناقة ، و الحبل الذي يشد به هو العقال " . ([3])

وكأن هذه القوة الخارقة التي تعني التمييز و الإدراك و الفهم وما يتصل بهذا قد سميت " العقل " واستعيرت من هذه المادة العتيقة التي تعني الشد ، بل قل من الحبل الذي يشد به وهو " العقال " فقد تصوروا أن النفس البشرية مجبولة على الشر، فهي أبدا تجنح إلى السوء ، ولكن القوة الأخرى تكبح جماحها وتحد من شرها فكانت هذه القوة كالعقال الذي يشد به البعير مخافة أن ينفر ويضرب الأرض . ([4])

و التطور الدلالي يحدث تدريجيا في أغلب الأحيان ، لكنه قد ينتهي آخر الأمر بتغير كبير في المعنى ، ولقد حاول اللغويون المحدثون أن يحصروا ما يطرأ على المعنى من تغيرات في أنواع وأن يبينوا الأسباب التي تؤدي إلى هذا التغير و التطور الدلالي :

1 – أسباب تغير المعنى :

ويرجعها الدكتور أحمد مختار عمر إلى : ([5])

---

[1] – المرجع السابق ، ص 90 – 91 .
[2] – المرجع السابق ، ص 197 .
[3] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج11 ، ص 548
[4] – د . إبراهيم السامرائي ، العربية تاريخ وتطور ، ص 197 .
[5] – د . أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ط4 ، القاهرة 1993 م ، ص 237 – 242 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

1 / 1 – **التطور الاجتماعي و الثقافي** ، حيث إن الارتقاء في سلم الحضارة و المدنية والاتساع في آفاق الثقافة يدفع إلى التفكير في تطويع القاموس اللغوي ليستوعب كل ما توصل إليه المجتمع مما يؤدي في الكثير من الأحيان إلى :

أ – التصرف في مدلول اللفظ في شكل الانتقال من الدلالة الحسية إلى الدلالة التجريدية نتيجة لتطور العقل الإنساني ورقيه ومع مرور الوقت قد تندثر الدلالة الحسية ليرتبط اللفظ بمدلوله الأخير الخاص بالدلالة التجريدية ، كما هو الحال في مادة " عقل " في اللغة العربية .

ب – وقد يكون في شكل اتفاق مجموعة فرعية ذات ثقافة مختلفة على استخدام ألفاظ معينة في دلالات تحددها تتماشى مع الأشياء و التجارب و المفاهيم الملائمة لمهنها أو ثقافتها ، وقد يؤدي هذا إلى نشوء لغة خاصة ، ولاشك أن شدة الاتصال بين أفراد هذه الجماعة وبينها وبين أفراد المجتمع الكبير يقضي على صعوبة إفهام الآخرين وتعاملهم مع المدلول الجديد الذي قد يشيع ارتباطه باللفظ على حساب المدلول الأول الذي قد يندثر مع الوقت .

ج – وقد يكون في شكل استمرار استخدام اللفظ ذي المدلول القديم وإطلاقه على مدلول حديث لاستمرار الوظيفة رغم الاختلاف في الشكل وهذا يتضح في الغالب في ما تنتجه الحضارة من آلات وأجهزة متطورة تشبه وظيفتها بأخرى كانت تستعمل في القديم لكنها تختلف في الشكل .

1 / 2 – **المشاعر العاطفية و النفسية** ، وما لها من دور في تغير دلالات الألفاظ ذلك أن اللغات في جميع المجتمعات تحضر استعمال بعض الكلمات لما لها من إيحاءات كريهة أو لدلالتها الصريحة لما يستقبح ذكره مما يدفع إلى الاستعانة بألفاظ بديلة عن طريقة التحايل في التعبير، أو ما يسمى بالتلطف الذي هو في الحقيقة إبدال الكلمة الحادة بأخرى أقل حدة وأكثر قبولا فيكون هذا التلطف سببا في تغير المعنى .

1 / 3 – **الانحراف اللغوي** ، كما قد يكون للانحراف اللغوي دور مهم في تغير المعنى وذلك حين ينحرف باللفظ من معناه الحقيقي إلى معنى آخر نتيجة الفهم الخاطئ لمستعمل اللغة ، فقد يصادف الفرد اللفظ ويستغربه أو يشقّ عليه فهمه فيؤدي به تخمينه إلى دلالة أخرى غير الدلالة الأصيلة للفظ المقصود ، فإن وظف هذا الشخص اللفظ ودلالته التي ربطها به نتيجة فهمه الخاطئ في الأساس وأخذ عنه الآخرون هذا التوظيف وشاع استعمال اللفظ بدلالته الأخيرة فهذا يؤدي إلى تغير

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

معنى اللفظ إلى معنى نتج عن انحراف لغوي .

1 / 4 – **الانتقال المجازي** ، كما يساهم الاستعمال لمجازي للكلمات في تغير دلالات الكثير منها ، لأن كثرة الخروج باللفظ من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي قد يؤدي إلى شيوع ارتباط اللفظ بالمعنى المجازي وكثرة توظيف اللفظ مع هذا المعنى يطمس مع الوقت المعنى الحقيقي للفظ ليصبح معناه المجازي لاحقا هو بمثابة المعنى الحقيقي له .

1 / 5 – **الابتداع** ، كما نجد من بين أسباب تغير المعنى سببا واعيا مقصودا ومتعمدا يلجأ إليه عن قصد لحاجة ما ، فتؤخذ ألفاظ معينة وتحمل دلالات أخرى غير دلالتها المعروفة بها وهذه العملية المقصودة موقوفة على صنفين من الأفراد، إما أن تكون فردية ناتجة عن متمكنين من اللغة يعمدون إلى تبيين قدرتهم على الإبداع و الدقة والتصرف في إيضاح المعنى ، وخاصة منهم الأدباء والشعراء ، وإما أن تكون هذه العملية ناتجة عن المجامع اللغوية هذه الهيئات التي تعنى باللغة و بالحرص على جعلها مواكبة لكل تطور حضاري فتلجأ إلى التصرف أحيانا في دلالات بعض الألفاظ لما ترى في ذلك من ضرورة وحاجة واستحسان .

ويتخذ تغير المعنى أشكالا مختلفة أهمها تخصيص معنى اللفظ أو تعميمه أو نقل دلالته . ([1])

2 – **أشكال تغير المعنى** ، فالدلالة يمكن أن تخصص :

2 / 1 – **تضييق المعنى** ، ويعني ذلك تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضييق مجالها ، ومن أمثلة ذلك ما حدث من تخصيص ألفاظ (المؤمن و المسلم و الصلاة والحج) – بعد الإسلام – فقد كانت من قبل تستعمل في معان عامة ثم خصصت تبعا لما جاء به الإسلام من مبادئ وعبادات .

2 / 2 – **توسيع المعنى**، ويقع توسيع المعنى أو تعميمه عندما يحدث الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام ، ويعني ذلك أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل، ومن أمثلة ذلك ألفاظ (الورد والرائد والنجعة) فهذه الألفاظ كانت تستعمل في معان خاصة ثم تطورت

---

[1] – المرجع السابق ، ص 243 – 250 ، و إبراهيم أنيس دلالة الألفاظ ص 152– 160 ، ود. عبد الغفار حامد هلال ، علم الدلالة اللغوية، جامعة الأزهر، بدون تاريخ ، ص 55 – 56 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

إلى الشمول فالورد كان يستعمل قديما لإتيان الماء ثم أصبح إتيان كل شـــيء وردا، والرائد كان خاصا بطالب الكلأ ثم عمم ليدل على طالب أي شيء مطلقا ، والنجعـــة كان خاصا بطلب الكلأ ومساقط الغيث ثم عمم ليصبح معناه طلب أي شيء .

2 / 3 – **نقل المعنى** ، وهو يعد أهم أشكال تغير المعنى لتنوعه ولاشـــتماله علـــى أنواع المجازات القائمة على التخيلات ، فانتقال المعنـــى يتـــضمن طرائـــف شـــتى كالاستعارة وإطلاق البعض على الكل والمجاز المرسل بوجه عـــام ومثالـــه كلمـــة " السفرة " التي كانت تعني الطعام الذي يصنع للمسافر لتنتقل إلى المائدة وما عليهـــا من الطعام، و" طول اليد" التي كانت كناية عن السخاء لتصبح صفة للسارق ، كمـــا نجد من أشكال انتقال المعنى" انحطاط المعنى أو ابتذاله " وعكسه " رقـــي المعنـــى" وذلك في مثل كلمة "رسول" التي كانت مرتبطة بمعنى الشخص الذي يرســـل فـــي مهمة ثم صار لها هذه الدلالة السامية التي نعرفها الآن ...الخ

ج – صنع الألفاظ واختلاقها :

وكما يحدث التطور اللغوي في أصوات اللغة وفي دلالات ألفاظهـــا فـــإن التطور اللغوي يشمل أيضا صنع الألفاظ واختلاقها ، ولقد حدث هذا الخلق و الإبداع في اللغة ولاسيما تراثها الأدبي وعلى رأسه الشعر، فقد كانت قبائـــل العـــرب ذات عصبيات كثيرة ومفاخر وأمجاد فحاولت كل منها أن تظهر أعظم من الأخرى ولذلك اخترعت بعضها القصائد ونسبتها إلى أجدادها الأوائل تحقيقا لما تهدف إليه ، يقـــول ابن سلام : " فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكـــان قـــوم قلـــت وقـــائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسنة شـــعرائهم ، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة و لا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بهم أن يقـــول الرجـــل من أهل البادية من ولد الشعراء – أو الرجل ليس من ولدهم – فيشكل ذلك بعـــض الإشكال " . ([1])

ولا ريب أن اللغة بألفاظها تعتمد على التراث الأدبي وبخاصة الشعر الـــذي

– ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج1 ، ص 46 – 47 ، و الـــسيوطي ، المزهـــر ، ج1 ، ص 174 – 175 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

كان يحتل الصدارة في البيئة العربية ، ويسري على الألسنة في جميع الأصقاع ، فتنشر لذلك الألفاظ ولو كانت في أبيات مصنوعة . وقد قال الخليل : " إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت " . ([1])

ولقد أورد السيوطي أمثلة كثيرة لكلمات مصنوعة في أبواب متعددة من مزهره . ([2])

كانت هذه أهم الأسباب التي تؤدي إلى تطور اللغة – أية لغة كانت – لأن اللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال ، وبالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئا في بعض الأحيان ، فإن الأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغير والتطور، ولكن سرعة الحركة و التغير هي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة .

ويوضح أولمان متفقا في ذلك مع رأي غيره من اللغويين المحدثين كيفية التغير في اللغة بأنه يقع على مرحلتين : الأولى هي مرحلة التغير نفسه ، وما يطلق عليه " الابتداع و التجديد " ويحدث هذا في الكلام الفعلي ، وقد يقوم به فرد من الأفراد بإدخال عناصر جديدة في استعمال اللغة ، و الثانية هي مرحلة " انتشار التغير" بأن تتداوله الجماعة فيما بينها ، وإذا حدث ذلك أصبح التغير عنصرا من عناصر نظام اللغة مادام قد سمح له بالاستعمال العام بين الناطقين بها ، فالتغير يبدأ أولا فرديا بما يدخله فرد أو أفراد على نظام اللغة من استعمالات جديدة مما ينظر إليه أولا على أنه مخالفة لما عليه الجماعة ، فإذا قدر لهذه المخالفات أن تلق قبولا من غيرهم فإنها تأخذ الطابع الاجتماعي العام و تصبح القاعدة التي يتبعها كل الناطقين باللغة . ([3])

وقد استطاعت العربية بمرونة فائقة أن تتحاشى أزمة موقفها بين القديم الأصيل والمحدث الطارئ ، بتطويع دلالات الألفاظ و التوسع في المجاز لكي تؤدي المعاني الجديدة التي لم يكن للعرب عهد بها من قبل ، وكانت تجربتها التي أثرتها

---

1 – الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرحمن 100 – 175 هـ) ، كتاب العين ، ج1 ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال ص 53 ، والسيوطي، المزهر، ج1، ص 171

2 – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 177 – 178 – 179 – 182 .

3 – أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص 179.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

بالمصطلحات والألفاظ الإسلامية من عصر المبعث إلى عصر الفتوح قد نجحت تماما في هذا التطويع للغة الجاهليين دون أن تجد مشقة أو عسرا لتكون لغة الأمة الإسلامية فكان مما جاء به الإسلام ذكر المؤمن و المسلم و الكافر والمنافق، وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان و الإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا، وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء ، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء و الستر ..." . ([1])

والقرآن الكريم قد تكفل بالقدر الأكبر من تطويع ألفاظ العربية للدلالات الإسلامية ، فسار المسلمون في العهد الأول فوضعوا مصطلحات علوم السنة و الحديث و الفقه و الأصول و المذاهب و النظم الإسلامية ، كما طوعوا ألفاظ الفصحى الجاهلية للدلالات الاصطلاحية التي احتاجت إليها علوم النحو و اللغة و العروض وسائر علوم العربية " فلغة القرآن الكريم تمثل ،المظلة اللغوية التي تنتظم أصول العربية وثوابتها في الماضي و الحاضر والمستقبل " . ([2])

لكن يبقى التاريخ اللغوي من الأمور الغامضة ذلك أن الباحث لا يهتدي إلى المراحل التطورية في هذا التاريخ الطويل ، وربما انقطعت عنه حلقات طويلة وضاع أثرها ، وبهذا فليس من الممكن رسم تاريخ محكم الحلقات لهذه اللغة ، فلقد ضاع من أصولها شيء كبير كما يقول أبو عمرو بن العلاء : " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير " . ([3])

إن أول تجربة مرت بها هذه اللغة كانت وهي تواجه الإسلام فتنتقل إلى لغة حضارة جديدة اتسمت شيئا فشيئا بمبدأ " العالمية " ثم أتيح لهذه اللغة أن تواجه الحضارات طوال العصور الإسلامية المتعاقبة ، غير أن من أعظم التجارب التي كان لها الأثر العظيم هي التجربة الحديثة التي تواجهها لغتنا المعاصرة .

قد نقول إن أصالة العربية وما أفادته من التجارب الكثيرة تجعل منها أداة

---

[1] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 295 ، وابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص 45 .

[2] – د. كما بشر ، اللغة العربية بين الوهم و سوء الفهم ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة 1999م ، ص 72 .

[3] – ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 386 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

تملك من أساليب الوقاية ما تستطيع بها أن تواجه هذا المد الزاخر من الروافد الحضارية المعاصرة ، إلا أننا مضطرون إلى الأخذ بالجديد لأن لغتنا الحديثة – كسائر اللغات الأخرى – تزخر بالجديد المستعار من الأساليب من اللغات الأخرى وبين حقبة صغيرة وأخرى يندس شيء من هذا الجديد في هذه اللغة العربية المعاصرة ويصير شيئا من لوازمها ومن ذلك استعارة بعض الصفات وإلصاقها بغير موصوفاتها مثل : " مشروع شجاع " " ميزانية متواضعة " ، " معاهد فقيرة " " أفكار جريئة " حيث لم يكن شيء من هذه النعوت قد عرفته العربية الفصيحة فيما خلا هذا العصر من الحقب الخوالي ولكن هذه التعابير من الجديد الذي عرفته اللغة المعاصرة ، فما كان للعربية أن تعرف الشجاع إلا وصفا لبني الإنسان ، وما كان لها أن تطلق الجريء إلا صفة لفلان أو فلان من خلق الله ممن عرفوا بالجرأة ،ومثل هذا يقال في " المتواضع " و " الفقير" فكلها من صفات العاقل وانتقالها إلى وصف ما لا يعقل من لوازم حياتنا المعاصرة . ([1])

وعلماء اللغة المحدثون قد رأوا أن الحضارة الجديدة لابد لها من أدوات لغوية تترجم عنها ترجمة صادقة لأن التحديد الزمني وإن أفاد اللغة من ناحية – ومنع الذين عاشوا بعد هذا الزمن من أن يسرفوا في تطوير اللغة – قد أضر باللغة من ناحية أخرى ، فقد ترتب عليه أن وجدنا في كل عصور اللغة قوما من المتشددين الذين أرادوا لنا أن نقف باللغة عندما وقف أجدادنا القدماء ، لا نتعداه ولا نجاوزه. " فالآن يجمل بنا أن نساعد قوى هذه اللغة على أن تتطور التطور الأوفى ، وأن نجعلها أكثر لينا وطواعية لتواتي مقتضيات الحضارة العلمية والأدبية و العمرانية اليوم و غدا ، فتكون أكثر صلاحية للتعبير وأشد عضدا لمواجهة الزمن القريب و البعيد وفي سبيل هذا الهدف الأسمى يجب أن نعتبر اللغة كائنا حيا ينمو ويتطور لا كائنا أثريا في ذاته وفي احتفاظه بحالته ". ([2]) فـ " ليس فساد اللغة ولا ضعفها إلا أن تتحجر في مكانها فلا تملك أن تبين عما تجيش به الحياة العقلية و الاجتماعية على مر الزمن من أفكار وأحداث " . ([3])

ثم إن العربية الموسومة بـ " العربية المعاصرة " أو " عربية العصر" هي العربية الممتدة عبر تاريخها الطويل في حبل موصول غير مقنع ، فهي العربية

---

[1] – د. إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 6 – 8 .

[2] – محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ، ط1 ، المطبعة النموذجية ، 1956 ، ص 9 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 34 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفصيحة وإن بدت في ثوب جديد له مذاق العصر وخصائص أحداثه لهذا فإنه عند الإشارة إلى العصور المختلفة للعربية لبيان تلون أكسيتها بألوان هذه العصور، وملاءمة كل كساء لمناخ كل عصر ، يجب وصف العصور لا اللغة ، فنقول مثلا : " العربية في العصر الجاهلي " و" العربية في صدر الإسلام " ثم في النهاية " العربية في العصر الحاضر " لأن العصور هي التي خضعت وتخضع تاريخيا للتصنيف من حيث بداياتها ونهاياتها ، في حين أن اللغة وطبيعتها لا تخضع لهذا التصنيف ، فهي كأمواج البحر تراها متحركة متتابعة، ولكنك لا تدرك بداياتها ونهاياتها بحال . ([1])

" إن الاختلافات في الثروة اللفظية – كمية وتنوعا – وإن الفوارق الملحوظة في دلالات بعضها، ما هي إلا ألوان من الطلاء تتعاور جسم البناء وفقا للجو الثقافي والاجتماعي المتغير بتغير الزمن وأحداثه و لا تستطيع بحال أن تتخلخل قوام هذا البناء أو تحيله إلى بناء مختلف" . ([2])

وربما يخيّل لبعضهم أن هناك اختلافات في الأنماط التركيبية (النحوية) تسوغ القول بمصداقية الفصل بين الفترات وهذا غير صحيح ، إن هذه الاختلافات (ونحن لا ننكر وجودها) تخضع في جملتها لقواعد النظم في العربية إنها (كما هو معروف) قواعد تتسم بالمرونة تسمح باختلاف الأساليب من تقديم وتأخير وتضمين واعتراض وحذف وحشو لبعض العناصر أحيانا " كما تسمح بالتبادل بين الأدوات و التعاور بين عناصر الجمل ، ولكن هناك الإعراب (صمام الأمان) الذي يضبط هذه التنوعات التركيبية ويحيل كلا منها بناء متكاملا ذا حدود واضحة مقبولة مبنى ومعنى بحسب قواعد العربية ذات المرونة الواضحة في هذا المجال بالذات " . ([3])

فما معيار الصواب و الخطأ في مستوى العربية الفصحى المعاصرة ؟ أكل ما خطأه علماء العربية والمصححون اللغويون يعد خطأ فيه ؟

الجواب : إن قدرا مشتركا مما يعده القدماء خطأ هو خطأ كذلك في العربية المعاصرة ، وإنما قلنا " قدرا مشتركا " لأن كثيرا مما هو خطأ عند القدماء لا يعد خطأ عند مستعملي الفصحى المعاصرة البتة ، و في هذا المستوى قدر غير قليل من الظواهر اللغوية الجديدة التي لم يعترض لها القدماء بشيء لأنها لم تكن شائعة أيام

---

[1] – د. كمال بشر ، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم ، ص 58 – 59 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 64 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 70 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

عصر الاحتجاج باللغة . ([1]) والعربية المعاصرة هي فصحى العصر الذي نعيش فيه، فهي السجل المكتوب لثقافة العصر ، و صلة العربية المعاصرة بالفصحى المثالية كصلة الابن بأبيه ، يحمل الابن صفات وراثية وثقافية عن الأب ويختلف عنه في أنه يعيش في زمن غير زمن أبيه ، واختلاف الزمن يحمل في طياته اختلافا في الرؤية والتفكير في أمور الثقافة جميعا . ([2])

فكيف نوفق بين الفصحى الملتزمة بمقاييس زمنية ومكانية محددة وبين الفصحى المتجددة الخاضعة لروح العصر ومقتضياته ؟

لا يجوز أن تبقى اللغة العربية أسيرة الزمان و المكان المحددين لأن الحركة الاجتماعية مستمرة إلى الأمام ولها ظروفها وأحكامها الخاصة المعبرة عن واقعها الجديد، وإن وضع النحاة القدامى قوانين اللغة العربية الفصحى في قوالب حالت دون تطورها فلا يمكنهم وضع المجتمع العربي في مثل هذه القوالب ، ولذا فإنه لابد أن تواكب اللغة العربية الفصحى مسيرة التطور الاجتماعي الدائبة ، وإلا نكون قد حكمنا على الفصحى بالتخلف و أفسحنا المجال واسعا للغات الأجنبية و اللهجات المحلية أن تصبح لغة العصر الحديث ، فلابد أن نطور لغتنا ونحدثها وفق القواعد السليمة وبتنشيط المجامع اللغوية التي تنشط بدورها العمل المعجمي الحديث الذي يتناول قضية التعريب و المولد و الدخيل بمنظار علمي دقيق يلائم الخاصة و العامة في الشعب العربي من محيطه إلى خليجه . ([3]) ومن حقنا أن نقيس كما قاس القدماء وأن نشتق ونصرف كما اشتقوا وصرفوا . ([4]) فاللغة العربية هي مجرد لسان يتصرف فيه أهله في ضوء ظروفهم وحاجاتهم .

يقول مراد كامل : " نحن ننافق اللغة ونخدعها عن نفسها حين نخلع عليها قداسة زائفة تجمد بها عن التطور وتعوقها عن الانطلاق " . ([5]) " فليس ثمة كمال مطلق في عالم اللغات ولا تقديس لعصر بعينه وكل ما في الأمر رقي وكمال نسبي، وأكمل اللغات وأمثلها ما حاكى العصر وتلاقي في يسر مع حاجات المجتمع العلمية و العملية " . ([6])

---

[1] – د. عباس السوسوة ، العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية ، ص 13 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 14 .

[3] – ماجد الصايغ ، الأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية ، ص 21 .

[4] – إبراهيم مدكور ، في اللغة و الأدب ، دار المعارف بمصر ، القاهرة، ج م ع، 1971م ، ص 13 .

[5] – مراد كامل ، مقدمة كتاب اللغة كائن حي ، ص 15. نقلا عن " الأخطاء الشائعة " ، ص 18

[6] – د. إبراهيم مدكور ، في اللغة و الأدب ، ص 29 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فليس في قدرة الأفراد أن يوقفوا تطور لغة ما أو يجعلوها تجمد على وضع خاص أو يسيروا بها في سبيل غير السبيل التي رسمتها لها سنن التطور الطبيعي ، فمهما أجادوا في وضع معجماتها وتحديد ألفاظها ومدلولاتها وضبط أصواتها وقواعدها ، ومهما أجهدوا أنفسهم في إتقان تعليمها للأطفال قراءة وكتابة ونطقا ، وفي وضع طرق ثابتة سليمة يسير عليها المعلمون بهذا الصدد ، ومهما بذلوا من قوة في محاربة ما يطرأ عليها من لحن وخطأ وتحريف ، فإنها لا تلبث أن تحطم هذه الأغلال وتفلت من هذه القيود وتسير في السبيل التي تريدها على السير فيها سنن التطور. ([1]) فاللغة كانت تتطور في ألسنة الأجيال المتعاقبة وقد أدرك العلماء ذلك بحسهم اللغوي وكان عليهم أن يدرسوه ويبينوا الخصائص المميزة لكل جيل ، ويرصدوا تحركات التطور المتعاقبة حتى نحسن استغلالها في خدمة الفصحى فتقوم دراسة اللغة على أساس فهم ماهية اللغة ، ونستقي عناصر دراستها وفهمها من طبيعة نفسها غير واقفين في وجه سننها ، فلو أنهم رصدوا حركات التطور لأفادوا اللغة التي حاولوا المحافظة عليها ، بالإضافة إلى أنهم كانوا ربما اهتدوا إلى معرفة قوانين التطور وإلى تسخيرها لمصلحة اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وبذلك يكون علاجهم لها علاجا مبينا على أسس علمية .

د – مقاييس الصواب اللغوي عند المحدثين :

ويكون الصواب اللغوي عند المحدثين من خلال مجموعة أسس متكاملة متعاونة يتحقق للمتكلم بالتوافق معها صحة نطقه ، كما أن مخالفتها جميعا كمخالفة أحدها على انفراد، كلاهما يؤدي إلى خروج الكلام عن مستوى الصحة ويؤدي إلى وصفه بالخطأ، والمستوى الصوابي في عبارة واحدة هو (مراعاة العرف اللغوي المقتصر على بيئة خاصة في زمن خاص مع اعتبار التطور في اللغة ، يتوافق معه نشاط المتكلم ويلاحظه الباحث بهذه الصفات) تلك هي النظرة الحديثة وأسسها إجمالا ، على أن كلا من هذه الأسس ليس له استقلال منفرد ، وأنه يؤدي دوره باعتباره عنصرا من جهاز متكامل . ([2])

ونبدأ هذه الأسباب :

---

[1] – علي عبد الواحد وافي ، اللغة و المجتمع ، ص 78 .

[2] – د. عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات، ص 11 – 12.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

1 – مراعاة المستوى الاجتماعي لاستعمال اللغة :

إن دراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية وعنصرا أو مكونا من مكونات الثقافة، قد حظيت بنوع من الاستقلال ونوع من الاهتمام الخاص وأصبح لها علم معترف به تشيع الإشارة إليه بمصطلح " علم اللغة الاجتماعي Socio - linguistique " ، ويعني" ذلك العلم الذي يدرس اللغة في علاقاتها بالمجتمع ، إنه ينتظم كل جوانب بنية اللغة وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية " . ([1])

ففي كل مجتمع من المجتمعات – مهما كان صغيرا – توجد مجموعة من المظاهر الاجتماعية التي تسود بين أعضائه حيث ينظر إليها على أنها مجموعة من الأصول السلوكية التي ينبغي مراعاتها كما ارتضاها المجتمع، وذلك كالعادات والتقاليد والملابس ... واللغة ، وهذه المظاهر العرفية ليست من صنع أحد من أفراد الجماعة، وإنما هي ميراث من العادات العرفية التي تكونت على مر السنين ، وارتضى أفراد المجتمع عامة الخضوع لها و مراعاتها، ولكي يعيش الفرد متوافقا مع مجتمعه يجب أن ينسجم سلوكه مع المظاهر الاجتماعية العرفية . ([2])

يقول جسبرسن : " إن وجود قواعد تحكم السلوك الاجتماعي الإنساني من الأمور المسلم بها ، وتبعا للظروف الاجتماعية المختلفة يختلف سلوكنا الاجتماعي... والقاعدة السلوكية هي الحكم بقبول سلوك معين أو رفضه تبعا لما يقتضي به العرف الاجتماعي" . ([3])

وهذا المظهر الاجتماعي الهام – استعمال اللغة – يصدق عليه ما يصدق على المظاهر الاجتماعية الأخرى من خضوعه للعرف الاجتماعي العام الذي يفرض عليه قواعد السلوك الخاصة به، كما يفرضها على غيره من أنواع السلوك المختلفة التي تسود المجتمع، فمراعاة العرف الاجتماعي تشمل اللغة كما تشمل غيرها من أنواع السلوك الأخرى والمتكلم يستعمل لغة المجتمع الذي نشأ فيه، ويتطابق معها تلقائيا دون تفكير في ذلك كشأنه في كل الأمور العرفية الأخرى.

---

[1] – د. كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي ،مدخل ، ص 41 .

[2] – د. عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى واللهجات، ص 14 – 15.

[3] – أوتوجسبرسن ، اللغة بين الفرد و المجتمع ، ترجمة عبد الرحمن أيوب القاهرة ، 1954 ،ص 133 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

2 – مطابقة العرف اللغوي لنظام صحة اللغة :

والمقصود بعرف اللغة نظامها أصواتا وصيغا ومفردات وتراكيب حسب أصول استعمالية خاصة بالمستوى الاجتماعي الذي يتداولها فيه أفراده ، إذ يجيدها هؤلاء الأفراد بالمشاركة و المران ، والصلة بين العرف الاجتماعي و العرف اللغوي أن مراعاة المتكلم لكلا الأمرين – الاجتماعي واللغوي – يحقق لكلامه المستوى المطلوب للقبول ، أما إذا راعى العرف الاجتماعي دون اللغوي فإنه حينئذ يقع في الخطأ ، وإذا حدث العكس أي مراعاة العرف اللغوي وحده مع إغفال العرف الاجتماعي فإن كلامه يكون صحيحا من الناحية اللغوية لكنه في الوقت نفسه لا يحقق المستوى المطلوب لقبوله ، وحينئذ يتعرض كلامه لرد فعل اجتماعي عنيف قوامه السخرية به أو رفضه . ([1])

يقول مايبه : " في كل وسط اجتماعي متجانس السكان نجد عادة أن للغة شيئا من الوحدة ، بل إنه لشرط أساسي لوجود اللغة أن يحرص من يتكلمونها على استخدام نفس الوسائل للتعبير، وهذا ما يدركه أفراد كل جماعة محددة ، فالخروج عن جادة اللغة يثير من يسمعونها ويعرض الخارج إلى السخرية على الأقل " . ([2])

ويقول جسبرس : " كل شخص يحاول المحافظة على ما ثبت واستقر وتعورف عليه، فإذا خرج عن ذلك فالنتيجة أن كلامه لا يؤدي فكرته مطلقا أو يؤدي ذلك إلى إساءة فهم، لكن الغالب أن يفهم كلامه بصعوبة إذ يحس سامعوه بشذوذ في اختيار الكلمات أو التعبيرات أو النطق". ([3])

ويقول بلومفيلد: " الجماعة التي تستعمل نظام الكلام بطريقة موحدة تكون جماعة لغوية واحدة ، ومن الواضح أن قيمة اللغة تعتمد على من يستعملونها بنفس الطريقة وكل فرد في هذه الجماعة ينبغي أن يعبر عن كل مناسبة بالكلام المضبوط، وكما يقوم بالاستجابة الصحيحة حيث يسمع أحد أفراد هذه الجماعة ينطق نفس اللغة يجب إذن أن يتحدث بوضوح وأن يفهم أيضا ما يقوله الآخرون" . ([4])

---

[1] – د. عبد الغفار هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 19 .

[2] – لانسون مايبه ، منهج البحث في الأدب و اللغة ، نقله إلى العربية الدكتور محمد مندور ، الناشر دار العلم للملايين ، بيروت 1946 ، ص 81 .

[3] - O . Jespersen , language its nature development and origin , p 282 .

[4] - L . Bloomfield , language, p 29 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ويقول فندريس: " كأن هناك عقدا ضمنيا أقامته الطبيعة بين أفراد الجماعة الواحدة ليحافظوا على اللغة في الصورة التي توجهها القاعدة ، وكثيرا ما ترجع هذه القاعدة إلى الاستعمال ، ولكن الاستعمال غير التحكم بل هو ضده على خط مستقيم لأن الاستعمال خاضع لمصلحة الجماعة ، وهي هنا حاجتها إلى أن تكون مفهومة " . ([1])

فما أطلق عليه العرب قديما لفظة " السماع " وأسماه فندريس " قواعد الاستعمال" التي ترجع لمصلحة الجماعة وهي حاجتها إلى أن تكون مفهومة هو نفسه " العرف اللغوي" الذي يرجع إليه الحكم بقبول اللغة أو رفضها ، لذلك ينبغي أن تكون القواعد والمعايير متفقة مع استعمال اللغو وتطورها، وألا تتسم بالتحكم و الجمود، وأن يؤخذ في اعتبار جهات الاختصاص طبيعة اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية تخضع للعرف الاجتماعي العام والعرف اللغوي الخاص.

3 – الاقتصار في اللغة على زمن خاص وبيئة خاصة :

ويراعي الناطق باللغة في نطقه عرف البيئة التي ينتسب إليها فبيئة الفصحى مثلا تختلف عن بيئة اللهجات ، فالبيئة الخاصة تحدد المستوى الصوابي لمن يستعمل اللغة ، ولهذا قال الكسائي : حلفت ألا أكلم عاميا إلا بما يوافقه ويشبه كلامه وقفت على نجار فقلت له " بكم هذان البابان " فقال : بسلحتان . ([2])

يقول فيرث : إن كلام الجماعة المتزامنة لغويا يعتبر شيئا مختلفا عن كلام أولئك الذين لا ينتسبون لنفس الجماعة وإن هذا الكلام كما يعد رابطة بينهم ، هو في الوقت نفسه حد مميز يخرج غيرهم منهم . ([3])

أما اقتصار المستوى الصوابي على زمن خاص فهو ما يتفق في استعمال اللغة مع الواقع الشاهد ، فالمرء ينطق اللغة على حسب نظامها الذي وجدها به في عصره ، إذ تتغير اللغة من عصر إلى عصر ، وقد يكون هذا التغير بطيئا لا يظهر إلا بعد مرور جيل أو أجيال ، ولكنه تغير يحدث فعلا ولا ينفيه بطء حدوثه ،

---

[1] – فندريس ، اللغة ، ص 304 .

[2] – ياقوت ، معجم الأدباء ، المجلد السابع ، ج13 ، ص 197 .

[3] - J . R . Firth , papers in linguistics p 186 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والأفراد يكتسبون اللغة من بيئتهم وفي عصرهم الذي عاشوا فيه ، وبناء على ذلك يراعون اللغة كما تنطق في عصرهم لا كما تنطق في عصور سبقت – ولا كما ينبغي أن تنطق وفق نموذج مثالي لعصر ذهبي غيبته الأيام .

وقد أشار ابن رشيق لهذا المعنى بقوله : " قد تختلف المقامات والأزمنة و البلاد – فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر – ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عن أهل غيره ، ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجد فيه وكثر استعماله عند أهله ، بعد ألا تخرج من حسن الاستواء وحد الاعتدال وجودة الصنعة " . ([1])

4 – اعتبار التطور في اللغة :

واللغة – أية لغة – في حركة دائمة ، ويؤدي ذلك إلى التغير في مختلف مظاهرها أصواتا وصيغا ومفردات وتراكيب . والتطور في اللغة يعود إلى طبيعتها الاجتماعية إذ هو سمة من سمات الظاهرات الاجتماعية المختلفة ، فهي في اندفاع مستمر لا يد لأحد على إيقافه ووضع القيود والمعايير في طريقه ، كما أنه لا قدرة لأحد على مخالفته أو الخروج عن مقتضى التوافق معه .

يقول أولمان : اللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال ، و بالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئا في بعض الأحيان ، فإن الأصوات و التراكيب و العناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغيير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغير هي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة . ويوضح أولمان ([2]) متفقا في ذلك مع رأي غيره من اللغويين المحدثين كيفية التغير في اللغة بأنه يقع على مرحلتين : الأولى هي مرحلة التغير نفسه وما يطلق عليه " الابتداع و التجديد" ويحدث هذا في الكلام الفعلي ، وقد يقوم به فرد من الأفراد بإدخال عناصر جديدة في استعمال اللغة ، و الثانية هي مرحلة " انتشار التغير" بأن تتداوله الجماعة فيما بينها ، وإذا حدث ذلك أصبح التغير عنصرا من عناصر نظام اللغة مادام قد سمح له بالاستعمال العام بين الناطقين بها ،

---

[1] – ابن رشيق ، العمدة ، ج1 ، ص 162 – 163 .

[2] – أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص 178 – 179 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فالتغير يبدأ أولا فرديا بما يدخله فرد أو أفراد على نظام اللغة من استعمالات جديدة، مما ينظر إليه أولا على أنه مخالفة لما عليه الجماعة ، فإذا قدر لهذه المخالفات أن تلقى قبولا من غيرهم، فإنها تأخذ الطابع الاجتماعي وتصبح القاعدة التي يتبعها كل الناطقين باللغة .

5 – المستوى اللغوي نشاط للمتكلم يصفه الباحث :

والمستوى الصوابي ينسب إلى مستعمل اللغة ، فهو معيار اجتماعي تراعى مطابقته من الناطق لا من الدارس ، وهو مما تتصف به اللغة لا قواعد اللغة شأنه في ذلك شأن الأمور الاجتماعية كلها .

والمستوى الصوابي بالنسبة لمتكلم اللغة لا ينطبق على ما يسميه اللغويون المحدثون " الصوغ القياسي " لأن الصوغ القياسي يراعى فيه العرف اللغوي الخاص بمعنى : مراعاة القواعد العامة المشهورة في صياغة الكلام والعبارات على حسب نظام اللغة المستعملة في الأصوات و الصيغ و المفردات وتأليف الكلام، أما المستوى الصوابي فلابد لتحققه من مراعاة أسس أخرى مع ذلك أهمها – كما سبق – العرف الاجتماعي والبيئة والعصر واعتبار التطور في اللغة . أما الباحث في اللغة فينبغي أن يقتصر عمله على الملاحظة و الوصف فمكانه الصحيح وراء النشاط اللغوي لاستقرائه وملاحظته وتصنيفه ، وليس من حقه أن يضع نفسه أمام هذا النشاط لتوجيهه، وليس من حقه أيضا أن يتخذ من ملاحظاته وقواعده التي حصل عليها من وصف النشاط اللغوي في فترة خاصة ، قوة يفرضها على فترة أخرى بالتحكم و المصادرة .

يقول تمام حسان عن موقف المتكلم والباحث من اللغة : " اللغة بالنسبة للمتكلم معايير تراعى، وبالنسبة للباحث ظواهر تلاحظ ، وهي بالنسبة للمتكلم ميدان حركة وبالنسبة للباحث موضوع دراسة ، وهي بالنسبة للمتكلم وسيلة حياة في المجتمع وبالنسبة للباحث وسيلة كشف عن المجتمع ، المتكلم يشغل نفسه بواسطتها و الباحث يشغل نفسه بها ، ويحسن المتكلم إذا أحسن القياس على معاييرها ، ويحسن الباحث إذا أحسن وصف نماذجها " . ([1])

[1] – د. تمام حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، عالم الكتب ، القاهرة 1421 هـ / 2001 م ، ص 13 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفصل الثالث

طرق حفظ اللغة نطقا وكتابة

أ - وضع النحو العربي .

ب - تشريع القياس .

ج - محاربة التصحيف و التحريف .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أ – وضع النحو العربي :

وقد اهتم علماء العربية في حفاظهم على السلامة اللغوي بجانبي الاستعمال اللغوي معا ، فلم يهتموا بالنطق السليم وحده ، ولم يحصروا عنايتهم في تقويم الاستعمال المكتوب فقط ، وإنما وزعوا اهتمامهم في الحفاظ على سلامة اللغة نطقا وكتابة ، وهذا ما يتجلى في جهودهم التي شملت مناحي عديدة نبدأها بوضعهم لـ " النحو" ، وأهمية هذا الوضع في حفظ السلامة اللغوية .

أ / 1 – الفرق بين النحو والإعراب :

- **معنى كلمة " نحو " :**

لعل خير تعريف للنحو ما أورده ابن جني في كتابه " الخصائص" إذ يقول: النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن منهم ، وإن شد بعضهم عنها رد به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحوا كقولك قصدت قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم" . ([1])

وعبر عنه ابن عصفور (ت 696 هـ) بقوله : " النحو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي تأتلف منها" . ([2])

" فإن قال قائل : **فما الفائدة في تعلم النحو وأكثر الناس يتكلمون بغير إعراب ولا معرفة منهم به، فيفهمون ويفهمون غيرهم مثل ذلك ؟**

فالجواب أن يقال له: الفائدة فيه الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابا غير مبدل ولا مغير، وتقويم كتاب الله (ﷻ) الذي هو أصل الدين

---

[1] – ابن جني، الخصائص ، الجزء الأول ، ص 34 .

[2] – ابن عصفور (أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور الحضرمي الاشبيلي المتوفى سنة 669 هـ) المقرَّب ومعه مُثُل المقرِّب ، تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض، الطبعة الأولى ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1418 هـ – 1998 م ، ص 67 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي (ﷺ) وإقامة معانيها على الحقيقة، لأنه لا تفهم معانيها على صحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب : " فأدب العرب وديوانها هو الشعر، ولن يمكن أحد من المولدين إقامته إلا بمعرفة النحو" . " فأما من تكلم من العامة بالعربية بغير إعراب فيفهم عنه، فإنما ذلك في المتعارف المشهور والمستعمل المألوف بالدراسة، ولو التجأ أحدهم إلى الإيضاح عن معنى ملتبس بغيره من غير فهمه بالإعراب لم يمكنه ذلك" . ([1])

- **فما هو الإعراب ؟**

- **الإعراب :**

" اعلم أن الإعراب في اللغة هو البيان ، يقال أعرب عن حاجته إذا أبان عنها ، ومنه قوله (ﷺ) : " الثيب تعرب عن نفسها " وهو مشتق من لفظ العرب ومعناه لما يعزى إليهم من الفصاحة يقال : " أعرب وتعرب إذا تخلق بخلق العرب في البيان و الفصاحة كما يقال : تمعدد إذا تكلم بكلام (معد) " .([2])

وقال ابن جني : " وأما لفظه فإنه مصدر أعربت عن الشيء إذا أوضحت عنه .." ([3]) هذا عن الإعراب لغة ، أما اصطلاحا : فالإعراب من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب ، والذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت ولا تعجب من استفهام ... ([4]) فبه تُميّزُ المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين وذلك أن قائلا لو قال : " ما أحسنْ زيدْ " غير معرب أو " ضرب عمرْ زيدْ " غير معرب لم يوقف على مراده فإذا قال : "ما أحسن زيدا " أو " ما أحسنُ زيد " أو " ما أحسنَ زيدٌ " أبان الإعراب عن المعنى الذي أراده " . ([5])

---

1 – الزجاجي (أبو القاسم المتوفى 337 هـ) ، الإيضاح في علل النحو ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ، الطبعة الرابعة ، دار النفائس ، بيروت 1402 هـ / 1982 م ، ص 95 – 96 .

2 – ابن يعيش (الشيخ العالم العلامة جامع الفوائد موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش النحوي ،المتوفى سنة 643 هـ) ، شرح المفصل، المجلد 1، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، ج1 ، ص 72

3 – ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 36 .

4 – ابن فارس ، الصاحبي ، ص 43 ، و السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 327 – 328 .

5 – المصدر نفسه ، ص 143 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فالإعراب هو الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها، ألا ترى أنك لو قلت : ضرب زيد عمرو بالسكون من غير إعراب لم يعلم الفاعل من المفعول ، ولو اقتصر في البيان على حفظ المرتبة فيعلم الفاعل بتقدمه و المفعول بتأخره ،لضاق المذهب ولم يوجد من الاتساع بالتقديم و التأخير ما يوجد بوجود الإعراب ، ألا ترى أنك تقول : ضرب زيد عمرا ، وأكرم أخاك أبوك ، فيعلم الفاعل برفعه و المفعول بنصبه سواء تقدم أو تأخر " . ([1])

هذه الأمثلة تبين لنا أن الإعراب لا يأتي في الكلم المفردة لأنه يهدف إلى البيان، والبيان لا يحصل إلا بالكلام الذي لا يتم إلا بطرفين : مسند ومسند إليه ، فأنت إذا قلت : " زيد " ولم تخبر عنه بشيء كان بمنزلة صوت تصوته لا يستحق الإعراب ؛ لأن الإعراب إنما أتى به للفرق بين المعاني ، و إذا أخبرت عن الاسم بمعنى من المعاني المفيدة احتيج إلى الإعراب ليدل على ذلك المعنى " . ([2])

وقد اختلط المفهومان اختلاطا بينا في كثير من كتب النحو و اللغة ، حتى إن النحو يسمى إعرابا والإعراب نحوا ، فقد ورد في اللسان عن ابن السكيت " نحا الشيء ينحاه وينحوه إذا حرفه ومنه سمي النحوي لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب " . ([3])

وهناك نص آخر في الوساطة أيضا أكثر إيضاحا في اختلاط مفهومي الإعراب و النحو ، فقد بين الجرجاني أن خصوم المتنبي أحد رجلين : " إما نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر" . ([4]) أو " معنوي مدقق لا علم له بالإعراب ولا اتساع له في اللغة " . ([5]) مما يدل على أن مفهوم الإعراب عنده هو النحو ،ومما يدل على ذلك أيضا ما جاء في المفصل : " ويرون – يقصد الفقهاء– الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيا على علم الإعراب و التفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه و الأخفش و الكسائي والفراء وغيرهم من النحويين البصريين و الكوفيين " . ([6])

---

[1] – ابن يعيش ، شرح المفصل، المجلد1 ، ج1 ، ص 72 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 84 .

[3] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج15 ، ص 361

[4] – الجرجاني (القاضي علي بن عبد العزيز) الوساطة بين المتنبي و خصومه ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ص 434.

[5] – المصدر نفسه ، ص 438.

[6] – ابن يعيش ، شرح المفصل ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص 8 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و السبب في هذا الخلط ربما يرجع إلى أن الإعراب كان سببا في نشأة النحو فسمي باسمه واستأثر الإعراب باهتمامهم وأصبح المحور الذي يدور حوله النحو وغيره من الدراسات اللغوية ، والدليل واضح إذا تتبعنا الروايات المختلفة لنشأة اللحن فهي تختص بضبط آخر حرف من الكلمة وهو الإعراب ومعظم هذه الروايات تختص بعبارة ، فوضع أبو الأسود علم النحو أو فوضع أبو الأسود العربية ، فهذه الظاهرة إذن هي التي دفعت أبا الأسود الدؤلي إلى أن يضع علم النحو.

فالنحو إذن يهتم بمسألة نسج الكلمات في جمل مفيدة " فتأليف الكلمات في كل لغة يجري على نظام خاص بها لا تكون العبارات مفهمة ولا مصورة لما يراد حتى تجري عليه ولا تزيغ عنه " . ([1])

جاء في دلائل الإعجاز " اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها " ، " فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كانا صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ، ووضع في حقه ، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له " ، " فلا معنى للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم " . ([2])

أ / 2 – ظهور مصطلح " النحو " :

وقد تضافرت كتب الأدب و التراجم و الطبقات على أن علم النحو كان يسمى في عصر أبي الأسود الدؤلي باسم " العربية " فقد قال ابن سلام الجمحي في طبقاته: " وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي". ([3]) وقال ابن قتيبة: " أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي". ([4])

---

[1] – إبراهيم مصطفى ، إحياء النحو ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1413 هـ/ 1992م ، ص 2 .

[2] – الجرجاني (الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، المتوفى سنة 471 هـ أو سنة 474 هـ)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، ط3 ، الناشر مطبعة المدني، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1413 هـ/ 1992م، ص81 – 83

[3] – ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، ج1 ، ص 12 .

[4] – ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم 213 هـ / 828 م – 276 هـ / 889 م) المعارف ، حققه وقدم له الدكتور ثروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ج م ع ، ص 434 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وقال ابن حجر العسقلاني:" أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود".([1])
وقال الإمام علي بن أبي طالب لأبي الأسود حينما سأله: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ " سمعت ببلدكم لحنا فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية " . ([2]) وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : " أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب (ﷺ) العربية " . ([3])

وروى محمد بن عمران بن زياد الضبي قال : " حدثني أبو خالد قال : حدثنا أبو بكر بن عباس عن عاصم قال : جاء أبو الأسود الديلمي إلى عبيد الله بن زياد يستأذنه في أن يضع العربية " . ([4]) وروى يحي بن آدم عن أبي بكر بن عباس عن عاصم قال : " أول من وضع العربية أبو الأسود الديلمي " . ([5]) وإنما كان أول عهد الناس بإطلاق المصطلح (نحو) على هذا العلم هو ما جاء على لسان الخليل بن أحمد الفراهيدي حينما قال :

بطل النحو جميعا كله غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر . ([6])

إن مصطلح (النحو) لم يكن معروفا ولا متداولا بين العلماء في زمن أبي الأسود، وإن ما كان معروفا ومتداولا هو مصطلح " العربية " ثم ظهر مصطلح " النحو" لأول مرة على لسان الخليل بن أحمد، ثم أخذ في الذيوع والانتشار على ألسنة العلماء حتى استقر وثبت وأصبح عَلَما على هذا العلم المنوط به ضبط اللغة وصيانتها من اللحن والفساد، أما تسمية هذا العلم بهذا الاسم فلعلها مأخوذة من معنى الكلمة وهو الاتجاه والقصد، والقصد هنا قصد خاص إلى لغة العرب واستعمالها ووظيفة الكلمات فيها، ولعل مما يؤيد ذلك ما روي – من أن علي بن أبي طالب

---

1 – ابن حجر (شهاب الدين الفقيه المحدث أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي المولود سنة 773 هـ، المتوفى سنة 852 هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج2 ، مطبعة مصطفى محمود بمصر 1358 هـ/1939م ، ص 233، وياقوت، معجم الأدباء، المجلد 8، ج16، ص 147.

2 – القفطي ، إنباه الرواة ، ج1 ، ص 4 .

3 – السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، ص 16 .

4 – المصدر نفسه ، ص 17 .

5 – المصدر نفسه ، ص 17 .

6 – المصدر نفسه ، ص 27 ، وابن النديم ، الفهرست، ص 90 ، وياقوت ، معجم الأدباء ، المجلد الثامن ، ج 16 ، ص 147 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

– كرم الله وجهه – عندما عرض على أبي الأسود ما استنبطه من أسس هذا العلم قال له : انْحُ هذا النحوَ . ولما عرض عليه أبو الأسود ما اهتدى إليه قال : ما أحسن هذا النحو الذي نحوت. قالوا : فلذلك سمي النحو نحوا " . ([1])

أ / 3 – وضع النحو العربي :

" لقد كانت اللغة العربية سليمة من الفساد خالصة من الشوب و الإسلام في ريعانه واندفاع موجته ، والعرب في أمر الأدب على إرث من جاهليتهم يأخذون في سمتها ويتجاذبون على مناهجها فيسمرون بالأخبار ويتحملون بالأشعار، لا يرون إلا أن ذلك علم آبائهم وإرث أبنائهم حتى أخذت اللغة تلتوي بعد سلاستها وتمرض بعد سلامتها، ونزلت من بعض الألسنة في موضع نفار ومرمى شراد ، فطار اللحن في جنباتها وخيفت عليها عاقبة الاختبال ، وما يتوقع في تداول النقص من هذا الوبال فتقدم الكفاءة من أهل عصمتها ينهجون إليها السبيل ويقيمون عليها الدليل وكان من ذلك وضع النحو" . ([2])

ويتبين من هذا أن السبب الأساسي في وضع النحو هو ما فشا من لحن عقب الفتوح الإسلامية ، وامتداد آفاق اللغة العربية إلى مجالات لم تتح لها من قبل ، وفساد الألسنة حتى بالنسبة للعرب أنفسهم نتيجة اختلاطهم بالأجانب ، فكان لا مفر من وضع علم النحو. وفي هذا يقول ابن خلدون: " اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها – وهو اللسان – وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول و المجرور ... فصار للحرف في لغاتهم والحركات والهيئات – أي الأوضاع – اعتبار في الدلالة على المقصود ، غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها ، إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول ، كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا ، فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان بأيدي الأمم و الدول ، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين ، والسمع أبو الملكات اللسانية ، ففسدت بما ألقي إليها مما

---

[1] – ابن الأنباري ، نزهة الألبا ، ص 14 – 15 .

[2] – الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص 254 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع ، وخشي أهل العلم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم ، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات و القواعد ، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن الفاعل مرفوع و المفعول منصوب ، و المبتدأ مرفوع ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابا ، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا ، وأمثال ذلك ، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو " . ([1])

وقد نشأت الدراسات اللغوية العربية بعامته نتيجة لاحتياجات عملية تتصل بقراءة القرآن وتفهم أحكامه ثم تعليم اللغة العربية لمن دخل الإسلام من غير العرب " ومن أجل القرآن قام النحو يصحح ويضبط ويقعد ويعلل ليفهم نص وتسلم لغة ويستقيم لسان". ([2]) والنحو الذي كان في بدئه وليد التفكير في القرآن وشيوع اللحن على ألسنة الناس ، قد نشأ في آخر عهد الخلفاء الراشدين ، ولم يكن يومئذ إلا خطرات جزئية وأبوابا معينة معدودة حتى جاء الخليل (100 – 170 هـ) فقامت للنحو مجموعة من الأصول العامة كل أصل منها يضم جملة من المسائل و الجزئيات التي تشترك في الخصائص والصفات. ([3]) وانتهى إلى ما انتهى إليه من مسائل وأبواب وأصول وبعد أن اكتملت القواعد في أيدي النحاة أصبحت في نظرهم معيارا للصواب والخطأ " ومعنى ذلك أن الفصاحة لم تعد المعيار الوحيد للقبول في عرف النحاة كما كانت قبل اكتمال النحو". ([4])

إذن لم يكن ظهور النحو اعتباطا ، فثمة أسباب طبيعية يقبلها العقل وتؤيدها أحداث التاريخ تشير إلى بروز مشكلة ما ، جاء تقنين النحو حلا لها ، وقد انبنى هذا الحل في مرحلة الاستقراء على أخذ عينة متنوعة من لسان العرب وفق منهج مؤطر بمكان وزمان، وكان نتيجة تحليل المادة المستقراة الوصول إلى القانون أو القاعدة " ومن وظائف القاعدة أنها عيار في ميز الصواب من الخطأ ". ([5])

---

[1] – ابن خلدون ، المقدمة ، ص 546 .

[2] – د. سعيد جاسم الزبيدي ، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ، ص 11 .

[3] – مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، مطبعة الزهراء، بغداد 1960 م، ص 251

[4] – تمام حسان، الأصول ، ص 108

[5] – د. حسن خميس الملخ ، التفكير العلمي في النحو العربي ، ص 32 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ومعروف أنه لكي يصاغ علم صياغة دقيقة لابد له من اطـراد قواعـده وأن تقوم على الاستقراء الدقيق وأن يكفل لها التعليل وأن تـصبح كـل قاعـدة أصـلا مضبوطا تقاس عليه الجزئيات قياسا دقيقا. ([1]) وفي هذا يقول الدكتور عبد الـرحمن الحاج صالح في رده على الذين زعموا أن علماء العربية وقفوا موقفا غير علمـي اتجاه اللغة، فقال: " أما أن يقال بأنهم – علماء اللغة – وقفوا من اللغة موقفـا غيـر علمي فلا، لأن العلم لا يتحدد بالغاية التي يرمي إليها أصحابه انتفاعية كانت أم غير انتفاعية ، بل بمقياسين اثنين هما : المشاهدة والاستقراء والاختبـار مـن جهـة ، والصياغة العقلية من جهة أخرى، فكلمـا دقـت منـاهج المـشاهدة والاسـتقراء والصياغة وأفادت معلومات جديدة وكشفت بذلك عن أسرار الظـواهر والأحـداث كانت أحرى بأن توصف بأنها علمية ". ([2])

• من وضعَ النحو العربي ؟

– **أما كيف نشأ النحو العربي ؟ و من أول من ألف فيه ؟ وما الصورة الأولـى التي ظهر فيها هذا النحو قبل أن ينضج على يد الخليل وسيبويه ؟** ... فهذه أسـئلة ما نظن أن في أيدي أحد الإجابة عنها أو الرد عليها بحسم .

يقول السيرافي: " اختلف الناس في أول من رسم النحو ، فقال قائلون : أبـو الأسود الدؤلي، وقال آخرون نصر بن عاصم الليثي ، وقال آخرون : عبد الـرحمن بن هرمز، وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي " . ([3])

وقد انفرد ابن الأنباري والقفطي بنسبة وضع النحو ابتداء إلى الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) حيث يقول ابن الأنباري: " اعلم – أيـدك الله تعـالى – بالتوفيق وأرشدك إلى سواء الطريق – أن أول من وضع علم العربية وأسس قواعده وحد حدوده، أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأخذ عنـه أبـو الأسـود الدؤلي" . ([4])

---

[1] – د. شوقي ضيف ، المدارس النحوية ،ط7 ، دار المعارف ، القاهرة ، ج م ع ، ص 18 .

[2] – عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحديثة في العالم العربي، من كتاب تقدُّم اللسانيات في الأقطار العربية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991م ، ص 374

[3] – السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، ص 15 .

[4] – ابن الأنباري ، نزهة الألبا ، ص 14 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ويقول القفطي : " الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – وأهل مصر قاطبة يرون – بعد النقل والتصحيح – أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي" . ([1])

وقال السيوطي : " اشتهر أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لأبي الأسود" . ([2])

وسئل أبو الأسود الدؤلي : **من أين لك هذا النحو ؟** فقال : لقفت حدوده من علي بن أبي طالب" . ([3]) وقال أبو الطيب اللغوي : " ثم كان أول من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلي: " قالوا : وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، لأنه سمع لحنا فقال لأبي الأسود: اجعل للناس حروفا – وأشار للرفع و النصب و الجر ". ([4])

وقال أبو عبيدة : أخذ النحو عن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) أبو الأسود ، وكان لا يخرج شيئا مما أخذه عن علي كرم الله وجهه إلى أحد حتى بعث إليه زياد أن اعمل شيئا يكون للناس إماما ويعرف به كتاب الله ، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئا يقرأ: " إن الله بريء من المشركين ورسوله" بالكسر فقال : ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا ، فرجع إلى زياد فقال : أنا أفعل ما أمر به الأمير . ([5])

وأغلب الروايات متضافرة على أن واضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي ، سواء كان هو الذي ابتكره من نفسه أم أن الإمام علي بن أبي طالب أرشده إلى الأساس الذي يبني عليه .

ثم اتجه العلماء بعد ذلك إلى تنمية النحو وإكمال أبوابه وتفصيل مسائله ، فنشط فريق منهم لذلك وكان ميدان النشاط و البحث هو بلاد العراق في مدينتي

---

[1] – القفطي ، إنباه الرواة ، ج1 ،ص 4 – 6 .
[2] – السيوطي ، الاقتراح ، ص 115 .
[3] – ابن الأنباري ، نزهة الألبا ، ص 20 .
[4] – أبو الطيب اللغوي ، مراتب النحويين ، ص 20 .
[5] – ابن النديم ، الفهرست ، ص 87 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

البصرة والكوفة، وقد اتجهت كل من المدينتين وجهة خاصة في أساليب البحث النحوي وطرق الاستنباط ، ونشأ عن هذا أن أصبح لكل منهما مذهب خاص ، وتباعدت بينهما مسافة الخلاف في كثير من المسائل . ([1])

وقد ظهرت مؤلفات في مسائل الخلاف بين المدرستين ، فقد ألف ثعلب كتابه " اختلاف النحويين" وألف الرماني: " الخلاف بين النحويين " وكتب ابن فارس كتابه "اختلاف النحويين" وألف ابن كيسان في ما اختلف فيه البصريون والكوفيون، ولكن أهم ما وصلنا من هذه الكتب كتاب : " الإنصاف في مسائل الخلاف " لكمال الدين أبي البركات الأنباري 577 هـ ، وكتاب" مسائل خلافية " لأبي البقاء العكبري 616 هـ . ([2]) يضاف إلى ذلك ما كتب المتأخرون من شروح مثل شرح الكافية للرضي الاستراباذي، وشرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري ، ومؤلفات السيوطي في اللغة والنحو مثل : المزهر في علوم اللغة، والأشباه والنظائر، وهمع الهوامع ، وكذا شروح الألفية وحواشيها . ([3])

و ينبغي أن يستقر في الأذهان أن المدرسة الكوفية لا تباين المدرسة البصرية في الأركان العامة للنحو ، فقد بنت نحوها على ما أحكمته البصرة من تلك الأركان التي ظلت إلى اليوم راسخة في النحو العربي ، غير أنها مع اعتمادها لتلك الأركان استطاعت أن تشق لنفسها مذهبا نحويا جديدا له طوابعه وله أسسه ومبادؤه . ([4])

إذن لقد شيدت البصرة صرح النحو ورفعت أركانه بينما كانت الكوفة مشغولة عن ذلك كله على الأقل حتى منتصف القرن الثاني للهجرة بقراءة الذكر الحكيم ورواية الشعر والأخبار، وكان العلماء يعرفون ذلك معرفة دقيقة فنصوا عليه بعبارات مختلفة من ذلك قول ابن سلام: " وكان لأهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب و الغريب عناية " .([5])

---

[1] – د. عبد العزيز عتيق ، المدخل إلى علم النحو و الصرف ، ص 137 . ود.طلال علامة، تطوّر النحو العربي بين مدرستي البصرة والكوفة، ط1، دار الفكر اللبناني ، بيروت 1993م، ص 43

[2] – د. شرف الدين علي الراجحي ، في اللغة عند الكوفيين ، كلية الآداب، جامعة إسكندرية ، دار المعارف الجامعية 2002 م ، ص 58 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 69 .

[4] – شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص 158 .

[5] – ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، ج1 ، ص 12 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ويصرح ابن النديم في هذا المجال تصريحا أكثر وضوحا إذ يقول في حديثه عن نحاة الكوفة والبصرة " إنما قدمنا البصريين أولا لأن علم العربية عنهم أخذ".([1])

فالبيئات العلمية في البصرة في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني كانت قد شهدت دراسات لغوية ونحوية ناضجة بعض النضج حتى جاء الخليل بن أحمد وطبقته وحملوا عبء هذا العمل ، فإذا بالدراسة النحوية في عهده كانت قد سارت خطوات واسعة إلى التنظيم وإلى الاستقلال ، وأن الدراسة النحوية في الكوفة لم تمر بتلك المراحل التطورية التي مرت بها الدراسة النحوية ؛ لأن البصرة حتى عهد الخليل كانت قد استأثرت بهذا العمل وحدها وتعهدته بالنمو قبل أن يتاح للكوفة أن تشارك فيه، ولأن الدارسين في الكوفة وفيهم الصحابة والتابعون والفقهاء والقراء و المحدثون كانوا قد انصرفوا إلى رواية القراءات و الأحاديث وإلى استخراج الأحكام من نصوص الكتاب والسنة ، وإلى إعمال الرأي في القضايا التي لم يجدوا إلى الإفتاء بها سبيلا بين نصوص القرآن والأحاديث . ([2])

ولم تقتصر الجهود النحوية على كتب النحو العامة التي تهتم بتقديم النظام اللغوي للعربية في أبواب، بل هناك دراسات نحوية نصية كانت تعرض المسائل طبقا لورودها في النص، وهنا نجد مجموعة من كتب الدراسات اللغوية لنصوص القرآن الكريم، وهذه الكتب بدأت في الجيل التالي لسيبويه، وبفضل جهود لغويين مرموقين منهم أبو عبيدة (ت 207 هـ) وكتابه " مجاز القرآن" والأخفش الأوسط (ت 207 هـ) وكتابه " معاني القرآن " والفراء (ت 200 هـ) وكتابه " معاني القرآن " .

وهذه الكتب تضم ملاحظات متنوعة بعضها في موضوعات صرفية وبعضها في قضايا نحوية وبعضها يتناول الدلالة ، واستمر التأليف في هذا الاتجاه في كتب إعراب القرآن التي نجدها لعدد كبير من أعلام الدراسات اللغوية . وهناك دراسات نصية أخرى تناولت مجموعات الشعر القديم مثل المعلقات ،وهذه الكتب الشارحة تضمنت مسائل صرفية ونحوية تجاوزت ما ورد في كتب النحاة لتضم ملاحظات

---

[1] – ابن النديم ، الفهرست ، ص 130 .

[2] – د. ممدوح عبد الرحمن ، العربية والفكر النحوي ، دراسة في تكامل العناصر وشمول النظرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1999 م ، ص 46 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ذات دلالة بالنسبة للغة والشعر، وذلك مثل التقديم و التأخير والحذف ، وأكثر هؤلاء الشراح كانوا من اللغويين والنحويين ، ومنهم ابن كيسان (ت 299 هـ) وأبو بكر بن الأنباري (ت 328 هـ) والنحاس (ت 338 هـ) والزوزني (ت 486 هـ) والتبريزي (ت 502 هـ) ، وثمة شروح أخرى للمختارات الشعرية المعروفة باسم " المفضليات " لأعلام اللغويين، وبعضهم من شراح المعلقات، وأهم شراح المفضليات أبو بكر الأنباري (ت 328 هـ) والمرزوقي (ت 421 هـ) والتبريزي (ت 502 هـ) وفي هذه الشروح نجد القضايا النحوية ترد مفرقة وليست مبوبة ولكن لها أهميتها في الدراسة اللغوية إلى جانب كتب النحو العامة . ([1])

وإذا كان البصريون هم الذين وضعوا النحو وتعهدوه بالرعاية قرابة قرن كانت فيه الكوفة منصرفة عنه بما شغلها من رواية الأشعار والأخبار والميل إلى التندر بالطرائف من الملح والنوادر، فإن الفريقين قد تكاثفا على استكمال قواعده واستحثهما التنافس الذي جد بينهما واستحرت ناره ردحا من الدهر ينيف على مائة سنة خرج هذا الفن تام الأصول كامل العناصر، وانتهى الاجتهاد فيه وحين ذاك التأم عقد الفريقين في بغداد فنشأ المذهب البغدادي الذي عماده الترجيح بين الفريقين، ثم شع نور هذا العلم في سائر البلاد الإسلامية التي احتفظت به بعد أن دالت دولة بغداد العلمية وفي طليعتها الأندلس في عصرها الزاهر ومصر و الشام وما يتاخمها. ([2])
ويمكن تلخيص الأطوار التي مر عليها النحو في أربعة مراحل هي :

1 – طور الوضع و التكوين (بصري) .

2 – طور النشوء و النمو (بصري كوفي) .

3 – طور النضج و الكمال (بصري كوفي) .

4 – طور الترجيح والبسط في التصنيف (بغدادي وأندلسي ومصري وشامي) .

على أنه ليس في الاستطاعة وضع حد توقيتي ينفصل به كل طور عما يسبقه أو يعقبه ، فإن الأطوار لابد من تداخلها وسريان بعض أحكام سابقها على لاحقها ، كما أنه لا مناص من تسرب شيء مما في تاليها على بادئها . ([3])

---

[1] – المرجع السابق ، ص 49 .

[2] – الشيخ محمد الطنطاوي ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 35 – 36 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 36 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ورغم الجهود العظيمة التي أثمرت النحو العربي وما صدر فيه من مؤلفات قيمة، فإن هناك جهودا في المقابل حرصت على تيسير النحو العربي ، وراحت تدعو إلى يومنا إلى غربلة القواعد والإبقاء على القليل الجوهري الذي يضمن الاستعمال اللغوي السليم نطقا وكتابة.

أ / 4 – الدّعوة لتيسير النحو :

وكانت الدعوات إلى الإصلاح والتجديد تختلف تبعا لاختلاف الدوافع التي كانت تدفع أصحابها إليها، والتقدم الفكري الذي يلابس العصر الذي يعيشون فيه، فظهرت الدعوى الأولى بالشكوى من غلو النحاة في فلسفة النحو ومنطقه، وتمثلت أول ما تمثلت فيما نقد به أبو علي الفارسي أبا الحسن الرماني في قوله: " إن كان النحو ما يقوله أبو الحسن الرماني فليس معنا شيء منه، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء " . ([1])

وفيما قاله بعض أهل الأدب فيما يروي أبو البركات بن الأنباري : " كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا ،ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض، ومنهم من نفهم جميع كلامه ، فأما من لا نفهم من كلامه شيئا فأبو الحسن الرماني، وأما من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو علي الفارسي، وأما من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي" . ([2])

وفيما يروى عن" أعرابي وقف على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النحو وما يدخل معه ، فحار وعجب وأطرق و وسوس ، فقال له الأخفش : ما تسمع يا أخا العرب ؟ قال : أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا " . ([3])

كما نادى ابن مضاء القرطبي بإلغاء بعض القواعد النحوية الهامة واستبدال غيرها بها ، كنظرية العامل التي تعتبر من أسس الإعراب الأولى ، فهو لا يرى مسوغا لهذه الاختلافات مثلا حول عامل الرفع في المبتدأ ، هو الابتداء ؟ كما يقول البصريون ، أم الخبر كما يزعم الكوفيون؟ وحول عامل الرفع في الفعل المضارع

---

[1] – ابن الأنباري ، نزهة الألبا ، ص 276 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 276 – 277 .

[3] – التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ، ص 251 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أهو تجرده عن الناصب و الجازم كما هو مذهب البصريين ، أم هو حرف المضارعة كما يرى الكسائي ؟ ([1])

ووجه الجاحظ نصا إلى معلمي اللغة العربية و المشتغلين بها قائلا : " أما النحو فلا تشغل قلب الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه وشعر إن أنشده وشيء إن وضعه ، ومما زاد على ذلك فهو مشغله عما هو أولى به من رواية المثل و الشاهد و الخبر الصادق و التعبير البارع ... وعويص النحو لا تجدي في المعاملات ولا يفطر إليه شيء" . ([2])

وتلك دعوة صريحة عن الجاحظ للابتعاد عن دقائق النحو في التدريس، بل التركيز على الأساسيات فقط والتي تحفظ اللسان وتكفل له السلامة من اللحن ، و التغلغل في جسيمات الأمور يجب تركه للمختصين بالنحو، الذين يحاولون حل مشكلاته وتذليل الصعوبات التي تواجه المتعلمين . بناء عليه سلك المربون في تدريس النحو مسلكين أساسيين :

- **المسلك الأول** يعنى بالمتخصصين في النحو ، ويدرسون غالبا كتاب سيبويه الذي يقع في خمسة مجلدات سوى الشروح والنصوص .

- **والمسلك الثاني** يعنى بالناشئة الذين يدرسون مبسط النحو ، ولقد فعل ذلك صنيع أبي جعفر النحاس المصري المتوفى سنة 339 هـ حيث درس كتاب سيبويه للمختصين ووضع كتابا مختصرا للنحو أسماه " كتاب التفاحة " وهو لا يكاد يتجاوز ست عشرة صفحة عرض فيها قواعد النحو الأساسية " .

ويلاحظ أن محاولات العرب في تيسير النحو ليست وليدة أوضاع العصر الحاضر، وإنما هي عمل تربوي انصرف إليه أجدادنا كما انصرفوا إلى الكتب الاختصاصية المعنية بدقائق النحو وغرائبه ،بل إن مؤلفاتهم في تيسير النحو كانت أساسا في عملهم ولم تكن تكملة له " وقد بلغت هذه المؤلفات التعليمية ذروتها في

---

[1] – ابن مضاء القرطبي ، الرد على النحاة ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة ج م ع ، ص 76 .

[2] – الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب) الحيوان، المجلد 1 – 3، شرح وتعليق د.يحي الهاشمي، ط3، دار ومكتبة الهلال 1997م، ص 91

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

القرن الرابع الهجري عند الزجاجي في " الجمل " و الزبيدي في " الواضح " وابن جني في " اللمع " و بعد ذلك في القرن الثامن عند ابن هشام الأنصاري في " شذور الذهب " و مغني اللبيب " . ([1])

وفي العصر الحديث توافرت الجهود التي تهدف إلى تطوير مناهج النحو في المدارس بل إن الكثير من العلماء واللغويين والتربويين وفي العديد من المؤتمرات و الندوات التي عقدت من أجل هذا الهدف، أكد على ضرورة تيسير مادة النحو للتلاميذ حتى تكون مادة سهلة سلسة يتقبلها التلميذ كأية مادة دراسية محببة إلى النفس وقريبة من تفكيره وتعامله اليومي ، يقول طه حسين في ذلك : " قد تغيرت الحياة وتغيرت العقول ، وأصبح النحو القديم تاريخا يدرسه الاختصاصيون ، ولم يبق بد من نحو ميسر قريب لتفهمه هذه الملايين الكثيرة من التلاميذ " . ([2])

وهو لم يطلب الحذف وإنما التقليل من الاهتمام بقواعد النحو حتى ييسر تعلمها، لأن العلم و اللغة و الكتابة و القراءة من حق الجميع ، وبالتالي لا يجب أن نثقل على الناشئين وعامة الناس بفلسفة النحو، وندعها لأساتذتها ، وليصبح تعليم اللغة العربية بالقراءة والكتابة والحديث بين أفراد المجتمع وذلك هو سبيل النهوض باللغة، وأن نقضي على الفجوة بين اللغة المكتوبة واللغة المستخدمة في الحديث لتصبح لغة واحدة للكتابة والحديث، ذلك هو الطريق للحفاظ على اللغة وتعلمها يتحقق عن طريق كتب سهلة واسعة الانتشار لا في حصة معينة بل في كل الحصص الدراسية وفي مراحل التعليم الأساسية . ([3])

كما أبدى كل من رفاعة الطهطاوي وحنفي ناصف وعلي الجارم ومصطفى أمين استعدادا واضحا في تيسير النحو للناشئة ، فكانت لهم مؤلفاتهم التي قصدوا من ورائها إخضاع مادة النحو للأساليب التربوية الحديثة والتي تسهل على الناشئة دراستها واستيعابها، وفي سنة 1937 نشر إبراهيم مصطفى كتابه " إحياء النحو" الذي يدعو فيه إلى البعد عن الفلسفة وإلغاء نظرية العامل والاحتكام في الإعراب إلى المعنى . ([4])

---

[1] – سمر روحي الفيصل ، المشكلة اللغوية العربية ، ط1، جروس برس، طرابلس ، لبنان، 1992 ، ص 65

[2] – د. زكريا إبراهيم ، طرق تدريس اللغة العربية ، دار المعرفة الجامعية 1999 م ، ص 210 .

[3] – عبد الغني عبد الرحمن محمد ، دراسة في فن التعريب و الترجمة ، ط1 ، مكتبة الأنجلو – المصرية ، القاهرة ، 1986 م ، ص 22 – 23 .

[4] – د . زكريا إبراهيم ، طرق تدريس اللغة العربية ، ص 211 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

يقول : " ورأيت عارضة واحدة لا يكاد يختص بها معهد دون معهد ، ولا تمتاز بها دراسة عن دراسة ، هي التبرم بالنحو والضجر بقواعده وضيق الصدر بتحصيله على أن ذلك من داء النحو قديما ولأجله ألف " التسهيل " و " التوضيح " و" التقريب" واصطنع النظم لحفظ ضوابطه وتقييد شوارده والنحو مع هذا لا يعطيك عند المشكلة القول البات و الحكم الفاصل ، قد يهدي في سهل القول من رفع فاعل ونصب مفعول ، فإذا عرض أسلوب جديد أو موضع دقيق لم يسعفك النحو بالقول الفصل ، واختلاف الأقوال و اضطراب الآراء ، وكثرة الجمل التي لا تنتهي إلى فيصل ولا حكم ، كل ذلك قد أفسد النحو أو كاد، فلم يكن الميزان الصالح لتقدير الكلام و تمييز صحيح القول من فاسده " . ([1])

ثم بدأت الكتب تتوالي تحت لواء ما عرف بعد ذلك بالنحو التعليمي ، كما ظهرت دراسات نظرية فيها اجتهادات واقتراحات مفيدة أبرزها بعد كتاب " إحياء النحو" لإبراهيم مصطفى كتاب " تجديد النحو" لشوقي ضيف ، والحقيقة أن محاولات التجديد والإصلاح والنقد لم تتوقف إلى يومنا هذا سواء في الكتب المنشورة أو في الرسائل الجامعية وإن لم يكن ذلك على هيئة بحوث مستقلة لكنه يشيع في ثناياها تناول موضوعات النحو العربي .

والحق أن فكرة تيسير النحو شرعت تبرز في الجهد الرسمي ابتداء من عام 1928 ، حيث شكلت وزارة المعارف المصرية لجنة أوكلت إليها النظر في تيسير تعليم اللغة العربية، وانتقلت الفكرة إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1930 تقريبا، وبقي يتداولها نحوا من عشر سنوات إلى أن أقر التوصيّات التي رفعت إليه من وزارة المعارف عام 1945، ولقيت الفكرة قبولا من المؤسسات القومية فعقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ندوة حولها في عمان عام 1974 كما عقد اتحاد المجامع اللغوية العربية ندوة في الجزائر عام 1976، وأخرى في عمان عام 1978 ، واللافت للنظر أن العمل الرسمي القطري والقومي وضع اقتراحات مفيدة لتيسير تعليم النحو. ([2])

لكن الملاحظ أن أنصار الفصيحة المحدثين خسروا شيئا غير قليل من الوقت

---

[1] – إبراهيم مصطفى ، إحياء النحو ، ص ب، ج .

[2] – سمر روحي الفيصل ، المشكلة اللغوية العربية ، ص 63 – 64 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و الجهد حين أهملوا إحياء المؤلفات النحوية التعليمية و الاستفادة من منهجها ومعاييرها وأساليبها فأنصار الفصحى لم يغيروا في " النحو" شيئا وإنما حافظوا على جوهره الثابت المعبر عن نظام اللغة العربية أي أنهم انطلقوا من أن القضية ليست لغوية وإنما هي تربوية وإن كان "النحو " موضوعها ، ذلك أن عملهم اقتصر على النحو التعليمي الذي قدم في أبواب النحو المعروفة وأخر واستبدل مصطلحات بأخرى وأهمل تفصيلات نحوية، وبسط أساليب العرض وأضاف تمرينات وشواهد وغير ذلك مما دعت الحاجة التربوية إليه . ([1])

وليست العربية بدعا بين اللغات في صعوبة القواعد ، غير أن شيئا من هذه الصعوبة يعود بالتأكيد إلى طريقة عرض النحاة لقواعدهم فقد خلطوا في هذه القواعد بين الواقع اللغوي والمنطق العقلي، وامتلأت كتبهم بالجدل والخلافات فظل المتعلم وسط هذا الركام الهائل من الآراء المتناقضة في بعض الأحيان ، والحقيقة أن القواعد الأساسية لنحو الفصحى يمكن أن تستخلص في بضع صفحات خالية من الحشو الذي لا يفيد . ([2])

ثم إن كتب النحو التي نتلقفها في مدارسنا مهما يسرت ومهما حشدت فيها التدريبات المتنوعة فلن تكفي في انتحاء سمت كلام العرب ما لم تؤازرها القراءة الجهرية الصحيحة والتعبير الشفوي والتحريري السليم مع حفظ النصوص وتأديتها دون أخطاء. ([3]) لأن المشكل الأساسي في الاستخدام اللغوي ليس في عدم حفظ مبادئ النحو أو استظهار قواعد اللغة ، وإنما في ضعف السليقة اللغوية بين الناس على اختلاف مستوياتهم حتى ألفوا الخطأ إلى الدرجة التي أصبحوا ينفرون فيها من الصواب ، لهذا فالعلاج ليس في زيادة ساعات النحو أو قواعد الإملاء أو غير ذلك من أساليب رتق الثوب اللغوي المهلهل، وإنما يتطلب الأمر إعادة النظر في جو المدرسة كله حتى تهيئ فرصة الممارسة الصحيحة للغة . ([4])

---

[1] – المرجع السابق ، ص 67

[2] – د . رمضان عبد التواب ، العربية الفصحى و القرآن الكريم أمام العلمانية و الاستشراق ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ص 32.

[3] – د. محمد إبراهيم عبادة ، النحو التعليمي في التراث العربي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص 13 .

[4] – د. رشدي أحمد طعيمة ، الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية إعدادها، تطويرها ، تقويمها ، ط2 ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1421 هـ / 2000 م ، ص 60.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

كما لاشك أن الاتصال المستمر بالكتابات الأدبية ييسّر للقارئ أن يقف على مستويات راقية من الاستخدام اللغوي سواء من حيث انتقاء المفردات أم من حيث بناء التراكيب، أم من حيث العلاقات الخاصة التي ينشئها الأديب بين المفردات و التراكيب، فضلا عن أن هذا الاتصال يكسب القدرة على فهم أسرار اللغة وإدراك الفروق بين الاستخدامات اللغوية المحدودة التي تعلمها والاستخدامات المجازية التي يبدع الأدباء في استخدامها . ([1])

فتدريس قواعد اللغة العربية وسيلة وليس غاية والغرض منها الفهم السليم و التعبير الصحيح في الكتابة الحديث ومن ثم فيرتبط مدى النجاح بما يصل إليه الدارس من مستوى في الاستخدام الصحيح " وإن تحويل تعلم اللغة – وهو أمر متعدد الجوانب – إلى قواعد نحوية بأمثلة مصنوعة مبسطة بعيدة عن المستويات المعاصرة للعربية وتقديم هذه القواعد بطريقة لا تتيح للتلميذ إلا قدرا محدودا من التوظيف الفعال لها يجعله يحولها إلى مجرد فرع معرفي ومادة تعليمية تقتصر قيمتها على درجتها في الامتحان دون أن تتجاوز فائدتها ذلك إلى باقي فروع المادة أو المواد الأخرى أو إلى التكوين اللغوي للإنسان المعاصر" . ([2])

وتجدر الإشارة هنا إلى أن " صعوبة النحو وضرورة التخلي عنه أو عن جوانب أساسية عديدة في نظام اللغة العربية " هي دعوة دسها العدو قصد النيل من اللغة العربية " وقد نص أصحاب هذه الدعوة على أن العرب يحسنون صنعا إذا تخلوا عن النحو وانصرفوا إلى تعليم الأجيال المتعاقبة اللغات الأجنبية وخصوصا الانجليزية والفرنسية وهما لغتان أثبتتا قدرتهما على الارتقاء بالأمم ومرونتهما في التعليم والتعلم شأنهما في ذلك شأن العامية التي تتصف بالمرونة والانتشار والقدرة على التعبير عن الحاجات المستجدة في الحياة وإن لم يكن هناك شيء من ذلك فتيسير النحو واجب ، وخصوصا حذف الحركات وإلغاء العامل وإهمال قدر من الأبواب والقوانين وآراء النحاة واختلافاتهم" ، ([3]) مما أدى إلى ظهور اتجاه معادي قائل بصعوبة النحو وتعقده، جعل الإعراب غاية النحو، ودعا إلى التخلي عنه لعجز

---

[1] – المرجع السابق ، ص 83 .

[2] – د. محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات ، دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع ، القاهرة 1998 م ، ص 134 .

[3] – سمر روحي الفيصل ، المشكلة اللغوية العربية ، ص 53 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الإنسان العربي عن التقيد به في كلامه ، وألح على تسكين أواخر الكلم تشبها بالعامية ومجاراة لها. يقول أنيس فريحة في كتابه (نحو عربية ميسرة) : " إن الإعراب عقبة في سبيل التفكير ذلك مما لا شك فيه، وسقوطه من اللهجة المحلية خطوة هامة نحو تيسير الكلام حتى يصبح الكلام طريقا ممهدا للفكر...".([1])

ويقول قاسم أمين: " لم أر بين جميع من عرفتهم شخصا يقرأ كل ما تحت نظره من غير لحن، أليس هذا برهانا على وجوب إصلاح اللغة العربية ، لي رأي في الإعراب أذكره هنا بوجه الإجمال وهو أن تبقى أواخر الكلمات ساكنة لا تتحرك بأي عامل من العوامل بهذه الطريقة التي هي طريقة جميع اللغات الإفرنجية و اللغة التركية يمكن حذف قواعد النصب والجوازم والحال والاشتقاق بدون أن يترتب عليه إخلال باللغة إذ تبقى مفرداتها كما هي في اللغات الأخرى يقرأ الإنسان ليفهم، أما في العربية فإنه يفهم ليقرأ، فإذا أراد أن يقرأ الكلمة المركبة من هذه الأحرف (ع ل م) يمكنه أنه يقرأها : علِمَ أو عُلِم أو علَّمَ أو علَمٌ أو عِلْمٌ أو عُلِّمَ ، لا يستطيع أن يختار واحدة من هذه الطرق إلا بعد أن يفهم معنى الجملة فهي التي تعين النطق الصحيح ، لذلك كانت القراءة عندنا من أصعب الفنون". ([2])

كما نادى جبر ضومط بترك الإعراب؛ لأنه يراه من قبيل الأناقة ولا يقف عند هذا الحد عندما يشتم النقاد والنحويين الذين يهتمون بالنحو والإعراب وذلك في قوله: " والعاقل يعلم أن علامات الإعراب في اللغة إنما هي من قبيل الأناقة و المواضعة لا من قبيل الجوهر والحقيقة " فمن ثم لا يعد الإخلال بها إخلالا يقضي على المخل بالجهل، وعلى الناقد بالفضل ،بل كثيرا ما يكون الأمر على عكس ذلك لأن لسان حال الناقد المحتفل بهذه الأغلاط المعطعط لها – يشهد عليه ولاسيما إذا جرى على مذهب مخصص – إنه حسب العرض جوهر والآلة غاية – وهذا هو الجهل بعينه" . ([3])

ويقول الجنيدي خليفة : الجواب الطبيعي هو بكل بساطة التزام السكون أولا لكونه الأصل وثانيا لكونه الحالة الوحيدة التي يلتزمها سائر شعبنا الناطق بالدارجة،

---

[1] – د. أنيس فريحة ، نحو عربية ميسرة ، دار الثقافة بيروت ، ص 184 .

[2] – قاسم أمين ، كلمات ، مطبعة الجريدة بمصر1908م ، ص 12 – 13

[3] – جبر ضومط ، فلسفة اللغة العربية، مطبعة المقتطف والمقطّم بمصر 1929م، ص 25.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و ثالثا لإمكانية استغلال حركتي الجر و الضم في بعض المعاني و الاصـــطلاحات، وبعد سنوات طويلة و مجهودات مضنية يقضيها الطالب في تعلمه [يقصد : النحـــو] يتوصل – إن كان من الموفقين – إلى أن حكم المبتدأ الرفع ! طيـــب ... وإذا لـــم نرفع هذا المبتدأ بل سكناه مثلا هل فسد المعنى ؟ هل خسفت بنا الأرض ؟ وهل من خرق وحماقة، بل هل من جنون أفضع من قضاء زهرة العمـــر فـــي ســـبيل تعلـــم لا شيء ، في سبيل حذق حماقة ؟ ... ويزيد الجنون فـــضاعة أن هـــذا الإعـــراب الأخرق هذا الخراب الفكري و النفسي ليس إلا ظاهرة متأخرة عن العربية الأولـــى التي يحرصون على تقليدها والاقتداء بصفاتها " . ([1])

ويقولون إننا نعلم الطالب النحو سنوات طويلة فإذا تحدث لحن، ويخلـــصون من ذلك إلى نتيجة هي أن صعوبة النحو لا تعين على عصمة اللسان من اللحـــن ، وهذا غير صحيح ؛ لأن المراد من إننا نعلم الطالب النحو سنوات طويلة هـــو أننـــا نجعل الطالب يكتسب طوال سنواته التعليمية المعارف النحوية وهذه قـــضية لغويـــة بحتة ، أما أن الطالب يلحن في حديثه بعد اكتسابه المعـــارف النحويـــة فهـــو عـــدم اكتساب مهارة تطبيق هذه المعارف النحوية ، وهذه قضية تربوية تتعلق بالأســـاليب المتبعة في تدريب المتعلم على اكتساب المهارات اللغوية . ([2])

فالطفل يدخل المدرسة الابتدائية ويمضي بها ست سنوات يؤدي في نهايتهـــا امتحانا يؤهله نجاحه فيه لدخول المدرسة الإعدادية ومن مواد هذا الامتحـــان مـــادة اللغة العربية التي تنقسم إلى: قراءة ونصوص وإملاء وتعبيـــر (إنـــشاء) ونحـــو (والإعراب جزء منه) وتكون النتيجة أن ينجح التلميذ في مادة اللغة العربية بعد أن يجمع درجات النجاح من الفروع الأخرى للغة العربية ثم يدخل هذا التلميذ المرحلـــة الإعدادية .

وتتكرر المأساة ويدخل الجامعة فإذا دخل كلية علمية انقطعت صلته بـــالنحو وأهله وتخرج طبيبا أو مهندسا أو صيدليا وهو لا يحسن قراءة ســـطر واحـــد فـــي جريدة أو مجلة وكأنه ليس من العرب ولا ممن يتكلمون العربية، أما إذا دخل كليـــة نظرية فالخطب أشده ، فكثير من المحامين تخرجوا في كلية الحقوق وهم يخطئـــون

---

[1] – الجنيدي خليفة ، نحو عربية أفضل ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان 1974 م ، ص 77 .

[2] – سمر روحي الفيصل ، المشكلة اللغوية العربية ، ص 56 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

في كتابة دفاعاتهم، وكم من مذيع أو مذيعة لا يفرق بين المنصوب و المرفوع و المجرور والمجزوم ، وما كان ذلك ليحدث لولا هذا الأساس المنهار الضعيف الذي وقف عليه الطالب طفلا ثم صبيا ثم شابا يافعا ،ويجل الخطب ويقدح الأمر إذا قدر لواحد من هؤلاء الذين لا يحسنون أصول العربية أو قواعدها أن يتبوأ مركز التدريس – تدريس اللغة العربية – فمعروف أن فاقد الشيء لا يعطيه ، وهكذا يكون تلاميذه مثله فتتكرر الدورة وهكذا ... ومنه يتضح أن الإعراب لا عيب فيه ولكن العيب في المتعلمين وطريقة تعليمهم ، والعلاج يكمن في الاهتمام بالدرس النحوي الاهتمام الكافي في جميع المراحل التعليمية ، ويكمن في جعل مادة النحو مادة مستقلة عن باقي المواد الأخرى أو الفروع الأخرى من إملاء وقراءة وتعبير ، وأن يكون النجاح في مادة النحو شرطا للتنقل للسنة التالية ، بل يجب أيضا أن يحاسب الطالب على أخطائه النحوية في جميع المواد من جغرافيا وتاريخ وفلسفة واجتماع ..الخ . ([1])

إن اللغة الأرقى هي التي تقوم بدور الاتصال و الإفهام الأسرع و الأوضح ، ومنه فلابد من حسن استخدام هذه الألفاظ والكلمات وفق طرق معينة لاستغلال قدرة اللغة في التعبير عن المواد وفق أساليب متنوعة ومختلفة حسب ما يقتضيه المقام و الظرف، وبهذا يكون دور النحو تنوير طرق اللغة في تأدية المعنى ولقد عرف السكاكي النحو في كتابه مفتاح العلوم: " علم النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض ورعاية ما يكون من الهيئات إذ ذاك " . ([2])

وبهذا يكون للغة العربية قوانين تضبط بنيتها في تركيب الكلمات وتحديدها لإفادة المعنى المراد، ولن يتحقق هذا إلا بمراعاة الإعراب لأنه الوسيلة التي تظهر وظيفة الكلمة المفردة فيتضح المعنى المراد وتتم الفائدة وفي هذا يقول الجرجاني :

---

[1] – د. أحمد سليمان ياقوت ، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم ، دار المعرفة الجامعية 2003م ، ص 35 – 36 .

– السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي المتوفى سنة 626 هـ) مفتاح العلوم ، حققه وقدم له وفهرسه الدكتور عبد الحميد هنداوي ، ط1 ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1420 هـ / 2000 م ص 125 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

" قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه " . ([1])

فالاسم إذا كان مفردا لا يستحق الإعراب إنما يؤتى به للفروق بين المعاني ، أما إذا ركب مع غيره تركيبا تحصل به الفائدة فحينئذ يستحق الإعراب؛ لأن الإعراب هو الوسيلة لبيان وظيفة الكلمة في الجملة وبه يتحدد المعنى ويدفع اللبس عن التراكيب الغامضة ، فلو قلنا مثلا : قتل عمر خالد ، أو " **إنما يخشى الله من عباده العلماء** " بتسكين أواخر الكلم لوقع الإشكال في توضيح المعنى ولكن الإعراب يحل هذه المشكلة ويكسب اللغة الثراء و التنويع في أساليب التعبير و الكتابة وقد صدق ابن فارس حين قال: " إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلم من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب حتى لا غناء بأحد منهم عنه وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب ورسول الله (ﷺ) عربي فمن أراد معرفة ما في كتاب الله (ﷻ) وما في سنة رسوله (ﷺ) من كلمة غريبة أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة بدا " . ([2])

وقد أتى الأستاذ عباس حسن بأدلة – لا تقبل الشك أو الجدل – تثبت أن الإعراب هو روح اللغة وأن الكلام دون إعراب لا طائل من ورائه و لن يكون مفهوما، وأن تسكين أواخر الكلمات سوف يخلق مشاكل كثيرة. ([3])

هذا عن وضع للنحو العرب النحو العربي الذي يحفظ للغة سلامتها ويضمن لمستعملها انتحاء سمت كلام العرب. ويأتي إلى جانب هذا الجهد العظيم تشريع علماء العربية لمبدأ القياس، فما دور هذا الأخير في خدمة اللغة العربية وحفظ سلامة استعمالها ؟

ب – تشريع القياس :

هذا الموضع الذي تشعبت فيه أنظار الباحثين في العربية ، فبعد اتفاقهم على العمل بالقياس وتضافر عباراتهم على أنه من مآخذ العربية يغلو بعضهم في التعلق

---

[1] – الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 28

[2] – ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص 50

[3] – عباس حسن ، اللغة و النحويين بين القديم و الحديث ، دار المعارف بمصر 1966 ، ص 261 – 263 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

به ويجري فيه بغير عنان، ووقف آخرون عند حد يقرب من موقف الجامد على الرواية في أوضاع الكلم ووجوه تأليفها ، والطريق الوسط بين هذين الطرفين هو ما يبقي على اللغة شعارها ويبسط في نطاقها بمقدار ما يتسوغه الذوق العربي وتقتضيه العلوم على اتساع دائرتها و المدنية على اختلاف أطوارها وتجدد مرافقها، فالقياس طريق يسهل به القيام على اللغة ، ووسيلة تمكن الإنسان من النطق بآلاف من الكلم و الجمل دون أن تقرع سمعه من قبل ، أو يحتاج في الوثوق من صحة عربيتها إلى مطالعة كتب اللغة أو الدواوين الجامعة لمنثور العرب ومنظومها . ([1])

وهذا القياس الذي اخترع منه النحاة كليات القواعد كان له أثر كبير في اللغة العربية كما كانت له أهمية كبيرة في نشأة النحو العربي وغزارة مادته واستخلاص قواعده وضبط أحكامه ، حتى قال ابن الأنباري : " اعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق، لأن النحو كله قياس ... فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو" . ([2])

ب / 1 – القياس لغة واصطلاحا :

– **والقياس لغة** بمعنى التقدير: " قاس الشيء يقيسه قيسا وقياسا .. إذا قدره على مثاله". ([3]) يقول أبو البقاء الحسيني في كلياته: " القياس هو عبارة عن التقدير يقال قاس النعل إذا قدره، وقاس الجراحة بالميل إذا قدر عمقها به، ومنه سمي الميل مقياسا .. وهو تشبيه الشيء بالشيء " . ([4])

– **واصطلاحا** : " هو الجمع بين أول وثان يقتضيه في صحة الأول صحة الثاني، وفي فساد الثاني فساد الأول". ([5]) أو هو" حمل فرع على أصل بعلة وإجراء حكم الأصل على الفرع". ([6]) أو هو" حمل مجهول على معلوم ، وحمل ما لم يسمع على ما سمع ، وحمل ما يجد من تعبير على ما اختزنته الذاكرة ووعته من تعبيرات

---

[1] – محمد الخضر حسين ، دراسات في العربية و تاريخها ، ص 23 – 25 .

[2] – السيوطي ، الاقتراح ، ص 59 .

[3] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج6 ، ص 226 .

[4] – أبو البقاء ، الكليات ، ج4 ، ص 23

[5] – الرماني (ت 384 هـ) ، الحدود في النحو، منشور ضمن كتاب رسائل في النحو واللغة، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني، المؤسسة العامة للصحافة و الطباعة، بغداد 1969 م، ص 38.

6 – أبو البركات الأنباري (ت 577 هـ) لمع الأدلة في أصول النحو ، تحقيق د. عطية عامر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1963 م ، ص 42 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وأساليب كانت قد عرفت أو سمعت" . ([1]) وهو" محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية وحمل كلامنا على كلامهم في صوغ أصول المادة وفروعها وضبط الحروف وترتيب الكلمات وما يتبع ذلك ". ([2])

ولعل من أهم النتائج التي أبرزها التحليل العلمي للقياس واستخدامه عند النحاة أنه يمكن التمييز بشكل واضح بين نوعين من القياس هما:

أ – القياس بمعنى اطراد الظاهرة في الكلام أو النصوص – واعتبار ما يطرد من هذه الظواهر قواعد ينبغي الالتزام بها وتطبيقها في الاستعمال ، ومن ثم فالذين يطبقون هذا النوع من القياس يرفضون الأخذ بالظواهر اللغوية الشاذة وهذا هو المفهوم الاستقرائي للقياس. ([3]) ومثال ذلك قولهم : إن كل فاعل مرفوع وكل مفعول منصوب ثبت ذلك من استقراء كلام العرب .

ب – أما المدلول الثاني للقياس فهو عملية شكلية صورية يتم فيها إلحاق أمر بآخر لما بينهما من شبه أو علة ، فيعطي الأول حكم ما ألحق به أو كما قال ابن الأنباري (ت 577 هـ) : " حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه " . ([4])

وقد مر القياس بثلاث مراحل : أولها (مرحلة النشأة) أين ورد لفظ (القياس) مقترنا بعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117 هـ) الذي " كان أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل ... وكان أشد تجريدا للقياس" . ([5]) والمراد هنا بالقياس القاعدة النحوية . ([6]) ومدى اطرادها في النصوص اللغوية مروية أو مسموعة وتقويم ما يشذ من نصوص اللغة عنها " . ([7])

والثانية (مرحلة المنهج) حيث أصبح القياس أصلا في الدرس النحوي وما

---

7 – مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه ، ط1 ، منشورات المكتبة العصرية صيدا ، بيروت 1964 م ، ص 20

2 – عباس حسن ، اللغة و النحو بين القديم و الحديث ، ص 22

3 – تمام حسان ، الأصول، ص 164

4 – السيوطي ، الاقتراح ص 59 .

5 – ابن سلام، طبقات فحول الشعراء ، ج1 ، ص 14، وابن الأنباري ، نزهة الألبا، ص 27. والزبيدي ، طبقات النحويين والغويين، ص 25

6 – محمد خير الحلواني ، المفصّل في تاريخ النحو العربي ، ج1، ط1 ، مطبعة الرسالة 1979 م ، ص 145.

7 – علي أبو المكارم ، أصول التفكير النحوي ، طبع دار الثقافة ، بيروت 1973 م ، ص 13.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

يعــرض من أموره عند الخليل الذي أكثر منه وتوسع فيه، فقــد عــرف بتــصحيح القياس . ([1]) وكاشف قناعه. ([2])

والناظر لكتاب سيبويه يجد فيه أمثلة كثرة للأقيسة المختلفة المتعددة مما يدل على أنّ القياس وصل على يد الخليل إلى كامل نضجه وتمام قوته وأنه أصبح أساساً من أسس الدراسة النحوية التي تبنى عليها القواعد ويوزن بها الكلام ، فهو يــستعين به ضمن حدود اللغة بحيث لا يفرض جديدا على الأصول المستنبطة مــن الطبيعــة اللغوية لأن قياسه مبني على التشابه بين المقيس والمقيس عليه . ([3])

و الثالثة (مرحلة التنظير) وفيها يتصدى أبو البركات الأنباري (ت 577 هـــ) – متأثرا بالبحوث الفقهية منهجا وتعريفا – وتفريعا لتصنيف كتاب في أصول النحو حدده على حد أصول الفقه فإن بينهما من المناسبة ما لا يخفى ، لأن النحو معقــول من منقول ، كما أن الفقه معقول من منقول ، فصار القياس ذا حد وشروط وأركــان وأصبح دارس النحو يشعر أنه يقرأ الفقه وأصوله منقولين نقلا إلى النحو وأصوله ، فكتاب الأنباري (لمع الأدلة في أصول النحو) كتاب في " أصول الفقه " منقول إلى اللغة . ([4])

ب / 2 – أركان القياس :

وللقياس أربعة أركان هي : أصل (وهو المقيس عليــه) وفــرع (وهــو المقيس) ، وعلة جامعة ، وحكم . ([5])

أولا / المقيس عليه :

فالمقيس عليه عند النحاة هو النصوص اللغوية المنقولة عن العــرب الــذين يحتج بكلامهم سواء كان النقل سماعا أو رواية ، مشافهة أو تدوينا. ([6]) لينبني عليها

---

[1] – السيرافي ، أخبار النحو بين البصريين ، ص 31 ، وابن الأنباري نزهة الألبا ، ص 49.

[2] – ابن جني ، الخصائص ج1 ، ص 361.

[3] – مهدي المخزومي ، الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه ، ص 252

[4] – د. جميل علوش، ابن الأنباري وجهوده في النحو، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تــونس 1981 ، ص 170، ود. فاضل صالح السامرائي، أبو البركات بن الأنباري ودراساته النحوية، دار الرسالة للطباعة بغــداد 1975 ، ص 207 .

[5] – السيوطي ، الاقتراح ، ص 60 .

[6] – علي أبو المكارم ، أصول التفكير النحوي ، ص 95 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

حكم المقيس. وللمقيس عليه أحكام لابد أن تتوافر فيه ليصح القياس عليه : ([1])

1 – أن يطرد في الاستعمال و القياس جميعا وهذا هو الغاية المطلوبة .

2 – ألا يكون شاذا في الاستعمال ضعيفا في القياس .

3 – ألا يكون شاذًّا في الاستعمال مطردا في القياس .

4 – ألا يكون مطردا في الاستعمال شاذا في القياس .

5 – ألا يكون شاذا أو ضعيفا في الاستعمال و القياس جميعا .

6 – ليست الكثرة شرطا في المقيس عليه ، فقد يقاس على القليل و يكون غيره أكثر منه فلا يقاس عليه .

7 – ألا يكون مما يحتمله القياس ولم يرد به الاستعمال .

8 – إذا كان المقيس عليه من الضرائر فـ" ليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها " . ([2])

9 – قد يتعدد المقيس عليه مع وحدة الحكم .

ثانيا / المقيس :

والمقيس هو المحمول على كلام العرب تركيبا أو حكما " ألا ترى أنك إذا سمعت " قام زيد " أجزت أنت " ظرف خالد ، وحمق بشر " وكان ما قسته عربيا كالذي قسته عليه ، لأنك لم تسمع من العرب أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ومفعول، وإنما سمعت بعضا فجعلته أصلا وقست عليه ما لم تسمع " ([3]) ، والمقيس نوعان :

1 – إما أن يكون استعمالا يتحقق القياس فيه بأن نبني الجمل التي لم تسمع من قبل على نمط الجمل التي سمعت .

2 – وإما أن يكون حكما نحويا نسب من قبل إلى أصل مستنبط من المسموع .

---

[1] – د. سعيد جاسم الزبيدي ، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ، ص 21 – 24 .

[2] – سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، ص 32 .

[3] – ابن جني (أبو الفتح عثمان) ، المنصف، الجزء الأول ، تحقيق لجنة من الأستاذين: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، ط1، ذو الحجة 1373هـ، أغسطس 1954م، ص 180

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ثالثا / الجامع .

وهو الصلة بين طرفي القياس (المقيس عليه و المقيس) و التي لا تتحقق إلا بجملة صفات مشتركة يطلق عليها (الجامع) وربما سميت (العلة). ([1]) أو (العلة الجامعة) ([2]) التي هي أحد أركان القياس و الجامع أحد ثلاثة :

1 – **العلة** : وشرطها أن تكون هي الموجبة للحكم في المقيس عليه. ([3])

2 – **الشبه** : وهو وجود ضرب من الشبه بين المقيس عليه والمقيس غير العلة التي طبق عليها الحكم في الأصل . ([4])

3 – **الطرد** : وهو وجود الحكم مع فقدان الإخالة (المناسبة) في العلة . ([5])

رابعا / الحكم .

هو إلحاق المقيس بالمقيس عليه يتضمن إعطاءه حكمه ، لذا فإن الحكم – عند النحاة – ينقسم إلى ستة أقسام هي : ([6])

1 – **الواجب** : كرفع الفاعل وتأخيره عن الفعل ، ونصب المفعول به وجر المضاف إليه.

2 – **الممنوع** : كأضداد ما ذكر في الواجب .

3 – **الحسن** : كرفع المضارع الواقع جزاء بعد شرط ماض .

4 – **القبيح** : كرفع المضارع الواقع جزاء بعد شرط المضارع .

5 – **خلاف الأولى** : كتقديم الفاعل في نحو : ضرب غلامه زيدا .

6 – **جائز على السواء** : كحذف المبتدأ أو الخبر وإثباتهما حيث لا مانع من الحذف ولا مقتضى له. وعن هذه الأركان الأربعة للقياس قال ابن الأنباري :

---

[1] – أبو البركات بن الأنباري ، لمع الأدلة ، ص 42 .
[2] – السيوطي ، الاقتراح ، ص 60 .
[3] – المصدر نفسه ، ص 124
[4] – أبو البركات بن الأنباري ، لمع الأدلة ، ص 56 .
[5] – المصدر نفسه ، ص 58 .
[6] – السيوطي ، الاقتراح ، ص 19 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

" أن تركب قياسا على الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله ، و الحكم هو الرفع ، والعلة الجامعة هي الإسناد ، والأصل في الرفع أن يكون للأصل الذي هو الفاعل، وإنما أجري على الفرع الذي هو ما لم يسم فاعله بالعلة الجامعة التي هي الإسناد ". ([1])

ب / 3 – القياس بين البصريين و الكوفيين :

وكان البصريون أسبق من الكوفيين إلى دراسة اللغة والنحو استقراء وتقعيدا وتأليفا، وقد تميز منهجهم بابتناء قواعده على الأكثر الشائع من كلام العرب. ([2]) وإذا اصطدم أصل من أصوله بما يخالفه تأولـه. ([3]) أو عده لغة. ([4]) أو رماه بالشذوذ أو القلة أو الندرة أو الخطأ، لأنهم – أي البصريون – : لا يلتفتون إلى كل مسموع ". ([5])

أما الكوفيون – على ما يراهم خصومهم – فإنهم " لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه " . ([6])

فيقال إن نحاة البصرة قد جعلوا للقياس شأنا كبيرا في الأحكام المتعلقة بأمور اللغة ، على حين أن نحاة الكوفة ترخصوا في أمور كثيرة تشذ عن القياس ولهذا سمي نحاة البصرة " أهل منطق" تمييزا لهم عن نحاة الكوفة ، وكانت مصطلحاتهم النحوية مباينة بعض المباينة لنظائرها عند الكوفيين . ([7])

فالبصريون يقفون عند الشواهد الموثوق بصحتها الكثيرة النظائر، ولذا كانت أقيستهم وقواعدهم أقرب إلى الصحة ، وكانوا يؤولون ما خالف القواعد ويحكمون عليه بأنه شاذ أو مصنوع ، ومن ثم كثر عندهم ما قل عند الكوفيين من التأويل و الحكم بالشذوذ والضرورات ، وإذا رأوا لغتين إحداهما تسير على القياس

---

[1] – المصدر السابق ، ص 60 .

[2] – الزبيدي ، طبقات النحويين و اللغويين ، ص 34 .

[3] – عبد الحميد حسن ، القواعد النحوية مادتها وطريقتها ، ط2 ، مطبعة العلوم ، مصر ، 1953 م ، ص 75

[4] – الزبيدي ، طبقات النحويين و اللغويين ، ص 34 .

[5] – السيوطي ، الاقتراح ، ص 114 .

[6] – المصدر نفسه ، ص 114 .

[7] – ت.ج . دي بور ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، نقله إلى العربية وعلق عليه الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ط3 ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت 1374 هـ / 1954 م ، ص 57 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و الأخرى لا تسير عليه ، فضلوا التي تسير على القياس وضعفوا من قيمة غيرها ، فهم في الواقع أرادوا تنظيم اللغة ولو بإهدار بعضها، وما يسمعونه من العرب مخالفا لهذا التنظيم يعتبرونه مسائل شخصية جزئية يتسامحون فيها ولا يتسامحون في مثلها والقياس عليها حتى لا تكثر فتفسد القواعد و التنظيم ، هذا إذا لم يتمكنوا من تأويل الشاذ تأويلا يتفق وقواعدهم ولو بنوع من التكلف.

أما الكوفيون فرأوا احترام كل ما جاء عن العرب وأجازوا للناس أن يستعلموا استعمالهم ولو كان الاستعمال شاذا لا ينطبق على القواعد العامة بل إنهم يجعلون هذا الشذوذ أساسا لوضع قاعدة عامة ، فالبصريون يريدون أن ينشئوا لغة يسودها النظام والمنطق ويميتوا أسباب الفوضى من رواية ضعيفة أو موضوعة أو قول لا يتماشى مع المنطق ، والكوفيون يريدون وضع قواعد للموجود الشاذ من غير إهمال شيء حتى الموضوع والمصنوع فكل عملهم أن يضعوا إلى الشيء ملائمه ، فإذا كان للشيء الواحد جملة صور وضعوا له جملة قواعد . ([1])

فقد عرف أن البصريين يضيقون أمر القياس فلا يقيسون على القليل إذا وجد ما يعارضه ، ولا يقولون على القياس النظري عند فقد الشاهد إلا نادرا ، أما الكوفيون ، فكانوا عكس ذلك يتوسعون في القياس إلى أقصى حدوده ، وقد يكتفي بالشاهد الواحد يقيسون عليه ولو خالف الأصل المعروف ، وربما وضعوا القاعدة بالقياس النظري دون ورود لمطلق شاهد . قال أبو زيد الأنصاري : " قدم الكسائي البصرة فأخذ عن أبي عمرو ويونس وعيسى بن عمر علما كثيرا صحيحا، ثم خرج إلى بغداد فقدم أعراب الحطمة فأخذ عنهم شيئا فاسدا فخلط هذا بذاك فأفسده " . ([2])

وقال ياقوت الحموي: " إن الكسائي كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ و اللحن وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات فيجعل ذلك أصلا ويقيس عليه حتى أفسد النحو". ([3]) وقد اقتفى الكوفيون طريق الكسائي فعولوا على شعر الأعراب بعد أن امتزجوا وتأشبوا بالمتحضرين، ولأَنَ جفاؤُهم ومن أجل هذا كان البصريون يغمزون الكوفيين ويفخرون عليهم ، فيقول الرياشي البصري :" نحن

---

[1] – د. عبد العزيز عتيق ، المدخل إلى علم النحو و الصرف ، ص 139 – 140 .

[2] – السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، ص 44 .

[3] – ياقوت ، معجم الأدباء ، المجلد السابع ، ج13 ، ص 183 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

نأخذ اللغة عن حرشة الضبّاب وأكَلَة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة من أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز" . ([1])

- **الموازنة بين المذهبين :**

إن مذهب البصريين إنما رجح لأنه نشأ على ملاحظة أمور ثلاثة لا يراها الكوفيون :

1 – إنهم يؤثرون السماع على القياس فلا يصيرون إليه إلا إذا أعوزتهم الحاجة، وحملهم على هذا سهولة اتصالهم بجمهرة العرب ولكثرتهم حولهم قد تعصبوا في رواياتهم فلا يحملونها إلا عن موثوق بفطرته، أما الكوفيون فعلى عكسهم فضلوا القياس على السماع في كثير من مسائلهم لتنائيهم عن خلص العرب ولذا تساهلوا في روايتهم فتلقوها عن أعراب لا يرى البصريون سلامتهم .

وليس معنى هذا أن أئمة الكوفة لم يكونوا يرحلون إلى القبائل الفصيحة ، فقد كانوا يكثرون من الرحلة إليها على نحو ما يحدثنا الرواة عن الكسائي ، فقد قالوا إنه خرج إلى نجد وتهامة والحجاز و" رجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ " . ([2]) ولكن معناه أن الكوفيين وفي مقدمتهم إمامهم الكسائي كانوا لا يكتفون بما يأخذون عن فصحاء الأعراب ، إذ كانوا يأخذون عمن سكن من العرب في الحواضر.

2 – أنهم احتاطوا في أقيستهم فلم يدونوها إلا بعد توافر أسباب الاطمئنان عليها ، بخلاف الكوفيين الذين تفككوا من قيودهم ، ولذا يقول السيوطي: " اتفقوا على أن البصريين أصح قياسا لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع ولا يقيسون على الشاذ" . ([3])

3 – أنهم لا يعوّلون على القياس النظري عند انعدام الشاهد إلا فيما ندر جدا، أما الكوفيون فقد جنحوا إليه.

---

[1] – السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، ص 69 .

[2] – القفطي ، إنباه الرواة ، ج2 ، ص 258 ، وياقوت ، معجم الأدباء ، المجلد السابع ، ج13 ، ص 169 .

[3] – السيوطي ، الاقتراح ، ص 114 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وهذا لا يعني أن الكوفيين كانوا أقل من البصريين رواية وحفظا وسماعا فقد كان الكوفيون والبصريون جميعا يعملون جاهدين على لقاء الأعراب و السماع منهم، وعلى جمع الأشعار والأخبار وأيام العرب. ([1]) إلا أن الكوفيين أخذوا عمن أخذ عنهم البصريون في المرويات النثرية وزادوا عليه لغات أخرى أبى البصريون الاستشهاد بها ، فأخذوا عن أعراب سواد الكوفة من تميم وأسد وأعراب سواد بغداد من الحطمة الذين غلطهم البصريون ولحنوهم وقبلوا كل ما صدر عن عربي. ([2])

و الخلاف بين البصريين و الكوفيين خلاف لا يتجاوز المسائل الثانوية ، وأما الأصول فقد تم فيها الاتفاق وكثيرا ما وجد الفراء يؤيد البصريين في نقاط معينة ، كما وجد الأخفش يؤيد الكوفيين في مسائل معينة . ([3])

فالكوفيون يتفقون مع البصريين في معايير النقل عن الأعراب الفصحاء و الشيوخ الثقات ولكنهم تعاملوا مع المسموع تعاملا أقرب إلى المنهج الوصفي منه إلى المنهج القياسي التعليلي الذي أخذ به البصريون، وأنهم وسعوا من دائرة الاستشهاد بمن وثقوا فيه، ورفضه البصريون، ويختلفون معهم في اصطناع القياس الذي كان من أهم ما يفرق بينهم ، فالكوفيون يترخصون فيه والبصريون يتشددون . ([4])

والكوفيون هم أكثر من بني الأصول على المسموع القليل وإن خالف القياس، ومع كثرة اعتمادهم على السماع لمجرد سماعه أدى إلى وقوعهم في بعض الأخطاء المنهجية التي جعلتهم غرضا لاتهام البصريين ومن والاهم ، ولعل هذا ناتج عن توسعهم في الرواية و النقل . ([5])

وقد ارتبط هذا كله بالكسائي الذي كان يقيس عليه وإن لم يرد في كلام العرب غيره ، ونسب إليه قول :

إنما النحو قياس يتبع وبه في كل علم ينتفع . ([6])

---

[1] – مهدي المخزومي ، مدرسة الكوفة ، ص 323 – 361 .

[2] – د. شرف الدين علي الراجحي ، في اللغة عند الكوفيين ، ص 61 .

[3] – د. إبراهيم السامرائي ، النحو العربي في مواجهة العصر ، ط1 ، دار الجيل ،بيروت 1415 هـ / 1995 م ، ص 41 .

[4] – مهدي المخزومي ، النحو العربي نقد وتوجيه ، ص 22 .

[5] – مهدي المخزومي ، مدرسة الكوفة ، ص 316 – 317 .

[6] – المرجع نفسه ، ص 140 – 141 ، و السيوطي، بُغية الوُعاة ، ج2 ، ص 164

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ب / 4 – القياس معيار نقدي في النحو العربي :

وإن تسرب اللحن إلى ألسنة الناس وتسلله إلى قراءتهم القرآن الكريم دفع الغيارى إلى أن يقفوا في وجه هذا الخطر الداهم ، فكان النحو وبعد أن اكتملت القواعد في أيدي النحاة ، أصبحت في نظرهم معيارا للصواب و الخطأ " ومعنى ذلك أن الفصاحة لم تعد المعيار الوحيد للقبول في عرف النحاة كما كانت قبل اكتمال النحو " . ([1])

لهذا فهم لم يتبعوا المنهج الوصفي أي وصف اللغة و الظواهر النحوية كما هي في الواقع دون إدخال شيء عليها أو حذف شيء منها ، بل اتبعوا في درسهم وتعليمهم المنهج المعياري ، ذلك المنهج الذي لا يكتفي بوصف الظواهر النحوية ، بل يتجاوز ذلك إلى بيان الصحيح الذي يجب أن يقال تبعا للقواعد العامة ، وبيان النقص و الخطأ في غير الصحيح حتى يسلم منها ويطابق الأصول لأن الدراسات النحوية قد ظهرت ثم نمت وترعرعت لحفظ اللغة وقواعدها من العبث و التوسع الخارج عن نطاق الفصحاء من العرب .

ثم إن هذه الدراسات قد قامت بسبب اللحن– لاسيما اللحن في قراء القرآن– فكان الغرض منها تفادي اللحن عن القرآن وإبعاده ، وأنى للنحاة أن يضبطوا القواعد ويضعوا الأصول ويضيقوا دائرة الضبط و التقعيد حتى يبعدوا اللحن لو أنهم اتبعوا المنهج الوصفي ولم يتبعوا المنهج المعياري . ([2])

فلولا القياس – أو القاعدة النحوية – لاضطربت اللغة واختلفت التراكيب وأدى الأمر إلى فوضى لهذا فقد اتبع النحاة في دراسة النحو المنهج المعياري في بيان الصحيح الذي يجب أن يقال ويتّبع وفق القواعد العامة ، وبيان الخطأ في غير الصحيح حتى يسلم منه ويطابق تلك القواعد، وقد طبقوا هذا المنهج خير تطبيق في الأغلب لأن الهدف الرئيسي هو تفادي اللحن وإبعاده عن القرآن الكريم وعن ألسنة الناس ...

– **لكن هل نجح النُّحاة في تطبيق هذا المعيار في القبول و في الردّ ؟**

---

[1] – تمام حسان ، الأصول ، ص 108 .

[2] – د. أحمد سليمان ياقوت ، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم ، ص 90 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أولا / القبول .

لقد حظي السماع و القياس بعناية العلماء الفائقة في مرحلة بناء النحو ، فوضعوا لهما الضوابط و الأصول ، فكان للسماع قبائله وزمانه ومكانه ورواته ورحلاته ، وتفاوته بين الكثرة والقلة ، ومعياره النقدي لتنقية اللغة مما لم تستعمله العرب وجرى على ألسنة الناس. وكان للقياس رجاله الذين حكّموه فيما طرأ من الظواهر اللغوية ، وبقي معيارا نقديا يحتكم إليه ليبين ما يقبل وما يرفض، وللقبول درجات في هذا المعيار يعبر عنها بألفاظ متعددة قد تؤدي معنى واحدا وقد تختلف قليلا في درجة عن أخرى لأن همّ النحاة كان مقصورا على ما وافق أقيستهم فاستعملوها لكي تبين هذا الجانب ولم يوحدوها ولم يقرروها مصطلحات واضحة الحدود و المعالم فضلا عن أن كل نحوي يتفاوت عن الآخر في نظرته ودقته وموروثه اللغوي وذوقه.

وهذه الألفاظ هي (القياس– وجه الكلام – الباب – الحد) وليس بينها تفاوت يذكر كما أن هناك قسما يقل درجة عن هذه الألفاظ مثل (وهذا قياس ، وله وجه من القياس) وقد يترجح بعضها على بعض مثل" (والأقيس، والأجود، وأقوى، وجيد، وحسن، وهو عربي، وجائز) وغير ذلك ([1]) ولهذا لم يكن القياس عند قدامى النحويين إلا وسيلة من الوسائل لتقويم كلام العرب وضعت للتعليم وإرساء المبادئ والأصول حتى لا يكون هناك شذوذ في القواعد العامة .

ثانيا / الرد .

وإن البحث في تاريخ (القياس) معيارا نقديا في النحو العربي يعني الرجوع إلى الأسباب التي أدت إلى نشوء اللحن " فلا يصح الشعر ولا الغريب ولا القرآن إلا بالنحو، فالنحو ميزان هذا كله".([2]) ويعني أيضا تتبع ظهور حركة التنقية اللغوية التي بدأت بملاحظات يسيرة لتقويم ما انحرف عن الاستعمال اللغوي الصحيح. ([3]) لأن من تصدى لهذه المهمة الجليلة كان على معرفة واسعة بكلام

---

1 – د. سعيد جاسم الزبيدي ، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ، ص 136 – 137 .

2 – ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحي 200 – 291 هـ) مجالس ثعلب ، القسم الأول ، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، 1948 م ، ص 375

3 – يوهان فك ، العربية دراسات في اللغة و اللهجات و الأساليب ، ص 55 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

العرب ووجوه استعمالهم فما وافق الشائع جعلوا منه قياسا مطردا ، وما لم يظهر فيه وجه القياس وصفوه بالشاذ الذي لا يقاس عليه . ([1])

ولهم بين هذا وذلك ألفاظ أخرى اعتمدوا عليها في نقدهم المسموع من كلام العرب ، كان الهدف منها أن يصونوا اللسان العربي من اللحن ، ويبصروا – من خلالها – الناس بالاستعمال اللغوي السليم على وفق ما وضعوه من قواعد و أصول .

إن النحاة اصطنعوا مصطلحات كثيرة جدا في محور" الرد " بعضها قاطع حاسم واضح في المقصود منه ، مثل: (خطأ – محال – رديء – فاسد – قبيح – ليس له وجه – لا يجوز البتة) وغيرها، وبعضها ينبئ أن للرّدّ درجات متفاوتة قد تختلف اختلافا جزئيا ،ولم يولها النحاة عنايتهم ليزيلوا ما يعتورها من لبس ، أو ليحددوا درجتها في الرد لأنهم انصرفوا لتقويم ما جرى على ألسنة الناس فوردت ألفاظ وتعددت إلا أنها لا تختلف في المعنى كثيرا، منها (مكروه – ليس بالجيد – لم نسمع عربيا يقوله – غريب) ، و منها ما يشعر أنها أوضح في الرد مثل : (ضعيف – قليل – خبيث – قبيح – باطل – مرفوض – أقل الأقاويل) . ([2])

وتخضع المصطلحات لاجتهاد النحاة فيعبرون بها عن معنى حاضر في أذهانهم فلا يمنحونها الدقة المطلوبة في تحديد المصطلح ، وتبرز مسألة الخلاف النحوي بين المذهبين البصري و الكوفي بوضوح ، فما يراه البصري غير ما يراه الكوفي ، ويقع قسم من مصطلحات الرد في دائرة هذا الخلاف كما يقع الخلاف بين نحاة المذهب الواحد . ([3])

وقد بلغت عناية القدماء بالقياس أن ألفوا فيه كتبا مستقلة لم تصل إلينا سوى أسمائها منها :

---

[1] – محمد الخضر حسين ، دراسات في العربية وتاريخها ، ص 33 .

[2] – د. سعيد جاسم الزبيدي ، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ، ص 148 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 149 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

1 – القياس في النحو – ليونس بن حبيب . ([1])

2 – المقاييس في النحو – الأخفش الأوسط . ([2])

3 – القياس – لهشام الضرير . ([3])

وهذا الاهتمام الكبير بالقياس يدل على مدى حرص علمـــاء اللغـــة العربيـــة القدماء على ضبط استعمالات اللغة العربية ، وتقويم ما انحرف منها قصد تقلـــيص دائرة اللحن والحد منها ، لكن هذه النظرة المعيارية للقياس لم تلق تلك الحدة التـــي وجهها لها القدماء ؛ لأن نظرية المحدثين للغة تكون ملازمة لمبدأ التطـــور اللغـــوي – كأساس لجميع اللغات – " واللغة ظاهرة من ظواهر الحياة ، وقانون من قـــوانين المجتمع وظواهر الحياة تتبدل وتتشكل طوعا لتصاريف الزمن ،وقـــوانين المجتمـــع تتجدد وتتطور وفقا لما تقتضي به ضرورات الاجتماع ، وليست أقيـــسة اللغـــة إلا استنباطا مما يجري فيها من ألفاظ وصيغ فاللغة هي الأصل ، والقياس ... يتفـــرع ، فهو ظلها الناشئ عنها يمتد إذا امتدت ويميل معها حيث تميل ، و الصواب في اللغة مناطه الشيوع ، فمتى صاغت الكلمة في الأفواه فقد ظفرت بحجتها في الاعتداد بها، وأصبح لها في الحياة حق معلوم " . ([4])

و" لا تفرض اللغة على الناس في تحكم ، ولا يرادون عليها بـــإلزام ، ولكـــن تتبع ألفاظ اللغة من حاجات العصر ... فلنؤمن بأن السماع حجة للغة قائمـــة حتـــى لا نقف باللغة موقف الجمود ... وليكن باب القياس مفتوحا على مـــصراعيه حتـــى لا يمنع مانع من استنباط أقيسة جديدة فوق ما ورثنا من أقيسة صاغها الأقدمون" ([5]) مع ضرورة الحذر والحرص اللذين يضمنان للغة سلامتها و للاستعمال صحته .

وكما اهتم علماء العربية بالقياس ، فقد اهتموا أيضا بقـــضية أخـــرى هـــي " التصحيف و التحريف " لما لهذه المسألة من خطورة كبيرة في تفشي اللحن .

---

[1] – بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج1 ن ص 452 .

[2] – ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 2 ، وابن النديم ، الفهرست ، ص 105 .

[3] – ابن النديم ، الفهرست ، ص 138 .

[4] – محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ، ص 27 – 28 .

[5] – المرجع نفسه ، ص 31 – 32 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ج – محاربة التصحيف و التحريف :

ويرجع هذا العامل إلى عصر تدوين اللغة وكتابتها ، فالحروف العربية تنقسم إلى مجموعات متشابهة والتصحيف خاص بنقط الحروف المتشابهة في الشكل مثل (ب ت ث – ج ح خ – د ذ – رز – س ش – ص – ض – ط ظ – ع غ – ف ق) . ([1]) ذلك أن صور تلك الحروف واحدة ولا يفرق بعضها عن بعض في الكتابة الحديثة إلا النقط أو مقدارها ، والتحريف خاص برسم الحروف المتشابهة وشكلها مثل (در – دل – ذز – ز ن) في الحروف المتقاربة الصورة ، و (ل ع – م ق) في الحروف المتباعدة الصورة . ([2])

و التصحيف عند اللغويين على قسمين : تصحيف نظر وتصحيف سمع ،وإن كان أصله الأول من أخطاء النظر في الصحف ، وأكثر ما يقع تصحيف النظر في الأحرف المتشابهة رسما إذا لم تعجم ، كالباء والتاء والثاء والنون ، والجيم و الحاء والخاء والدال والذال والراء و الزاي ، والسين والشين ...الخ ، وأكثر هذه الأحرف متباعدة المخارج وبعضها متقارب في الصفات ،أما تصحيف السمع فأكثر ما يقع في الأحرف المتقاربة صفة أو مخرجا وهي غالبا لا تتشابه رسما عند إهمال نطقها، كالهمزة والهاء، والباء والميم ، والثاء والطاء ، والثاء والفاء والسين ، والجيم والشين، والدال والضاد ، والذال والزاي والظاء ، والسين والصاد ، و القاف والكاف " . ([3])

وقد سجل السيوطي تصحيفات وقعت لأشهر المعاجم العربية الموثقة كالعين للخليل والصحاح والمخصص وغيرهم كما سجل العسكري في كتابه " التصحيف " تصحيفات لأكثر من خمسين لغويا مشهورا. ([4]) فهما أكبر آفة منيت بها الآثار العلمية ، فلا يكاد كتاب منها يسلم من ذلك . ([5])

وصرح ابن جني بوقوع التصحيف و التحريف في بعض أمثلة الإبدال في فصل التحريف. ([6]) واعترف المحدثون بأن بعض ما وقع فيه الإبدال من ذلك

---

[1] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 537 .

[2] – عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط2 ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 65 – 66

[3] – صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص 236 – 237 .

[4] – د. أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، القسم الأول ، ص 359 .

[5] – عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص ونشرها ، ص 64 .

[6] – ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 436 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

كالدكتور صبحي الصالح . ([1]) والدكتور إبراهيم أنيس. ([2]) فليس من التجني إذا أن نرجح أن بعض الكلمات التي قيل إن بينها إبدالا لا تمت إلى الإبدال بأية صلة ، بل هي وليدة التصحيف والتحريف .

والتصحيف والتحريف تجمعهما صلة وطيدة ، وقد جمعهما العلماء أحيانا عنوانا لمؤلف واحد كما فعل أبو أحمد العسكري في مؤلفه " شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف" وكما فعل من بعده الصفدي في كتابه الموسوعي " تصحيح التصحيف وتحرير التحريف" . وقد شرح التهانوي في " كشاف اصطلاحات الفنون " المقصود منهما في مكان واحد ، وتعود الصلة بين اللفظتين – مع التجاوز عما فيهما من جناس لفظي – إلى أن مجال البحث فيهما – كما فهمه المتقدمون من العلماء – واحدا هو البحث عن الخطأ الذي يحدث في نطق الكلمة العربية نتيجة الخطأ الإملائي في قراءة الحروف المكتوبة ، سواء أكان الخطأ في نقط الحروف أم شكلها أم تبادلها الأمكنة .

فالتصحيف والتحريف مظهران للخطأ في قراءة الخط المكتوب، ويترتب على ذلك نطق كلمة جديدة قد تكون صحيحة لفظا ومبنى لكنها غير الكلمة التي قصدها صاحبها حين نطق بكلامه ، أو نطق كلمة ذات بنية محرفة في صيغتها ويرجع تحريفها إلى التغيير في حروفها أو شكلها ، بل إن مؤلفات التصحيف و التحريف قد ورد فيها أحيانا أمثلة – وإن كانت قليلة – لأخطاء إعرابية تعود أيضا إلى الخطأ فيري الكتابة أو التوسع في فهم ما يطلق عليه " التحريف " بما يشمل ما يطلق عليه اسم " اللحن" ويتضح هذا المظهر الأخير في كتاب الصفدي (ت 764 هـ) " تصحيح التصحيف و تحرير التحريف " إذ أورد كثيرا من أمثلة "اللحن" في كتابه، لكن ليس معنى ما تقدم أن كل واحدة من اللفظتين لم تكن تستخدم إلا ومعها الأخرى ملازمة لها فإن لفظة " التصحيف " استخدمت وحدها كثيرا في مواقف الخطأ في القراءة التي رويت أمثلتها عن علماء القرن الثاني الهجري ، مما نقلته إلينا كتب الأدب العامة ، أو الكتب المؤلفة نصا في موضوع " التصحيف و التحريف" فيما بعد وقد جاءتنا عناوين تلك المؤلفات مقتصرة على تلك اللفظة وحدها مثل" ما صحف فيه الكوفيون" للصولي (ت 335 هـ) و" التنبيه على حدوث

---

[1] – صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص 236 – 238 .

[2] – إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، ص 84

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

التصحيف " لحمزة بن الحسن الأصبهاني (ت 360 هـ) . ([1])

ويبدو أن كلمة التصحيف استخدمت وحدها أولا في وصف خطأ القراءة لما هو مكتوب ، ثم انضمت إليها فيما بعد كلمة " التحريف " مع تداخل المقصود منهما أو تخصيص كل واحدة منهما بنوع من خطأ القراءة . ([2])

قال حمزة الأصفهاني : أجاب أهل المعاني في معنى التصحيف فقالوا : أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراده كاتبه وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته ، وأما لفظ " التصحيف " فإن أصله – فيما زعموا – أن قوما كانوا أخذوا العلم عن الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء ، فكان يقع فيما يروونه التغيير ، فيقال عندها: قد صحفوا فيه أي : رووه عن الصحف ، ومصدره (التصحيف) مفعوله (مصحف) فأما (المصّحف) فمأخوذ من (أصحف إصحافا)، وأصله أن الصحف جمعت فيه فقيل: قد أصحف ولوسمي التصحيف تغييرا أو تبديلا جاز . ([3])

– قال العسكري : فأما معنى قولهم (الصحفي والتصحيف) فقد قال الخليل : إن الصحفي الذي يروي الخطأ على قراءة الصحف بأشباه الحروف . ([4])

– قال المراكشي : المخالفة في الحديث إن كانت بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخطّ فإن كان ذلك بالنسبة للنقط فالمصحف ، وإن كان بالنسبة للشكل فالمحّرف وأما اللحن فمما يرجع للإعراب . ([5])

---

[1] – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 50 – 51 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 52 .

[3] – الأصفهاني (حمزة بن الحسن) ، التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيقي محمد حسين آل ياسين ، ط1، مكتبة النهضة، بغداد 1997 م ، ص 36

[4] – العسكري (أبو أحمد الحسن بن عبد الله)، شرح ما يقع فيه التصحيف و التحريف ، تحقيق عبد العزيز أحمد، القاهرة 1962 ، ص 13.

[5] – المراكشي (أبو عبد الله الأفراني) ، منع المغيث في جواز اللحن في الحديث ، مخطوط، دار الكتب ، مجاميع تيمور، ص 5

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

– قال التهانوي : قالوا : مخالفة الراوي للثقات إن كانت بتغيير الحروف أو الحروف مع بقاء صورة الخط في السياق ، فإن كان ذلك بالنسبة إلى النقط يسمى ذلك الحديث (مصحفا) ، وإن كان بالنسبة إلى الشكل و الإعراب سمي (محرفا) وابن الصلاح وغيره سمى القسمين (محرّفا) . ([1])

ومن هذه الروايات لا يخرج المرء بتحديد حاسم موحد للمقصود بكل من التصحيف والتحريف ، ولا يخرج كذلك بتحديد حاسم لما يشمله التصحيف والتحريف من أنواع التغيير السابقة .

ج / 1 – أسباب ظهور التصحيف والتحريف :

ويرجع السبب الأساسي إلى حدوث هذه الظاهرة في رواية اللغة إلى الخط العربي وقابليته للتصحيف و التحريف ، فالخط العربي في البداية لم يكن منقوطا ولا مشكولا كما حدث في المصاحف الخمسة التي كتبها عثمان بن عفان للأمصار واستمر الناس يقرؤون فيها – على هذه الصفة – ما يقرب من نصف قرن من الزمان ، وفي عهد عبد الملك بن مروان – حين كثر الخطأ و التغيير – وضع نصر بن عاصم – فيما يقال – النقط على الحروف للدلالة على ما سمي فيما بعد بـــ " الشكل" ثم كان الإعجام الذي يميز بين الحروف المتشابهة كالجيم و الحاء مثلا، وكانت نقط الشكل تباين في شكل المداد نقط الإعجام ، واستمر الأمر كذلك على ما فيه من مشقة ، إلى أن أحدث الخليل – فيما يقال – الشكل الذي يرسم على هيئة أبعاض الحروف ، فأراح الناس بذلك من مشقة الكتابة بنوعين من النقط .([2]) فطريقة الرسم العربي إذن يعود إليها المسؤولية عن ظاهرة " التصحيف والتحريف"

---

1 – التهانوي (الشيخ العلامة محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي المتوفى سنة 1158 هـ) كشاف اصطلاحات الفنون ،المجلد الثالث ، وضع حواشيه أحمد حسن سبج ، ط1 ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1418 هـ / 1998 م ، ص 45 .

2 – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى (ص 56) و د. أحمد مختار عمر ، أنا و اللغة والمجتمع ، ط1 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1422 هـ / 2002 م ،ص 158 – 160 ، ود. صلاح رواي ، النحو العربي نشأته ، تطوره ، مدارسه ، رجاله ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة 2003 م ، ص 65 – 67 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ومع ذلك فقد ساعد إشاعة هذه الظـــاهرة وخطرهـــا " النّـــساخ " الـــذين يـــسمون بـــ " الورّاقين" أولئك الذين تنحصر جهودهم في احتراف " الوراقة " لنـــسخ الكتـــب العلمية وبيعها للناس، ولم يكن النساخ و الوراقون غالبا على العلـــم باللغـــة حتـــى يتمكنوا من التمييز بدقة بين كلمة وكلمة يعتمد التمييز بينهما على نقطة أو حركة أو تغيير أحد الحروف، وحينئذ يحدث الخلط بين ذلك في الكتابة، وهـــذا نفـــسه معنـــى التصحيف والتحريف .

ويشترك في هذه المسؤولية أيضا – على قلة – علماء اللغة أنفـــسهم ،فـــإن أحدهم قد يفهم الكلمة فهما خاصا سوغه السياق له ،ثم يقرأها ويرويها كما فهم ، وإن لم يتفق ذلك الفهم مع أصلها ومع ما قصده منها صاحبها ، ويترتب على ذلك أيـــضا حدوث التصحيف وما يؤيد ذلك عناية مؤلفـــات (التـــصحيف والتحريـــف) بـــإيراد تصحيفات العلماء في قسم خاص بهم، بل إن بعض هـــذه المؤلفـــات يفـــرق بـــين البصريين و الكوفيين في ذلك فيذكر أشهر العلماء من الفريقين مع ذكر نماذج مـــن تصحيفات كل واحد منهم مثل كتاب الصولي المسمى " ما صحف فيه الكوفيون ".

وقد أورد حمزة الأصفهاني في كتابه (التنبيه على حدوث التصحيف) قـــسما خاصا للعلماء سماه " تصحيفات العلماء في شعر القدماء " وعدد من علماء الفريقين خمسة وعشرين عالما فأورد نماذج من تصحيفاتهم، وفعل مثـــل ذلـــك أبـــو أحمـــد العسكري فجعل قسما خاصا لـــ (ما وهم فيه علماء البصريين) وقسما آخـــر عـــن (ما وهم فيه علماء الكوفيين) ، فهذه الأمور الثلاثة السابقة – الرسم العربي و النساخ ووهم العلماء – يعود إليها مجتمعة مسؤولية التصحيف والتحريف وإن كان الرســـم الكتابي أعظمها مسؤولية في ذلك . ([1])

– قال حمزة الأصبهاني : الذي أبدع صور حروف كتابة العرب لم يضعها على حكمة ولا احتاط لمن يجيء بعده ، وذلك أنه وضع لخمسة أحرف صورة واحـــدة ، وهي: " الباء والتاء والثاء والياء والنون " وكان وجه الحكمة فيـــه أن يـــضع لكـــل حرف صورة مباينة للأخرى حتى يؤمن عليه التبديل . ([2])

– وقال الجاحظ عن تحريف النساخ : لربما أراد مؤلـــف الكتـــاب أن يـــصلح

---

[1] – د. محمد عيد ــ المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 57 – 58 .

[2] – حمزة الأصفهاني ، التنبيه على حدوث التصحيف . ص 39

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

تصحيفا أو كلمة ساقطة فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعـــاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكـــلام ... ثـــم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخة لإنسان آخر فيسير فيه الوارق الثاني سير الـــوراق الأول ، ولا يزال الكتاب تتناوله الأيدي الجانية والأغراض المعتمدة حتـــى يـــصير غلطا صرفا وكذبا مصمتا . ([1])

– وقال أبو أحمد العسكري : فالاحتراس من التصحيف لا يدرك إلا بعلم غزير ورواية كثيرة وفهم كبير وبمعرفة مقدمات الكلام وما يصلح أن يـــأتي بعـــدها ممـــا يشاكلها ، وما يستحيل مضامته لها ومقارنته بها ويمتنع من وقوعه بعدها ، و تمييز هذا مستصعب عسر .([2]).

ولقد اتضح إذن مما سبق أن مظاهر التصحيف و التحريف تكون في تبـــادل الحروف المتميزة بالنقط أو الشكل الذي يحـــدد نطق هذه الحروف و يفـــرق بـــين الصيغ ، أو وضع حرف مكان آخر وإحلاله محله مما يغير نطق الكلمة، وينتج من ذلك أحيانا مخالفة بعض الظواهر النحوية وإن كان ذلك قليلا، والذي يترتـــب علـــى تبادل الحروف المتميزة بالنقط في التصحيف حدوث كلمات جديدة ذات معنى مخالف لما أراده منتج النص أصلا ، وقد تكون الكلمات المحدثة من التصحيف لا معنى لها على الإطلاق وإنما هي هراء لغوي لا يفيد شيئا ، أما تغيير شكل الحروف فيترتـــب عليه في النطق أمثلة جديدة تندرج تحت صيغ صرفية مخالفة لما كانت عليه قـــبلا ، وقد تخرج عن صيغ الصرف و مقتضيات اللغة أصـــلا فـــيحكم عليهـــا بالخطـــأ ، و الأول من هذين النوعين انحراف في المعنى والثاني انحراف لغـــوي فـــي بنيـــة الكلمات.

وتغيير الحروف غير المميزة بالنقط يترتب عليه أيضا كلمـــات جديـــدة ذات معنى مغاير لما قصد منها صاحبها الأصلي، أو كلمات محرفة البنية يحكـــم عليهـــا أيضا بالخطأ، وأما الذي يترتب على التصحيف و التحريف من خطأ النحو فيكـــون إذا حدث التغيير في شكل آخر الكلمة أو استخدام أداة في تركيب لغوي لا يتطلبهـــا المعنى النحوي له ، وهذا الصنف وإن كان قليلا إلا أنه يمثل جانبا يستحق الدراســـة

---

[1] – الجاحظ ، الحيوان ، المجلد الأول 1– 3 ، ص 53 .

[2] – العسكري ، شرح ما يقع فيه التصحيف و التحريف ، ص2

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و الاهتمام . ([1])

وإذا كان التصحيف والتحريف مسببين للفساد اللغوي، فالمؤكد أنهما قد لقيا التجند التام من طرف علماء اللغة العربية الذين لم يذخروا الجهد في محاربة اللحن أو الخطأ اللغوي عن طريق تدوين فصيح اللغة وتقويم الألسن ، والحفاظ على سلامة استعمالات اللغة العربية نطقا وكتابة .

ج / 2 – موقف علماء اللغة من التصحيف و التحريف :

فقد شغل التصحيف و التحريف أذهان علماء اللغة ذلك أن الخطأ الذي ترتب عليه – وإن كان يعود للرسم الكتابي – قد انعكس على النطق اللغوي بقراءة الكتابة وروايته القراءة ، وقد اهتم العلماء به لذلك ، إذ رأوا فيه خطرا يهدد اللغة وعيبا يؤاخذ عليه فاعله ، بل عارا يلحق من يصدر عنه ، وقد بدأ التصحيف و التحريف وانتشر بحيث لم يقتصر أمر هذه الظاهرة على العوام من القراء أو النساخ و الوراقين ، بل تفشت بين العلماء أنفسهم، كما يقول حمزة الأصفهاني : قد فضح التصحيف و التحريف في دولة الإسلام خلقا من القضاة و العلماء و الكتاب و الأمراء وذوي الهيئات من القراء . ([2]) وقال ابن حنبل : " ومن يعرى من الخطأ والتصحيف " . ([3])

ولقد وجدت ظاهرة التصحيف والتحريف في وقت مبكر وحملت اللغة مظاهر الخطأ التي ترتب عليها في الفترة نفسها التي هددتها فيه مظاهر الخطأ بـ " اللحن " حوالي منتصف القرن الأول الهجري، وكما وجه العلماء جهودهم لمقاومة اللحن بدراسة اللغة ووضع قواعد النحو، فقد بذلوا جهودا أخرى لمقاومة التصحيف والتحريف بوضع قواعد من نوع آخر لضبط الكتابة وتوقي الالتباس فيها، وعلى الرغم من أن كلا النوعين من القواعد لم يقدم الحل الحاسم الناجع لخطأ القول وقراءة الكتابة فإن قواعد النحو ظلت لديهم عالية سامية، واطرد اهتمامهم بها مع اطراد نموها ، أما في الجانب الأخر فقد أعلنوا يأسهم من وسائل الضبط في الكتابة

---

[1] – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 62 – 63 .

[2] – حمزة الأصفهاني، التنبيه على حدوث التصحيف، ص 38، والعسكري ، شرح ما يقع في التصحيف و التحريف ، ص 18 .

[3] – السيوطي ، المزهر ، ج2 ، ص 353 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وبحثوا عن وسيلة أخرى لتوقي خطأ القراءة فلم يجدوا غير إلزام النـــاس بوجـــوب المشافهة في رواية اللغة ، وهو حل شاق وغير عملي بالإضافة إلى أنه حـــاد عـــن موضوعه، إذ كان من المتوقع أن يواصل العلماء جهودهم في إصلاح الرسم العربي وضبطه، لكنهم – فيما يبدو – حين يئسوا من ذلك تركوا قضيته معلقـــة والتمـــسوا وسيلة أخرى هي وجوب المشافهة. ولم تقتصر جهود علمـــاء اللغـــة فـــي مقاومـــة التصحيف والتحريف على محاولة ضبط الكتابة والتواصي بالمشافهة في الرواية بل راحوا منذ القرن الرابع الهجري وما تلاه يبذلون جهدا آخر يتفق مع المرحلة العلمية لتلك الفترة ، وذلك بالالتفات إلى جمع أمثلة التصحيف والتحريـــف فـــي مؤلفـــات تضمنها .

فجهود علماء اللغة في مقاومة " التصحيف و التحريف " قد تـــدرجت فـــي الآتي : ([1])

1 – ضبط الكتابة العربية بالنقط و الشكل .

2 – ضرورة المشافهة في رواية اللغة .

3 – تنقية الأخطاء بجمعها في مؤلفات .

وقد تناقلت مصادر التصحيف والقراءات رواية مـــشهورة عـــن مقاومـــة ظاهرة التصحيف والتحريف في الكتابة، ومضمون هذه الرواية أن العلمـــاء تنبهـــوا لخطورة التصحيف والتحريف حين حدث في قراءة القرآن ، فكان من ذلـــك الـــدافع الأصلي الذي دفعهم البحث عن وسائل ضبط الكتابة فهذا الدافع الديني هو الذي أثار همم العلماء لتوقي التصحيف والتحريف في القرآن واتخاذ الوســـائل الواقيـــة مـــن حدوث ذلك فيه، ولكن هذه الشهرة ينبغي أن تقتصر علـــى موضـــوعها وزمانهـــا، وموضوعها هو مصاحف عثمان المكتوبة والخطأ في قراءتها، وزمانها هو منتصف القرن الأول تقريبا، فلا يفهم من ذلك أن التصحيف والتحريف لم يحدث في غيـــره من النصوص المكتوبة من قبل هذا العصر ومن بعده ، إذ من الثابـــت أن الكتابـــة كانت معروفة في عصر الرسول وقبل عصره، والمعتقد أنه قد دونت بالكتابة غيـــر المضبوطة أمور كثيرة كان منها نصوص اللغة من شعر ونثر، والمعتقد كـــذلك أن ظاهرة التصحيف والتحريف حدثت في قراءة هذه المدونات قبل حدوثها في قـــراءة

---

[1] – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 67 – 68 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المصاحف وإن كان غموض التاريخ العربي قبل الإسلام ، وفي غير القرآن لا يسعفنا بأدلة مؤكدة لإثبات هذا الاعتقاد.

وهذا هو نص الرواية المشهورة عن المصاحف كما أورده حمزة الأصفهاني: كتب عثمان المصاحف الخمسة وفرضها على الأمصار، فغبر الناس يقرؤون فيها نيفا وأربعين سنة و ذلك من زمان عثمان إلى أيام عبد الملك ، فكثر التصحيف على ألسنة الناس ، ففزع الحجاج وسأل كتابه تدارك الأمر فوضعوا النقط أفرادا وأزواجا وخالفوا بين أماكنها ،بعضهما فوق الحروف وبعضها تحت الحروف ، ومع ذلك كان يقع التصحيف فأحدثوا الإعجام فإذا أغفلوا الاستقصاء على الكلمة فلم توف الحقوق كلها من النقط والإعجام اعتراها التصحيف فالتمسوا حيلة ثالثة فلم يقدروا عليها ، فقد بان لمن عقل وأنصف من نفسه أن اعتراض التصحيف في هذه الكتابة مع ما جلب إليها من الزيادة في البيان بالنقط و الإعجام ليس إلا من ضعف الأساس . ([1])

وينبغي ملاحظة أن " النقط " المذكور هنا قصد به " شكل الحروف " من فتح وكسر وضم وسكون وتنوين، إذ كان – كما تقول الرواية – يوضع نقط أفرادا وأزواجا بعضها فوق الحروف وبعضها تحت الحروف ، وهو ما غير فيما بعد – على يد الخليل – إلى الشكل المرسوم على هيئة أبعاض الحروف " (َ ، ُ ، ْ) كما يلاحظ أن المقصود بـ " الإعجام " هنا هو النقط التي تفرق بين الحروف المتشابهة كـ (الباء و التاء و الثاء) أو (الجيم و الحاء و الخاء) ، و لأن كلا النوعين كان يرسم نقطا، فإن التمييز بينهما اعتمد على لون المداد المستعمل في الكتابة، وذلك جهد كبير بذله العلماء في ضبط الكتابة لكنه كما تشير الرواية – كان جهدا شاقا لم يستطع التزامه في كل ما كتب – ولم يمنع تماماً حدوث التصحيف واستمراره . ([2])

إذن لقد كانت الكتابة أول الأمر بلا نقط ، ولم يكن من العسير على العرب أن يقرءوا غير المنقوط قراءة صحيحة بهداية السياق و الفطنة وسرعة التمييز ، فلما اتسع نطاق المملكة وأقبل الأعاجم يتلقون اللغة مست الحاجة إلى النقط ، ثم نشأ الضبط أو الشكل تخفيفا لعبء الفهم وتقييدا لقواعد النحو والصرف ، بيد أن هذا

---

[1] – حمزة الأصبهاني، التنبيه على حدوث التصحيف . ص37–38، و العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ص 13

[2] – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 69 – 70 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الشكل لم يستعمل إلا فيما خيف عليه التحريف كالنصوص الدينية ، وما يشكل فهمه من القطع الأدبية و اللغوية ، إلا أن علامات الشكل لم تكن موفقة منذ نشوئها والدليل على ذلك ما كان يلجأ إليه العلماء القدامى من ضبط الألفاظ بتفسير الحركات لا بالعلامات " فيقولون مثلا : بفتح الحاء المهملة ، وضم الجيم المعجمة وكسر الثاء المثناة فوق ، وما إلى ذلك توخيا لدقة الضبط وخشية تصحيف النساخ " . ([1])

فقد بلغ من شعور الأقدمين بضرورة الضبط أنهم لم يكونوا يقتصرون على وضع العلامات المقررة بل كانوا يعبرون بدقة في المواضع المهمة للكلمات التي يخشون عليها الالتباس ، فيكتبون مثلا أن الكلمة بفتح الحرف الأول وسكون الثاني وضم الثالث وكسر الرابع ، وما بعثهم على ذلك إلا خوف التصحيف و التحريف وخشية ذهاب علامات الضبط ، أو أن يستثقل النساخ نقلها فأرادوا تسجيلها بالتعبير . ([2])

لهذا فقد ذاعت تلك العبارة اللغوية (لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي) ، فالمصحفي هو الذي يأخذ قراءته عن الصحف ، و الصحفي هو الذي يقرأ الصحف فتحدث في روايته الأخطاء باشتباه الحروف وتغيير الحركات ، و قد ترتب على ذلك حملة شديدة الوطأة عن المصحفين و الصحفيين جميعا ، وغدت نسبة ذلك إلى أحد العلماء شيئا يثير الحفيظة ويستوجب الإنكار لما يحلقه بسببه من نقص وعار . ([3])

وكما كانوا يهجون الصحفيين كانوا يمدحون من لا يعتمد على الصحف في علمه ، وفي ذلك يقول أبو نواس في رثاء خلف الأحمر :

لا يَهِمُ الحاء في القراءة بالخا ء ولا يأخذ إسناده عن الصحف . ([4])

وعلى كل حال فقد قاوم العلماء التصحيف و التحريف بإشاعة الحث على المشافهة في الرواية و التنفير من الاعتماد على الصحف وذم المصحفين ، وقد أفادت اللغة من ذلك دون شك ، وإن كان ذلك كله – في واقع الأمر – تظاهر

---

[1] – محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ، ص 18 – 19 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 46 – 47 .

[3] – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 72 .

[4] – العسكري ، شرح ما يقع فيه التصحيف و التحريف ، ص 18.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

لا يتفق مع الواقع ، فمعظم العلماء كانوا يكتبون ويقرؤون من الصحف . وقصارى ما يفهم من الدعوة إلى المشافهة وذم الخطأ عن الصحف هو دلالتها لا حقيقة ما تنطق به وهي تدل على شدة الحرص على ضبط اللغة والأخذ من العلماء ، وقد اعتبر هذا في الوقت نفسه بديلا لم يجدوا عندهم غيره لضبط النطق بعد أن شق عليهم ضبط الكتابة .

ويبقى بعد ذلك الأمر الثالث و الأخير في معركة العلماء مع " التصحيف والتحريف " وهو تنقية اللغة من الأخطاء بجمعها في مؤلفات هي : ([1])

- ما صحف فيه الكوفيون – محمد بن يحي الصولي (ت 335 هـ) .
- لتنبيه على حدوث التصحيف – حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت 360 هـ)
- التنبيهات على أغاليط الرواة – علي بن حمزة البصري (ت 375 هـ) مخطوط.
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف – أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت 382 هـ) .
- تصحيف المحدثين – مخطوط .
- تصحيف المحدثين – أبو الحسن علي بن عمر الدارة قطني (ت 385 هـ) .
- التصحيف و التحريف – أبو الفتح عثمان بن عيسى البلطي (ت 600 هـ) .
- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف – خليل بن أبيك الصفدي (ت 764 هـ) مخطوط .
- التعريف في فن التصحيف – محمد بن علي الصالحي (ت 953 هـ) مصور.

ومن خلال هذه المؤلفات يلاحظ أن التأليف في التصحيف والتحريف كان قليلا نسبيا بالنظر إلى الجهود التي بذلت في غيرها من مظاهر الانحراف في اللغة – كاللحن مثلا – وربما كان ذلك راجعا إلى كون هذه المؤلفات ترصد الخطأ الذي يعود أساسا إلى قراءة اللغة المكتوبة ، وهو جانب لا يصل في أهميته إلى حد الخطأ الذي يحدث في نطق اللغة ملحونة.

ثم إننا في مطلع نهضتنا الحديثة – حين بدأنا نتخذ الطباعة وسيلة للتدوين –

---

[1] – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 74 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

اكتفينا بالحروف العربية عارية من علامات الضبط للكلام ، فهل مبعث ذلك أننا عددنا أنفسنا عربا أقوى سلائق من العرب الخلص في العصر الأموي ، وأقدر منهم على ما يكتب بالحروف العربية غير المضبوطة ؟ كلا فإنه لا خلاف على أن قراءة الكلام غير المضبوط قراءة صحيحة أمر يتعذر على المثقفين عامة ، بل إن المختصين في اللغة الواقفين حياتهم على دراستها، لا يستطيعون ذلك إلا باطراد اليقظة ومتابعة الملاحظة.

لقد شاع بين المثقفين شعورا نفسيا نحو هذا الشكل ، شعور استعلاء عليه وأنفة منه ، إذ توهم الكبار أن الضبط لا يكون إلا للصغار، وأنه للتلاميذ دون الأساتذة وأن الكتب المدرسية هي وحدها التي تظهر مشكولة وعار أن تضبط الكتب التي توضع بين أيدي المثقفين الذين فارقوا مراحل التعليم، فمن قدم لمثقف كتابا مضبوطا فقد أساء الظن به، وعزا إليه تهمة الجهل بأوضاع اللغة وقواعد النحو و الصرف ، فلا غريب في أن يعجز العامة عن القراءة الصحيحة ، وأن يجد الخاصة فيها صعوبة وحرجا.

فقد ذهبت عن العرب سلائقها الفصيحة منذ عهود وآماد ،وأصبحت اللغة تؤخذ تلقينا وتكتسب تمرينا ، ولاشك في أننا أكثر حظا من العرب في العهود الغابرة فما كانت لديهم هذه الوسائل التي لدينا الآن من مطبعة تخرج الكتب و الصحف على اختلافها في سهولة ويسر ، ومن مذياع ينقل إلى الآذان ما تلفظه الأفواه في دقة ووضوح ...

- فأين من هذه الوسائل الناجعة ما كان للعرب القدامى من وسائل محدودة وعرة لجأوا إليها لإشاعة الضبط و التعريف بالصواب ؟

ولكن وسائلنا على يسرها وقوة أثرها لم نحسن استخدامها فلم تفدنا شيئا ، وذلك لأننا لم نلتزم ضبط الكلام فيما نؤلف من كتب وما نصدر من صحف وما نلفظ من قول في المذياع و التلفاز . ([1])

ج / 3 - الدعوة إلى الخط اللاتيني وموقف العلماء منه :

إن الساحة العربية اليوم تعرف جدلا خطيرا يتمثل في الهجوم على كل ما

[1] - محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ، ص 47 – 54 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

هو أصيل حتى أصبحت الأصالة وصمة عار ترادف الرجعية والتأخّر والتزمّت وكل مواصفات الجمود والتقهقر، بل يذهب خصوم الأصالة إلى أن الدعوة إلى الأصالة هي سبب تأخّر العرب بصفة خاصّة والمسلمين بصفة عامّة، ويتّصف هؤلاء الخصوم بالغلوّ والشطط لكل ما هو حديث وغير أصيل، ويفتحون صدورهم لكل ما هو وارد غريب غير عربي، ويحبّذون كل شيء آتٍ من لدن الغرب ، ويرون أنْ لا خير للإنسانية إلا بتقمّص هذا المولود الجديد ، وقطْع دابر كل أصيل ، لا يميّزون بين غثّه وسمينِه. ([1])

إن هذا الخط الذي نكتب به لغتنا العربية منذ مئات السنين – لاشك في أنه خط غير مبرأ من العيوب – فالهمزة فيه لها مشاكل تعتاص على البراعم الصغيرة من أبنائنا في مراحل تعليمهم الأولى فهم يرونها تارة وقد كتبت على ألف مثل (سأل) وتارة أخرى على واو مثل (يؤمن) وثالثة على ياء مثل (سئم) ورابعة على السطر بلا حامل يحملها مثل (سماء) . والألف المقصورة كذلك يرونها مرة بالألف مثل (دعا) وأخرى بالياء مثل (سعى) وهناك حروف تكتب ولا تنطق مثل : (اللام الشمسية والألف التي توضع بعد واو الجماعة ، وألف مائة ، و واو عمرو) . وحروف تنطق ولا تكتب كحروف المد في : (هذا وهذه وهؤلاء ولكن وذلك ..) ، وغير هذا وذاك. هناك تشابه محيّر للطفل في بعض أشكال الحروف كالباء و التاء و الثاء ، والجيم والحاء والخاء وغيرها، إذ نفرق بين أفراد كل مجموعة من هذه المجموعات المتشابهة بالنقط المفردة والمثناة والمثلثة من فوق الحرف أو تحته ، كما أن الكلمة إذا أهمل ضبطها بالشكل صارت في بعض الأحيان لغزا لا يحله إلا فهم المعنى أولا لكي يقرأ القارئ قراءة سليمة .

هذا وغيره من الأمور المعوقة للقراءة والكتابة عند النشء جعلت فريقا من الناس يحاول إصلاح هذا الخط وتيسيره، وشاركت المجامع اللغوية في هذا الميدان فأعلن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قبل حوالي نصف قرن من الزمان عن مكافأة مالية سخية لمن يتقدم بمشروع مبرأ من العيوب لإصلاح هذا الخط، وتقدم الكثيرون من العلماء وأشباه العلماء ببحوثهم واقتراحاتهم ولم يصل واحد منهم إلى حل مقبول لهذه المشكلة العويصة، فكانت هذه الجهود تكملة لما بذله القدامى في سبيل إصلاح

[1] – د سالم علوي، وقائع لغوية وأنظار نحوية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ ص 10

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الخط العربي، غير أن أي تفكير في إصلاح هذا الخط في العصر الحاضر يجب ألا يبتعد كثيرا عن نماذجه الحالية ، فقد ذاع هذا الخط وانتشر وكتب به تراث ضخم ، فأي تفكير في إصلاح عيوبه لا يصح أن يغفل هذا التراث، فما بالنا إذا رأينا من يدعو إلى هجره تماما واستخدام الخط اللاتيني بدلا منه ؟! [1]

إن نظام الكتابة العربية خير نظام لهذه اللغة ، إذ هو يفي بحاجتها إلى حد ظاهر ، ويفوق غيره من النظم الكتابية للغات كثيرة ، ولكن هذا لا يمنعنا من القول بأن هذا النظام لا يخلو من قصور وهفوات تنعكس على اللغة وتفسد ترجمتها نطقيا في حالات كثيرة ، لهذا فقد حاول الدارسون حديثا إصلاح هذا النظام وقدموا مقترحات عديدة من أهمها ما اقترح من أتباع رموز الكتابة اللاتينية و الأخذ بها في ضبط الكتابة العربية، لكن النقاد و المعارضين لدعوى القطع بين القديم و الجديد خشوا من الأمر ورأوا أنه إذا اتخذت حروف مقتبسة أو مخترعة أن تظل المؤلفات العربية التي توارثناها على توالي الأحقاب مستغلقة مستبهمة لا يمسها قارئ ، وبذلك تفقد الأجيال اللاحقة ما خلفته الأجيال السابقة من عصارات القرائح و العقول.

يقول محمود تيمور: " وجلي غاية الجلاء أن هذه الطائفة التي تضم بين جوانحها الأمة العربية كلها، يجري فيها اتجاه واضح على الإبقاء على الكتابة العربية القديمة والتهيب للعدول عنها، وإن كان الرأي العام في الأمة العربية كلها يؤمن بقصور تلك الكتابة عن الوفاء بحاجات الضبط ، ويعاني من صعوباتها ما يعاني ،ثمة عامل نفسي يسري بين جوانح الأمة العربية ... فإن جماهيرنا في نهضتنا الحديثة ... تتملكها نزعة المبالغة في الحرص على مشخصاتنا القومية ، وهذه الجماهير– في شديد حرصها ذلك – تتوهم أن حروف كتابتنا العربية إحدى هذه المشخصات ... وعلى الرغم من أننا طلاعون في نهضتنا إلى الأمام آخذون من الحضارة بكل الأسباب ، فإن جماهيرنا تلك ما برحت تحت وطأة من تقديس التقاليد المتوارثة تظن ما وسعها الظن بالنزول عن شيء من شؤون حياتنا الاجتماعية وإذ كان من الظواهر و القشور " . [2]

ثم يضيف : " و الحروف العربية القديمة وإن كانت لا تزيد على أنها أداة

---

[1] – د. رمضان عبد التواب ، الفصحى و القرآن الكريم أمام العلمانية و الاستشراق ، ص 42 – 43

[2] – محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ، ص 68 – 69 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

تصوير، وليست هي من جوهر اللغة في قليل ولا كثير ، فإنهـا قـد اتخـذت فـي أوضاعها القائمة مسحة من التقديس لشدة الألفة بها ....ولذلك لا يحسب كل تغييـر يلحق بها إلا استخفافا بشيء تحيط به هالة من المهابة و الإكبار " . ([1])

نعم هو استخفاف بشيء تحيط به هالة من المهابة و الإكبار يستحقها هـذا الشيء ، لأن الحروف العربية التي قطعت قرونا من الزمن لتنقل للبـشرية تراثـا ضخما لأمم سبقت ، قد تركت بصمات عميقة في التاريخ الحضاري للبشرية وأحق بأن تواصل مسيرتها التي اجتازتها بنجاح لا ينكره جاحد . وإن كانت هناك عيـوب ونقائص – وهذا ما تشكو منه أعظم اللغات الحديثة – فإن المطلوب هو معالجة تلك النقائص بما ينبغي إضافته أو تغييره تغييرا طفيفا يبقي على الجـوهر ولا يطمـس معالمه، ويضمن لنا ضبط الكتابة العربية، على أن لكل تغييـر طـارئ مـصاعبه الأولى، ولكل إصلاح عثراته في فواتح الطريق حتى يستقر الأمر وتستثبت الحال ، فلا ريب في أننا حين نأخذ أنفسنا بضبط ما نكتب سيشيع بيننا خطأ كثير، إلا أن هذا الخطأ سيقل ويضمحل على توالي الزمن وفقا لتتبع النقـاد والرغبـة فـي تـوخي الصواب .

ولا ريب كذلك في أن الأمر سيقتضي تخصيص طائفة من البصراء باللغـة للإشراف على كل ما تخرجه المطابع من كتب وصحف ومجلات حتى تبـرأ مـن اللحن والخطأ في ضبط الكلام ، ومر الأيام كفيل بإنشاء جيل جديـد مـن الكتـاب والمؤلفين يعنون بقدر كبير أو صغير عن معونة المراجعين و المصححين ، وهـذا الجيل ناشئ حتما متى شبّ على قراءة ما يقرأ مضبوطا أتـم الـضبط ، إذ يتعـود سلامة النطق وتستقر في أذهانه صيغ الكلمات و الجمل مضبوطة معربة فيكتبها كما ألفتها عينه ويتلفظ بها كما ألفتها أذنه ، وبذلك يقتطف ثمرة النحو و الـصرف دون تخصص في تعلم النحو و الصرف . ([2])

وفي الحقيقة ليس الخط العربي بدعا بين الخطـوط فـي مـشاكله ،فـالخط الفرنسي مثلا يعاني من عيوب مختلفة خطيرة تتمثل في أن به الكثير من الحـروف التي لا تنطق إلى جانب الدلالة على نطق معين بصورة مختلفة من الرموز – ومـع ذلك يقول فندريس – أحد علماء اللغة الفرنسيين – عن محاولة إصلاح هـذا الخـط

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 69 – 70 .

[2] – المرجع السابق ، ص 79 – 80 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفرنسي : " فإذا قمنا بإصلاح شامل دفعة واحدة كنا قد استبدلنا مكان اللغة المكتوبة التي تعودنا عليها ، لغة كتابية أخرى جديدة ، ويترتب على هـذا أن نطـرح وراء ظهرنا دفعة واحدة جميع المطبوعات التي نشرت بالفرنسية منذ قرون وهـو أمـر مستحيل ، هذا إلى أن مثل ذلك العمل يوجب على جيل أو جيلين من الفرنـسيين أن يتعلموا لغتين بدلا من لغة واحدة ؛ وإن هناك من العادات و التقاليـد الأدبيـة مـا لا يستطيع المرء أن يغيره بجرة قلم واحدة " . ([1])

وهؤلاء هم الأتراك عندما نبذوا الخط العثماني واستبدلوا به الخط اللاتينـي أصبحوا كالمعلقين في الفضاء ، إذ لا يعلم التركي في أيامنا هذه شيئا عن ماضـيه الغابر كما أنه أصبح حائرا في انتمائه الآن فلا هو أوربي ولا هو مـشرقي ، ولـم يفلح اختياره الخط اللاتيني في تقريبه إلى الغرب في قليل أو كثير . ([2])

لهذا فالمطلوب والمنشود هو مواصلة السعي قصد إصلاح الخط العربي مـع المحافظة على جوهر هذا الخط وعدم تغييره واستبداله ، إنما القـصد إلـى ضـبط الكتابة العربية حتى نحقق مفهوم السلامة اللغوية ، ونبتعد عن التصحيف و التحريف ومختلف مظاهر اللحن التي تشوب الاستعمال اللغوي العربي ، هذا الاستعمال الذي تتبعه علماء العربية وحرصوا على سلامته وحفظه من تسرب اللحـن إليـه كمـا حرصوا على حمايته من تأثير اللهجات العامية ، وكذا تـأثير اللغـات الأجنبيـة ، فقدموا بجهودهم العظيمة هذه خدمة جليلة للغة العربية ، وجب علينا مواصلة الجهد وبذل المزيد قصد تحقيق المزيد من المكاسب لهذه اللغة الشريفة لغة القرآن الكـريم و التراث العربي الزاخر الذي دون بهذه اللغة .

---

[1] – فندريس ، اللغة ، ص 413 .

[2] – د. رمضان عبد التواب ، العربية الفصحى و القرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق ، ص 44 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الباب الثاني

جهود علماء العربية في حفظ السلامة اللغوية من تأثير اللهجات العامية.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفصل الأول

الفرق بين اللغة واللهجة .

أ - تعريف اللغة .

ب - تعريف اللهجة .

ج - عوامل انقسام اللغة إلى لهجات .

د – عوامل توحد اللهجات في لغة واحدة .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- **تمهيد :**

لقد بذلت جهود قيمة قصد الحفاظ على سلامة اللغة العربية من التأثير الذي قد يصيبها من مزاحمة اللهجات العامية لها ، و المقصود هنا باللغة طبعا هو " اللغة النموذجية " أو" اللغة المعيارية " أو " المشتركة " ، فاللغة النموذجية مصطلح يوظف في علم اللغة الاجتماعي للإشارة إلى تنوع خاص من تنوعات اللغة في المجتمع المعين ، و هو تنوّع ذو الحظوة الرسمية والأدبية والمأخوذ نموذجا أعلى للاتباع لانتظامه سمات ترشحه لهذه المكانة، ضف له قواعد مستقرة ومنضبطة بقوانين وأحكام متفق عليها على المستوى العام ، لهذا فاللغة النموذجية بهذا الوصف هي الموظفة في دور التعليم والدوائر الرسمية و ما إليها من صحافة وإعلام، وهي كذلك لغة الأدب الجيد والأعمال العلمية والفنية، و المفضل توظيفها في المؤتمرات والندوات وما إلى ذلك من مواقع الاتصال المختلفة على المستوى العام وبخاصة المواقع السياسية والقومية التي لا تخص بيئة دون أخرى ، فهي تمثل وحدة المجتمع الذي يستعملها لهذا تسمى أحيانا " اللغة القومية " لأنها تجمع القوم على لسان واحد ، كما تسمى أيضا " اللغة المشتركة " في عرف بعضهم على أساس اشتراك الجميع في فهمها وتوظيفها ، وهذه التسمية الأخيرة تنطبق على اللغة النموذجية في بعض المجتمعات دون أخرى ، كالمجتمع العربي مثلا الذي يشترك أفراده في الفهم المتبادل بصورة أو بأخرى ولكن يصعب على كثير منهم توظيف العربية النموذجية توظيفا عاما . ([1])

و اللغة النموذجية لا تأتي من فراغ إنها في الغالب تطور للهجة معينة ذات موقع ثقافي متميز ثم تأخذ في النمو و الازدهار عبر الزمن بعوامل التطور الطبيعي حتى يكتمل بناؤها ويستقيم عودها ، فتصبح النموذج ذا الحظوة في المجتمع ، كما قد يحدث أحيانا أن يختار المجتمع أو أن يفرض لهجة معينة ويعتمدها نموذجا يحتذى ينبغي الأخذ به وعدم الخروج عن إطاره العام . يقول ماريو باي : " إن اللغة المعيارية " standard language " هي ذلك المستوى الكلامي الذي له صفة رسمية ، و الذي يستعمله المتعلمون تعليما راقيا ....وغالبا ما تكون اللغة المعيارية في أول الأمر لهجة محلية تنال شيئا من التمجيد أو التقدير و يعترف بها كلغة رسمية لسبب

---

[1] – كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، مدخل ، ص 184 – 185 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

من الأسباب كأن تكون لهجة منطقة من البلد اتخذت مقرا للحكم ...أو لهجة مجموعة من الناس أصبح لهم سيطرة عسكرية ... أو لهجة منطقة لها زعامة أدبية " . ([1])

و المشهور في عرف الدارسين العرب أن عربيتنا النموذجيـــة ســـلكت هـــذا الطريق فهي في رأيهم مبنية على لهجة قريش لما كان لها من مكانة وما لأهلها من وضع سياسي واجتماعي وثقافي بارز ، وقد حاولوا جهدهم في تثبيت أركـــان بنـــاء هذه اللغة النموذجية فتكفلوا برعايتها و الاهتمام بدراستها وتحليلها للخروج بقـــوانين وأحكام وضوابط توجه للاستعمال السليم لها ...

- **فما هي مواقف علماء العربية من انتشار اللهجات المحلية ؟**
- **وفيما تمثلت جهودهم في حفظ السلامة اللغوية من هذا الانتشار ؟**

[1] – ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ترجمة وتعليق الدكتور أحمد مختار عمر ، عالم الكتب القاهرة 1419 هـــ 1998 ، ص 138 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أ – تعريف اللغة :

منذ التقى الإنسان بغيره وهو يحتاج إلى وسيلة تفاهم وكما يقول فندريس : " أصبح تكرار القول بأن الإنسان كائن اجتماعي أمرا مبتذلا ، و لعل من أدل السمات على الطبيعة الاجتماعية في الإنسان تلك الغريزة التي تدفع على الفور الأفراد المقيمين معا إلى جعل الخصائص التي تجمعهم مشاعة بينهم ليتميزوا بها عن أولئك الذين لا توجد لديهم هذه الخصائص بنفس الدرجة . ([1])

ونحن الآن بصدد بيان أرقى الوسائل التي وصل إليها الإنسان في تفاهمه مع أخيه الإنسان، وهي اللغة الصوتية . ولم تعرف كلمة (اللغة) طريقها إلى الظهور بين مفردات العربية إلا بعد انتهاء القرن الثاني الهجري وقد أطلقت آنذاك على ما جمعه الرواة من البادية عن العرب الفصحاء بعد تفشي اللحن ، ولم يطلق على الرواة وهم القائمون بفنون اللغة لفظ (اللغوي) إلا في القرن الرابع بعد أن استفاض التصنيف في اللغة ، وتميزت العلوم العربية فصار صاحب اللغة يعرف بها ، وخلف ذلك اللقب لقب " الراوية " وممن عرفوا به في القرن الرابع أبو الطيب اللغوي وابن دريد و الأزهري وغيرهم . ([2])

ويعتقد أن الكلمة لم ترد في الأدب العربي قبل القرن الثامن الهجري فقد جاءت أول مرة في شعر لصفي الدين الحلي ([3]) ، وهو :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه فتلك له عند الملمّات أعوان

تهافت على حفظ اللغات مجاهدا فكل لسان في الحقيقة إنسان .

ويعبر القرآن الكريم عن اللغة بكلمة " لسان " في مثل :

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ .([4])

و ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾. ([5])

---

[1] – فندريس ، اللغة ، ص 302 .

[2] – الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص 257 .

[3] – صفي الدين الحلي ، الديوان ، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت 1382 هـ / 1962 م ، ص 453 .

[4] – سورة الشعراء ، الآية 195 .

[5] – سورة الدخان ، الآية 58 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ . ([1])

و ﴿ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ . ([2])

و ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ . ([3])

و ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ . ([4])

قال الإمام الزمخشري : واللسان هو اللغة . ([5]) وقال أيضا : ومعناه بلسان قومه بلغة قومه ، وقرئ بلسن قومه ، و اللسن و اللسان كالريش و الرياش بمعنى اللغة " . ([6]) ومن هنا يقول الدكتور أنيس : " يظهر أن العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا يعبرون عما نسميه نحن باللغة إلا بكلمة اللسان ، تلك الكلمة المشتركة اللفظ و المعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية ، وقد يستأنس لهذا الرأي بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة اللسان وحدها في معنى اللغة " . ([7])

ولكن الغالب على استعمال مصطلح " لغة " في كتاب سيبويه أنها شكل من أشكال انجاز جماعة بشرية، أي الإمكانات التعبيرية التي تستعملها العرب في التواصل ، فإذا تميزت جماعة عربية بكيفية من كيفيات الانجاز أو أكثر، اصطلح صاحب الكتاب على ذلك بـ" اللغة " . ([8]) فالنحاة قد يستعملون مصطلح لغة منسوبا إلى جماعة لغوية صغرى كـ " لغة أهل الحجاز" . ([9]) ولغة بني تميم ([10]) ولغة

---

[1] – سورة الأحقاف ، الآية 12 .

[2] – سورة النحل ، الآية 103 .

[3] – سورة النحل ، الآية 103 .

[4] – سورة إبراهيم ، الآية 04.

[5] – الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي 467 – 538 هـ) الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الجزء الثاني ، دار عالم المعرفة ، ص 344 .

[6] – المصدر نفسه ، ص 293 .

[7] – د. إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص 17 ، و.د حسن ظاظا ، اللسان و الإنسان مدخل إلى معرفة اللغة ، ط2 ، دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، دار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 1410 هـ / 1990 م ، ص 180 .

[8] – توفيق قريرة ، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب ، ط1 ، دار محمد علي للنشر ، تونس 2003 م ، ص 213 .

[9] – سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، ص 71 – 122 – 178 – 373 ، ج2 ، ص 316 – 319 .

[10] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص 384 ، ج2 ، ص 316 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

تميم. ([1]) ولغة هذيل ([2]) إذا ما تعلق الأمر بمركب إضافي. و" اللغة التميميـــة". ([3]) و" اللغة الحجازية" . ([4]) إذا كان المركب نعتيا. و" لغة أهل التخفيف " .([5]) و" لغـــة أهل التحقيق " . ([6]) ..الخ .

لقد استعمل سيبويه كلمة " لغة " في معنى" اللهجة " تأسيا بأستاذه الخليل بـــن أحمد الفراهيدي في مواضع متعددة من كتابه وقد جمع الكثير من الاختلافات اللهجية منها ما كان على مستوى الإعراب ، ومنها ما كان على المستوى الصرفي ، ومنها ما كان على المستوى الصوتي. ([7])

أ / 1 – اشتقاقها وتصريفها :

ويذكر اللغويون ومنهم ابن جني و أرباب المعاجم أنها مشتقة من الفعـــل لغا يلغوا إذا تكلم ، أو لغي يلغي إذا لهج ، يقول ابن جني : أما تصريفها ومعرفـــة حروفها فإنها فعلة من لغوت أي تكلمت وأصلها لغوة ككرة وقلة وثبة كلها لا ماتهـــا واوات ، لقولهم كروت بالكرة و قلوت بالقلة ، ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب وقالوا فيها لغات ولغون ككرات وكرون ، وقيل منها لغي يلغى إذا هذى ومـــصدره اللغا ، قال :

ورب أسراب حجيج كُظم عن اللغا ورفث التكلم .

وكذلك اللغو ، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ ([8]) أي بالباطل وفي الحديث : " من قال في الجمعة صهٍ فقد لغا ، أي تكلم " . ([9])

---

1 – المصدر السابق ، ج1 ، ص 122 – 178 .

2 – المصدر نفسه ، ج4 ، ص 440 .

3 – المصدر نفسه ، ج1 ، ص 71 .

4 – المصدر نفسه ، ص 72 .

5 – المصدر نفسه ، ج3 ، ص 554 .

6 – المصدر نفسه ، ص 555 .

7 – د. عمار ساسي ، اللسان العربي وقضايا العصر ، رؤية علمية في الفهم ، المـــنهج ، الخـــصائص ، التعليم، التحليل ، دار المعارف للإنتاج و التوزيع ، الجزائر 2001 ، ص 10 .

8 – سورة الفرقان ، الآية 72

9 – ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 33 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ومن نص ابن جني السابق يفهم أنه يرى اشتقاق لغة من لغا يلغو بمعنى تكلم، أو من (لغي يلغى) بمعنى هذا ، وبالاشتقاق الأول قال صاحب القاموس و بالثاني قال صاحب المفردات ، ففي القاموس لغا لغوا تكلم ج لغات ولغون . ([1])

وفي المفردات لغى بكذا أي لهج به لهج العصفور بلغاه أي بصوته ، ومنه قيل للكلام الذي يلهج به الناس فرقة فرقة لغة . ([2])

ومع ذلك ذكر الاشتقاق الثاني وما يتعلق بالمادة من معان لغوية ، يقال : لغيت تلغى نحو لقيت تلقى ، و اللغو من الكلام ما لا يعتد به ، وهو الذي يورد لا عن رويّة وفكرة فيجري مجرى اللغا ، وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور، قال أبو عبيدة : لغو ولغا ، نحو : عيب وعاب . وأنشد (عن اللغا ورفث التكلّم).

وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا ، قال تعالى : ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ ([3]) ، وقال : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ ([4]) وقال : ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾ ([5]) وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ ([6]) ، وقال : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ ([7]) ، أي كفوا عن القبيح ولم يصرحوا ...، ويستعمل اللغو فيما لا يعتّد به ، ومنه اللغو في الأيمان ، قال : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾ ([8]). ومن هذا أخذ الشاعر فقال :

ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم .

---

[1] – الفيروزابادي (العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب) القاموس المحيط ، ج4 ، دار الكتاب العربي ، ص 386

[2] – الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 452 .

[3] – سورة النبأ ، الآية 35

[4] – سورة القصص ، الآية 55

[5] – سورة الواقعة ، الآية 25

[6] – سورة المؤمنون ، الآية 03

[7] – سورة الفرقان ، الآية 72

[8] – سورة المائدة ، الآية 89

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وقوله تعالى : ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴿١١﴾ ﴾ ([1]) أي لغوا . ([2])

ومن خلال ذكر كلام اللغويين بنصه يتبين تأصل كلمة (لغة) في العربية وموادها ، فقد تبين أنها استعملت بمعناها الحقيقي الذي هو الأصوات الإنسانية وغيرها وما يمكن أن يشبهها من معان مختلفة ، وبناء على ذلك لا يقبل القول الذي ذهب إليه بعض المحدثين من أن كلمة لغة دخيلة على العربية وأنها معربة من كلمة " logos " الإغريقية التي تعني كلمة أو فكرة لمجرد وجود التشابه بين الكلمتين . ([3])

أ / ٢ – معنى " اللغة " :

ومن المعاني المركزية التي يدل عليها الجذر (ل غ و) ما يفيد التلفظ أو التكلم عامة من غير عقد . ([4]) أو قصد ، إلا أن اللغة تعني في دلالتها العامة الكلام الناتج عن عقد ، وبذلك فإنها وإن تشاركت مع " اللغو " في معنى التلفظ وإصدار الأصوات فإنها اختلفت عنه في اعتبار التلفظ عملية مبنية على التعاقد بين المتكلم و المخاطب حول العناصر التي تجعل الكلام الدائر بينهما مفهوما والتواصل تاما ، ولقد اهتم بعض علماء العرب بتعريف اللغة وتوضيح ماهيتها ، فقاموا بوضع تعريفات و الحق أن نظرة متفحصة في هذه التعريفات تؤكد لنا باليقين العلمي أن هذه التعريفات – على قدمها – تقف على قدم المساواة – وإن لم تسبق في بعض النقاط – مع أحدث التعريفات اللغوية لمفهوم اللغة . ([5])

فحدها ابن جني بأنها : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . ([6]) ووافقه في ذلك سائر القدماء من علماء اللغة العرب . ([7]) يعرفها ابن سنان الخفاجي فيقول:

---

[1] – سورة الغاشية ، الآية 11

[2] – الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 451 – 452 .

[3] – حسن ظاظا ، اللسان و الإنسان ، ص 121 .

[4] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج15 ، ص 289 .

[5] – د. حسام البهنساوي ، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1414 هـ / 1994 م ، ص 7 .

[6] – ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 33 .

[7] – الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، ج4 ، ص 386 ، وابن منظور ، لسان العرب ، ج15 ، ص 291 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

" اللغة هي ما يتواضع القوم عليه من الكلام " . ([1]) ويعرفها ابن خلدون في مقدمته بقوله : " اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ، فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان ، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها " . ([2])

ويميل إلى ذلك علماء الاجتماع فهي عندهم نظام من رموز ملفوظة عرفية يتعاون ويتعامل بها أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة . فيستفاد من هذه التعاريف كلها أن اللغة وسيلة مهمة في الربط بين أفراد المجتمع و التعبير عن شؤونهم المختلفة فكرية كانت أو غير فكرية ، من كل ما يهمهم في حياتهم الخاصة و العامة، ولعل علماءنا القدامى – حين خصوا اللغة – في اصطلاحهم العلمي بما يصدر عن الإنسان من الأصوات المعبرة عن الأغراض قصدوا الحديث عن اللغة التي تلبي حاجات الجماعة ، ويهتم بها المجتمع لأنها الوسيلة التي تفي بأغراض الناس وشؤونهم في الحياة .

وهذا كله يثبت أن اللغة هي الرابطة الحيوية بين أفراد المجتمع و التي تعبر عن حاجاته وتجمع شمله وتوحد أهدافه ، وهذا ملاحظ في تعريف علماء العرب ، ووافقهم فيه علماء الاجتماع " ولا تستغربن أن يكون للغات هذا المبلغ من الخطورة ورفعة الشأن ، فإن اللغة مرآة أحوال الأمة وعنوان أخلاقها ومقياس مدنيتها وسجل مفاخرها ومآثرها ، بل هي مستودع علومها وفنونها ومجلة عاداتها ونزعاتها بل هي الشاهد الخالد على ما كانت عليه من المجد و العز والسؤدد ، وما طوته من الأيام اللامعات وجازته من الحوادث الهائلات ". ([3])

ب – تعريف اللهجة :

أما اللهجة فقد ورد اشتقاقها بوجهين : الوجه الأول : أنها مأخوذة من لهج الفصيل يلهج أمه : إذا تناول ضرع أمه يمتصه ، ولهج الفصيل أمه يلهج إذا اعتاد رضاعها فهو فصيل لاهج . والوجه الثاني : أنها مشتقة من لهج بالأمر لهجا

---

[1] – الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص 48 .

[2] – ابن خلدون ، المقدمة ، ص 546 .

[3] – البستاني (العلامة الشيخ عبد الله البستاني) البستان معجم لغوي مطول ، ط1، مكتبة لبنان 1992 م.ص6

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ولهْوَج وألهج يعني أولع به واعتاده أو أغري به ، فثابر عليه ، و اللهج بالشيء : الولوع به . ([1])

وكل من الوجهين مناسب لوجود العلاقة بين أصل الاشتقاق ، وطريقة و النطق التي يتبعها الإنسان. فاللغة يتلقاها الإنسان عن ذويه ومخالطيه كالفصيل الذي يتناول اللبن من ضرع أمه فيمتصه ، كما أنه حين يتعلم اللغة يكلف بها ويولع كمن يتعلق بشيء معين ويولع به .

ب/ ١ – معناها :

و اللهجة " هي ضرب من التنوع اللغوي العاكس لأنماط الحياة زمانا ومكانا وحرفة وصنعة وثقافة ومناهج سلوك في المجتمع المعين . ([2]) والعلاقة بينها وبين اللغة هي العلاقة بين الخاص و العام ، فاللهجة مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها لكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات . ([3])

فاللهجة هي عبارة عن طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة ، ويعرفها بعضهم بأنها : العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة . ([4])

وهذه الطريقة أو العادة الكلامية تكون صوتية في غالب الأحيان – ومن ذلك – في لهجات العرب القديمة : الكشكشة وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا ، فيقولون : رأيتكش وبكش وعليكش ... فمنهم من يثبتُها حالة الوقف فقط وهو الأشهر ، ومنهم من يثبتها في الوصل أيضا ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكنها في الوقف ، فيقول : منش وعليش ،

---

[1] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، ص 419 – 420 .

[2] – د. كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، مدخل ، ص 88 .

[3] – د. إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص 16 .

[4] – د. محمد أحمد أبو الفرج ، مقدمة لدراسة فقه اللغة ، الناشر دار النهضة العربية ، بيروت ، ص 93 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ومن ذلك : الكسكسة وهي في ربيعة ومضر ، يجعلون بعد الكاف أو مكانها في المذكر سينا ، ومن ذلك العنعنة، وهي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم ، تجعل الهمزة المبدوءة بها عينا ، فيقولون في أنك عنك وفي أسلم عسلم وفي أذن عذن ...([1])

وقد تكون الطريقة متعلقة ببنية الكلمات ونسجها، فاسم المفعول إذا صيغ من الفعل الثلاثي الأجوف ، فإن عينه تعل عند الحجازيين سواء أكان واويا أم يائيا ، مثل : مقول ومدين ، ولكن التميميين يعلون الواوي ويتممون اليائي ، فيقولون : مبيوع ومديون . وقد يكون اختلاف الاستعمال اللغوي من جهة المعاني ، وتذكر كتب اللغة كثيرا من ذلك ، ككلمة (وثب) فهي عند حمير بمعنى (جلس) وعند عرب الشمال بمعنى (قفز)، و (السدفة) عند تميم (الظلمة) وعند قيس (الضوء) ([2]) ...الخ.

ولكن الاختلاف الصوتي يعدّ الدور المهم في اختلاف اللهجات وتنوعها ، وكل من اللغة و اللهجة تتصلان بالصوت أما اللغة ترتبط به من حيث إفادة المعنى وأما اللهجة من حيث صورة النطق وهيئته، والاختلاف الصوتي يرجع إلى :

1 – اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية .

2 – اختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات كترقيق الحرف وتفخيمه عند القبائل المختلفة .

3 – اختلاف في مقاييس بعض أصوات اللين ، إذ إن أي انحراف يصيب تلك الحروف التي تعرف بحروف المد عند القدامى يؤدي إلى اختلاف في نطقها

4 – تباين في النغمة الموسيقية للكلام ، فذلك يختلف بين القبائل وحسب البيئات المختلفة .

5 – اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض . ([3])

---

[1] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 221 – 222 .

[2] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 256 – 389 . و د. محمد عبد عبد الله عطوات ، اللغة الفصحى و العامية ، ص 16 – 17 .

[3] – د. عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص 28 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وتتدخل عوامل كثيرة لتساهم في تكون اللهجات :

ج – انقسام اللغة وتكوّن اللهجات :

فمنذ آدم (عليه السلام) واللغات التي يستعملها نسله يتوالى عليها الانقسام إلى لهجات وبعد الطوفان توزع أبناء نوح (عليه السلام) في الأرض ، فنشأت مجموعات لغوية تنسب إلى أبنائه الثلاثة : سام وحام ويافث ، وكل منها له فروع متعددة في القديم و الحديث .

وكل لغة كانت يوما ما لهجة من لهجات كثيرة للغة من اللغات ، ثم حدثت عوامل كثيرة أدت إلى موت اللغة الأم أو اندثارها ، وانتشار كل نبت من نباتها في بقعة من الأرض مكونة لغة لها خصائصها ومميزاتها التي تنفرد بها عن أخواتها ، وقد حدث ذلك في اللغات السامية المختلفة وكلها كانت لهجات للأم التي ماتت واندثرت من قديم الزمان .

وهذه هي اللاتينية تعد أما للهجات الرومانية المختلفة التي أصبحت بعد اندثار اللاتينية لغات لها كيانها وخصائصها، وهي : الإيطالية والفرنسية والاسبانية، وكل واحدة من هذه اللغات شملت مساحات واسعة من الأرض، فانقسمت بدورها إلى لهجات ، تماما كما حدث للغات السامية ومنها العربية التي انقسمت كذلك إلى لهجات مختلفة في الماضي والحاضر .([1])

ولاشك أن اللغة تبقى متحدة في المجتمع الذي يتخذها أداة له إذا كانت حياته الاجتماعية و الأرض التي يعيش عليها متحدة في أهدافها وعوامل تكوينها ، فإذا تغير شيء من ذلك كان إيذانا بتشعب تلك اللغة إلى لهجات.

ج / 1 – أسباب تشعّب اللغات إلى لهجات متعدّدة :

وقد أرجع العلماء تشعّب اللغات إلى لهجات لعوامل أهمها :

---

[1] – د. رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1415 هـ / 1994 م ، ص 73 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

1 – اختلاف البيئات الجغرافية و الظروف الاجتماعية :

فالأرض التي يعيش عليها البشر مختلفة فيها الجبال والسهول و الوديان، وفيها الأراضي الزراعية والقاحلة ، ومتى اختلفت البيئة الجغرافية فإن ذلك يؤدي إلى اختلاف اللغة ، فإذا انتشرت جماعة لغوية تعيش في مكان معين على أرض واسعة تختلف طبيعتها ، فإن ذلك يؤدي – مع طول الزمن – إلى تشعب لغتها الواحدة إلى لهجات ، وإذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسميا وخلقيا ونفسيا ، فإنها – كذلك – تؤثر على أعضاء النطق وطريقة الكلام.

فحين نتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية نستطيع الحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدة ، فقد تفصل جبال أو أنهار أو صحاري أو نحو ذلك بين بيئات اللغة الواحدة ويترتب على هذا الانفصال قلة احتكاك أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض أو انعزالهم بعضهم عن بعض ، ويتبع هذا أن تتكون مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة التي لا تلبث بعد مرور قرن أو قرنين أن تتطور تطورا مستقلا يباعد بين صفاتها ويشعبها إلى لهجات متميزة . ([1])

فالأصل في تشعب اللغات تشعب الجماعات . ([2]) واختلاف مظاهر الحياة الاجتماعية في البيئة يؤدي إلى التميز في اللهجة، ولاشك أن مظاهر الحياة الاجتماعية واسعة متشابكة متداخلة فمنها ما يرجع إلى البداوة و الحضارة وما يتصل بذلك من الأنظمة الاقتصادية وشؤون الحياة المادية ونظام السياسة و التشريع وحياة الأسرة ، فجميع هذه الأمور وما يتوالد منها له أثر فعال في اختلاف اللهجات في البيئة. ([3])

وليس للانعزال الجغرافي وحده كل الأثر في تكون اللهجات بل يجب أن يضم إليه الانعزال الاجتماعي واختلاف الظروف الاجتماعية بين البيئات المنعزلة ، فمن بين هذه البيئات المنعزلة ما تتخذ فيه العلاقة بين أفراد الأسرة شكلا خاصا ونظاما خاصا ، ومنها ما قد تشتهر فيه مهنة خاصة أو تتصف بطبيعة خاصة في

---

[1] – د. إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص 21 – 22 .

[2] – الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص 52 . و د. محمد عبد عبد الله عطوات ، اللغة الفصحى و العامية ، ص 48 .

[3] – د. أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، القسم الأول ، ص 88 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

تربتها تصلح لنوع خاص من الزراعة أو الصناعة فأبناء البيئات الزراعية لهم من الظروف الاجتماعية ما يخالف ظروف أبناء البيئات الصناعية أو التجارية . ([1])

فمن قوانين اللغات أنه إذا شاءت الأقدار للغة من اللغات أن تنتشر في شاسع من الأرض يقطن جنباته المترامية طوائف من الناس تخالفوا في المشارب و الوجهات وتمايزوا في أعمال المعاش بتمايز البيئات التي يقطنونها ويعيشون من خيراتها، فإنه يعز على اللغة الواحدة أن تظل على لهجة واحدة و نمط واحد لا تريم عنه، إنها لا تلبث أن تتفرق طرائق متعددة ولهجات كثيرة لكل منها قواعدها ومفرداتها ومظاهرها الصوتية ذات الدلالات المعلومة لديها . ([2])

ولا ريب أن كل قوم لهم قوانينهم وطرقهم الخاصة في معيشتهم وتفكيرهم سواء في ذلك الشعوب المختلفة وطبقات الشعب الواحد ، فكل شعب له ملامح ثقافية وعادات وتقاليد خاصة تختلف عن الآخر ، فالمجتمع الانجليزي غير المجتمع الفرنسي أو الأمريكي أو العربي في طريقة معيشه وقوانينه العامة و الخاصة ، و المجتمع الواحد قد يوجد فيه الطبقات الارستقراطية و الدنيا ، أو الطبقات الصناعية والزراعية والتجارية ، وغيرها من أرباب المهن المختلفة وبقدر ما يوجد من تلك المظاهر تتفرع لغات المجتمعات وتختلف، بل يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة ، والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذي لا يحد، وأنها في تغير دائم تبعا لأحوال الجماعات والأمكنة التي تعيش فيها، فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة . ([3])

كما أن تغير تلك الأحوال التي تعيش فيها الجماعة تنعكس أثارها على اللغة ، فالعرب عندما خرجوا من جزيرتهم إلى الأقطار المجاورة بعد الفتح الإسلامي تأثرت لغتهم وتشعبت إلى لهجات متنوعة ، فاختلاف المكان و النواحي الاجتماعية ووسائل الحياة كانت له أثاره في لغة الجماعة بعد ارتحالها من بلدها بحيث برزت علامات التغير في اللغة هنا وهناك .

---

[1] – د. إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص 22 .

[2] – محمد عبد الواحد حجازي ، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، ص 17 .

[3] – فندريس ، اللغة ص 315 ، ود. عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دار المعرفة الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع ، اسكندرية 1998 م ، ص 37 – 38 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

2 – الاتصال البشَري و آثاره :

فالإنسان مدني بطبعه – كما يقول علماء الاجتماع – فهو في حاجة إلى مساعدة من أخيه الإنسان ولذلك فقد يتصل بنو البشر لتبادل المنافع ، كما أن الإنسان قد يحتاج إلى الهجرة من وطنه الأصلي إلى مكان آخر بحثا عن القوت أو لأسباب أخرى دينية أو استعمارية، وبديهي أن تلك الاتصالات تحتاج إلى معرفة هؤلاء وهؤلاء بلغات الآخرين حتى يمكنهم التفاهم وتوثيق الصلات أو إخضاع جماعة ما لسيطرتهم، وهذا يؤدي إلى احتكاك اللغات بعضها ببعض ونشوء صراع بينها " فالتوسع وضرورة الاتصال يقتضي معرفة لغات عدة معرفة جيدة ". ([1]) مما يخلق اختلالا في الأداء ، فكثيرا ما لوحظ أن تطور اللغات يزداد سرعة بازدياد انتشارها في أقاليم في الخارج وازدياد عدد الناس الذين يتكلمونها وتنوعهم ، إذ إن انتشارها في أقاليم تحتك فيها بلغات أخرى يعرضها لأن تفقد خصائصها الموغلة في الذاتية ، و التأثير الذي يقع عليها من الخارج يؤدي بها إلى التغير السريع . ([2])

وهذه الاتصالات البشرية للمنافع أو للسيطرة ، واتصال اللغات نتيجة ذلك يعد عاملا من عوامل اختلاف اللغات عن أصلها بما يفرقها إلى لهجات " فتطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق في أية لغة ، بل على العكس من ذلك فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا مهما في التطور اللغوي " .([3])

ج / 2 – أثر هذه العوامل في اللغة العربية :

ولقد كانت الصحراء تمثل جانبا من البيئة الطبيعية للغة العربية ، ثم انتقلت الأمة العربية إلى الحاضرة فوجدت مناطق زراعية وأخرى تجارية ، وكان لذلك أثره في اختلاف أحوال أهلها بين تنقل وترحال أو إقامة واستقرار، ثم خرج العرب من جزيرتهم إلى المناطق المجاورة في الشام و العراق ومصر، فالتقت اللغة العربية مع أخواتها من الساميات كالعبرية والآرامية وغيرهما، كما التقت مع لغات

---

[1] – فندريس ، اللغة ، ص 348 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 427 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 348 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أخرى أجنبية كالفارسية و الرومية و القبطية ، وكل ذلك كانت له آثار بعيدة المدى في ظهور لهجات شتى للغة العربية ويتضح ذلك أكثر من خلال الإشارة إلى هذه العوامل : ([1])

1 – العامل الاجتماعي و الثقافي و الجغرافي :

فاللغة العربية – وهي إحدى لهجات اللغة السامية – كانت واحدة عند الناطقين بها ، ثم انقسمت بتأثير الحضارة و التطور إذ إن العرب لم تستمر حياتهم على طريق واحدة لا تتغير بل إنهم – كبقية البشر – تتغير أحوالهم الاجتماعية وما مر بهم من ثقافات فدعاهم ذلك إلى تطور لغتهم لتناسب مظاهر حياتهم الجديدة ، وقد أخذت العربية في التطور – كذلك – لانتقالها من البادية إلى الحاضرة ، فبعد أن كانت في بقعة صحراوية يتمسك أهلها بمنطق آبائهم الفصيح ، بدأت تنتقل بانتقال أهلها إلى مجتمع حضاري ، فتتغير على الألسنة وتتطور تبعا لذلك على الرغم من نهجهم طريق السلف ، و" ليس أحد من العرب الفصحاء إلا يقول : إنه يحكي كلام أبيه وسلفه يتوارثونه آخر عن أول وتابع عن متبع ، وليس كذلك أهل الحضر لأنهم يتظاهرون بينهم بأنهم قد تركوا وخالفوا كلام من ينتسب إلى اللغة العربية الفصيحة، غير أن كلام أهل الحضر مضاه لكلام فصحاء العرب في حروفهم وتأليفهم ، إلا أنهم أخلوا بأشياء من إعراب الكلام الفصيح " . ([2])

والفرق واضح بين صورة لهجات البادية التميمية ، ولهجات الحاضرة الحجازية المتمثلة في القرشية فقد ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوزان وتلتلة بهراء وغيرها ، فقريش ما ترفعت عن ذلك إلا للثقافات الاجتماعية التي نشأ أهلها عليها كذلك فبيئة الحجاز الحضارية غير الصحراء التي يعيش فيها بنو تميم .

2 – الاتصال البشري بين العرب وغيرهم :

ولم يعش العرب في عزلة عن غيرهم أو عن اتصال بعضهم ببعض فالحياة الاجتماعية تحتاج إلى صلات وروابط بين الأفراد و الجماعات و الشعوب، وقد

---

[1] – د. عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطوّراً ، ص 36 – 39 .

[2] – ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 29 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

تهيأت لهم وسائل هذا الاتصال عن طريق تبادل المنافع وعن طريق الغزو و السيطرة ، ولا ريب أن الإسلام – بعد الفتوح – قد محا ديانات الشعوب التي تغلّب عليها واحتلت لغته العربية الصدارة لديها في جميع الأعمال و الشؤون و المخاطبات العادية وقد تأثرت العربية – أيضا – بلغات البلاد المفتوحة وأثرت فيها ، وإذا كانت قد كتب لها التغلب فإنها قد فقدت – أيضا – بعض مميزاتها حتى تشعبت إلى لهجات ويؤكد ذلك تفشي اللحن على ألسنة العرب بعد انتشار الإسلام واتساع رقعة الدولة الإسلامية ، فمعنى ذلك أن احتكاك الشعوب يؤدي إلى احتكاك لغاتها ، وقد تبرز خصائص إحداهما على الأخرى : " ولولا مقاومة المجتمع التفكك اللغوي لأصبح العالم أمام حشد من صور التكلم التي تزيدها الأيام إلا تفرقا ، ولكن الذين يتكلمون إحدى اللغات يميلون دائما إلى المحافظة عليها كما هي . ([1])

وقد أدى هذا الاختلاط بين العرب والأجانب ممن دخلوا الإسلام إلى تفرع العربية إلى لهجات في البلاد المفتوحة كالمصرية والسورية والعراقية، وغيرها من اللهجات التي تتجلى آثارها حتى اليوم .

3 – اختلاط القبائل العربية وآثره في اللهجات :

وإن اتصال العربي بأخيه له كذلك أثره في لهجة كل فريق حيث تؤثر وتتأثر بأختها ، فقد دعت الحاجة الاجتماعية العرب إلى التلاقي و التعامل الاجتماعي " لأن العرب وإن كانوا كثيرا منتشرين ... فإنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته كما يراعي ذلك من مهم أمره " . ([2])

فلقاء اللهجات مهم للعرب كأمور الحياة الأخرى التي يلتقون من أجلها، وإذا التقى العربي بغيره حدث واحد من ثلاثة أمور :

- تمسكه بلهجته الأصلية .
- انتقال لسانه إلى اللهجة الجديدة .
- اجتماع لهجته مع لهجة غيره .

---

[1] – فندريس ، اللغة ، ص 326 .

[2] – ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 15 – 16 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وذلك يمكن فهمه من قول ابن جني : " اعلم أن العرب مختلف أحوالها في تلقي الواحد منها لغة غيره ، فمنهم من يخف ويسرع قبول ما يسمعه ، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة ، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به ووجدت في كلامه " . ([1])

وليس الغالب أن يبقى العربي على لهجته غير متأثرة بما يجاورها من لهجات إخوانه الآخرين ، بل إن الأعم هو التفاعل بين تلك اللهجات بحيث تأخذ هذه من تلك وتلك من هذه ، ولذلك كان تبادل التأثيرات اللغوية هو الشائع بين تلك اللهجات المتولدة من لغة واحدة ، وقد عقد ابن جني بابا " في العربي يسمع لغة غيره أيراعيها ويعتمدها أم يلغيها ويطرح حكمها " . ([2])

وعقب على بعض هذه الأوجه بأن صاحب لغة يراعي لغة غيره – لأن العرب يتصل بعضهم ببعض– كما يراعي ذلك من مهم أمره ، وقد يؤدي هذا التبادل للتأثير بين اللهجات – أحيانا – إلى انتقال لسان العربي إلى غير لهجته إذا كثرت صلاته بها .

وكما يحدث أن تنقسم اللغة الواحدة إلى لهجات عديدة لأسباب كثيرة ، يحدث أيضا وأن تتحد لهجات عديدة لتكون لغة واحدة لأسباب كثيرة أيضا .

د – التوَحّد اللغوي بين اللهجات :

إذن يحتاج الناس إلى اتصال بعضهم ببعض أفرادا و جماعات وأمما ولهذا الاتصال آثاره اللغوية ، فلهجات تلك الجماعات والأمم ولغاتها تتلاقى ويستفيد بعضها من بعض، والتأثر الذي يعتري لهجات اللغة الواحدة قد يبدو عاديا حين لا يكون الاختلاط بين الطبقات كبيرا، كلهجات القرى والمدن في أية دولة ، فلكل منها سمات تمتاز بها عن الأخرى، وبينها اشتراك في مظاهر كثيرة تستخدمها من اللغة العامة، ولهذا لا تستعصي إحداها على الفهم خارج حدودها ، اللهم إلا في حالات العزلة التي تعيش فيها بعض القرى والأماكن النائية ، أو الأقاليم التي تفصل بعضها عن بعض أمور جغرافية واجتماعية ، فإنها تؤدي إلى ظهور سمات تنفرد بها لهجاتها ، وقد تستعصى على فهم غيرها في البلاد النائية عنها ، وحين تتجاور

---

[1] – المصدر السابق ، ج1 ، ص 383 .

[2] – المصدر نفسه ، ج2 ، ص 14 – 16 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

اللهجات الخاصة في المدن الكبرى و القرى المجاورة لها تزيد درجات التأثر ففي داخل المدن يكثر الاختلاط بين الطبقات ، ويحاول الأدنى تقليد الأرقى ، ومع ذلك تبقى لكل لهجة خصائصها المميزة ، وسكان القرى المجاورة للمدن يحاولون التخلي عن خصائص لهجاتهم وتقليد لهجة المدينة ، لأن حضارة أهل المدن وثقافتهم تجعل الرغبة في تقليدهم ملحة لدى الريفيين . ([1])

وقد أجريت بحوث في هذا الحقل أوضحت عوامل تفوق لهجة على أخرى ، وهي تعود في معظمها إلى الثقافة و الحضارة و النفوذ و السلطان و عدد الناطقين ونحو ذلك فإذا انفردت إحداها بمزية بأن كانت أكثر ثقافة أو حضارة أو ذات نفوذ سياسي أو تجاري أو ديني واسع أو كثر عدد الناطقين بها ، فإن ذلك يدعو إلى تغلبها على أختها أو أخواتها من اللهجات الأخرى ، وقد حدث هذا كثيرا في التاريخ اللغوي ، فاللاتينية التي صارت لغة ايطاليا المشتركة وأخيرا لغة العالم بأسره كانت لغة روما أولا وقبل كل شيء ، أي لغة المدنية في مقابل الريف المجاور و اللهجات القاصية على السواء . ([2])

ولهجة قريش تغلبت على سائر لهجات الجزيرة العربية قبل الإسلام لتحقيق النفوذ السياسي و الاقتصادي و الديني لها ، ويمكن أن تنشأ على أثر ذلك لغة مشتركة تحمل خصائص اللهجة المتغلبة وما بقي من خصائص اللهجات الأخرى.

د/ 1 – أسباب توحّد اللهجات المتعددة في لغة واحدة :

وهذا التوحد اللغوي يخضع لعوامل كثيرة أهمها :

1 – العامل السياسي :

حيث يعد العامل السياسي أحد العوامل المؤثرة في قيام اللغة المشتركة ، إذ يعتمد هذا العامل على دعائم القوة و السيطرة و السلطان. ([3]) فالوحدة السياسية تؤدي إلى اختلاط سكان الأقاليم المختلفة واتصالهم بشكل قوي وبصورة دائمة ، ووجود حكومة مركزية مسيطرة على مجموعة من الأقاليم أو الدويلات تجعل

---

[1] – عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص 55 .

[2] – فندريس ، اللغة ، ص 229 .

[3] – د. حسام البهنساوي ، العربية الفصحى ولهجاتها ، ص 11 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفرصة سانحة لظهور لغة مشتركة وتوطيدها ، فالبلاط الملكي أو الجمهوري و الحكومة بجميع وزاراتها وأقسامها تجد نفسها مضطرة إلى استخدام لغة عامة في مكاتبتها و رسائلها إلى الأقاليم ، أضف إلى ذلك أن وجود مثل هذه الحكومة المركزية يجذب الناس إليها من أطراف الأقاليم المختلفة ويحتاج إلى استخدام عدد كبير منهم في مرافقها المتعددة ، كما أن الشعور بالمشاركة في الحياة يظهر عند الأفراد و الجماعات بمجرد اتحاد أقاليمهم سياسيا ، وبمجرد تحول الحكم في البلاد إلى حكومة واحدة تمثل آمالهم وآلامهم وترعى شؤونهم وأحوالهم ، وبمجرد تمثيلهم في برلمان واحد في عاصمة واحدة ، كل هذه العوامل تجعل الفرد بطريق شعوري أو لا شعوري يعدل من لهجته ويترك ما نبا منها وشذ ويقلد لهجة مواطنيه في الأقاليم الأخرى حتى يهيئ لنفسه الاندماج التام معهم ويرفع الحواجز بينه وبينهم ، وينفذ إلى أعماق حياتهم وينسجم معهم . ([1])

2 – العامل الاجتماعي و الاقتصادي :

كما تقوم بين جماعات الشعب روابط النسب و المصاهرة ، ويلتقون للتجارة وتبادل المنافع في شتى المجالات ، وقد تنشب بينهم المنازعات ، وهذا يؤدي إلى اختلاطهم وقوة الاتصال بينهم ، ولذلك أثره في التقريب بين اللهجات وظهور لغة عامة تتخلص من السمات التي تنفرد بها كل لهجة .

فالوحدة اللغوية تعتمد دائما على الاختلاط الاجتماعي وعلى أي نوع من المشاركة في الحياة ، فبطريق هذا الاختلاط وتلك المشاركة تتجه اللهجات إلى التخلص من الخصائص اللغوية التي لم تألفها آذان الآخرين و التي قد يميل من لا يعرفها إلى التهكم به ، ويتجلى هذا الاختلاط في مظاهر متعددة في " التجمعات البشرية " التي لها نصيب ملحوظ في التفاعل اللغوي بالتنمية و الإخصاب و التلقيح و الذي يؤدي في النهاية إلى التقريب بين اللهجات و الأساليب الكلامية المتنوعة بتنوع المشاركين في هذه التجمعات ، هذه التجمعات التي من صورها :

أ – العواصم و المدن الكبرى :

ذلك لما للعواصم و المدن الكبرى من جاذبية تدفع المواطنين – من مختلف الجهات – إلى النزوح إليها لما تحظى به من وسائل العيش و الكسب السريع ، ولما

---

[1] – د. كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي مدخل ، ص 148 – 150 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فيها من الهيئات و المؤسسات التي يقصدها المواطنون من وقت لآخر لقضاء مصالحهم وانجاز أعمالهم ، وهنا تكون الفرصة للتبادل اللغوي الذي من شأنه أن يصقل الأساليب الناشزة ، ويقرب الشقة بين الظواهر اللهجية المختلفة .

ب – الجامعات و المعاهد العليا :

كما تضم الجامعات و المعاهد العليا طلابا من مختلف البيئات و الثقافات ويحمل كل منهم لهجته الخاصة ذات الطابع المحلي ، ولكن الاختلاط المستمر في مدرجات الدراسة وفي اللقاءات الكثيرة المتكررة المتمثلة في تجمعات الأنشطة الاجتماعية و الفنية و الرياضية يكون سبيلا من سبيل التقريب بين اللهجات حيث يقلد الطلاب بعضهم بعضا بالأخذ والعطاء و التبادل بقصد التجويد و الصقل في أساليبهم الكلامية أو بقصد اطراح بعض الألفاظ و الأساليب التي تبدو شاذة وغريبة في المجتمع الجديد تجنبا للغمز و اللمز ، أو قصد الانسجام و الاندماج في الجو الاجتماعي السائد . ([1])

وما يحدثه الاختلاط في العواصم و المدن الكبرى ، وفي مدرجات الجامعات و المعاهد العليا يحدثه في التجمعات البشرية الأخرى أثناء أداء الخدمة العسكرية أو في أي نشاط آخر، فالاختلاط يساهم بصورة كبيرة عن طريق الاحتكاك الدائم إلى تصادم لهجي في البداية تتجلى من خلاله اختلافات كلامية متعددة لا تلبث هذه الاختلافات أن تتناقص مع الوقت عن طريق الصقل و الرغبة في التقارب و الاندماج مما يساهم أيضا في توحد لهجي .

كما يعد العامل الاقتصادي أحد العوامل المؤثرة – كذلك – في قيام اللغة المشتركة فلا شك أن القوة الاقتصادية سببا مهما وأساسا لبقاء الأمم وسيادتها ، ثم إن اللغة تكسب أهميتها من قوة متكلميها وثرائهم ، ولعل قريش تعد نموذجا حيا لتأثير هذا العامل ، فمن المعروف أن قريشا حباها الله برحلتي " الشتاء و الصيف " حيث جعلت الرحلتان لأهل مكة الثراء الاقتصادي و الشهرة التجارية وقد أسهم ذلك كله في تفوق لغتهم فأصبحت هي اللغة القوية و السائدة في أنحاء الجزيرة العربية . ([2])

---

[1] – المرجع السابق ، ص 142 – 144 .

[2] – د. حسام البهنساوي ، العربية الفصحى ولهجاتها ، ص 13 – 14 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

3 – العامل الأدبي :

كما أن الأدب وسيلة مهمة من وسائل التوحد اللغوي ، فالأدباء من قصاص وشعراء يكتبون أدبهم بلغة يفهمها جميع الشعب بمختلف طبقاته ، وتلك اللغة التي يكتبون بها تتخلص من الخصائص المتعلقة باللهجات المحلية لأي إقليم من أقاليم الدولة ، وهذا يهيئ سبيل التوحد للهجات الجماعات المتعددة، وقد سادت عند العرب لغة عامة صيغ بها النثر والشعر اللذان عنيت بهما الأسواق الأدبية كعكاظ وذي المجاز والمجنة ، وكم جرى التنافس والمبارزة بين الشعراء في هذه الأسواق ليحكم لهذا بالتفوق على ذلك ، وكانت تلك الأشعار مصدر إمتاع للجماهير العربية فساعد ذلك على ظهور لغة مشتركة بين العرب جميعا ، قامت على أساس اللهجة القرشية وما استفادته من محاسن اللهجات الأخرى .

ويدخل تحت عامل الأدب – أيضا– الإذاعة (راديو و تلفزيون) التي يجب أن تستعمل في أحاديثها وإذاعتها لغة يراعى فيها استعمال الأساليب و العناصر اللغوية التي لا تشوبها شائبة ، ومثلها الصحافة لما لهذه الوسائل الإعلامية من تأثير على الجماهير العريضة وبالتالي لما لها من دور في خلق لغة مشتركة . ([1])

4 – العامل الديني :

ويعد العامل الديني – أيضا – من العوامل المؤثرة في قيام اللغة المشتركة فاللغة العربية على سبيل المثال كانت سائدة في أنحاء الجزيرة العربية وكانت لكل قبيلة من قبائل العرب المتناثرين فيها سمة خاصة تتسم بها عن سائر القبائل بحيث يعلم السامعون أن هذه اللغة خاصة بقبيلة طيء ، أو هي خاصة بقبيلة تميم أو غيرها، في حين أن لغة قريش كانت تمثل اللغة المشتركة بالنسبة لبقية القبائل العربية ، وذلك بتأثير العامل الديني، فقد كانت قريش تتمتع بمنزلة دينية عظيمة قبل الإسلام حيث كانت قائمة على خدمة حجيج بيت الله الحرام من سقاية ووفادة ، وهذا ما سهّل تكوّن لغة مشتركة نتيجة اجتماع القبائل العربية فيها ونتيجة تباري الشعراء في الأسواق الأدبية المختلفة ، ثم بعد مجيء البعثة المحمدية ونزول القرآن الكريم بلغة قرشية بالدرجة الأولى أصبحت هذه اللهجة اللغة المشتركة للعرب جميعا ونالت الشهرة والذيوع بعد الفتوحات الإسلامية . ([2])

---

[1] – د. كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، مدخل ، ص 147 .

[2] – د. حسام البهنساوي ، العربية الفصحى ولهجاتها ، ص 12 – 13 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فالدين يجمع الناس حول كتاب واحد يقرؤونه ويتعبدون به ويطبقون أحكامه ويدعوهم إلى الاجتماعات العامة في الصلوات والأعياد والحج وغيرها ولذلك أثره الكبير في التوحد اللغوي .

ويقتضينا الحديث عن عوامل الانقسام و التوحد في اللغة أن نبين موقف لغتنا العربية – التي ورثناها عن أسلافنا – من التوحد و الانقسام ، فلغتنا العربية بدأت على ألسنة العرب الأولين وقبائلهم القديمة من أمثال (عاد) التي تعيش في جنوب الجزيرة ، و(ثمود) التي كانت تجاور الآراميين في شمالها وتفرق القبائل أدى إلى ظهور لهجات عربية هنا وهناك .

وقد وصلتنا نقوش تحمل بعض هذه اللهجات وتبين بعض معالمها الصوتية وخصائص القواعد و المفردات فيها ، ولما اندثرت القبائل القديمة المتحدثة بهذه اللهجات كانت بقايا منهم لا تزال تحمل لغة الآباء وتتحدث بها ، وعن طريقها نقلت إلينا العربية الباقية، وقد عاشت في شمالي الجزيرة (نجد و الحجاز و تهامة) واستطاعت في القرن السادس الميلادي أن تبسط نفوذها في الجزيرة كلها وتدخل اليمن مرة أخرى وتسيطر عليها وتمحو ما بقي فيها من لهجات وتحل محلها وهذا لأن أهلها العدنانيين استطاعوا أن يسيطروا على جنوب الجزيرة بعد أن ضعفت نتيجة الغزوات المتتالية من الفرس والأحباش وتبعهم الزحف اللغوي فتوحدت حينئذ لهجات الشمال والجنوب في لغة عامة واحدة قبل الإسلام بحوالي مائة وخمسين عاما تقريبا . ([1])

وإذا بحثنا عن أولية العربية الباقية فلن نستطيع الوقوف عليها لأن التاريخ اللغوية مجهول ، ولم تصلنا آثار ترشد إليه ، وكلّ ما نعرفه أنه توافرت لدينا نصوص أدبية – شعرا ونثرا – متكاملة القواعد و النظام اللغوي ، وهذا يعبر عن لغة بلغت شأنا من النضج والقوة ، ولكنه لا يرشد إلى فترة طفولة اللغة أيام كانت غير مهذبة القواعد و التراكيب.

وهذه اللغة التي بلغت غاية من النضج و التكوين هيئ لها أن تنشر في الجزيرة العربية الواسعة حيث تختلف البيئات و العادات و التقاليد بين الشمال و الجنوب ، والأحوال التي يعيش فيها أبناء العرب في مواطنهم المتعددة ، ولذا

---

[1] – عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص 60 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

لم تلبث أن انقسمت إلى لهجات عديدة في أنحاء الجزيرة ، ولم يعش العرب في جزيرتهم منعزلين بعضهم عن بعض، وإنما كانوا يلتقون في التجارة وفي الأسواق الأدبية التي يتبارى فيها الشعراء والأدباء ويقدمون نتاج قرائحهم ، وقد أدت لقاءاتهم المتعددة وسماع كل عربي للهجات إخوانه من المناطق الأخرى إلى أن يستفيد كل منهم من صاحبه من الناحية اللغوية كما يستفيد منه من النواحي التجارية و الثقافية وغيرها .

إذن ما إن نصل إلى العصر الجاهلي حتى نرى أن اللغة العربية قد ارتقت رقيا كبيرا وتطورت جميع لهجاتها التي تتكلم بها القبائل المختلفة ونشأت لهجة أدبية راقية تأخذ من هذه اللهجات جميعا . ([1]) ألآ وهي لهجة قريش التي حظيت بمكانة مميزة في شبه الجزيرة العربية مرتكزة على دعائم هي من أركان الزعامة في الصميم ، ولم تتوفر لغيرها من القبائل العربية على كثرتها وشدة بأس بعضها في المصاولة و القتال فعملت هذه الدعائم على تهذيب اللهجة القرشية وتهيئة الفرصة لها لتحتل الصدارة بين اللهجات العربية الأخرى .

د / 2 – أثر هذه العوامل في اللغة العربية :

وأهم هذه العوامل :

1 – نفوذهم الديني :

فقد كان القرشيون يحظون بتقدير العرب لهم لأنهم هم الذين يتولون القيام بشؤون البيت الحرام ويستضيفون الحجاج ويقومون على سقايتهم .([2]) وتعليمهم مناسكهم.([3]) وهذا كله جعل لقريش سلطانا دينيا فكانت لها مكانة روحية جعلتها ترتقي عرش القلوب في سائر القبائل العربية ، فلقريش عندها قدرها وجلالها الذي استمدته من قدر البيت العتيق وجلاله ومهابته ، فكان لهذا السلطان الروحي قدرة على امتلاك النفوس عن طواعية وتسليم . ([4])

---

[1] – حسين نصار ، المعجم العربي نشأته وتطوّره ، دار مصر للطباعة، بدون تاريخ، . ج1 ، ص 17

[2] – ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج1 ، ص 143 – 173 – 189 .

[3] – ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص 28 .

[4] – محمد عبد الواحد حجازي ، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، ص 18 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وهذا الاجتماع الكبير لقبائل العرب المتناثرة في أنحاء الجزيرة العربية في هذه البقعة الطاهرة المباركة حيث يختلط هؤلاء العرب مع إخوانهم القرشيين في مكة و يتأثرون بسبب الإقامة بين ظهرانيهم يتأثرون بلغتهم، مهد لأن ينشأ عن هذا الاختلاط لغة مشتركة فيما بينهم .

2 – نفوذهم التجاري :

وكانت التجارة في الفترة التي ظهر فيها الإسلام أهم وسائل اتصال العرب الحضاري بالأمم المختلفة ، فقد انعدمت الهجرات من شبه الجزيرة وإليها ، واستقرت الأوضاع إلى حد ما على الحدود خوفا من تلك القوى الهائلة التي حشدها الصراع بين الدولتين العظيمتين " الفرس والروم " ومن ثم انكمشت القبائل العربية فلم تتجاوز – إلا نادرا – حدودها في حين كانت التجارة قد تحددت مسالكها واستقرت تقاليدها منذ هاشم بن عبد مناف وأولاده ، وبذلك أصبحت شبه الجزيرة هي المعبر الأساسي للتجارة العالمية، إذ تنقل على أرضها ثم يتم تبادلها على حدودها، وهكذا كانت التجارة أبرز وسائل الاتصال الاجتماعي و الحضاري في تلك المرحلة التاريخية بما يستلزمه نظامها الدقيق من اتصال حتمي بين العرب وغيرهم .([1])

وليستدل البعض على عمل قريش في التجارة منذ الجاهلية من اسمها نفسه ، ففي لسان العرب : " وقيل سميت بذلك لأنهم كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب ضرع وزرع ، من قولهم فلان يتقرش المال أي يجمعه" . ([2])

فقد كانت لهم سفن تنقل التجارة من الحبشة وافريقية الشرقية عبر البحر الأحمر، وكانت تنقل تجارتها وتجارة اليمن إلى أسواق فلسطين ، وتنقل تجارة الشام وحوض البحر المتوسط إلى الحجاز ونجد واليمن. ([3])

وقد نزل القرآن الكريم مشيرا إلى رحلاتهم التجارية صيفا وشتاء قائلا : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ ﴾ ([4]) ، وكانت رحلتا

---

[1] – د. علي أبو المكارم ، تقويم الفكر النحوي ، ص 19 – 20 .

[2] – محمد عبد الواحد حجازي ، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، ص 19 .

[3] – ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج1 ، ص 48 .

[4] – سورة قريش ، الآيتان 1 – 2

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الشتاء و الصيف من أهم عوامل الانتعاش والثراء الاقتصادي كما كانت هاتان الرحلتان – إلى جانب البيع والشراء – فرصة للاختلاط بين الأقوام ، فكان لهذا الاختلاط أثر كبير في لغاتهم مما لاشك في أنه أسهم في بناء اللغة المشتركة .

3 – نفوذهم السياسي :

لقد كان هذا العامل وليد العاملين السابقين معا ، فهو ثمرة اندماجهما وامتزاجهما وليس ثمرة أحدهما دون الآخر ، فما كان يمكن أن ينبثق هذا النفوذ السياسي من العامل الديني وحده ، ذلك ولو أن له سلطانا على النفوس إلا أنه لا يستطيع أن يرسخ قواعده ويمد أساسه بغير اقتصاد صلب يتيح له الدعم و التفوق، وما كان يمكن أن ينبثق من العامل الاقتصادي وحده إذ ليس في مستطاع الاقتصاد وحده أن يسوس النفوس إذا فقد فطرة الوازع الديني و تطلعاته . ([1])

فكان نتيجة لما تمتعت به قريش من نفوذ ديني واقتصادي واسع أن تهيأ لها طائفة من الزعماء الذين كانوا يتدخلون لفض النزاعات سواء بين بطون القبيلة المتعددة أم بين المتنازعين من غيرهم .

كما أن مكة كانت حرما آمنا من ورد إليه لا يظلم ولا يعتدى عليه ، إلى جانب ما كان لقريش من علاقات ودية طيبة مع القبائل المختلفة في داخل الجزيرة وعلى أطرافها في الطريق إلى الشام أو العراق ، ولعل للنفوذ التجاري واستخدام بعض هذه القبائل في شؤون التجارة أثرا بيّنا في تحقيق السيادة القرشية ، إلى جانب ما تمتعوا به من نفوذ ديني وما كانت لهم من أحلاف كثيرة مع القبائل ، كل هذا جعل لهم سيادة سياسية بين العرب جميعا. ([2])

وبالتالي فمن المؤكد أن تلقى لغتها الانتشار والتأثير في غيرها من لهجات بقية القبائل العربية ، مما يساهم ويساعد في خلق اللغة المشتركة بين العرب جميعا، ففي حين أكسب العامل الديني أهل مكة – وقريش خصوصا – نفوذا سياسيا وسلطانا قويا ومهابة في أعين الناس وأكسبهم العامل الاقتصادي ثراء وغنى مكنهم من بسط نفوذهم السياسي فإن هذا كله سهل للغة قريش من أن تأتي في مقدمة لهجات العرب

---

[1] – محمد عبد الواحد حجازي ، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، ص 19 .

[2] – عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص 62 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و بالتالي تصبح اللغة المشتركة لجميع قبائل العرب ، لتدعم بصورة كبيرة بعد نزول القرآن الكريم بها فتنمو وتزدهر وتكتسب المهابة والتشريف .

4 – نفوذهم اللغوي :

ونتيجة لما سبق اتسع نفوذ القرشيين اللغوي ، فنمت لهجتهم وازدهرت وسادت اللهجات الأخرى ، فأصبحت لغة عامة للعرب جميعا ، واستعملتها القبائل المختلفة في نتاجها الأدبي الرفيع ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس : " فبيئة مكة قد تهيأت لها ظروف وفرص ، بعضها ديني ، وبعضها اقتصادي واجتماعي مما ساعد على أن تصبح المركز الذي تطلعت إليه القبائل وشدت إليه الرحال قرونا قبل الإسلام ، وكان أن نشأت بها لغة مشتركة أسست في كثير من صفاتها على لهجة مكة ، ولكنها استمدت أيضا الكثير من صفات اللهجات .([1])

وفي تكوّن هذه اللغة المشتركة يقول ابن فارس : " ... وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها ، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم و سلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب " . ([2])

ومما سهل لها الغلبة أن أهلها بعدوا عن التعصب لها ففتحوا أمامها لتستفيد من اللهجات الأخرى ما حسن وعذب ، وبهذا استطاعت أن تعبر عن كل حاجات الحياة وفنون الكلام ، وغنيت بكل الوسائل التي جعلتها مرنة تصلح لكل الأغراض .([3]) وعلى ذلك صاروا بطبيعة أرضهم في وسط العرب كأنهم مجمع لغوي يحوط اللغة ويقوم عليها ويشد أزرها ويرفع من شأنها ويزيد في ثروتها ، وبالجملة يحقق فيها كل معاني الحياة اللغوية . ([4])

والذي يعنينا هو تلك اللغة التي تتمثل لنا واضحة المعالم في هذه النصوص الكثيرة التي تنتظم فيما تنتظم شعرا تعارفوا على تسميته بالشعر الجاهلي ، وأرخوا

---

[1] – د. إبراهيم أنيس ، مستقبل اللغة العربية المشتركة ، ص 8 .

[2] – ابن فارس ، الصاحبي ، ص 28 ، و السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 210 .

[3] – علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ص 140

[4] – الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص 76 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

له بقرن ونصف قبل البعثة المحمدية وتنتظم أيضا نثرا يتمثل في خطب وأمثال وغيرها ، وعن تلك اللغة التي تصورها القراءات أصدق تصوير، وهذه اللغة كانت إلى جانب لهجات كثيرة تختلف فيما بينها اختلافا يكبر أو يصغر حسبما يكون بينها من تقارب أو تباعد ، لكن هذه اللهجات المختلفة لم تكن تمنع من وجود لغة مشتركة عامة يصطنعها أصحابها فيما يعنى لهم من فن أو من جدّ القول .

ويكاد القدماء يتفقون على أن لهجة قريش هي أعلى اللهجات العربية وأفصحها وهي التي سادت شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام يقول ابن فارس : " أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحلهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة ، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمد (ﷺ) فجعل قريشا قُطَّانَ حرمه وجيرانَ بيته الحرام ووُلاّتِه ...

وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب" . ([1])

وينقل السيوطي في الاقتراح عن الفارابي قوله : " كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وإبانة عما في النفس". ([2]) وينقل في المزهر عن ثعلب قوله : " ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنْعَنة تميم وتَلْتَلة بهْراء وكَسْكَسَة ربيعة وكشْكشة هوزان وتضجُّع قيس وعجْرفيّة ضبّة " . ([3])

كما ينقل قول الفراء : " كانت العرب تحضر الموسم في كل عام ، وتحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ " . ([4])

---

[1] – ابن فارس ، الصاحبي ، ص 28 ، و السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 210

[2] – السيوطي ، الاقتراح ، ص 33.

[3] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 211.

[4] – المصدر نفسه ، ص 221 . .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وسواء أكانت لغة قريش وحدها هي اللغة الفصحى أم أضيف إليها بعض اللهجات الأخرى لتكوين اللغة المشتركة ، فقد أصبحت لغة العرب جميعا قبل نزول القرآن الكريم لغة يحتذونها في خطبهم وأشعارهم ونزل القرآن الكريم بها فقوى من سلطانها ، وقد اعتبرت تلك اللغة أفصح اللغات وأنضجها لما بعدت عن الأمور التي تخل بالفصاحة .

ولنستمع إلى هذا الحوار الذي دار بين معاوية بن أبي سفيان ورجل من السماط حول أفصح الناس: " حكى الأصمعي أن معاوية قال ذات يوم لجلسائه : من أفصح الناس ؟ فقام رجل من السمّاط فقال : قوم تباعدوا عن عنعنة " تميم " و تلتلة " بهراء " وكشكشة " ربيعة " وكسكسة " بكر " ليس فيهم غمغمة " قضاعة " و لا طمطمانية " حمير" ، فقال : من أولئك ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين" . ([1])

وقد اعتبر ابن خلدون لغة قريش أفصح من غيرها من اللهجات العربية " لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم " . ([2])

ويوضح ذلك ابن جني حين يعتبر مقياس الفصاحة قائما على صحة السليقة و البعد عن الأعاجم وعدم التأثر بهم ، ويتبين هذا من الفصل الذي عقده في خصائصه بعنوان " باب في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر " يقول: " ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر، وكذلك أيضا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها وترك تلقي ما يرد عنها " . ([3])

وعلى هذا فليس اعتبار لهجة معينة أفصح من غيرها إلا بمقدار بعدها عن مظاهر الفساد واللحن، وقد تحقق هذا في اللغة المشتركة التي كانت لسان العرب جميعا.

---

[1] – الحريري ، درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها ، تحقيق و تعليق عبد الحفيظ فرغلي ، علي القرني ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة 1417 هـ / 1996 م ، ص 650 .

[2] – ابن خلدون ، المقدمة ، ص 555 .

[3] – ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 5 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفصل الثاني

جهود القدامى في حفظ سلامة اللغة العربية من تأثير اللهجات العامية .

أ - اللهجات قديما .

ب - مظاهر اختلاف اللهجات .

ج - موقف القدامى من اللهجات .

د - موقف النحاة من اللهجات .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أ – اللهجات قديما :

جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ ﴾ ([1]) ، وهذه الآية – مع دلالتها الدينية على عظمة الخالق وخلقه – يفهم منها أمر آخر هو أن اختلاف الألسنة بين الناس من سنن الحياة وطبيعة المجتمعات البشرية ، وليس اختلاف الألسنة مرادا به معناه العام فقط ، بمعنى اختلاف لغة كالعربية مثلا عن لغة أخرى كالفارسية بل يشمل ذلك أيضا الاختلاف الذي يكون في اللغة الواحدة وبين أفراد اللهجة الواحدة ، بل بين أفراد الأسرة الواحدة إذا اختلط كل من أفرادها بمجتمع يخالف المجتمع الذي يخالطه غيره. والذي ينبغي معرفته أن اللغة العربية في كل عصورها المعروفة اختلفت ألسنة العرب في نطق لهجاتها تبعا لاختلاف القبائل وظروفها الاجتماعية وأن هذا الاختلاف قد شمل أصوات الكلمات وبنيتها و الجمل و الإعراب كما شمل أيضا معاني الكلمات فهما ودلالة . ([2])

و الازدواجية اللغوية شيء بديهي في اللغة العربية، وقد نشأت هذه الازدواجية في الجزيرة العربية قبل الإسلام بين اللغة الفصيحة و لهجات القبائل ، فكانت الأولى لغة الأدب والعهود والمواثيق وكانت الثانية لغة التفاهم في الحياة اليومية ، ولم يكن هناك فارق كبير بين هذين المستويين التعبيريين لأن اللهجات ليست لغات مستقلة وإنما هي اختلافات صوتية وصرفية بين القبائل ، تتعلق بمظاهر الإمالة والفتح والهمز والتسهيل و الإدغام ...([3])

فكان العربي يتكلم مع أفراد قبيلته باللهجة الخاصة بهم فإن نظم شعرا أو دبج خطبة ليلقيها في حفل يضم أفرادا من قبائل مختلفة عمد إلى تلك اللغة المشتركة " الفصحى" ولولا هذه اللغة المشتركة لما كان بالإمكان تفضيل شاعر على آخر مادام مقياس الحكم مختلفا وأداة القول متباينة . ([4])

و الوحدة اللغوية التي صادفها الإسلام عند ظهوره ، وقواها القرآن بعد نزوله لا تنفي ظاهرة تعدد اللهجات عمليا قبل الإسلام ، وبقاءها بعده، بل من المؤكد

---

[1] – سورة الروم ، الآية 22 .

[2] – د. عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى واللهجات ،ص 39 – 40.

[3] – سمر روحي الفيصل ، اللغة العربية الفصيحة في العصر الحديث، اتحاد كتاب العرب 1993، ص 26

[4] – د.إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ط1، دار العلم للملايين، بيرون، لبنان 1982 م، ص 121

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أن عامة العرب لم يكونوا إذا عادوا إلى إقليمهم يتحدثون بتلك اللغة المثالية الموحدة، وإنما كانوا يعبرون بلهجاتهم الخاصة ، وتظهر على تعابيرهم صفات لهجاتهم وخصائص ألحانهم ([1]) فثبوت النون في الأفعال الخمسة رفعا ونصاب وجزما لغة، والمطابقة العددية بين الفعل المقدم و الفاعل المؤخر (أكلوني البراغيث) لغة ، والقصر في الأسماء الخمسة والأسماء المثناة لغة ، وذو الطائية لغة ، وما الحجازية لغة، وعدم حذف حروف العلة في جزم المضارع المعتل الآخر لغة ، إلى غيرها من اللغات الشاذة في النحو العربي . ([2])

ولكن وجود هذين المستويين في الكلام لا يعني أن لغة الشعر والخطابة والقرآن الكريم كانت بعيدة عن لغات التخاطب لدرجة يصعب على العامة أن تفهم هذه اللغة مثلما هو الشأن عندنا اليوم ، فهذا ابن جني انطلق من الواقع اللغوي العربي كما شاهده وهو عدم وجود اختلافات بين لغة الأدب ولغة التخاطب ، وما الاختلاف اللهجي إلا كيفيات مختلفة في أداء اللسان العربي فـ" هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته محتقر غير محتفل به ولا معيج عليه ، وإنما هو في شيء من الفروع يسير، فأما الأصول وما عليه العامة و الجمهور فلا خلاف فيه" . ([3])

ويؤيد رأي ابن جني :

- أن رواة اللغة حين قاموا بجمع اللغة لم يعتمدوا على لغة الشعر و الخطابة و القرآن الكريم فقط ، بل اعتمدوا أكثر من ذلك على لغة التخاطب اليومي عند القبائل الفصيحة ورحلوا إلى البادية لمشافهة الأعراب الفصحاء وقضوا هناك السنين.

- ولم يحدثنا التاريخ أن العرب وجدوا صعوبة في فهم القرآن الكريم ، فالقرآن نفسه نصّ على أن الله (ﷻ) لا يرسل رسولا إلا بلسان قومه، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ . ([4]) وطبعا لم ينزل القرآن خاصا بطبقة معينة إنما أنزل إلى الناس أجمعين و التاريخ يحدثنا أن العرب كانوا يفهمون القرآن جميعا وكانوا يقرؤونه حسب لغاتهم .

---

[1] – صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص 60 .

[2] – د. حسن خميس الملخ ، التفكير العلمي في النحو العربي ، ص 58 .

[3] – ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 244 .

[4] – سورة إبراهيم ، الآية 4 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ومما سبق يتجلى القرب الذي كان بين لغة الأدب ولغة التخاطب اليـومي ، وعلى أساسه يمكن دحض قول القائلين بالتفريق البعيد بين اللغة الأدبيـة المـشتركة وبين لغات التخاطب اليومي على أساس أن اللغة المشتركة هي لغة الخاصـة كمـا ذكر إبراهيم أنيس فقال : " ولذلك لم يتقنها إلا الخاصة من العرب وهي وإن كانـت مفهومة لعامة العرب يسمعون إليها في شوق وإعجاب ، غير أنها لم تكن في متناول جمهور الناس وعامتهم ، ولذلك كانوا يرون إجادتها مما يرقى بالمرء إلى المركـز المرموق بين أهله وعشيرته " . ([1])

على أن المعلومات التي بين أيدينا عن اللهجات الخاصة لا تتعـدى الإشـارات الموجزة و العلامات التي لا تعدوا أن تكون ملاحظات لا تكون في مجموعها مـادة كافية لرسم صورة للهجة ما من اللهجات في بداية القرن الأول الهجري ، ذلـك أن النحويين و اللغويين قد جمعوا هذه الملاحظات منذ أن بدأوا فـي تثبيـت قواعـد العربية وظلت هذه الملاحظات تتناقل من جيل إلى جيل دون تصنيف وضبط بحيث لا نستطيع أن ننسب على وجه التحديد أية إشارة من هذه الإشارات اللغويـة إلـى أصحابها . ([2])

فلم يدرس هؤلاء العلماء اللغات منفصلة وإنما درسوها باعتبارها روافد للسان العربي ، واعتمدوا نظرية الشيوع وخاصة عند البصريين فما شاع عند أكثر القبائل أخذ على أنه يمثل الأفصح الذي يجوز القياس عليه وما خالف هذا الـشيوع سـمي لغـات ، وقـد انتقـد بعـضه المحـدثين هـذا المـنهج ، يقـول آل ياسـين : " والحق أن البصريين و الكوفيين اغفلوا التفريق بين اللهجـات العربيـة و اللغـة المشتركة ". ([3])

ذلك لأنه لم يكن عندهم لهجات وفصحى ، بل كان عندهم لهجات اتحدت فـي كثير من خصائصها فكونت اللغة الشائعة لـدى الجمهـور واختلفـت فـي بعـض ظواهرها فكونت ما سمي باللغات ، لذلك فإن القدامى في دراساتهم ركـزوا علـى اللسان العربي فلم يدرسوا اللهجات لذاتها بل درسوها كروافد لهذا اللسان .

---

[1] – إبراهيم أنيس ، مستقبل اللغة العربية المشتركة ، ص 9 .

[2] – د. إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 69 .

[3] – محمد حسين آل ياسين ، الدراسات اللغوية عند العرب ، ص 230 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وقد صقلت لغة القرآن العربية وطبعتها بطابع خاص ، ثم إنها ميزت من الفصيحة مستوى رفيعا أخذ الناس بمبانيه ومعانيه وصار هذا النمط القرآني يفرض على المسلمين اللغة الرفيعة المهذبة التي سحروا بها في آي القرآن . وهذه الفترة من تاريخ العربية ذات أثر كبير في اللغة ، وقد عملت على توحيد كثير من خصائص اللغة التي هي ألصق ما تكون بما ندعوه اليوم باللهجات ، وهكذا طغت على الألوان الإقليمية فشاعت وكان منها للعربية لون عام ضبطت حدوده وأصوله على وجه عام .

ولا يعني هذا أن شيئا كثيرا من تلك الألوان قد زال عن أصله ، ذلك أن هذا الأمر ليس بالسهل وأن مسألة التعود ودرج الناس على طريقة في الكلام من المسائل التي لم تنقرض دفعة واحدة ، وفي تاريخ العربية ما يشير إلى أن الأمصار قد استمرت تقرأ كتاب الله بلحون خاصة ، وهذه الألحان معروفة مقيدة بأقاليمها فمسألة القراءات لم تكن غريبة عن موضوع (اللغات) الخاصة أي (الألحان) أو اللهجات . إذا فالعامية قديمة جدا، وإذا عدنا متفحصين لنضع نماذجها ونصوصها في حيز تاريخي محدود ، وجدنا صعوبة قائمة في هذا الأمر ذلك أن العامية في العربية لم تنل اهتمام الدارسين لانشغالهم بالقرآن أو لغة القرآن وإثبات معجزة الدين الحنيف التي تقوم على الجانب اللغوي من التنزيل .([1])

ولهذا فمشكلة الفصيح و العامي قائمة في كل عصر في التاريخ الإسلامي ، ولا نستطيع أن نعد شيوع اللحن دليلا على نشوء العامية فقد عرف اللحن في أوائل العصر الإسلامي ، وقد ظهر على ألسنة الطبقة المثقفة المتعلمة ، ففي الأخبار أن عمر بن الخطاب قد أدب أولاده بسبب اللحن وأن عبد الملك بن مروان كان يحذر أبناءه من اللحن لأن اللحن في منطق الشريف أقبح من آثار الجدري في الوجه ، وقد أشار الأصمعي إلى اللحن في لغة مالك بن أنس ومعلوم أن مالكا هذا يحتل مكانة عالية بين الطبقة المثقفة ويرجع إليه في مسائل كثيرة ، وقد فطن النحاة إلى أن اللحن قد عرض لقراء القرآن فهم يعيبون على نافع مقرئ أهل المدينة أنه قرأ (معائش) بالهمزة ، وكان حقها أن تقرأ بالياء فقد كان الغرض من وضع قواعد النحو حفظ لغة التنزيل أن يتسرب إليها اللحن والأخذ باللغات الإقليمية . ([2])

---

[1] – د. إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 153 – 154 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 146 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

" ومعلوم أن لكل زمن أو بيئة ذوقا خاصا في استعمال ألفاظ اللغة ، ويبدو ذلك في أدب الأمة ولاسيما في الجانب الشعبي منها ، ولا يمكن أن تطبق ما تواضع عليه الناس من أساليب الذوق في هذا الباب في زمن معين ، على لغة أو لهجة في زمن آخر أو بيئة أخرى ، ومن صفات العامية في كل عصر أنها لا تعنى كثيرا بالمألوف من قواعد العربية ، ومعنى ذلك أن شيئا من اللحن قد وقع فيها دون أن يكون قصد في هذا الأمر ومسألة ذلك متعلقة بالسجية الفطرية التي تنطلق بصورة عفوية ولا نستطيع أن نعد شيوع اللحن دليلا على نشوء العامية " .([1])

بل إن شيوعه كان علامة بارزة في هذه العاميات التي عمت بلاد العرب ، **و إلا فلِمَ كانت عنايتهم بلغات الأمصار و الأقاليم و القبائل ؟ ولِمَ أخذوا اللغة عن قبائل بعينها** ؟ ووسموا طائفة من القراءات بالشواذ . أليس هذا لأن هذه الأنماط اللغوية قد حفلت بخصائص تتصل بالأصوات والأبنية مما لا تعرفه العربية الفصيحة التي ارتضوها أن تكون المثل المفضل و النموذج الذي ينبغي أن يسود ويشيع. ([2])

لقد بدأ الاختلاف اللهجي واضحا في الجزيرة العربية نتيجة لاتصال أهلها ولقاء بعضهم ببعض في التجارة والأسواق التي كانت تعقد للأدب والشعر وهم وإن كانوا يلجأون في هذه الأسواق إلى الفصحى ، فإن لهم لهجاتهم التي كانت تتسرب إلى منطقهم في بعض الأحيان و كانوا يتكلمون بها في شؤونهم الخاصة ، ولابد أن جزيرة العرب باتساعها ورحابتها كانت مدعاة إلى اختلاف البيئات مما هيأ للهجات أن تنشأ وأن تتصارع فيما بينها حتى أدى ذلك إلى سيادة لغة عامة بين العرب جميعا، ولم يكن الخلاف جوهريا بين اللهجات العربية للصلة القائمة بين العرب.([3])

وقد أورد ابن جني ما يدل على أن الخلاف بين اللهجات في الفروع لا الأصول، قال : " فإن قلت : زعمت أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها، وقد نراها ظاهرة الخلاف ... قيل : هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته مختصر غير محتفل ولا معيج عليه ، وإنما هو في شيء من الفروع يسير ، فأما الأصول

---

[1] – المرجع السابق ، ص 155 .

[2] – إبراهيم السامرائي ، العربية تاريخ وتطور ، ص 356 .

[3] – عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص 77 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وما عليه العامة و الجمهور فلا خلاف فيه ، ولا مذهب للطاعن به " . ([1])

وكان لدواعي الصلة بين العرب اجتماعيا وتجاريا ودينيا أثر في استخدام لغة عامة واحدة يفهمها الجميع تكونت وشاعت بفعل العرف الذي فرضته الصلات الاجتماعية و النفع و الانتقال وما إلى ذلك ، ومن الأسانيد الدالة على وجود كل من الفصحى و اللهجات في الجاهلية ما ورد من كلام الرسول (ﷺ) مع الوفود العربية التي كانت تأتيه رغبة في الإسلام ، وكذلك كتبه إلى الملوك ورؤساء العشائر العربية في الدعوة إلى الإسلام وشرح مبادئه . ([2])

روى ابن الأثير : قال علي بن أبي طالب للرسول – وسمعه يخاطب وفد بني نهد – : " يا رسول الله نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره " فقال : " أدبني ربي فأحسن تأديبي وربيت في بني سعد " . فكان الرسول يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم ، كلا منهم بما يفهمون ويحادثهم بما يعلمون ، ولهذا قال – صدق الله قوله – : أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم " . ([3])

ومن أقوى الأسانيد أيضا على هذه القضية قراءات القرآن المتعددة التي أبيح للعرب القراءة بها تيسيرا عليهم ، فإن هذه القراءات كانت لاختلاف اللهجات بين قبائل العرب ، وقد روعي في هذا التيسير قدرات القبائل وما يدخل في إمكانها من عادات نطقية خاصة كان مظهرها لهجاتهم التي درجوا عليها ، وقد كان من الطبيعي لأفراد هذه القبائل الذين تفرقوا في البلاد – بعد أن جمعهم الإسلام فانطلقوا في الأرض ينشرون الدين الجديد – أن يحملوا معهم لهجاتهم المميزة ، ونتيجة ظروف جديدة أهمها مخالطة سكان الأمصار المفتوحة و التعامل معهم وقع تعميق الخلاف بين اللهجات بما داخلها من سمات لغوية جديدة ، يضاف إلى ذلك استخدام الأجانب أنفسهم للهجات العرب الذين نزاوا بلادهم، وبقيت الفصحى كما كانت من قبل اللغة العامة التي يفهمها الجميع لأنها لغة القرآن ، ولأنها الوسيلة الضرورية للصلة بين كل العرب . ([4])

---

[1] – ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 244 .

[2] – د.عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 40 .

[3] – ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر. ج1 ، ص 4 .

[4] – د. عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 42 – 43

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

يقول الجاحظ : وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة و البصرة و الشام ومصر . ([1])

كما أن النازلة من العرب في الأمصار قد تأثروا أيضا بلغة أهل الأمصار التي نزلوا فيها من فرس وروم وحبش ونبط وقبط ولم يؤثروا فيهم فقط ، و الحق أن عهد الدولة الأموية – كما هو مشهور– اتسم بالحرص الشديد على اللغة الفصحى والدفاع عنها وضرب المثل في ذلك قدوة وتصرفا بإرسال أولاد الخلفاء للبادية – كما فعل معاوية مع ابنه يزيد – وبتوقي اللحن وذم مرتكبيه، بالاعتماد على العرب غالبا في كل أمور الدولة، وكان ذلك كله عوامل طيبة ساعدت على المحافظة على اللغة الفصحى ودفع الأجانب لتعلمها ولكن بقيت العوامل الاجتماعية الأخرى قاهرة فوق كل تحفظ أو دفاع في شيوع اللهجات واستعمالها .([2]).

ولعل كتب الجاحظ خير مصدر لمعرفة اللغات و اللهجات الخاصة ، فقد تحدث عن لغات غير العرب من الموالي ممن نزلوا بين العرب وأخذوا لغتهم ، ولكنهم مع تصعبهم للعربية وحبهم لها وهجرانهم لغاتهم الأولى ظلوا يتكلمون بهذه العربية بلحونهم المعروفة .([3]).

وهذه الكتب التي ألفها الجاحظ دليل وشاهد على أن البصرة و الكوفة وأمصارا أخرى كانت تصرف أمورها في عاميات مختلفة. ([4]) ذلك أن النماذج التي أثبتها في كتبه عن هذا الموضوع تشير إلى شيوع ألوان من الإعراب العامي في حواضر عدة في العراق وغيره ، وأن اللحن تجاوز الحواضر حتى كان شيء منه قد عرض للغة الأعراب ، وهم الذين أخذت عنهم العربية . ([5])

يقول ابن الأثير : فما انقضى زمان التابعين على إحسانهم إلا و اللسان العربي قد استحال أعجميا أو كاد ، فلا ترى المستقلّ به و المحافظ عليه إلا الآحاد، هذا والعصر ذلك العصر القديم ، و العهد ذلك العهد الكريم . ([6])

---

[1] – الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 18 .

[2] – د. عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 43 .

[3] – د.إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 156 .

[4] – د. إبراهيم السامرائي ، العربية تاريخ و تطور ، ص 353

[5] – المرجع نفسه ، ص 357.

[6] – ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث و الأثر ، ج1 ، ص 5 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وإذا تصورنا أن عهد التابعين قد امتد حتى منتصف القرن الثاني الهجري ،فالذي يتوقع حينذاك أن مرحلة جديدة من مراحل استخدام الفصحى و اللهجات قد بدأت في المجتمع العربي ، تميزت هذه المرحلة بسمات جديدة يلخصها كلها عبارة واحدة هي أن اللهجات العامية أصبحت في الحضر عادة وأن الفصحى أصبحت صناعة ويؤيد هذه العبارة الدلائل الآتية : ([1])

* **أولا :** أن المطلع على كتب الجاحظ وما وصفه فيها من مشاهداته وما حكاه من مسموعاته وما نص عليه من آراء استخلصها مما شاهد أو سمع ، يستخلص منها وجود نوعين من اللغة في عصره الذي امتد به من منتصف القرن الثاني إلى منتصف القرن الثالث ، إحداهما لغة الخاصة والأخرى لغة عامة الناس، ويطلق على الأولى أحيانا أنها " لغة الأعراب" .

وفي مجال السخرية يصفها بأنها " لغة أصحاب التقعير والتشديق و التمطيط " و يطلق على الثانية أنها : " لغة المولدين والبلديين " فمتكلمو الأولى فئة خاصة هم الأعراب و المثقفون في مجالات العلم والمواقف الجادة ، ومتكلمو الثانية هم عامة الناس – وهم الأكثرية – ممن تعلم اللغة العامة لفهم القرآن ، وحاجتهم إليها في مصالحهم وصلتهم بغيرهم من عامة العرب.

ولعل ذلك يقدم لنا أحد الأسباب التي كانت وراء الجهد العظيم الذي ازدهر في النصف الثاني من القرن الثاني من طرف النحاة و الرواة وهو يفسر أيضا نشاط المعلمين للغة في هذه الفترة في كل من البدو والحضر، وكذلك رغبة الناس في رواية الغريب و التكسب به ، وهو أيضا السبب في تأليف مختصرات النحو لإعانة المعلمين على أداء عملهم ، وإعانة الدارسين على الإلمام العام الميسر لمسائله ، وقد بدأت هذه المختصرات بالكسائي في كتابة المختصر الصغير في القرن الثاني ، وتوالت المختصرات بعد ذلك في القرن الثالث وما بعده ، هذا كله يدل على أن الفصحى أصبحت صناعة وأن لغة العوام أصبحت عادة لا تحتاج لجهد في النطق بها ، ومن المتصور حينئذ أن لغة العوام لم تكن بصورة واحدة في كل الأقاليم و الأمصار، بل إنها لم تكن بصورة واحدة بين أهل مدينة واحدة كالبصرة مثلا ، كما روى الجاحظ اختلافات نطقية متعددة عن أهلها من الفرس والنبط والعرب

[1] – د. عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 44 – 47

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

بتأثير اللكنة واختلاف بنية الكلمات وترك الإعراب ، قال الجاحظ : إن الوحش من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي ، وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات . ([1])

وقال أيضا : " ومتى سمعت – حفظك الله – بنادرة من كلام الأعراب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها ، فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير ، وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة و الطغام ، فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب أو تتخير لها لفظا حسنا ، أو تجعل لها من فيك مخرجا سويا ، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها .." . ([2])

ومن خلال ما سبق تبرز ملاحظتان أولاهما : يفهم من كلام الجاحظ النهي عن محادثة العامة بكلام الخاصة أو العكس ، كما يفهم منه أنه أصبح في عهد الجاحظ مستويان اجتماعيان للكلام باللغة ، بل مستويات – كما هو الأمر بيننا الآن – وأن الخروج عن ذلك مما ينبغي التحذير منه لأنه يعرض صاحبه لموقف اجتماعي . وثانيهما :أنه قد وصل الأمر بتمايز مستويات الاستعمال لدرجة تمايزت بسببها النوادر (النكت) التي تقال بالفصحى أو العامية تمايزا يكاد يفصل بينهما ، إذ يؤدي التصرف في النادرة من أحد المستويين إلى سماجتها وبرودتها .

* **ثانيا :** روي عن بعض العلماء في تلك الفترة أنهم كانوا إذا تركوا أنفسهم على سجيتها يتكلمون كلام العامة بألفاظ غير منتقاة ومع تسامح في الإعراب وميل إلى إسكان أواخر الكلمات، وقد روي عن الفراء وهو في حضرة الرشيد حين قال له : أتلحن يا يحي ؟ أنه أجاب : يا أمير المؤمنين إن طباعَ أهلِ البدو الإعرابُ ، وطباع أهل الحضر اللحنُ ، فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت" . ([3])

وهذا يعني أن الخاصة أو خاصة الخاصة إذا تركوا أنفسهم على سجيتها يتكلمون لغة الناس ، **فكيف الأمر بين الناس العاديين أنفسهم !؟**

---

[1] – الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 144 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 145 – 146 .

[3] – القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج1 ، ص 211 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **ثالثـــا :** يدل على هذا التغير أيضا النشاط العلمي العظيم الذي حدث في هـــذه الفترة ، واتجاهه إلى المبالغة في التصون عن لغة عامة الناس ، سواء أكـــان ذلـــك بالرجوع للقديم و رفض ما عداه ، أو الانصراف إلى الأعراب في البادية أو جهـــد اللغويين في جمع اللغة وتنقية الفصحى ، فإن كل ذلـــك يـــدل علـــى أن الفـــصحى أصبحت لغة الصنعة لا الفطرة ولغة الكتابة و النطق ، وهي في حاجة إلى الدعم و المساندة والدفاع عنها ضد هجوم مقتدر من كلام العوام الـــذي يـــسنده الاســـتعمال وانتشاره بين الناس ... **ذلك كله عن الحضر ، فما كان الأمر في البادية فـــي ذلـــك الوقت ؟**

يبدو أن البادية ظلت محافظة على ما كان عليه الأمر من قبل مـــن تجـــاور اللهجات واللغة المشتركة العامة فيها من استعمال كل منهما في مجالـــه الخـــاص ، وظهر ذلك في الروايات الكثيرة المتناثرة عن اللهجات في كتب النحو و اللغـــة ، إذ روى العلماء من ذلك ظواهر اللهجات التي سمعوها في البادية ، وهي مـــن الكثـــرة إلى الحد الذي دفع الفراء إلى أن يقول : " واعلم أن كثيرا مما نهيتك عن الكلام بـــه من شاذ اللغات ومستكره الكلام لو توسعت بإجازته لرخصت لك أن تقول (رأيـــت رجلان) ولقلت (أردت عن تقول ذاك) ولكن وضعنا ما يتكلم به أهل الحجـــاز ، وما يختاره فصحاء أهل الأمصار فلا تلتفت إلى من قال : يجوز فإننا قد سمعناه إلا أن نجيز للأعرابي الذي لا يتخير ، ولا نجيز لأهل الحضرة و الفصاحة أن يقولـــوا (السلام علاكم) ولا (جيت من عندك) " . ([1])

فهذا النص من الفراء يقرر عموما وجود كثير من ظواهر اللهجـــات التـــي سمعها العلماء وأخذ بهذا السماع كله بعضهم ، وانتقى من ذلك آخرون ، فمثلا فـــي النص السابق منع الفراء (رأيت رجلان) وهو ما تورده كتب النحو على لغـــة مـــن يلزم المثنى الألف ، أما إبدال الهمزة عينا في (أن) و الياء ألفا في (علاكم) وتسهيل الهمزة في (جئت) وفتح الدال في (عندك) فهي من ظواهر اللهجات التي يفهم عـــن الفراء رفضها وإن خالفه في ذلك آخرون .

وقد اتضح أن الفصحى واللهجات استعملتا معا في البيئات العربيـــة طـــوال عصر الاستشهاد الذي انتهى في القرن الرابع الهجري، كما يفهم من كلام العلمـــاء

---

[1] – الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة، تحقيـــق عـــز الـــدين التنوخي ، دمشق ، بدون تاريخ ، ص 5 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الذين عاصروا القرن الرابع ووصفوا حال اللغة فيه أدباء أو جغرافيين أو لغـويين – أن موجة الفصحى واللهجات استمرت في غير صـالح الفـصحى – وأن اللغـة الفصحى قد تضاءل نفوذها واقتصر على شيئين : ([1])

– **الأول :** اللغة المكتوبة إذ يقوم بها عادة العلماء و الأدباء وتأتي بعـد الفكـرة و الروية.

– **الثاني :** استخدام اللغة من بعض القبائل البدوية في الصحراء وذلك لعـزلتهم الاجتماعية التي حفظت عليهم صورة ما توارثوه من نطق اللغة .

أما اللهجات فقد ازداد نفوذها في هذا القرن فشمل العام و الخاص ، وتعددت صورها في الأمصار و الأقاليم بما حملت من لحن ورطانات وتحريف ، وتـسرب هذا نفسه إلى لهجات البادية بطول استمرار الصلة بين البدو والحضر مـن ناحيـة، وبفضل الثورات المستمرة على الدولة العباسية من ناحية أخرى، حيث كان الثائرون من الزنج والقرامطة ينحازون للبادية فيتخذونها موقعا للوثوب منه على الأمصار أو ملاذا يلجأون إليه فرارا من مطاردة جيوش الدولة .

وباختصار فإن اللغة الفصحى أصبحت في أواخر القرن الرابع :" لغة كتابة " وما إلى ذلك من مواقف الجد و التروي كالخطابة و الشعر و الأحاديث الجادة بين خاصة من العلماء وأهل الأدب ويتبين ذلك من خلال هذه النصوص الثلاثة لعلمـاء من القرن الرابع الهجري أحدهم أديب وهو قدامة بن جعفر (ت 337 هـ) و الثاني لغوي وهو أبو الحسن الزيدي (ت 380 هـ) والثالـث رحالـة، وهـو المقدسـي (ت 380 هـ) .

– قال قدامة : وربما اغتفر في دهرنا هذا اللحن و الخطأ للإنسان في كلامـه لكثرة اللحن في الناس وأنه قد فشا وعظم وفسدت الفصاحة بمخالطة العرب الأعاجم والأقباط وسائر الأجناس فأما في الكتاب فغير مغتفر له ذلك لأن الطـرف يتكـرر نظره فيه و الرويّة تجول في إصلاحه وليس كمثل الكلام الذي يجري أكثـره علـى غير رويّة ولا فكرة . ([2])

– قال المقدسي : وجميع لغات العرب موجودة في بوادي هذه الجزيـرة إلا أن أصح ما بهـا لغة هذيل ثم النجدين ثـم بقية الحجاز، إلا الأحـقاف فـإن لـسانهم

---

[1] – د. عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 48 – 49

[2] – قدامة بن جعفر (أبو الفرج) نقد النثر، تحقيق طه حسين وعبد الحميد العبادي، القاهرة 1932م ، ص 124

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وحش .([1]) وفي مصر: لغتهم عربية غير أنها ركيكة رخوة وذمتهم يتحدثون بالقبطية .([2]) وفي إقليم المغرب الإفريقي عامة : لغتهم عربية غير أنها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الأقاليم ، ولهم لسان آخر يقارب الرومي . ([3])

– وقال الزبيدي: ثم نظرت في المستعمل من الكلام في زماننا وأفقنا فألفيت جملا لم يذكرها أبو حاتم ولا غيره من اللغويين فيما نبهوا إليه ودلوا عليه مما أفسدته العامة عندنا فأحالوا لفظه وأوضعوه غير موضعه ، وتابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة حتى ضمنته الشعراء أشعارهم واستعمله جلة الكتاب وعليه الخدمة في رسائلهم وتلاقوا به في محافلهم، فرأيت أن أنبه عليه وأبين وجه الصواب فيه وادع اجتلاب ما أفسده دهماؤهم وسقاطهم مما عسى ألا يغرب عمن تمسك بطرف من الفهم إذ لو استوعبنا ذلك لطال الكتاب به . ([4])

فقدامة يفرق بين ما يجري من الكلام بغير روية ولا فكر، وهو الكلام الجاري بين الناس ، وما فيه الروية و التفكّر وهو لغة الكتابة ، والأول مظهره اللهجات التي يغتفر فيها الخروج على مقتضى قوانين العربية والفصاحة ، أما الكتابة فهي وسيلة الفصحى التي لا يغتفر فيها ذلك لمن يكتبون. وفي وصف المقدسي للغة البادية والأقاليم يتضح في كلامه تعدد اللهجات في البادية حتى عصره، وعبر عن ذلك بـ" لغات العرب في الجزيرة " وأشار إلى ما بقي لبعضها من نسبة الصحة لها مع تفاوتها في ذلك بين الصحيح والأصح ، بخلاف لهجات الأقاليم العربية الأخرى في مصر و الشمال الإفريقي إذ نسب إليها أنها عربية ركيكة أو منغلقة ، والزبيدي يصف ما في أفق الأندلس في زمانه بفساد لهجات التخاطب العامة بين من أطلق عليهم " دهماء الناس وسقاطهم " .

وقد امتد أثر ذلك إلى لغة الخاصة الفصحى التي استخدمت في الشعر و الكتابة والرسائل وأحاديث الخاصة ، وقد انصرف الزبيدي عن النوع الأول لشيوعه وعموم البلوى به ، واختصّ بجهده النوع الأخير فقط . وخلاصة ما يفهم من هذه النصوص الثلاثة أن الفصحى في القرن الرابع قد اقتصرت على اللغة

---

[1] – المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص 97 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 169 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 195 .

[4] – الزبيدي ، لحن العوام ، ص 7 – 8

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المكتوبة مع التحرز عن الخطأ فيها ، وفسدت اللهجات في الأمصار كلها ، وإن بقي حسن الظن ببعضها في البادية " وبانتهاء القرن الرابع الهجري انتهى حسن الظن بالبادية أيضا وتوقف الاستشهاد تماما ، وبمضي الزمن تعرضت لغة الكتابة نفسها لمظاهر الخطأ في بنية الكلمات والإعراب مع ركاكة الأسلوب وكثرة استخدام الكلمات الأعجمية فيه " . ([1])

ب – مظاهر اختلاف اللهجات :

جاء في " باب القول في اختلاف لغات العرب " اختلاف لغات العرب من وجوه : أحدهما : الاختلاف في الحركات كقولنا : " نَستعين " و " نِستعين " بفتح النون وكسرها وقال الفراء : هي مفتوحة في لغة قريش ، وأسد وغيرهم يقولونها بكسر النون ، و الوجه الآخر: الاختلاف في الحركة و السكون مثل قولهم : " معَكم" و " معْكم " ..ووجه آخروهو الاختلاف في إبدال الحروف نحو : " أولئك " و " ألالك " ... ومنها قولهم : " أن زيدا " و" عن زيدا " ومن ذلك الاختلاف في الهمز و التليين نحو : " مستهزؤون " و " مستهزون " ومنه الاختلاف في التقديم و التأخير نحو " صاعقة " و " صاقعة " ومنها الاختلاف في الحذف و الإثبات نحو " استحييت " و " استحيت " . ([2])

فالناظر فيما وصل إلينا من آثار اللهجات يجدها تتنوع بين ما يتصل بالجانب الصوتي وما يتصل بالجانب الدلالي فما يتصل بالجانب الصوتي يتجلى في الاختلافات التي تبدو وفي تغير بعض الحروف و الحركات من قبيلة إلى أخرى أحيانا ، وهذا ما يطلق عليه اللغويون اسم (الإبدال) و على ذلك تختلف بنيتها وصيغها ، كما يمكن أن تختلف الحركات الإعرابية وغيرها من وجوه النحو بين القبائل، ويمكن أن يستقدم حرف على آخر فيما يسمى ظاهرة (القلب المكاني) .

وقد يلاحظ الاختلاف بين القبائل في حذف بعض الحركات أو الحروف أو زيادتها ، وهذا كله يتعلق بالجانب الصوتي ، أما ما يتصل بالجانب الدلالي فيبدو في اختلاف القبائل العربية في معاني الألفاظ وتنوع دلالتها ، وقد نشأ عن تنوع الدلالة ظهور المشترك و المترادف والتضاد في ألفاظ العربية . ([3])

---

[1] – د. عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 50 – 51

[2] – ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص 25 .

[3] – د. عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص 84 و الدكتور عبد العزيز عتيق ، المدخل إلى علم النحو و الصرف ، ص 115 – 116 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فالمشترك إنما يجيء " من لغتين مختلفتين ".([1]) و المترادف إنما يكون " من واضعين وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد ، من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ، ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان " .([2])

أما الأضداد : " فإذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب و المعنى الآخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء " . ([3])

يقول صاحب الخصائص: " وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة ، فسمعت في لغة إنسان واحد فإن أحرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفا منها من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كله " . ([4])

" وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من هنا ومن هنا " . ([5])

ب / 1 – الإبدال وأثره في اللهجات :

ويؤلف بناء الكلمة العربية مشكلة لغوية فهي لا تقتصر على كيفية صوغ الكلمة ، بل تتجاوز ذلك فتكون وسيلة تدل على شيء من تاريخ العربية ، فمن اهتمام العربية بالأبنية كثرتها ، فقد ذكر سيبويه في أبنية الأسماء أنها نحو من ثلاثمائة وزن و بضعة أوزان . ([6])

وقد عنى القدماء بجمع اللغة العربية وتصنيفها عناية كبيرة ، ولكن هذه الجهود المضنية لم تستوف كل ما يجب استيفاؤه فقد أثر عن أبي عمرو بن العلاء

---

[1] – السيوطي ، المزهر، ج1 ، ص 384 .

[2] – الرمائي ، الألفاظ المترادفة ، ط2، القاهرة، بدون تاريخ، ص 3 – 4

[3] – الأنباري محمد بن القاسم ، كتاب الأضداد ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1407 هـ / 1987 م ، ص 11 .

[4] – ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 373 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 374

[6] – السيوطي ، المزهر، ج2 ، ص 4 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أنه قال : " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير " . ([1])

وهذه العربية الواسعة كما هي في المعاجم الضخمة وكتب اللغة الأخرى قد بلغت ما بلغت من السعة بكثير من الوسائل منها " الإبدال" " فالإبدال في ألفاظ اللغة أعظم أهمية لأنه أوسع دائرة وأشد تأثيرا " . ([2])

- **والإبدال لغة** : مصدر أبدلت كذا من كذا إذا أقمته مقامه ([3]) ، والأصل فيه جعل شيء مكان شيء آخر . ([4])

- **أما اصطلاحا** : فهو جعل حرف مكان آخر مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة. يقول الثعالبي في " فصل في الإبدال " عقده في كتابة فقه اللغة وأسرار العربية " : " من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مكان بعض في قولهم : مدح ومده .." . ([5])

ولما كانت ظاهرة الإبدال تمثل قدرا كبيرا في تفسير ما قيل إنه من اللهجات العربية ينبغي ذكر آراء العلماء في قضية الإبدال وما حكموا فيه بتطور الألفاظ بعضها عن بعض ، أو مما نشأ منها عن طريق اختلاف اللهجات ، وقد أولى ابن جني هذه الظاهرة عناية كبيرة ، ونسب إليه رأي أصبح شائعا في أوساط اللغويين ممثلا للرأي القديم عند علماء اللغة العرب.

ويتمثل في نظرة ابن جني إلى كل كلمتين اتحدتا في جميع الحروف إلا حرفا واحدا ، واتحدت في المعنى ، على أنهما تارة يكونان من الإبدال وأخرى من اختلاف اللغات (اللهجات) وقد وضع مقياسا للحكم على الكلمتين متى تكونان من قبيل الإبدال ، ومتى تكونان من اختلاف اللهجات " فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصلين كل واحد منهما قائم برأسه لم يسغ العدول عن الحكم بذلك ، فإن دل

---

[1] – ابن الأنباري ، نزهة الألباء ، ص 34 .

[2] – جرجي زيدان ، الفلسفة اللغوية و الألفاظ العربية ، ص 60 .

[3] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج11 ، ص 56 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 56 – 57 .

[5] – الثعالبي (الإمام أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي 350 – 429 هـ) فقه اللغة وأسرار العربية ، عنى بضبطه وتخريج أحاديثه وقدم له وعلق عليه محمد إبراهيم سليم ، مكتبة القرآن للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ص 259 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

دال أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عمل بموجب الدلالة وصيّر إلى مقتضى الصنعة " . ([1])

وقد تبين من كلامه العديد في سر صناعة الإعراب والخصائص أن مقياسه هو أن اللفظين إذا تساويا في الاستعمال و التصرف " فلست بأن تجعل أحدهما أصلا لصاحبه أولى منه بحمله على ضده " وعلى هذا فكل لفظ لغة لقوم بأعيانهم ، يقول في سر الصناعة : علث الطعام وغلثه ، والنشوع والنشوغ ، لغات كلها لاستوائها في الإطراد والاستعمال . ([2])

ويقول في الخصائص : " هتلت السماء وهتنت هما أصلان ، ألا تراهما متساويين في التصرف ، يقولون هتنت السماء تهتن تهتانا ، وهتلت تهتل تهتالا ، وهي سحائب هتن وهتل " . ([3]) " فأما قولهم إناء قربان وكربان ، إذا دنا أن يمتلئ فينبغي أن يكونا أصلين، لأنك تجد لكل واحدة منهما متصرفا أي قارب أن يمتلئ وكرب أن يمتلئ " . ([4])

فمن النصوص السابقة نفهم وجهة نظره فيما إذا تساوا الكلمتان في التصرف و الاستعمال ، وهي أن تكون كل منهما لغة (لهجة) أما إذا لم تتساو كلمتان تصرفا واستعمالا بأن كانت إحداهما أكثر تصرفا أو استعمالا ، فإنهما حينئذ من قبيل الإبدال، وتكون الكلمة الكثيرة التصرف أو الاستعمال هي الأصل (المبدل منه) و القليلة هي الفرع (المبدل) .

ويرى فريق آخر من العلماء قدامى ومحدثين أن ألفاظ هذه الظاهرة نشأت من اختلاف اللهجات وعلى رأس القدماء الذين قالوا بذلك أبو الطيب اللغوي ، فقد قال : " ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد ، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد. قال : والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة و بالسين أخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف

---

[1] – ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 82 .

[2] – ابن جني (أبو الفتح عثمان) سر صناعة الإعراب ، ج1 ، دراسة وتحقيق الدكتور حسن هنداوي ، ط2، دار القلم ، دمشق 1413 هـ / 1993 م ، ص 244 .

[3] – ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 82 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 86 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ميما و الهمزة المصدرة عينا، كقولهم في نحو أن : عن ، لا تشترك العرب في شيء من ذلك إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون " . ([1])

ويوافق أبا الطيب في هذا الرأي من القدامى ، ابن السكيت ، وأبو محمد البطليموسي وابن خالويه وأبو علي القالي . فقد نقل السيوطي عن هؤلاء ما يؤكد ميلهم إلى هذا الرأي والأخذ به ، فنقل من كتاب ابن السكيت أمثلة من بينها ما اتضح فيها رأيه ، وهو أن الإبدال ينشأ من اختلاف اللهجات ، يقول في إبدال الهمزة من العين : و الأسُن قديد الشحم ، وبعضهم يقول العُسُن " . ([2])

ونقل عنه السيوطي: وقال ابن السكيت : حضرني أعرابيان من بني كلاب فقال أحدهما : إنفحة ، وقال الآخر: مِنفحة ، ثم افترقا على أن يسألا جماعة من أشياخ بني كلاب ، فاتفقت جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا ، وهما لغتان . ([3])

وأما أبو محمد البطليموسي فيقول في شرح الفصيح : ليس الألف في الأرقان ونحوه مبدلة من الياء ولكنهما لغتان ، ومما يدل على أن هذه الأحرف لغات ما رواه اللحياني ، قال : قلت لأعرابي : أتقول مثل حنك الغراب أو مثل حلكه فقال : لا أقول مثل حلكه .([4])

وقال أبو بكر بن دريد : قال أبو حاتم : قلت لأم الهيثم : كيف تقولين أشد سوادا من ماذا ؟ قالت من حلك الغراب ، قلت : أفتقولينها من حنك الغراب ، فقالت: لا أقولها أبدا .([5])

وقد ذكر ابن خالويه في شرح الفصيح ما يقرب من هذا ، قال : أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : اختلف رجلان في الصّقر ، فقال أحدهما بالسين وقال الآخر بالصاد ، فتحاكما إلى أعرابي ثالث فقال أما أنا فأقول الزّقر بالزاي ، قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاث لغات . ([6])

---

[1] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 460 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 462 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 475 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 474 – 475 .

[5] – المصدر نفسه ، 475 .

[6] – المصدر نفسه ، 475 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ويؤكد لنا رأي القالي قوله في أماليه يقال : هرت الثوب وهـرده وهرطـه ثلاث لغات. ([1]) وقد أيد هذا الرأي من المحدثين فريق من العلماء ...

وممن ذهب إلى هذا الرأي من المحدثين الدكتور السامرائي يقول : وأريد أن أخلص من هذا العرض لأقوال الأقدمين و المحدثين في هذه المشكلة إلى أن العربية قد اشتملت على لغات عدة هي لغات القبائل المختلفة ، وطبيعي أن يحصل الخـلاف بين هذه اللغات لاختلاف البيئة، وعلى هذا فإن كثيرا مما حمل على الإبدال داخـل ضمن هذه اللغات. ([2]) وقد وصفت بعض هذه الظواهر الإبدالية بأنها من مستبـشع اللغات ومستقبح الألفاظ ، وذلك بعد أن هذبت اللغة وأطبقت العرب علـى المنطـق الحر والأسلوب المصفى. ([3]) ومـن ذلـك : الكشكـشة و الكسكـسة و الفحفحـة و العنعنة والاستنطاء ... ونحو ذلك مما ذكره ابن فارس تحت عنوان (باب اللغات المذمومة) . ([4]) وذكره السيوطي – نقلا عنه – تحت عنـوان " معرفـة الـرديء و المذموم من اللغات " . ([5]) وهي تتمثل في :

– **الكشكشة** : حيث يجعل بعض العرب بعد كاف الخطاب فـي المؤنـث شـينا فيقولون في رأيتك : رأيتكش وفي بك بكش ، وفي عليك : عليكش .([6]) فمنهم مـن يثبتها حال الوقف فقط وهو الأشهر ، ومنهم من يثبتها في الوصل أيضا، ومنهم مـن يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكنها في الوقـف فيقـول : " مِـنْش " و " عليْش". ([7]) وتنسب الكشكشة لأسد .([8]) ولهوزان .([9]) ولربيعة ومـضر .([10]) ولتميم . ([11])

---

[1] – المصدر السابق ، 474 .

[2] – د. إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 11 .

[3] – الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ص 113 .

[4] – ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص 29 .

[5] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 221 .

[6] – ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن) جمهرة اللغة ، ج1 ، حققه وقدم له الدكتور رمزي منير بعلبكـي، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، نوفمبر 1987 م ، ص 207 .

[7] – السيوطي ، الاقتراح ، ص 113 .

[8] – ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص 29 .

[9] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 211 .

[10] – السيوطي الاقتراح، ص 113. والحريري، درة الغواص، ص 651. والسيوطي، المزهر، ج1 ، ص 221

[11] – الثعالبي ، فقه اللغة وأسرار العربية ، ص 86 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ويُعدُّ سيبويه من أوائل من ذكر هذه اللهجة ، يقول : واعلم أن ناسا من العرب يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة في الوقف ، وذلك قولهم أعطيتكش وأكرمتكش فإذا وصلوا تركوها ، وإنما يلحقون الشين في التأنيث لأنهم جعلوا تركها لبيان التذكير . ([1]) ويروي سيبويه – كذلك – قلب الكاف شينا في الوصل مثل :أنش ذاهبة، ومالش ذاهبة، يريد : أنك ومالك. ([2]) وقد نسبها إلى تميم وناس من أسد. ([3])

– **الكسكسة** : ويجعلون بعد الكاف أو مكانها في خطاب المؤنث سينا كالكشكشة فيقولون أعطيتكس وأكرمتكس ، وورد عن معاوية حين سئل : من أفصح الناس ؟ قال : قوم تياسروا عن كسكسة بكر ، أي إبدالهم السين من كاف الخطاب حين يقولون أبوس وأمس ، يريدون : أبوك وأمك ، وبعضهم يزيد السين بعد الكاف في الوقف مثل : مررت بكس أي بك .([4]) وتنسب الكسكسة لربيعة ومضر ([5]) ولبكر ([6]) ، وصاحب القاموس يذكر أنها لتميم . ([7])

– **الشنشنة** : جعل الكاف شينا مطلقا سواء كانت لمذكر أو لمؤنث .([8]) مثل : لبيش اللهم لبيش ، في لبيك ([9]) و الديش في الديك ([10]) وتنسب لليمن ([11]) ونسبت في العقد الفريد لتغلب ، ففي خبر الرجل من السماط الذي كلم معاوية عن أفصح العرب، قوم تيامنوا عن شنشنة تغلب. ([12])

---

[1] – سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، ص 199 – 200 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 199 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 199 .

[4] – ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث و الأثر ، ج4 ، ص 174 ، و الفيروزبادي ، القاموس المحيط ، ج2 ، ص 246 .

[5] – السيوطي، الاقتراح ، ص 113 ، وابن فارس الصاحبي ، ص 29 ، والسيوطي المزهر، ج1 ، ص 221

[6] – الحريري ، درة الغواص ، ص 652 ، والثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية ، ص 86 .

[7] – الفيروزبادي ، القاموس المحيط ، ج2 ، ص 246 .

[8] – أحمد تيمور، لهجات العرب ، قدم له الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1393 هـ/ 1973 م ، ص 122 .

[9] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 222 ، و الرافعي تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص 141 .

[10] – أحمد فارس الشدياق ، الجاسوس على القاموس ، مطبعة الجواب، القسطنطينية 1299هـ، ص 183.

[11] – السيوطي، الاقتراح ص 113 ، والرافعي تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص 114 ، و السيوطي ، المزهر ج1 ، ص 222 .

[12] – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج2 ، ص 477 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- **العنعنة :** ورد في بعض كتب القدماء أن العنعنة قلب الهمزة عينا ([1]) ويقول ابن دريد : العنعنة حكاية كلام نحو قولهم : عنعنة تميم ؛ لأنهم يجعلون الهمزة عينا ([2]) . ويقول السيوطي : إنهم يجعلون الهمزة المبدوء بها عينا. ([3]) ويرى بعض الباحثين أن العنعنة تكون في (أن) و (أنّ) لكثرة استعمالهما وطولهما بالصلة ([4]) وبعضهم كالفراء وابن فارس يخصها بالهمزة المفتوحة في (أنّ) المشددة النون .

ففي لسان العرب " لغة قريش ومن جاورهم (أن) وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف (أن) إذا كانت مفتوحة عينا يقولون: أشهد عنك رسول الله فإذا كسروا رجعوا إلى الألف. ([5]) وقد نسب بعض العلماء العنعنة إلى تميم خاصة([6]) ونسبت إلى قيس ([7]) وأسد .([8]).

- **الفحفحة :** هي قلب الحاء عينا مطلقا ([9]) ، سواء كانت حتى أو غيرها ففي لغة هذيل يجعلون الحاء عينا وعلى لغتهم قرأ ابن مسعود " عتى حين " في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ ([10])، ونقل صاحب النهاية أن عمر بن الخطاب (ﷺ) بلغه أن ابن مسعود يقرئ الناس بلغة هذيل ّ عتّى حين " فقال : إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فاقرئ الناس بلغة قريش .([11])

وقال الزمخشري : وفي قراءة ابن مسعود " ليسجننّه عتى حين " وهي لغة هذيل ، وعن عمر (ﷺ)، أنه سمكع رجلا يقرأ " عتّى حين " فقال : من أقرأك ؟

---

[1] – الخليل بن أحمد ، العين، ج1 ، ص 123 ، والثعالبي ، فقه اللغة وأسرار العربية ، ص 86 .

[2] – ابن دريد ، الجمهرة ، ج1 ، ص 216 .

[3] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 222 .

[4] – ثعلب ، مجالس ثعلب، ج1 ، ص 100 – 101. وابن يعيش، شرح المفصل، المجلد الثاني، ج8، ص 149

[5] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج4 ، ص 143 .

[6] – ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج1 ، ض 229 ، وابن فارس ، الصاحبي ص 29 ، و الثعالبي ، فقه اللغة وأسرار العربية ، ص 86 . و السيوطي ، الاقتراح ، ص 113 ، و المزهر ج1 ، ص 211 .

[7] – السيوطي ، المزهر ،ج1 ، ص 221 و الاقتراح ، ص 113 .

[8] – ابن يعيش ، شرح المفصل ، المجلد الثاني ، ج8 ، ص 149 .

[9] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 222 .

[10] – سورة يوسف، الآية 35

[11] – ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث و الأثر ، ج3 ، ص 181 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

قال: ابن مسعود فكتب إليه : إن الله أنزل هذا القرآن بلغة قريش فلا تقرئهم بلغة هذيل. والسلام .([1])

- **العجعجة :** والعجعجة هي جعل الياء المشددة جيما فيقولون في تميمي تميمج ، وكذلك الياء المخففة مثل : حجَّتِجْ في حجّتي. ([2]) وقال ابن فارس: وكذلك الياء المشددة تحول جيما في النسب ، يقولون : بصرج وكوفج ([3]) ويقول السيوطي : ومن ذلك العجعجة في لغة قضاعة ، يجعلون الياء المشددة جيما ، يقولون في تميمي تميمج " ([4]) ونسبت هذه الظاهرة إلى قضاعة . ([5])

- **الوتم :** قلب السين تاء عند أهل اليمن، فيقولون في (الناس) "النّات" .([6]) وذلك قد ورد في قراءة الناس (النات) في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾. ([7]) وقيل : إنها لغة قُضاعة . ([8])

- **الاستنطاء :** جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء ، فأعطى يقال فيها : أنطى ([9])، ومنه في قراءة شاذة قرأ بها الحسن وطلحة وابن محيص وغيرهم ، وهي قراءة مروية عن رسول الله (ﷺ) : " إنا أنطيناك الكوثر" ، ومنه قوله (ﷺ) – من حيث الدعاء – " لا مانع لما أنطينا ، ولا منطي لما منعت " . ومن كلامه (ﷺ) : " اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة ". ([10]) وقد نسب الاستنطاء إلى سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار. ([11]) وفي اللسان أنها لغة أهل اليمن وفي البحر المحيط عن التبريزي أنها لهجة العرب العاربة ". ([12])

---

[1] – الزمخشري ، الكشاف ، ج2 ، ص 255 .

[2] – الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، القسم الأول، الجزء الثالث، حققها وضبط غريبها وشرح مبهمها الأساتذة : محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402 هـ/1982م، ص 229

[3] – ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص 30 .

[4] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 222 .

[5] – السيوطي ، الاقتراح ، ص 113 .

[6] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 222 ، و الاقتراح ص 113 .

[7] – سورة الناس ، الآية 1

[8] – ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ، ص 184

[9] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 222 ، و الاقتراح ، ص 113.

[10] – أبو حيان (محمد بن يوسف)، البحر المحيط ، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية بيروت 1993م، ج8، ص 519

[11] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 222 ، و الاقتراح ، ص 113.

[12] – أبو حيان (محمد بن يوسف)، البحر المحيط ، ج8، ص 519

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- **الطمطمانية** : وهي إبدال لام التعريف ميما . ويقول الثعالبي : " الطمطمانية تعرض في لغة حمير كقولهم طاب امهواء يريدون : طاب الهواء " . ([1])

وفي حديث أبي هريرة : أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال : الآن طاب امضرب ، أي حل القتال ، أراد طاب الضرب ، فأبدل لام التعريف ميما وهي لغة عربية معروفة .([2])

ويقول الحريري : " وقد روي عن حمير أنهم يجعلون آلة التعريف (أم) فيقولون : طاب أمضرب يريدون : طاب الضرب ، وجاء في الآثار فيما رواه النمر بن نولب أنه (ﷺ) نطق بهذه اللغة في قوله:" ليس من أمبر أمصيام في أمسفر". ([3])

ويروي ثعلب عن الأخفش أنه سمع قائلا يقول : قام أمرجل يريد : قام الرجل ، قال ثعلب : هذه لغة للأزد مشهورة . ([4]) ويقول الأشموني : مثل (أل) (أم) في لغة طيء ([5]) ، وقد نسبت الطمطمانية إلى حمير وإلى اليمن . ([6])

- **الإبدال في الحركات :**

وإلى جانب إبدال الحروف تميزت لهجات بعض القبائل بإبدال الحركات وتمثّل هذا الإبدال الأخير في :

- **الوكم** : وهو كسر كاف الخطاب في الجمع عند فريق من العرب ، فالمشهور أن جمهور العرب يضم كاف الخطاب للجمع مطلقا دون النظر إلى الحرف أو الحركة التي تسبقها ، ولكن ربيعة أو بكر بن وائل يكسرون هذه الكاف إذا سبقت بياء أو كسرة في مثل (عليكم) و (بكم) وذلك مناسبة للياء أو الكسرة قبلها ، وسيبويه يصف هذه اللهجة بالرداءة ، فيقول عند الحديث عن كسر الكاف في قول الشاعر:

وإن قال مولاهم على جل حادث من الدهر ردوا فضل أحلامِكِم ردوا.

---

1 – الثعالبي ، فقه اللغة وأسرار العربية ، ص 186

2 – ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث و الأثر ، ج3 ، ص 150.

3 – الحريري ، درة الغواص ، ص 649 – 650.

4 – ثعلب ، مجالس ثعلب ، ج1 ، ص 73 .

5 – الأشموني شرح ألفية ابن مالك ، ج1 ، ص 59.

6 – الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 86، وابن يعيش شرح المفصل ، المجلد الثاني، ج9 ، ص 20

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وإنما كسرت الكاف من (أحلامكم) ونحوه تشبيها لها بهاء (أحلامهم) لأنها أختها في الإضمار ومناسبة لها في الهمس وذلك ضعيف ؛ لأن أصل الهاء الضم ، و الكسر عارض عليها ، بخلاف الكاف فحمل الكاف عليها بعيد لأنها أبين وأشد . ([1])

وقد وصفها المبرد بأنها غلط فاحش ، قال : وناس من بكر بن وائل يجرون الكاف مجرى الهاء إذا كانت مهموسة مثلها ، وكانت علامة إضمار كالهاء ، وذلك غلط فاحش منهم، لأنها لم تشبهها في الخفاء الذي من أجله جاز ذلك في الهاء ، وإنما ينبغي أن يجري الحرف مجرى غيره إذا أشبهه في علته ، فيقولون : مررت بكم ، وينشدون هذا البيت : وإن قال مولاهم ..الخ . ([2])

- **الوهم** : والمعروف أن هاء ضمير الغيبة للجمع تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة وبنو كلب يكسرون هاء ضمير الجمع الغائب مطلقا سواء سبقت الهاء بياء أو كسرة أولا ، فيقولون : فيهم – عنهم – بينهم . ([3]) قال سيبويه : واعلم أن قوما من ربيعة يقولون (منهم) أتبعوها الكسرة ، ولم يكن المسكن حاجزا حصينا عندهم ، وهي لغة رديئة فإذا فصلت بين الهاء و الكسرة فألزم الأصل لأنك قد تجري على الأصل ولا حاجز بينهما ، فإذا تراخت وكان بينهما حاجز لم تلتق المشابهة ، ألا ترى أنك إذا حركت الصاد فقلت : صدق كان من يحقق الصاد أكثر لأن بينهما حركة ، وإذا قال : مصادر فجعل بينهما حرفا ازداد التحقيق كثرة فكذلك هذه . ([4])

وبعضهم وهم بعض ربيعة أو كلب بن وبرة من قضاعة يضمون هاء (هم) دائما سواء تقدم عليها ياء أو كسرة أو لم يتقدم ، وتسمى هذه اللهجة الأخرى بالوهم.

- **تلتلة بهراء** : هي كسر حرف المضارعة عدا الياء ، وهذا في الأفعال التي زادت على ثلاثة أحرف ، ومن ذلك ما ذكره ابن فارس في كتابه الصاحبي ، قال

---

[1] – سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، ص 197 .

[2] – المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد المتوفى سنة 285 هـ) المقتضب ، المجلد الأول 1– 2 ، تحقيق حسن حمد ، مراجعة الدكتور إميل يعقوب ، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان 1420 هـ / 1999 م ، ص 296 .

[3] – السيوطي، المزهر، ج1 ، ص 222

[4] – سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، ص 196

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

في (باب القول في اختلاف لغات العرب) : " اختلاف لغات العرب من وجوه أحدها: الاختلاف في الحركات كقولنا: (نَستعين) و (نِستعين) بفتح النون وكسرها. قال الفراء : هي مفتوحة في لغة قريش وأسد وغيرهم يقولونها بالكسر.([1])

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ ([2]) ، قال أبو حيان في البحر: " وفتح نون نستعين قرأ بها الجمهور وهي لغة الحجاز، وهي الفصحى، وقرأ عبيد بن عمير الليثي وزيد بن حبيش ويحي بن وثاب والنخعي والأعمش بكسرها وهي لغة قيس وتميم وأسد وربيعة ، وكذلك حكم حرف المضارعة في هذا الفعل وما أشبهه". ([3]) وقال ابن جني : " وأما تلتلة بهراء فإنهم يقولون تِعلمون وتِفعلون وتِصنعون ، بكسر أوائل الحروف". ([4]) وقال ابن منظور في اللسان" وتلتلة بهراء كسرهم تاء تِفعلون يقولون تْعملون وتِشهدون ونحوه". ([5])

وهي لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز كما ذكر سيبويه.([6]) ويذكر السيوطي في نستعين ونحوه أن الفتح لغة قريش وأسد وغيرهم يكسرها. ([7]) وهذا يؤكد انتشار الكسر في قبائل كثيرة على سبيل التأثر والتأثير.

والمطّلع على هذه المظاهر المختلفة من لغات العرب يرى اختلاف العلماء الواضح في نسبتها بدقة إلى قبائلها، فنجد أحدهم ينسب الظاهرة اللغوية إلى قبيلة ما، ثم يأتي آخر فينسب الظاهرة نفسها إلى قبيلة أخرى .

وإلى جانب هذه الظواهر اللغوية التي تشير إلى اختلاف لغات العرب في استعمالهم اللغوي تتجلى قراءاتهم المتعددة للقرآن الكريم لتبين بصورة أوضح مظاهر هذا الاختلاف اللهجي الذي عرفه العرب قديما.

---

[1] – ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص 25 .

[2] – سورة الفاتحة ، الآية 4

[3] – أبوحيان ، البحر المحيط ، ج1 ، ص 23 – 24 .

[4] – ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 11، وسر صناعة الإعراب ، ج1 ، ص 230

[5] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج11 ، ص 95 .

[6] – سيبويه ، الكتاب ج4 ، ص 110 .

[7] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 255 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ب / 2 – القِراءاتُ مظهرٌ لتعدّد اللهَجات :

لقد اتّسم الإسلام بالسماحة في استعمال اللغة العربية ، فقنع المسلمون بأدائها على حسب ما تستطيعه ألسنتهم ، و القرآن وإن نزل يتحدى الخاصة من فصحاء العرب فإن الناس جميعا عامتهم وخاصتهم قد دعوا إلى تلاوة ما قد روا عليه من آياته في صلاتهم ونسكهم ، وهم قبائل متباينة وأصحاب لهجات في الخطاب مختلفة فرقت بينهم بعض الصفات الصوتية التي نشأوا عليها وتميزت بها كل قبيلة ، فلما تناول بعض العامة تلاوة آيات من القرآن ونطقوا بها على غير ما تجري اللغة النموذجية المشتركة التي نزل بها. حدثت تلك الحوادث الفردية التي يروى أنها وقعت في حياة الرسول (ﷺ)، فقد روي أن أبي بن كعب (رضي الله عنه) قال : دخلت المسجد أصلي فدخل رجل فافتتح (النحل) فقرأ فخالفني في القراءة، فلما انفتل قلت: من أقرأك ؟ قال : رسول الله (ﷺ) . ثم جاء رجل فقام يصلي فقرأ وافتتح (النحل) فخالفني وخالف صاحبي ، فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال رسول الله (ﷺ) . قال : فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كنت في الجاهلية فأخذت بأيديهما فانطلقت بهما إلى النبي (ﷺ) فقلت : استقرئ هذين ، فاستقرأ أحدهما وقال : أحسنت ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كنت في الجاهلية ، ثم استقرأ الآخر، وقال : أحسنت فدخل صدري من الشك والتكذيب أشد مما كنت في الجاهلية فضرب رسول الله (ﷺ) صدري بيده ، وقال : أعيذك بالله يا أُبَيّ من الشك. ثم قال : إن جبريل (عليه السلام) آتاني فقال : إن ربك (عز وجل) يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت : اللهم خفف عن أمتي، ثم عاد فقال : إن ربك (عز وجل) يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلت : اللهم خفف عن أمتي، ثم عاد فقال : إن ربك (عز وجل) يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف" . ([1])

وروي" أن عمر سمع هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فإذا هو على حروف لم يتلقنها عمر من رسول الله ، قال : فكدت أساوره في الصلاة ، وتصبرت حتى سلم فلببته بردائه وانطلقت به أقوده إلى رسول الله فسمع منّي وسمع منه ، وقال لكل منّا : كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه " . ([2])

---

[1] – ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج1 ، ص 20 .

[2] – د. محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ، ص 39 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

يقول ابن الجزري : " ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل المراد السّعة و التيسير وأنه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب من حيث إن الله تعالى أذن لهم في ذلك و العرب يطلقون لفظ (السبعين والسبعمائة) ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾. ([1]) وقال: ﴿ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ﴾ .([2]) وقال (ﷺ) في الحسنة : " إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة " . ([3])

وسبب نزول القرآن الكريم على هذه الأوجه السبعة أن العربي مجبول على لغته، فلو كلف بالقراءة على وجه واحد ، فإنه يعسر عليه التحول ، وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ على هذه الأوجه بل المراد أن بعض القرآن نزل بلغة قريش – وهو معظمه – وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن الخ ، فمن سماحة الدين أن يسر الله حفظ القرآن وتلاوته على العرب في أول أمرهم فأنزله على الأوجه التي ينطقون بها ، ولم يكلفهم التحول عن لغتهم لما يعلمه في طباعهم من الحمية و التعصب للغاتهم . ([4])

فاللغة عادة اجتماعية من الصعب التنازل عنها ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وقد تستعصي على القارئ بعض النواحي الصوتية التي لا تتوافر في لهجته ، فجاء هذا الحديث ليؤكد صحة القراءة حسب لهجة القارئ على ما تعود لسانه في بيئته ، فالقبائل العربية كثيرة وبيئاتها مختلفة وطرائق النطق عندهم متفاوتة فأتيح لكل منهم أن يقرأ بطريقته الخاصة وأن يؤدي النطق على ما تعود.

يقول ابن الجزري : وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها ، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم و العلاج ، لاسيما الشيخ والمرأة ، ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه (ﷺ) فلوا كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع " . ([5])

---

[1] – سورة البقرة ، الآية 261 .

[2] – سورة التوبة ، الآية 80 .

[3] – ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج1 ، ص 26 .

[4] – محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ، ص 33 .

[5] – ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج1 ، ص 22 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وقد تنبه ابن قتيبة لاختلاف لهجات العرب وسببها في اختلاف قراءاتهم فقال: " ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليها اعتياده طفلا وناشئا وكهلا ، لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتدليل للسان وقطع للعادة " . ([1])

ولا يعدم الباحث أن يجد في كتب التفسير والقراءات وكتب الغريب وكتب النحو شيئا كبيرا في القراءات ومرد ذلك أن الناس قد فطروا على أساليب في التعبير خاصة بهم ، وبذلك قرأوا، وأن طائفة كبيرة من هذه القراءات الخاصة اعتبرت في شواذ القراءات والشواذ من القراءات هي ما خلا تلك التي انتشرت بواسطة القارئ المشهور ابن مجاهد (المتوفى سنة 322 هـ) كقراءة ابن مسعود وقراءة ابن كعب وأمثالهم ، وهي تعد من باب الشواذ ، وقد ألف غير واحد من الأقدمين في موضوع الشواذ كالعكبري في كتابه إعراب القراءات الشاذة و الأهوازي وابن عطية والمهدي، ولم نعرف مؤلفات هؤلاء ولم يصل إلينا منها شيء، كما اندثر كتاب اللوامع في القراءات وكتاب المحتوى للداني . ([2])

والمطلوب من المسلم ترتيل القرآن الكريم : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ ﴾. ([3]) ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ .([4]) وهذا يعني إتقان النطق الصحيح لحروفه مفردة ومركبة ، و التحري والدقة في النطق لهما أهمية في صيانة القرآن الكريم وحفظه على مر الأيام لتتحقق نبؤة القرآن الكريم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .([5]).

وهذا الإتقان وتلك الإجادة في النطق تبعد بالمسلم عن اللحن والتحريف وذلك لا يكون إلا بالتلقي والمشافهة والتدرب والرياضة وفق قواعد مرسومة متلقاة – بصفة خاصة – عن أئمة القراءة المتصلة بالرسول (ﷺ) وقد لمس العلماء ذلك من

---

[1] – ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص 30 .

[2] – د. إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 58 .

[3] – سورة المزمل ، الآية 4 .

[4] – سورة الزمر ، الآية 28 .

[5] – سورة الحجر ، الآية 9 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الصدر الأول ، فوضعوا الضوابط لقراءته وتحديد نطقه تحديدا سليما ، فيعطي كل حرف حقه في مخرجه وصفته سواء كان مفرد أم مركبا مع غيره ، وأي بعد عن هذا المنهج المرسوم يعد خروجا عن القراءة الصحيحة ولحنا يؤدي بصاحبه إلى الوقوع في الإثم و الضلالة . ([1])

ومن هنا قام علم التجويد و القراءات على أساس وصف مخارج الحروف حرفا حرفا بتحديدها تحديدا دقيقا في قواعد تهدي الناطق وترشده إلى التمثل الصحيح للأصوات العربية وطريقة نطقها في القرآن الكريم، كما حددت في هذا العلم أيضا صفات الحروف، وعرفت أنواعها من جهر وهمس وشدة ورخاوة وتوسط وانفتاح واستعلاء وإطباق إلى غير ذلك ، وما يترتب عليها من قوة الحرف أو ضعفه .([2]).

وهذا النطق يمثل الحروف الهجائية التي استوت – عند العرب – على أحسن وجه وأكمله وتخلصت من الحروف المستقبحة و السقيمة التي كانت تستعمل عند بعض القبائل وتخلصت منها العربية النموذجية بفضل تهذيبها ونزول القرآن الكريم بها ومن ذلك .([3]).

1 – **الباء التي كالميم** : وهي في لهجات مازن ، وهي قولهم : باسمك ؟ في ما اسمك ؟

2 – **الجيم التي كالكاف** : وكانت شائعة في اليمن ، وهي موجودة بكثرة عند أهل البحرين مثل : رجل وجمل يقولون فيهما : ركل وكمل .

3 – **الصاد التي تنطق كالسين** : مثل قولهم في " صالح " " سالح " وهي من لغة بني العنبر .

4 – **الكاف التي بين الجيم و الكاف** : وهي مثل الجيم المصرية في النطق ، مثل (جافر) في نطق (كافر) ، وهي من لغات اليمن وبغداد .

---

[1] – د . عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص 383 – 384

[2] – ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج1 ، ص 4 .

[3] – ابن دريد ، الجمهرة ، ج1 ، ص 42 وابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص 30 ، و الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص 95 – 96 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

5 – **حرف بين الكاف و القاف :** وقد ذكره ابن دريد وابن فارس ، قالا : فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فيقولون : (الكوم) يريدون (القوم) فتكون القاف بين الكاف والقاف وهي لغة معروفة فيهم ، قال الشاعر :

ولا أكول لكدر الكوم كد نضجت وأكول لباب الدار مكفول .

يريد في ذلك كله القاف. كما يمنع تجاور الحرفين المتقاربين، والمتقاربان هما الصوتان اللذان بينهما تقارب في المخرج أو الصفة أو فيهما، كالدال و السين أو الشين، والذال والزاي واللام مع الراء . ([1])

وتنفر اللغة العربية من تركيب الكلمات من حروف متقاربة ، فقرب مخارج الحروف يمنع من تأليف بعض الكلمات لثقلها على اللسان ، فالقاف والكاف لا تأتلف منهما كلمة واحدة فلا يقال : (قك) و (كق) . ([2])

وقد قال ابن جني : إن حروف أقصى اللسان لا تتجاور البتة ([3]) ، وهذا حديث واضح لنفور الحس منه، والمشقة على النفس لتكلفه.

وقد اختلفت القراءات حتى صارت مادة تظهر ملامح وألوانا من اختلاف اللهجات لهذا فقد كان أصحاب الأمر – في بداية عصر القرآن – حريصين على ألا تبلغ وجوه الاختلاف مبلغا كبيرا حرصا على كتاب الله وخشية من أن يبلغ الاختلاف في وجوه القراءات مبلغا يضيع فيه شيء من لغة التنزيل ، ولذلك منعوا ألا يقرأ كتاب الله في غير ما اتفق عليه جماعة الثقاة من القراء ، غير أن هذا الحرص الشديد لم يمنع المسلمين في مختلف جهاتهم وأقاليمهم من القراءة بلغاتهم المحلية التي درجوا عليها ومن هنا نشأ في علم القراءات ما عرف بالقراءات الشاذة .([4])

ونستطيع أن نوجز أن القراءات في القرآن الكريم تقوم على تغيير في الحركات وتغيير في الأبنية و الصيغ ، وتغيير في الألفاظ ومجموع هذا يدل على أن طرق التعبير الخاصة وجدت طريقها إلى لغة التنزيل، ولم تجد في ذلك جهود التوحيد . ([5])

---

[1] – الدمياطي ، إتحاف فضلاء البشر ، ص 31 .

[2] – ابن دريد ، الجمهرة ، ج1 ، ص 164 .

[3] – ابن جني ، سر صناعة الإعراب، الجزء الثاني، دراسة وتحقيق الدكتور حسن هنداوي، ط2، دار القلم، دمشق 1413 هـ /1993م، ص 814 – 815

[4] – د. إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 83 .

[5] – المرجع نفسه، ص 61 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والمعروف أن المصاحف التي كتبها عثمان (ﷺ) وأرسل بها إلى الأمصار وقرأ كل مصر بما في مصحفهم وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه من رسول الله (ﷺ) ووجد في تلك الأمصار – فيما بعد – من يقوم في أمر القراءة مقام الصحابة – رضوان الله عليهم – وقد قام بذلك كثير منهم في الأمصار الإسلامية كالمدينة و مكة و الكوفة و البصرة و الشام . ([1])

ثم برز أعلام للقراءة تجردوا للأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرجع إليهم ويؤخذ عنهم – وربما كان عددهم كثير إلا أن الذين اشتهروا منهم في نهاية القرن الثاني الهجري سبعة عرفوا بالعدالة والضبط و الإتقان وهم : عبد الله بن كثيرا (ت 120 هـ) و كان بمكة ونافع بن عبد الرحمن (ت 169 هـ) وكان بالمدينة وعبد الله بن عامر (ت 118 هـ) وكان بالشام، وأبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت 205 هـ) وكانا بالبصرة ، وحمزة بن حبيب الزيات (ت 156 هـ) وعاصم بن أبي النجود (ت 127 هـ) وكانا بالكوفة ، ثم جاء ابن مجاهد (ت 324 هـ) فسبع السبع وشذذ ما عداها، وكانت كتبه التي ألفها في القراءات محورا لدراسات كثيرة في القراءات ، وتوالت مؤلفات العلماء في القراءات و الاحتجاج لها. ([2])

ولم يهتم النحاة بوجوه القراءات واعتمادها اعتمادا كافيا ، بل ربما ذهبوا إلى القول بخطأ وجوه القراءات ، وقد بلغ بهم الأمر إلى أنهم حملوا على الخطأ شيئا ورد في قراءة الثقات من القراء مثل نافع قارئ أهل المدينة ، وابن عامر قارئ أهل الشام ، وكان على النحاة أن يفيدوا من هذه الوجوه في القراءات ليشاركوا في وضع شيء من تاريخ العربية في هذه الفترة التي ندعوها بعصر القرآن . ([3])

ولعل ابن جني قد أدرك شطط النحاة في هذه المسألة وابتعادهم عن الحق في عزوفهم عن الأخذ بما ثبت من القراءات الصحيحة الثابتة فقال : " لم نقطع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ ما وجد طريق إلى تقبل ما يورده " . ([4])

---

[1] – ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج1 ، ص 7 – 8 .

[2] – ابن النديم ، الفهرست ، ص 57 – 62 .

[3] – د. إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 85 .

[4] – ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 38 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وعلى هذا فقد كان على النحاة أن يفيدوا من أوجه الخلافات في القراءات وذلك لأنها لون من ألوان اللغات الخاصة أو " اللهجات " وبهذا يكون قد تم لهم علم لغوي تأريخي متطور في ألفاظه وتراكيبه .

- **القراءات مصدر أصيل لدراسة اللهجات :**

لقد نزل القرآن الكريم نصا معجما يتحدى العرب بلغتهم التي كانت فنهم الأول وكان طبيعيا أن يخاطبهم بما اعتادت عليه ألسنتهم حتى يكون أقرب إلى قلوبهم، فالقراءات القرآنية إذن هي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدا في شبه الجزيرة قبل الإسلام، وهي أصل المصادر جميعا في معرفة اللهجات العربية لأن منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر و النثر ، بل يختلف عن طريق نقل الحديث .([1]) فأصحاب القراءات " لم يكتفوا بالسماع من لفظ الشيخ فقط في التحمل ، وإن اكتفوا به في الحديث ، قالوا لأن المقصود هنا كيفية الأداء ، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء ، أي فلابد من قراءة الطالب على الشيخ " . ([2])

فالقراءة إذن لا تكتفي في النقل بالسماع بل لابد من شرط التلقي و العرض ، وهما أصح الطرق في النقل اللغوي ، وكان من نتيجة ذلك ما رأيت من أن : " أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر و الأصح في النقل و الرواية ، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربيته ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها و المصير إليها " . ([3])

فالنحاة أصحاب تقعيد وتنظيم وهذه الروايات التي تخرج على قواعدهم كانت تلقى استغرابا منهم ، فلا يكون منهم إلا تجريحها وإخراجها على التوهم ، و القراء أصحاب أداء وهم أهل تلق وعرض ، فهم من هذه الناحية أدق من النحاة في نقلهم للغة ، ولو كان النحاة مهتمين بدراسة اللهجات العربية القديمة لما ردوا هذه القراءات ولما جرحوا أصحابها . ([4])

---

[1] – د. عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص 83 – 84 .

[2] – الدمياطي ، اتحاف فضلاء البشر ، ص 7 .

[3] – ابن الجزري ، النشرفي القراءات العشر ، ج1 ، ص 10 – 11 .

[4] – د. عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص 86 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

يقول أبو حيـــان : " إن نقل القراءات السبع متواتر لا يمكن وقوع الغلـــط فيه". ([1]) ونحن لا نستطيع أن نعول على القراءات الصحيحة وحدها فـــي معرفـــة اللهجات العربية ، إذ إن العبرة في اختلاف القراءات إنما كانت لاختلاف اللهجـــات وهذه القراءات الصحيحة ليست كل القراءات التي كان يقرأ بها المسلمون الأولـــون لكنها اشتهرت على رأس الثلاثمائة حين سبع ابن مجاهد القـــراءات الـــسبع وشـــذذ ماعدها ، فالقراءات المشهورة اليوم عن السبعة و العشرة و الثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهورا في الأعصار الأولى قل من كثر ونزر من بحر، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين " . ([2])

ولو بقيت هذه القراءات حتى اليوم لكان محتملا أن تقدم لنا مادة لهجية كبيرة تعيننا على تصور اللهجات تصورا أكثر وضوحا، وعلى أية حال فـــإن القـــراءات الشاذة جاءت منقولة مروية ، والرواية تبلغ بها عصر الرسول (ﷺ) إذ تعتبر بـــذلك صورة لاختلاف اللهجات يقول ابن جني : " إلا أنه (أي الشاذ) مع خروجـــه عنهـــا (أي الصحيحة) نازع بالثقة إلى قرائه محفوف بالروايات من أمامه وورائه ، ولعلـــه أو كثيرا منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه ...([3]) و" أنه ضـــارب فـــي صـــحة الرواية بجرانه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه " . ([4])

وعلى ذلك يقول السيوطي أن " كل ما ورد أنه قرئ به ، جاز الاحتجاج بـــه في العربية سواء كان متوترا أم آحادا أم شاذا ، وقد أطبق الناس علـــى الاحتجـــاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه " . ([5])

فليست القراءة السبعية وحدها مصدرا من مصادر اللهجات العربيـــة ، بـــل تشاركها القراءات الشاذة لأن لها سندا من صحة الرواية ، وموافقتها وجها من وجوه العربية، ولهذا كان ابن جني على حق عندما وثق الشاذ واحتج له، وأنـــه : " نـــازع بالثقة إلى قرائه ، محفوف بالروايات من أمامه وورائه". ([6])

---

[1] – أبو حيان ، البحر المحيط، ج2، ص 324

[2] – ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج1 ، ص 33 .

[3] – ابن جني ، المحتسب ، ج1 ، ص 103 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 103 .

[5] – السيوطي ، الاقتراح ، ص 24 .

[6] – ابن جني ، المحتسب ، ج1 ، ص 103 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ثم حاول ابن جني أن يعلن توثيقه للشاذ بقوله : " ولعله أو كثيرا منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه ... والرواية تنميه إلى الرسول (ﷺ) والله تعالى يقول : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ ". ([1]) ([2]) فالقراءة الشاذة صورة نابضة بالحياة لكثير من لهجات القبائل العربية ، ولكن هذه القبائل لم تنل نصيبا من المجد و الجاه فحكموا بشذوذ قراءاتهم التي هي صورة حية للهجاتهم مع أن القراءة – وإن شذت – هي أقوى من تراث الشعر والنثر على السواء ، يقول الفراء : " والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر" . ([3])

وقد ذكر أبو حيان أن القراءات القرآنية كلها صحيحة وشاذها إنما جاءت على لغة العرب .([4]) وهذه القراءات على اختلاف رواياتها سجل دقيق لما كان يجري في كلام العرب من تصرفات صوتية ولغوية ، ولا فرق في ذلك بين قراءة من السبعة أو من غيرها مما سمي (بالشواذ)، فهذه الشواذ لم توصف بالشذوذ لضعف روايتها، ولا لأنها تحتوي ظواهر لهجية غير شائعة في اللسان الفصيح ، فمثل هذه القراءات مهجور لا يحرص عليه أحد ، وإنما سمي الشاذ شاذا لأنه خارج عن سبعة ابن مجاهد .

وقراءات القرآن على اختلافها لم يرد فيها ما يتصل بالظواهر اللهجية الهابطة كالعنعنة والكشكشة و الفحفحة والعجعجة والاستنطاء فقد آل أغلب ذلك إلى الانقراض، بل اشتملت على الظواهر الراقية التي تتناسب وفصاحة اللسان العربي وقداسة القرآن الكريم كالإمالة و الإدغام والهمز والإسكان وغيرها من الظواهر التي امتصتها لهجة قريش – أو بعضها – من تقاليد اللهجات المجاورة التي كانت تتنازعها السيطرة على لسان العرب – وبخاصة لهجة تميم – وهذه الظواهر تمثل الصورة الحقيقية التي كان عليها النطق الفصيح للغة العربية . ([5])

إن تعدد القراءات واختلافها تيسير للناس في قراءة القرآن ، فقد روي عن

---

[1] – سورة الحشر ، الآية 7 .

[2] – ابن جني ، المحتسب ، ج1 ، ص 103 .

[3] – الفراء ، معاني القرآن ، ج1 ، ص 114 .

[4] – أبو حيان ، البحر المحيط ، ج8، ص419

[5] – د. عبد الصبور شاهين ، أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي ، أبو عمرو بن العلاء ، ط1 ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة 1408 هـ / 1987 م ، ص 9 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

النبي (ﷺ) قوله :" إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه". ([1]) وعلى هذا تكون دراسة القراءات ووجوهها المختلفة منطلقا إلى تيسير النحو وإعادة النظر في أصوله وقواعده على وفق ما ورد فيها من وجوه لما أحيطت تلك القراءات بالضبط و التدقيق ، ولأن " كل قراءة متصلة السند بالرسول (ﷺ) على ما بينها وبين الأخرى من تخالف" .([2]) فضلا عن " أن القراءة لا تخالف لأن القراءة سنة " . ([3])

والمشهور في هذه الأحرف السبعة أنها لغات العرب الفصحاء التي جرت ألسنتهم عليها، وبينها خلاف في الألفاظ كالعهن والصوف ، وعجل وأسرع وهلم وتعالى، ووجوه الإعراب كالذي في خبر (ما) التميمية والحجازية . وليس من الضروري أن كل كلمة كانت تقرأ على سبعة أحرف – بل السبعة مفرقة فيه – بعض الألفاظ بلغة هذيل وبعضها بلغة هوازن وأخرى بلغة تميم أو خزاعة ..([4])

ومن عصر المبعث إلى خلافة عمر بن الخطاب كان المسلمون وكلهم عرب يقرؤون القرآن على ما تيسر لهم من الأحرف فلا يبدو الأمر مشكلة فهي معان متفق مفهومها مختلف مسموعها، ولا وجه يخالف آخر خلافا ينفيه و يضاده كأن يقرأ بعضهم آية البقرة : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ﴾. ([5]) ويقرأ غيرهم : " كلّما أضاءَ لهم سعوا فيه" . أو أن يقرأ بعضهم آية الحديد: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ . ([6]) ويقرأ آخرون : " أنظرونا أو مهلونا " ، حتى استقرّوا في البلاد التي فتحت للإسلام، فكان اختلاف المسلمين في قراءة كتابهم الديني مظنة أن يحمل من غيرهم على محمل مريب فيتصوروا أن المسلمين يبدلون في كلمات الله ، مما اقتضى الموقف الحاسم من الخليفة عثمان بن عفان إلى جمع المصحف على حرف واحد هو المصحف العثماني أو المصحف الإمام ونسخت منه نسخ متعددة وزعت على الأمصار وأمر المسلمون بالاقتصار عليها وإحراق المصاحف التي كتبت على

---

[1] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، ج1، ص 133

[2] – عبد الفتاح شلبي ، أبو علي الفارسي ، ص 12 .

[3] – سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، ص 148 .

[4] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، ج1 ، باب الأحرف السبعة ، ص 132 – 136

[5] – سورة البقرة ، الآية 20.

[6] – سورة الحديد ، الآية 13.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أحرف أخرى ، وبقيت آثار اللهجات بعد ذلك فيما يحتمله اللفظ الواحد في المصحف الإمام من وجوه القراءات المتعددة في المد أو القصر، الهمز أو التخفيف ، الإدغـــام أو الإظهار، و في الروم و الإشمام و الإمالة ، والترقيق أو التفخيم، واستقر الأمـــر على سبع قراءات اختيرت لسبعة من أئمة القراء .

ج – موقف علماء العربية القدامى من اللهجات :

والمعروف أن علماء العربية القدامى لم يصرفوا شيئا من عنايتهم لدراسة اللهجات العامية، وإنما درسوا تلك اللهجات العربية التي تمثل مستوى معينـــا مـــن الفصاحة فلم يعرضوا اللهجات العربية القديمة في العصور المختلفة عرضا مفصلا يقفنا على الخصائص التعبيرية و الصوتية لتلك اللهجات لأنهم شغلوا عن ذلك باللغة الأدبية الفصحى التي نزل بها القرآن وصيغت بها الآثار الأدبية في الجاهلية وصدر الإسلام ، وقد أتيح للغة قريش أن تتبوأ المكانة الأولى بين اللهجات العربية الشمالية فأصبحت هي الفصحى المقصودة عند الإطلاق، وكان على اللغـــويين القـــدامى أن يعنوا بها عناية خاصة ويفضلوا نطقها ورسمها وإعرابها ووصفها واشتقاقها ، فلـــم تحظ اللهجات العربية الأخرى منهم إلا بالقليل من أبحاثهم ، فلما أخذ العلمـــاء فـــي جمع اللغة وتدوينها نظروا إلى اللهجات على أنها شيء لا ينبغي الاهتمام بـــه ، لأن المهم هو الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم ، ويمكن فهمه على أساس دراســـتها، فاهتموا بالفصحى ونبذوا اللهجات، كما خشوا أن يؤدي جمعهم للهجات إلـــى عـــدم جمع الكلمة الإسلامية ونقض الوحدة بين الأمة ، وأخذ العلماء ينظرون إلى اللهجات على أنها انحراف عن اللغة المثلى ونسبوها إلى العامة والـــسوقة ورمـــوا بعـــضها بالرداءة أو المذمة، كما فعل ابن فارس في كتابه (الـــصّاحبي) : " بـــاب الـــرديء والمذموم من اللغات" ، واقتصر رواة اللغة في الأخذ عن قبائل معينة بحجـــة أنهـــا فصيحة دون غيرها.

وحين وضعت قواعد النحو واللغة لم ينظروا إلى اللهجـــات إلا علـــى أنهـــا تنضوي تحت إطار اللغة العامة فحاول النحاة صهرها فـــي بوتقتهـــا وإخـــضاعها للقوانين اللغوية العامة ، فإذا أبت عليهم رموها بالقبح أو الشذوذ أو الرداءة ، وقـــد روى ابن نوفل قال : سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عما وضعت

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

مما سميته عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا . فقال : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات . ([1])

والحقيقة التي يواجهها أي دارس للهجات العربية القديمة خارج الجزيرة العربية ،– ولحد ما داخلها – هي قلة المادة اللغوية من ناحية وانعدام الدراسة اللغوية المنهجية لها من ناحية أخرى ، وهناك حقيقة أخرى تشمل اللهجات العربية القديمة جميعها وهي اختلاط مادتها بعضها ببعض، وصعوبة عزل مادة أي واحدة منها عن غيرها ، وهي صعوبة قد تصل أحيانا إلى حد الاستحالة و التعذر . ([2])

فقد فاتهم أن يدرسوا هذه اللهجات دراسة مستقلة لتتميز عن الفصحى أو اللغة المشتركة ، ولولا بعض ما ترويه كتب اللغة عن مثل هذه اللهجات لظلت هذه الناحية من الدرس اللغوي عند العرب غامضة تماما .

يقول إبراهيم أنيس: " ولسنا نعلم مؤلفا من علماء العرب على وفرتهم واهتمامهم بكل دقائق الدراسة اللغوية قد عنى باللهجات العربية عناية خاصة فأفرد لها كتابا مستقلا ، وكل ما نعلمه عن تلك اللهجات من روايات الأقدمين لا يعدو أن يكون مجرد إشارات مبعثرة هنا وهناك تضمنتها كتب التاريخ و الأدب " . ([3])

وعلماء اللغة وأهل العربية قد طرحوا أمثلة اختلاف اللغات في كتبهم ، فلا قيمة لها عندهم إلا حيث يطلبها الشاهد وتقتضيها النادرة في عرض كلامهم ، لأنهم لم يعتبروها اعتبارا تاريخيا فقد عاصروا أهلها واستغنوا بهذه المعاصرة عن توريث تاريخها لمن بعدهم ، ولو أن منهم من نصّب نفسه لجمع هذه الاختلافات وإفرادها بالتدوين بعد استقصائها من لهجات العرب ، وتمييز أنواعها بحسب المقاربة و المباعدة و النظر في أنساب القبائل التي تتقارب في لهجاتها والتي تتباعد، وتعيين منازل كل طائفة من جزيرة العرب ، والرجوع مع تاريخها إلى عهدها الأول الذي يتوارث علمه شيوخ القبيلة وأهل أنسابها ، لخرج من ذلك علم صحيح في تأريخ اللغة وأدوار نشأتها الاجتماعية ، يرجع إليه على تطاول الأيام وتقادم الأزمنة. ([4])

---

[1] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 184 – 185 .

[2] – د. أحمد مختار عمر، تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، عالم الكتب، القاهرة ، ص 95

[3] – د. إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص 47 .

[4] – الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص 110 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فبتجميع خيوط هذه اللهجات القديمة من بطون الكتب اللغوية القديمة ومن قراءات القرآن الكريم، ومن خلال دراسة النصوص الأدبية، ومن ثنايا كتب النحو نستفيد، ففي الغالب أن ما يطالعنا من شذوذ قد يكون سره اللهجات العربية الأخرى. ([1]) وعلينا أن نقوم بجمع ما يمكن مهما قل ونقوم بدراسته ومن الخيوط البسيطة الواهية يتكون الحبل القوي المتين .

على أنه لم يكد ينقضي القرن الرابع من الهجرة حتى ظهر من علماء اللغة من يشيد بهذه اللهجات ويراها جميعا حجة ، وإن كان بعضها أشهر وأفصح من البعض الآخر ، مثل ابن جني في الخصائص حين عقد فصلا سماه : " اختلاف اللغات وكلها حجة " . ([2]) وأشار فيه إلى هذه اللهجات واختتم كلامه بقوله : " إلا أن إنسانا لوا استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب لكنه يكون مخطئا لأجود اللغتين ، فأما إذا احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير منعى عليه" .

وهذه اللهجات العربية القديمة هي التي وفدت مع قبائلها إلى الأمصار بعد الفتح الإسلامي وشكلت إلى حد ما كلام كل مصر منها بشكل خاص، وتركت على ألسنة الناس بعض آثار اللحن والانحراف عن أساليب اللغة الأدبية المشتركة، ويبدو أن العلماء والأدباء لم يقدروا خطورة هذا اللحن في بادئ الأمر، ولم يتصور أن ينشأ عنه – كما حدث فعلا – ثنائية أو ازدواجية في اللغة ، لغة للخاصة وأخرى للعامة. ([3])

يدلّ على هذا كلام الجاحظ حين يشير إلى لغة العامة بقوله : " وإذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة و الطغام فإياك أن تستعمل الإعراب أو تتخير لها لفظا حسنا أو تخرجها من فيك مخرجا سويا ، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها " . ([4])

غير أن بعض الغيورين على اللغة والمتحمسين لصحة الكلام قد بدأوا منذ القرن الثالث من الهجرة يحاربون ذلك اللحن ويعملون جاهدين على وقف تياره، ومع هذه الجهود المحمودة لهؤلاء اللغويين بقيت الأمور تسير في غير صالح الفصحى ، فهذا المقدسي الجغرافي الذي طاف بالبلاد العربية خلال القرن الرابع من

---

[1] – البدراوي زهران ، مقدمة في علوم اللغة ، ط5، دار المعارف بالقاهرة، ج م ع، 1993م ، ص 66 .

[2] – ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 10 ، و السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 257 .

[3] – د. إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، ص 220 – 221 .

[4] – الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 145 – 146 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الهجرة يحدثنا في كتابه " أحسن التقاسيم " عن الخصائص اللغوية لكل إقليم من الأقاليم العربية ليتبين أن ثمة ما يشبه الثنائية أو الازدواجية في اللغة في البلاد العربية فعلا . ([1])

وفي كتب اللغة والنحو، وردت شواهد وأمثلة لبعض هذه اللهجات التي مثلت بعض القواعد النحوية والظواهر اللغوية الصوتية و الدلالية وغيرها مما يشهد أن بعضها له شهرة وذيوع وقوة وفصاحة يمكن أن يحتج بها ويؤنس بنطقها ، كما قال ابن جني: " إن اللهجات كلها حجة " ونظرية ابن جني في العناية باللهجات وعدها حجة إذا كانت موافقة للقياس أو مخالفة له ، فما وافقه قيس عليه ، وما لم يوافقه حفظ ولم يقس عليه، وقد وضع تفصيل ذلك في " باب في اختلاف اللغات و كلها حجة " . ([2])

ووضع ابن جني في هذا الباب قواعد لقبول اللهجة أوردها :

1 – فتقبل اللهجتان أو اللهجات إذا كانت على قدر واحد من الاستعمال و القياس ، وطبق ذلك على لغتي الحجازيين و التميميين في (ما) فلغة التميميين في ترك إعمالها يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك يقبلها القياس ، لأن لكل واحد من القولين ضربا من القياس يؤخذ به ويخلد إلى مثله .

2 – إذا كانت إحدى اللهجتين أكثر استعمالا وأقوى قياسا من الأخرى ، فالمختار الأكثر استعمالا الأقوى قياسا ، قال : فأما أن تقل إحداهما جدا ، وتكثر الأخرى جدا، فإنك تأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياسا ... ([3]) .

3 – جواز استعمال اللهجة القليلة الاستعمال، الضعيفة في القياس في الشعر والسجع، وهو عند ابن جني مقبول عند الاحتياج إليه وغير منعى عليه ، فهو في ذلك جرى على لهجات العرب وسننها، فلو استعملها إنسان لم يكن مخطئا لكلام العرب ، لكنه يكون مخطئا لأجود اللغتين، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ . ([4])

كما تنبه ابن جني إلى أهمية المصدر البشري وما له من قيمة كبيرة في استقاء اللغة، هذا المصدر الذي يعتمد عليه درسو اللهجة في المقام الأول ، ففرق

---

[1] – يوهان فك ، دراسات في اللغة و اللهجات والأساليب ، ص 174 .

[2] – ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 10 ، والسيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 257 .

[3] – ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 10

[4] – المصدر نفسه ، ص 12 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

كبير جدا بين أن تسمع الظاهرة اللغوية من أصحابها الناطقين بها، وبين أن تروى لك هذه الظاهرة رواية من طريق غيره ، إذ لابد من معرفة الملابسات التي تحيط بالمتكلم عند الكلام وما قد يصحب ذلك من إشارات تضيف إلى طريقة النطق معاني أخرى لا تفيدها الرواية .

وفي هذا يقول : " فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين ، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات ، فتضطر إلى قصود العرب وغوامض ما في أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة ، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه ، غير متهم الرأي و النحيزة و العقل " . ([1])

وقد أبرزت كتب لغوية متعددة ألوانا ومظاهر من اللهجات العربية ككتاب فقه اللغة لابن فارس وفقه اللغة للثعالبي والأمالي للقالي وأدب الكاتب لابن قتيبة وشرح الفصيح للبطليموسي ولابن درستويه ولابن خالويه . ([2])

وكتب النحو كذلك وإن كانت لا تهتم كثيرا باللهجات لأنها تتناول اللغة بالتقنين و التنظيم ، إلا أننا نلمح الكثير من الاستعمالات اللهجية التي لو أعطاها النحاة حقها من الدرس لأراحونا من كثير من تأويلاتهم النحوية التي تبعد عن الفهم الصحيح للظاهرة اللغوية . ([3]) وفي كتاب سيبويه إشارات واضحة إلى هذه اللهجات كأن يقول : " قوم من العرب يقولون". ([4]) و" ناس من العرب ". ([5]) و" بعض العرب " . ([6]) و" بعض العرب الموثوق بهم " . ([7]) إلى غير ذلك ، وسيبويه يصف

---

1 – المصدر السابق ، ج1 ، ص 248 .

2 – عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص 83.

3 – عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص 58 .

4 – سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، ص 182 .

5 – المصدر نفسه ، ج2 ، ص 155 – 161 – 242 – 330 .

6 – المصدر السابق ، ج1 ، ص 70 – 183 – 225 ، والجزء الثاني، ص 28– 38– 55– 63– 82– 91– 209.

7 – المصدر نفسه ، ج2 ، ص 319 – 337 – 345 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

اللهجة أحـــيانا بأنها جيدة ([1]) أو حسنة ([2]) وأحـــيانا أخـــرى بأنهـــا رديئـــة ([3]) أو ضعيفة ([4]) أو قبيحة ([5]) .. الخ

لكن العرب القدماء حين كانوا يشيرون إلى تلك الفروق بين لهجات القبائل ، لم يستعملوا مصطلح " اللهجة " على النحو الذي نعرفه في الدرس اللغوي الحديث ، بل إنهم لم يستعملوه قط في كتبهم، وغاية ما وجدناه عندهم ما تردده معاجمهم مـــن أن " اللهجة " هي اللسان أو طرفه أو جرس الكلام ، ولهجة فلان لغته التـــي جبـــل عليها فاعتادها ونشأ عليها.([6]) وإنما كانوا يطلقون على اللهجة (لغة) أو (لغية) ولعل ذلك راجع إلى أنهم لم يتوفروا على دراسة لهجة كاملة من لهجات القبائل التي كـــان يتكلمها الناس في حياتهم العادية ، بل كل ملاحظاتهم إنما انصبت على هذه الفـــروق اللهجية التي دخلت الفصحى ويتضح هذا عندما أشار صاحب الأمـــالي إلـــى قولـــه تعالى: ﴿ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ ﴾ ([7]) ، فقال: الفتح لغة أهل الحجاز، والكسر لغة تميم وأسد وقيس .([8])

كما ذكر ابن فارس اختلاف لهجات العرب فقال : "اختلاف لغات العرب من وجوه ..." ([9])

وعقد ابن جني بابا في خصائصه:" باب اختلاف اللغات وكلها حجـــة ". ([10])
كما ذكر السيوطي في مزهره" باب الضعيف والمنكروالمتروك من اللغات ". ([11])

ولهذا يمكن تصنيف التراث اللهجي الذي خاضه القدامى تحت اسم " اللغـــات أو كتب اللغات " في :

---

[1] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص 56 – 69 – 80 – 90 – 104 – 119 ، و الجزء الثاني ، ص 17 – 158 ....
[2] – المصدر نفسه ، ج2 ، ص 113 – 312 – 414 .
[3] – المصدر نفسه ، ص 376 .
[4] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص 85 – 87 – 120 . و الجزء 2 ، ص 144 .
[5] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص 80 – 107 – 135 . و الجزء 2 ، ص 118 – 305 – 357 .
[6] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، ص 419 .
[7] – سورة الفجر، الآية 3
[8] – القالي (أبو إسماعيل بن القاسم)، الآمالي ، ط3، مطبعة السعادة بمصر 1373هـ/1953م، ج1، ص 13
[9] – ابن فارس ، الصاحبي ، ص 25 .
[10] – ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 10 .
[11] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 214 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

1 – التأليف في لغات القبائل في القرآن : ويظهر أن هذا النوع من التأليف " كان من أول الفنون اللغوية ظهورا ". ([1]) لأنه يتصل بالقرآن الكريم مباشرة ، ولاشك أن كل تأليف يتصل بالقرآن الكريم نال من القوم عناية ظاهرة إذ كانت له القدمة علـــى غيره و التفضيل على سواه ما ونجد في التأليف في " كتب اللغات في القرآن" :

- لغات القرآن للفراء . ([2])
- لغات القرآن للأصمعي. ([3])
- لغات القرآن لأبي زيد . ([4])

2 – المؤلفات تحت اسم " كتب اللغات " ، ونذكر منها :

- كتاب اللغات ليونس بن حبيب (ت 183 هـــ) . ([5])
- كتاب اللغات لأبي عبيدة (ت 210 هـــ) . ([6])
- كتاب اللغات لأبي زيد (ت 215 هـــ) . ([7])
- كتاب اللغات للفراء (ت 207 هـــ) . ([8])
- كتاب اللغات للأصمعي (ت 213 هـــ) . ([9])
- كتاب اللغات لابن دريد (ت 321 هـــ) . ([10])

وتجدر الإشارة إلى أن معظم ما ألفه القدامى في " لغات القبائل في القـــرآن" أو " كتب اللغات " عامة قد ضاع ولم يصل إلينا وهذا ما يحدث ثغـــرة كبيـــرة فـــي تكوين نظرة تاريخية عن لهجات القبائل العربية .

---

[1] – حسين نصار ، المعجم العربي ، ج1 ، ص 73 .
[2] – ابن النديم ، الفهرست ، ص 74 .
[3] – المصدر نفسه ، ص 74 .
[4] – المصدر نفسه ، ص 74
[5] – المصدر نفسه ، ص 90
[6] – المصدر نفسه ، ص133
[7] – المصدر نفسه ، ص 109 .
[8] – المصدر نفسه ، ص 113 .
[9] – المصدر نفسه ، ص 111 .
[10] – المصدر نفسه ، ص 125 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وتعتبر المعاجم – بطبيعة مادتها – مصدرا هاما للهجات ، ولكن كثيرا منها لم يهتم بعزوها إلى قبائلها، فصاحب اللسان مثلا لا يكاد يذكر إلا قليلا جدا من لهجات القبائل، بل إنه يكتفي بقوله " لغة فيه " أو " عند بعض العرب " ، والمعجمان الممكن اعتبارهما مصدرين هامين للهجات وبخاصة لهجات اليمن هما : ([1])

1 – الجمهرة لابن دريد ، إذ تنتشر فيه ثلاث وعشرون لهجة أكثرها من اليمن.

2 – شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، لنشوان بن سعيد الحميري .

وهناك أيضا المعاجم الخاصة التي كانت تجمع مادة لغوية في موضوع واحد، إذ كان أصحابها يهتمون باللهجات مثل ما نجد في كتاب " النخل والكرم".([2]) للأصمعي وكتاب " المطر " لأبي زيد ([3]) وكتاب " الرحل والمنزل" لأبي عبيد. ([4]) ومما يعتبر من المعاجم الخاصة أيضا ما جاء في" المشترك اللفظي" و" الترادف " و" الأضداد " فالمشترك مما يجيء " على لغتين مختلفتين. ([5])

والمترادف إنما يكون" من واضعين وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين ، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان .([6])

كما قد ترجع الأضداد إلى اختلاف اللهجات " فإذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب والمعنى الآخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء " . ([7])

ويضاف إلى ما سبق كتب " النوادر " فهي مصدر طيب لدراسة اللهجات

---

[1] – عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص 54 .

[2] – مجموعة من أئمة الكتاب العرب ، البلغة في شذور اللغة ، وهي مجموعة مقالات لأئمة كتبة العرب، نشرها الدكتور أوغست هفنر، والأب ل.شيخو اليسوعي، ط2، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت 1914م، ص 65 – 68

[3] – المصدر نفسه ، ص 112

[4] – المصدر نفسه ، ص128

[5] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 384 .

[6] – الرماني ، الألفاظ المترادفة ، ص 3 – 4

[7] – ابن الأنباري ، الأضداد في اللغة ، ص 11 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وكتب " الأمثال" فإن دراستها تفيد الدرس اللهجي أيما إفادة لأن الأمثال لغة الشعب التي يطلقها فور الحدث دون تصنع ، وهي من هنا تعتبر مرآة صادقة للهجة ويعتمد عليها دارس اللهجة العامية اعتمادا كبيرا. ([1]) دون أن ننسى" كتب الضرائر " فالضرورة الشعرية في حاجة إلى دراسة تستقرئها وتردها إلى أصولها في اللهجات العربية . ([2])

فهذه الضرائر كما يصرح بعضهم لهجات مثلما نجد عند أبي سعيد القرشي في أرجوزته في الضرائر: ([3])

وربّما تصادف الضرورة بعض لغات العرب المشهورة .

إذن لقد حاول اللغويون تتبع ما في عاميات العربية من لحن ، وكانت محاولتهم في ذاتها تشهد بأن عاميات العربية كانت مرجوة لديهم لأن تخضع للرقابة فلا تخرج على سنن الفصحى ، لكن مهما اختلفت اللهجات المحلية " فقد بقيت العربية الفصحى اللغة العالية المشتركة ، وقد كانت هناك رقابة شديدة صارمة لحمايتها ، لكنها لم تتوقف لحظة عن الحركة والنمو في عصر نهضتها ، ولم تجمد عند قديمها معاندة للتطور ، بل استجابت لدواعي الحياة فكانت لسان الأمة في الدولة الإسلامية الكبرى من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، ولغة فكرها الحي الناضج وكتاب علومها الأصيلة و المستحدثة وأداة اتصالها بقديم التراث الإنساني ، كما كانت أداة اتصال الغرب بالحضارة الإسلامية التي استوعبت ثمار العلوم و المعارف من أقدم العصور إلى فجر عصر النهضة " . ([4])

د – موقف النحاة من اللهجات العربية :

كان بين العرب إذن لغة عامة ولهجات خاصة ...

– **فما هي مجالات استعمال كل منها بين العرب مجتمعين وبين القبائل الخاصة ؟**

إن الذي يحدد ذلك من بداية الأمر هو استخدام الفصحى في الصلة بين

---

[1] – عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص 56 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 57 .

[3] – الألوسي (محمود شكري)، الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر، شرح محمد بهجة الأثري، نشر المكتبة العربي، بغداد، وطبع السلفية بالقاهرة 1341هـ ، ص 34

[4] – عائشة عبد الرحمن ، لغتنا و الحياة ، ص 92 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

العرب جميعا، أما اللهجات فهي عرف محلي خاص بقبيلة واحدة أو مجموعة من القبائل تجمعها بيئة واحدة ، و المنتظر بناء على ذلك أن تتفق مجالات استعمال كل منهما مع الموقف العام الذي تمثله ، من المتوقع إذن أن تستخدم الفصحى بين الشعراء فالذي يستقرئ الشعر العربي – على وفرته – في الجاهلية و الإسلام يتأكد لديه أن الشعراء يكادون يتفقون في استخدام مستوى واحد هو مستوى الفصحى في شعرهم ، ونادرا ما يلقى الدارس أبياتا تحمل طابع اللهجات المحلية مما سعى النحاة وراءه واستخدموه في دراستهم لاستنباط الآراء ، فالشاعر يرسل شعره إرسالا كي تتردد أنغامه بين كل العرب ، ولا يقتصر أمره على قبيلة وحدها ، وهذا مجاله الفصحى العامة .

ومن المتوقع كذلك أن تستخدم الفصحى في مواقف الوفادة بين القبائل بعضها و البعض الآخر ، وفي مجتمع قبلي – كمجتمع الجزيرة العربية قديما – يتحكم فيه العرف لا القانون – غالبا ما تحل المشاكل عن طريق الصلات و الذمم و المعاهدات، وينبغي حينئذ أن تكون أداة التفاهم واحدة ومباشرة وهي الفصحى العامة التي تحقق التفاهم وتبادل الآراء ، ومن المتوقع أيضا أن تستخدم الفصحى في موقف الخطابة العامة حتى داخل القبائل نفسها في مجالات التشاور والحروب وأماكن العبادة ، فيستخدمها حينئذ رؤساء القبائل و الأشراف و الكهنة .

وبصدد ذلك ينبغي التنبيه إلى ما كان العرب يقيمونه من أسواق منتظمة على مدار السنة في أقاليم مختلفة من الجزيرة العربية ، وفي تلك الأسواق يتجمع الناس من كل القبائل لتبادل المنافع بالبيع و الشراء وسماع الشعر و الخطب و الآراء ، ولا يتم ذلك كله بغير لغة عامة يفهمها الجميع . أما اللهجات القبلية المحلية فتستخدم عادة في بيئة خاصة تضم قبيلة واحدة أو مجموعة من القبائل بينها صلة القرابة أو الجوار، وفي إطار هذا المجتمع المحدد تصبح اللهجة ذات قيمة كبيرة إذ هي وسيلة أفراد القبيلة في شؤون حياتهم العادية من حيث قضاء مصالحهم وتفاهمهم عن تلك المصالح، كما تكون وسيلتهم في التسلية و السمر و إلقاء النوادر و الفكاهات .([1])

يقول الجاحظ: " وإن كان موضع الحديث على أنه مضحك وملهٍ وداخل باب

[1] – د. عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 56 – 58

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المزاح و الطيب فاستعملت فيه الإعراب انقلب عن جهته ، وإن كان في لفظه سخف وأبدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع على أن يسر النفوس يكـــر بهـــا ويأخذ بأكظامها " . ([1])

والجاحظ يقدم بذلك نموذجا واحدا لمجال من الكلام هو " الترفيه " حيث تكون صياغة الفكاهات و النوادر خالية من الإعراب و التحقيق والتثقيل، وتنساب على ما يقتضيه الموقف فيها من سخف محبوب و ألفاظ أعجمية وظواهر لهجيـــة ، فينبغـــي قبولها كما وردت دون فرض مستوى من الكلام على مستوى آخر ...

- **فكيف نظَرَ النحاةُ إلى الصلة بين الفصحى و اللهجاتِ العاميّة ؟**

إن منهج النحاة كان على أساس اعتبار الفصحى هي لهجات القبائـــل علـــى تعددها وطول الزمن بها ، وهذا الاعتبار لديهم هو الذي دفعهم لاختيار نوع معـــين من اللغة المروية عن القبائل لدراستها واستنباط القواعد منها ، وقد تجيء القاعـــدة كلها على أساس استعمال لهجة معينة . وقد انعكست نظـــرة النحـــاة للـــصلة بـــين الفصحى واللهجات تماما في دراسة النحو العربي ، فقد ترتب علـــى هـــذه النظـــرة اضطراب الدراسة لا انسجامها، ففي المسألة الواحدة وجوه ولكل وجه توجيه وتجـــد هذه الوجوه و التوجيهات سندها في اللغات و اللهجات . ([2])

روى الزبيدي قال : قال ابن نوفل : سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سميته عربية ، أيدخل فيه كلام العـــرب كلـــه ؟ فقـــال : لا فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العربُ وهم حجّة ؟ قال : أعمل على الأكثـــر وأسمي ما خالفني لغات " . ([3])

فأبو عَمرو بن العلاء فيما وضعه من العربية يحمل على الأكثـــر ، ويـــسمي ما خالفه لغاتٍ ، والذي يفسر هذا المسلك العلمي هو فهم علمائنا القدماء للصلة بـــين الفصحى واللهجات ، واعتبارهم الفصحى هي نفس اللغات المتعددة مما أطلقوا عليه أنه " كلام العرب " ولا يمكن دراسة هذا الحشد الكبير المختلط إلا بهذه الطريقة التي

---

[1] – الجاحظ ، الحيوان ، ج1 ، ص 375 .

[2] – عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 61 – 62 .

[3] – الزبيدي ، طبقات النحويين و اللغويين ، ص 34 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

قررها أبو عمرو" أحمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات " .

وهكذا جاء النحو العربي وفيه قواعد عامة ذات احتمالات ولغات تتدارك عليها أو تنقضها، فنظرة النحاة للصلة بين الفصحى واللهجات قد أحدثت خلطا في دراسة النحو العربي، ويمكن الحصول على نماذج كثيرة عن ذلك دون عناء بتصفح أحد مطولات المتأخرين " كارتشاف الضرب " لأبي حيان، أو" شرح الأشموني" . ([1])

ويقول ابن جني: " إذا تساوت اللغتان ، فلك أن تستعمل إحداهما وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها ، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها ، فإن قلت إحداهما رواية وكثرت الأخرى تأخذ بأوسعهما رواية ، فإذا كان الأمر في اللغة المعول عليها هكذا و على هذا فيجب أن يقل استعمالها وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها ، إلا أن إنسانا لوا استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب ، لكنه كان يكون مخطئا لأجود اللغتين" . ([2])

فقد اعتبر النحاة الكثرة و القلة في اللغات أساسا للتفضيل ، ومن استعمل القليلة من اللغتين يكون مخطئا لأجودهما – كما قال ابن جني – بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ يلزم المتكلم المعول على اللغة الأقل استعمالا أن يعدل عن ذلك إلى تخير ما هو أقوى وأشيع .

إن اعتبار القلة و الكثرة أمر جدير بالتقدير و القبول إذا كان مجال البحث في لهجة واحدة محددة البيئة والزمن، حينئذ يكون هذا الاعتبار صحيحا ويؤدي إلى نتائج مقنعة، أما إذا كانت هذه الكثرة و القلة بين لغات متعددة البيئة مختلفة الزمان و المكان فحينئذ تكون الموازنة بهذا الاعتبار خاضعة لظروف غير موضوعية ، إذ تخضع لظروف القبيلة وعددها وشهرتها وحظ الراوي من الأخذ عنها . ([3])

ثم إن التأثير و التأثر – في أية لغة – بين المشتركة ولهجاتها أمر واقع مستمر، إلا أن البحث في اللغة لا يقتصر على مستوى دون آخر ، بأن يوجه الاهتمام للفصحى فقط ، أو يوجه الاهتمام إلى اللهجات فقط ، فكلا المستويين جدير بالبحث و النظر باعتباره نشاطا اجتماعيا للناطقين باللغة من جهة ، ولما تفيده

---

[1] – عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 63 .

[2] – ابن جني ، الخصائص ن ج2 ، ص 10 – 12 .

[3] – عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 82 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الدراسة في كلا المستويين من الآخر من جهة أخرى .

وتبرز هذه الفائدة بصورة واضحة في فهم التطور التاريخي لكل من اللغة المشتركة و لهجاتها بمعرفة مدى ما أفادته كل منهما من العناصر اللغوية في الأخرى وما تمثلته من ذلك فقدر له الانتشار و البقاء ، وما استعمل في إطار محصور بين فرد أو أفراد فانزوى ثم توارى في ظلال النسيان .

فالنحاة القدماء لم يفرقوا أصلا بين العربية الفصحى ولهجاتها ووجهوا نظرهم إلى اللغة من زاوية الفصحى فقط ، فأهملوا بذلك الواقع الاجتماعي للغة ، كما أنهم اعتبروا الفصحى تشمل لغات القبائل المتعددة التي وثقوها ثم جمعوا مادتها ودرسوها ، وهذا ما أدى إلى الخلط و الاضطراب في تلك الدراسة من بناء القواعد على ظواهر لهجية ومن اختلاف الآراء حول المسائل اعتمادا على ما ورد من بعض القبائل ، ومن وجود آراء واختلافات لا تتفق مع الفصحى في نصوصها الموثقة كالقرآن و الحديث و الشعر . ([1])

ونظرة هؤلاء الضيقة – لاسيما رجال البصرة منهم – جعلتهم يقيسون هذه اللهجات التي وصفوها بمقياس اللغة الفصحى ، ولهذا حكموا عليها بهذه الأحكام القاسية ونعتوها بتلك الأوصاف ، وغاب عنهم أن كل لهجة عربية لها مقاييسها الخاصة ومنطقها الخاص ، كما أن الأصل في اللهجات هو الرواية و النقل لا القياس و العقل ، والنحاة – وهم أصحاب هذه الأوصاف – كانوا أصحاب معايير ومقاييس حاولوا إخضاع اللهجات مع اختلاف مشاربها لها ، فلما فلتت هذه اللهجات من أحكامهم وموازينهم وتقنينهم رموها بالرداءة و القبح وما إلى ذلك من أوصاف . ([2])

و المفروض أن أصحاب كل لهجة عربية كانوا يراعون مستوى صوابيا اجتماعيا عندما يتكلمون وهذا المستوى يختلف باختلاف المجتمعات وعلى أساس هذا المستوى يكون الحكم بالصحة والخطأ والمجتمع وحده هو الذي يصدر مثل هذه الأحكام أو يخلع هذه الصفات ، وهذا المستوى الصوابي " فكرة لا تتصل باللغة فحسب وإنما تتناول كل ناحية من نواحي النشاط الاجتماعي " . ([3])

---

[1] – المرجع السابق ، ص 90 – 92 .

[2] – أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، القسم الأول ، ص 198 .

[3] – تمام حسان ، اللغة بين المعيارية و الوصفية ، ص 63 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ونبادر إلى الاعتراف بأن اعتماد النحاة على مبدأ " العزلة و الاختلاط بين العرب و الأجانب " أساسا في القبول و الرفض قد داخله ما أساء إليه من حيث الفهم و أسلوب الدراسة ونتائجها فالنحاة العرب اجتهدوا في الحصول على نموذج نقي للفصحى ، وفهموا أن هذا النموذج يتحقق في نطق القبائل التي لم تختلط بالأجانب وانصرفوا بعد ذلك عن دراسة لغات القبائل الأخرى ، فقد كان من حق لغات هذه القبائل أن تدرس لمعرفة تأثير هذا الاختلاط ومداه .

وكان هذا المسلك مفيدا بالنسبة لما وجهوا اهتمامهم له من الفصحى المثالية في نظرهم ، إذ تتأكد دراستهم لها بمعرفة ما داخل غيرها من عناصر اللغات الأخرى ومدى تأثيرها على نطق القبائل التي تعرضت للاختلاط ، فالربط بين العزلة والاختلاط والأخذ والترك قصر بدراسة النحاة عن الإحاطة الشاملة بما كانت عليه اللغة العربية بين كل القبائل في عصرهم ، ولو استخدم هذا المبدأ في اختيار نماذج من نصوص الفصحى التي لم يفسدها الاختلاط ثم درست بمنهج صحيح دقيق لأفادت الفصحى من ذلك أجل فائدة.

أما نقل هذا المبدأ من مجاله إلى مجال آخر باستخدامه في اللهجات ثم التفريق بين ما يؤخذ وما يترك منها باعتباره ، وخلط ما أخذ عن هذه القبائل بنصوص اللغة المشتركة في الغريب و الإعراب و التصريف ، فلم يكن له نتيجة إلا قصور معرفتنا الآن باللهجات العربية في عصر الاستشهاد ، وإلا ذلك الاضطراب الذي نعاني منه الآن في كتب مسائل النحو.

كما أن مهمة الباحث في اللغة أن يصف ما أمامه فقط فيستقرئه دون أن يتجاوز ذلك إلى وصفه بالجودة أو الرداءة ، فإذا كانت الظاهرة المستقرأة مطردة ذكر ذلك ، وإذا تفرد عنها بعض الأمثلة ذكرها أيضا بحياد وموضوعية ، أما إذا نص الدارس في استقراء اللغة على الاستحسان أو الاستهجان فقد أقحم على موقفه الوصفي معنى دخيلا يتعلق بآرائه الشخصية أو إحساسه اتجاه الاستعمال، لكن لا علاقة له بوصف اللغة ، وهو مرفوض من وجهة النظر الحديثة ، فليس من عمل الباحث أن يفاضل بين اللغات أو اللهجات ، وليس من عمله أن يصف مسلك اللغة بالجودة أو الرداءة ، إذ يجب عليه أن يدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها آخذا في اعتباره أن كل لغة أو لهجة نظام اجتماعي يحقق الصلة بين الناطقين به ، وعليه أن يصف خصائص هذا النظام فقط سواء منه ما كان مطردا أم ما تفرد عن هذا

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الاطراد. ([1])

الفصل الثالث

جهود المحدثين في حفظ سلامة اللغة العربية من تـأثير اللهجات العامية.

أ - اللهجات حديثا .

ب - موقف المحدثين من اللهجات .

ج - الدعوة إلى العامية وموقف المحدثين منها .

[1] – عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 94 – 96 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أ – اللهجات حديثا :

لقد عاشت خصائص العامية في عصور العربية الأولى ، إذ كانت لهجات لمختلف القبائل و العشائر جرت عليها طبائع النشوء و الارتقاء ومرت بها أطوار تنازع البقاء ، وعلى ترادف من الأيام ، وبعون من عوامل وملابسات ألفينا هذه اللهجات المختلفة تتجمع وتختمر وتتخذ لها قالبا هو الفصحى ، فكان هذا القالب صنعة مختارة وصورة مزكاة تنظوي على النقاوة ، به نزل القرآن وفيه صب الشاعر و الناثر روائع البيان ، بيد أن اللهجات المختلفة بقيت مع الأيام تندس في الحديث الدارج بين الناس ، فكلما ذهب أهلوها مذهبا في الأرض انتقلت معهم تحمل آثارها على الأفواه يرثها جيل عن جيل ويسلمها عصر إلى عصر حتى انتهت إلينا وقد تشكلت أشكالا في بلاد الناطقين بالضاد . ([1])

و اللهجات الخاصة قد رافقت الفصيح في سائر عصور العربية ، وليست هذه المشكلة اللغوية وما ينتج عنها من مشكلات ثقافية ، وليدة عصرنا الحديث إلا أنها اليوم أعقد مما كانت بالأمس وذلك لأن المجتمع العربي يواجه حضارة معقدة تلزمه أن يكون مزودا بآلات للأخذ بنواحي هذه الحضارة المتعددة الأطراف ، ومن هذه الآلات و الأدوات مسألة اللغة .([2])

لهذا فإن مشكلات الحياة اللغوية في المجتمعات التي تتكلم العربية أبعد مشكلاتها غورا وأعتقها أثرا ، فهي تصيب هذه الأمم العربية جميعا بظاهرة " الازدواج اللغوي" التي تجعلها تحيا وتشعر وتتعامل وتتواصل بلغة يومية مرنة نامية متطورة ، ثم هي تتعلم بلغة مكتوبة محدودة غير نامية ، وهذا الازدواج

---

[1] – محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ، ص 189 .

[2] – د.إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ،ص 147 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

اللغوي القهري يصدع وحدتها الاجتماعية ويفرقها طبقات ثقافية وعقلية. ([1])

فهناك لهجات مختلفة باختلاف البلاد ، ثم إن البلد الواحد مشتمل على لهجات وطرق مختلفة في التعبير، ومسألة تقريب العامية من الفصيحة أمر يتعلق بالزمن الطويل لأن خير الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا هو نشر العلم والثقافة بين أبناء البلد الواحد، بحيث يتيسر لجميع أبناء البلد قسط من العلم و المعرفة، ومن شأن هذا أن يعمل على رفع مستوى اللغة المستعملة التي هي قريبة من الفصيحة ، ونستطيع أن ندلل على قربها من الفصيحة إذا نظرنا إلى اللغة التي يستعملها المثقفون اليوم في محادثاتهم وفي استعمالاتهم اليومية ، فهي لغة تكاد تخلو من اللفظ العامي الدخيل، فمجموعة ألفاظها على العموم فصيحة ، ويبدو قربها من الفصيح إذا وازنا بين اللغة التي يستعملها المثقف وهو من أسرة جاهلة و اللغة التي يستعملها سائر أفراد أسرته و التي هي موغلة في العامية . ([2])

غير أن الفصيحة تعاني من مشكلات كثيرة أهمها أننا مازلنا نجهل الكثير من وسائل تعلم هذه اللغة ولاسيما نحوها ، وكأن النحو مادة لا علاقة لها باللغة ، يقرأها الطالب فيضيق بها ذرعا فلا تدخل في سلوكه اللغوي ، ومن ثم يشيع اللحن و الخطأ، ويصبح هذا اللحن و الخطأ كأنه اللغة الفصيحة ويتردد هذا النمط من الخطأ المسموع كأن في أنفسنا ميلا إلى الأخذ به ، وبذلك تكون لغة جديدة هي العامية الفصيحة أو العامية الجديدة .([3]).

يقول الدكتور عباس السوسوة : " فأنت ترى المثقفين الذين اكتسبوا حظوظا طيّبة من المعارف المتنوعة يعلنون ضرورة التمسك بالفصحى صرفا ونحوا ودلالة وأساليب ، لكنهم في سلوكهم الفعلي أي في قراءتهم و خطابتهم وكتابتهم لا يستطيعون تحقيق المثال الفصيح لأنهم لم يعيشوا في الظروف التي تكون فيها هذا المثال . ([4])

بيد أن مجتمعنا – مجتمع الناطقين باللغة العربية – فريقان ، جمهور أمي عام يستقل بلغته العامية التي تتسع الهوة بينها وبين فصيح الكلام ، وجمهور مثقف

---

[1] – أمين الخولي ، مشكلات حياتنا اللغوية ، ص 8 .

[2] – د.إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 51 .

[3] – د.إبراهيم السامرائي ، العربية تاريخ وتطور ، ص 360 .

[4] – عباس السوسوة ، العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية ، ص 10 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

خاص مرزوء بلغتين اثنتين تتنازعانه فيما يلفظ من قول وما يرسل من تعبير ، أي الفصحى والعامية أو لغة الكتابة و الخطابة ولغة المشافهة و الخطاب ، فإذا نحن أردنا لحجة الإجماع و السماع أن تظل قائمة لتوثيق الجديد من الألفاظ ، ولباب القياس أن يظل مفتوحا لاستقبال الجديد من الصيغ ، فلسنا بمستطيعين أن نعول في ذلك على جمهورنا الأمي العام خشية أن تذوب الفصحى في محيط اللهجات العامية التي لا ضابط لها ولا نظام ، ولكننا نستطيع أن نعول كل التعويل على الجمهور المثقف الخاص ، ذلك الجمهور الذي تستوعب طوائفه وفئاته ضروب العلم و الفنون و الآداب، والذي تعلم الفصحى وأشرب ذوقها وأصبح قمينا أن تكون له ملكة الانتخاب والاختيار فيما يأخذ وما يدع من الألفاظ و العبارات ، هذا الجمهور الخاص المثقف الضارب في كل علم وفن هو مرآة اللغة المجلوة وهو قوامها الركين، في شرايينه يجري دمها الحي ، وبه تتفاوت درجاتها من النماء و الازدهار، فلو أغفلنا هذا الجمهور المثقف ووقفنا حيالها موقف التزمت و التحفظ لما رددنا تيارها الدافق ولما أفدنا من شيء ، فلهذه اللغة الغلبة و التسلط وخير لنا أن نقف منها موقف عون وتوجيه حتى ننفي عنها في رفق ظواهر الجموح والانحراف ، ونردها جهد المستطاع إلى ما ننشد لها من فصاحة ونقاء . ([1])

" هذه هي حال عربية العرب الآن (الفصحى أو الفصيحة) وحال أهليها أو نفر غير قليل منهم إزاء هذا الصراع وتنازع المواقع لكل مستوى من مستويات الكلام ، فصيح أو عاميات أو رطانات تملأ الساحة و الهياج ورفع العقائر تخويفا وترهيبا لما حظيت به هذه العاميات و الرطانات من فوضى الكلام وتسرب تنوعاته هنا وهناك ، حتى خيل لها أو لرافعي لوائها أنها سيطرت على سوق الكلام بأجمعه، هذه العاميات والرطانات تطير في الجو العربي و تملؤه بغبار المتنافرات النواشز من صور الكلام ، وتحاول تعتيم المساحة الضيقة الصافية التي مازالت (عربية العرب) تتمسك بأهدابها في جهد جهيد ، وتستصرخ أهلها المنسوبة إليهم ليفسحوا لها مجالا أوسع وأرحب حتى تستطيع – وإن بالتدرج – أن تزيح هذه العتمة أو أن تضيق دائرتها " . ([2])

إن وجود اللغة المشتركة واللهجات المحلية في اللغات أمر تحتمه الضرورة

---

[1] – محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ، ص 32 – 33 .

[2] – د. كمال بشر ، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم ، ص 5 – 6 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الاجتماعية وما تقتضيه من تفاوت مستوى الاستعمال وحاجاته تبعا لحاجات الناطقين أنفسهم لاستخدام اللغة في المواقف العامة و الراقية أو مواقف الحياة العادية و الخاصة بالبيئة المحلية، ومن الأمور العادية أن يحدث بين المستويين تبادل يشمل معاني الكلمات والصيغ وطريقة تأليف الكلام ، ويتأثر الاستعمال فيهما بالعادات النطقية للآخر ، وهذا التأثير والتأثر دائم الحركة و الاستمرار، ومع ذلك يبقى مستوى اللغة المشتركة واللهجات متميزا يحرسه الاستعمال نفسه ، فإن انتقال عناصر لهجية إلى الفصحى يبقى منسوبا إلى أصله اللهجي ما لم تتمثله اللغة المشتركة ويشيع استعماله فيها ، ومتى تحقق له ذلك فإن نسبته إلى أصله اللهجي تبقى قائمة تاريخيا فقط .

أما بعد الانتقال إلى الفصحى فإنه يصبح عنصرا جديدا من عناصر اللغة المشتركة بتمثلها له و الموافقة على استعماله وكذلك الأمر بالنسبة لما تتأثر به اللهجات من عناصر اللغة المشتركة فإن الاستعمال هو الحكم أيضا في قبول تلك العناصر أو رفضها ، يقول فندريس : إذا اتفق لبعض العناصر المحلية أن تدلف على اللغة المشتركة ، فليس معنى هذا أننا نواجه بقايا لهجية أو أمام لهجة جديدة في سبيل التكوين بل نواجه اللغة المشتركة نفسها في مظهر محلي . ([1])

ولا يخفى على أحد أن تعلم اللغة الهدف يتأثر تأثيرا بالغا بالمحيط اللساني الذي يتم فيه هذا التعلم ، ذلك أن أغلب التعابير التي ينتجها التلاميذ بعد مرحلة معينة من تعلم اللغة العربية الفصحى تعكسه تأثيرات لغوية خاصة بكل منطقة جغرافية متميزة باستعمال لهجة معينة ، ولهذا كان معظم اللسانيين و التربويين خاصة يلحون بأن يهتم معلمو وأساتذة اللغة العربية بدراسة أغلاط التلاميذ الشفهية و الكتابية ، والعناية بتصنيفها وتحليلها قصد الخروج باستنتاجات وخلاصات بالبيئة التي يعيش فيها التلاميذ مع العمل على البحث عن الأسباب ، وإذا تمكن المعلمون و الأساتذة بتشخيص الأسباب سهل الاهتداء إلى الحلول المناسبة لمعالجة الصعوبات و الاختلالات .

ولهذا وتحت تأثير الأمازيغية مثلا نلاحظ عددا من المفردات تتكرر بتفاوت حسب المناطق في استعمالات التلاميذ الشفوية والكتابية وتعبيراتهم ، إضافة إلى أن الأصوات الأمازيغية ونطق مخارج حروفها ونبرها وتنغيمها ، تعتبر من أكثر

---

[1] – فندريس ، اللغة ، ص 336 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

التغيرات التي تؤثر سلبا في تعلم اللغة العربية من طـرف تلاميـذ هـذه المنـاطق خصوصا المناطق التي يطغى فيها استعمال الأمازيغية على اللهجة الدارجة ، حيث يسهل أحيانا التغلب على الصعوبات التي تطرحها تدخلات المفـردات الأمازيغيـة ويصعب التغلب على التدخلات الصوتية . ([1])

إن عصرنا وريث عصور مظلمة من التخلف تدهورت فيها حياتنـا العامـة حضاريا وسياسيا واجتماعيا وفكريا ، وقد استنفذ الحكم العثماني المريض طاقة الأمة فأسلمها إلى محنة الاستعمار وغشيها ليل طويل ريثما استجمعت قوتهـا وخاضـت معركتها لتحطيم الأغلال، وما كان يمكن أن تنجو لغتنا مما أصاب الحياة العامة من تخلف وانحطاط ،ثم لما استردت شعوب الوطن العربي استقلالها في النصف الثاني من القرن العشرين ، بدأت تواجه مشكلات وجودها اللغوي فيما تواجه من مخلفـات ليل المحنة ، منها مشكلة الفصحى والعامية التي ارتبطت بالوجود الاستعماري فـي وطننا العربي مع أنها في أصلها ظاهرة طبيعية تعرفها الحياة ، في وجود لغة عليـا للفكر والثقافة ولهجات محلية للتعامل . ([2])

وفي هذه الحقبة المتأخرة لم يبق للفصيحة من القدر مـا كـان لهـا طـوال العصور المتلاحقة بسبب من شيوع الأمية والجهل و تضاؤل التعليم ، فقد اقتـصر على طائفة قليلة، فعفت دور العلم وقلت المدارس وانتهى الناس إلى أمية شاملة ، ثم جاء العصر الحديث بعلومه وفنونه ، ونظر أهل العلم في حال العربية الفـصيحة ، وكيف لها أن تواجه كل ذلك ، فواجهوا العامية وشقوا بها كما شقي بها أسلافهم من قبل.

ولقد انصـرف اهتمامهم بهذه المشكـلة إلى أن ينظروا في العامية ويكتبـوا في مـوادها وتاريخها اعتقـادا مـنهم أن ذلـك شـيء تحملهـم عليـه عنـايتهم بـ" الفصيحة " .([3]) وراح جمهرة من أهل العلم في عصرنا يكتبون في العاميـة ، ليس تعصبا لها ودفاعا عنها ، ولكنه اجتهاد منهم في أن ذلك يخدم الفـصيحة التـي هي الغاية المرجوة ، وهذه الصفوة من العلماء قد شاركوا مشاركة جادة في خدمـة

---

[1] – أحمد بكار، مقال " تعليم وتعلّم اللغة العربية على ضوء النظريات اللسانية الحديثة والبحوث التربويـة المعاصرة " ، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، ص 144 – 146

[2] – د. عائشة عبد الرحمن ، لغتنا والحياة ،ص 97 .

[3] – د.إبراهيم السامرائي ، العربية تاريخ وتطور ، ص 357 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

اللغة الفصيحة قبل اهتمامهم بهذه العامية ، لقد تناول هؤلاء ألوان العامية بالبحث والدرس من شعر ومثل وأساليب وألفاظ ، ولقد بلغ من عناية أحدهم وهو عبد اللطيف ثنيان أن وضع معجما للألفاظ العامية البغدادية .([1])

كما وضع رشيد عطية معجما في العامي والدخيل .([2]) ووضع الشيخ أحمد رضا معجم" رد العامي إلى الفصيح". ([3]) ووضع أنيس فريحة " معجم الألفاظ العامية في اللهجة اللبنانية ". ([4]) ووضع اللغوي جبران جبور" الفصحى في العامية ". ([5])

ففي كل بلد من بلدان العربية مادة لغوية عامية أصولها فصيحة أو أنها تحولت لسبب ما إلى العامية ، وهذا يختلف في كل بلد عنه في البلد الآخر.([6]) ولعلنا لو قصصنا أثر العامية وتقصينا ما فيها من خصائص وضوابط مما ينأى بها عن الفصحى ثم عزوناه إلى مناشئه في اللهجات ومراجعه من ألسنة العرب ، لما أعيانا من ذلك شيء ، ولتسنى لنا أن نثبت لكل قاعدة في النطق العامي سندا من لهجة عربية كان لها كيانها في غوابر العصور ، يقول حجاج البلوى في كتابه " ألف باء " : " يكاد لا تتكلم العامة بشيء إلا وله أصل ومعنى ، علِمه من علمه ، وجهله من جهله " . ([7])

وفي هذا يقول إبراهيم السامرائي : " إني وقفت على أشياء كثيرة تتصل بلغة التونسيين فرأيت أن أسجلها وأشير إليها خدمة للتاريخ اللغوي ، ولم أرد أن أسلك في هذا البحث مسلك التخطئة فأدل على مكان التجاوز للفصيح في هذه الاستعمالات التونسية، ذلك أن هذه الاستعمالات التونسية فصيحة وإن عرض لها شيء يبعدها عن الفصيح المشهور، فقد اتصف بلون من الإقليمية أو قل

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 358 .

[2] – عبد المجيد الحر ، المعجمات و المجامع العربية نشأتها ، أنواعها ، نهجها ، تطورها ، ط1 ، دار الفكر العربي، بيروت ، لبنان 1994 م ، ص 141 .

[3] – المرجع السابق ، ص 144 .

[4] – المرجع نفسه ، ص 146 .

[5] – المرجع نفسه ، ص 148 .

[6] – د.إبراهيم السامرائي ، العربية تاريخ وتطور ، ص 303 .

[7] – محمود تيمور، مشكلات اللغة العربية ، ص197

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المحلية ..." . ([1])

لقد تطورت لهجات الكلام في المناطق العربية منذ قرون وأهمل شأنها ، وتركت تجري على الألسنة في الأسواق وفي تعامل العامة بعضهم مع بعض ، وأدى هذا إلى انحراف في نطق بعض الأصوات العربية ، وإلى تغيير في بعض صيغها وتراكيبها، واصطبغ هذا بصبغة محلية لا نزال نلمس أثرها حتى الآن ، وكأن المثقفين والخاصة من أبناء العرب قد قنعوا فيما مضى بما ورثوه عن أجدادهم من تراث فكري مكتوب، ورأوا أن العمل على سعة انتشاره بين العرب وحسن مدارستهم له ، كفيل بتقويم الألسنة والقضاء على تلك الفروق النطقية التي عزلت المناطق العربية بعضها عن بعض ، فاللغة العربية التي يلتف حولها العرب الآن لا تزال في أغلب صورها لغة مكتوبة لا منطوقة ، بل لا نزال نفتقد في هذه اللغة المكتوبة وحدة كاملة شاملة ، فلا تزال بعض الاستعمالات العامة التي نقرؤها في الصحف و الكتب و المجلات تتسم بالصبغة المحلية ، لكن الخطر الأكبر ينحصر في الأدب المنطوق وفي لهجات الكلام و التخاطب .

فإذا نظرنا إلى الوضع اللغوي في معظم البلاد العربية الآن وجدنا نهضة كبيرة في دراسة اللغة العربية وآدابها ، غير أن معظم هذه الآثار لا يزال في صورة الأدب المكتوب ، تقرأه الأعين قراءة واحدة ولكن لا تكاد تنطق به الألسنة في شكل موحد أو شبه موحد .([2])

ذلك لأن عربيتنا الحاضرة أصبحت شبه مقصورة على توظيفها في الكتابة وقل أو ندر توظيفها توظيفا سليما لائقا في الكلام المنطوق على المستوى العام والخاص جميعا، وإن بدا لواحد منهم أن يمارسها بالأداء الفعلي (دون الاعتماد على نص مكتوب) وقع في مأزق الخطأ والخلط بين الفصيح وغير الفصيح .([3]) لأن سيطرتنا على هذه اللغة قد كادت تبلغ الذروة حين نكتب بها ونسجل أفكارنا بتعابيرها وأساليبها ونتبادل كل هذا في سهولة ويسر، غير أننا حين نعمد إلى النطق تتعثر الألسنة لدى معظم الناس حتى المثقفين منهم، ويظهر اللحن في أشنع صوره ، فدرجة سيطرتنا على النطق بهذه اللغة وأدائها لا تقارن بمستوانا في الكتابة بها ، فهو أدنى جدا من كتابتنا بها وذلك لأن لغتنا المشتركة التي نعتمد عليها في وحدتنا

---

[1] – د. إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 205 .

[2] – د. إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، ص 231 – 233 .

[3] – د. كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي مدخل ، ص 176

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

نحن أبناء العرب لغة مكتوبة لم تصل في النطق بها إلى مستوى اللغات المشتركة الأخرى ، أما من حيث لهجات الخطاب فالموقف أشنع وأبعث على المرارة و الحسرة " فقد يذهب المصري إلى أسواق العراق أو المغرب فيجد التفاهم مستحيلا أو شبه مستحيل ، ولا يكاد يقضي حاجته في بيع أو شراء إلا بشق الأنفس ،فالألفاظ مختلفة و التراكيب مختلفة والأصوات مختلفة ، فإذا لجأ إلى اللغة المشتركة الفصيحة أصاب المتكلم و السامع إرهاق بعد فترة وجيزة ، ويدرك كل من طاف بالبلاد العربية عمق الدرك الذي هوت إليه لهجات الخطاب فيها " . ([1])

وما يلفت النظر إلى العجب هو ظاهرة غزو العامية للإعلانات في الصحف و المجلات ، بل وفي بعض البرامج المسموعة و المرئية وخاصة فيما يتطلب الدعاية لبعض السلع و المنتجات وهي كثيرة ومتداولة .([2]).

وهذا الذي لدينا في العصر الحديث من الإمكانات الإذاعية ووسائل النشر و الإعلام ما إذا أحسن استخدامه وخلصت النية في توجيهه حققت لنا لغة عربية مشتركة تسود كل البلاد العربية ، ويحسنها أهلها كتابة ونطقا وتشد أبناءها بعضهم ببعض، فالقومية العربية أيام ازدهارها في عهد الأمويين والعباسيين وأمراء الشام وخلفاء الأندلس لم تعتمد أساسا إلا على اللغة وآدابها ، وهي في العصر الحديث كذلك لا تستلهم وجودها إلا عن طريق اللغة . ([3])

وما اللهجات العامية إلا أمراض تقهقرية ألمت باللغة الجامعة فإن نحن أحسنا تشخصيها و الطب لها تخلصنا من أكثر أخطارها. ([4]) وإذا درسنا اللهجات عرفنا الجوانب السليمة في عامياتنا العربية ووجهنا جهودنا إلى القضاء على الأشياء التي أضافتها عصور الانحطاط والحكم الأجنبي، وهذا الأمر يقرب عاميتنا من بعضها بعضا ومن الفصيحة. ([5]) " فإن كل أمة من الأمم تحتاج إلى لغة " موحَّدة " تزيدها تجاوبا وتماسكا فتكون" موحّدة ". ([6])

---

[1] – د. إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، ص 234.

[2] – زين كمال الخويسكي ، في التحليل اللغوي و الأخطاء الشائعة ، ص 69.

[3] – د. إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، ص 235.

[4] – سعيد الأفغاني ، من حاضر اللغة العربية ، ص 8 .

[5] – سمر روحي الفصيل ، المشكلة اللغوية العربية ، ص 25 .

[6] – أنيس فريحة ، اللهجات وأسلوب دراستها ، ص 5 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ب – موقف المحدّثين من اللهجات :

إن البحث في اللغة لا يقتصر على مستوى دون آخر بأن يوجه الاهتمام للفصحى فقط، أو يوجه الاهتمام إلى اللهجات فقط فكلا المستويين جدير بالبحث والنظر باعتباره نشاطا اجتماعيا للناطقين باللغة من جهة ، ولما تفيده الدراسة في كلا المستويين من الآخر من جهة أخرى، وتبرز هذه الفائدة بصورة واضحة في فهم التطور التاريخي لكل من اللغة المشتركة ولهجاتها بمعرفة مدى ما أفادته كل منهما من العناصر اللغوية في الأخرى، وما تمثلته من ذلك فقدر له الانتشار والبقاء وما استعمل في إطار محصور بين فرد أو أفراد فانزوى ثم توارى في ظلال النسيان . لكن مع ذلك ينبغي تجنب الخلط بين المستويين في الدراسة ، فإن لكل منهما مجال استعماله الخاص و نظامه المتميز، وانتقال عناصر من أحدهما إلى الآخر لا يخرجه عن هذا المجال ولا يؤدي للخلط فيه. ومهمة الباحث في اللغة أن يصف ما أمامه فقط فيستقرئه دون أن يتجاوز ذلك إلى وصفه بالجودة أو الرداءة ، فإذا كانت الظاهرة المستقرأة مطردة ذكر ذلك ، وإذا تفرد عنها بعض الأمثلة ذكرها أيضا بحياد وموضوعية.

أما إذا نص الدارس في استقراء اللغة على الاستحسان أو الاستهجان فقد أقحم على موقفه الوصفي معنى دخيلا يتعلق بآرائه الشخصية وإحساسه اتجاه الاستعمال ، وهو مرفوض من وجهة النظر الحديثة ، فليس من عمل الباحث أن يفاضل بين اللغات أو اللهجات ، وليس من عمله أن يصف مسلك اللغة بالجودة أو الرداءة ، إذ يجب عليه أن يدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها ، آخذا في اعتباره أن كل لغة أو لهجة نظام اجتماعي يحقق الصلة بين الناطقين به ، وعليه أن يصف خصائص هذا النظام فقط . ([1])

وتعد دراسة اللهجات " Dialectology " دراسة مهمة من الدراسات اللغوية في العصر الحديث ، وهي من فروع علم اللغة العام ، وقبل أواخر القرن التاسع عشر لم ينظر اللغويون الغربيون إلى دراسة اللهجات المتفرعة عن لغاتهم ، بل حاولوا أن ينشروا بين الناس الاتجاه إلى الفصحى ونبذ العاميات ، لأن في الفصحى ما يحافظ على كيانهم الحضاري والأدبي ، فهم يحافظون على الفصحى من لغاتهم حتى يستطيعوا أن يحافظوا على وحدتهم الثقافية والقومية ، فإن تلك اللغات قد نقلت إليهم

---

[1] – عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ، ص 95 – 96 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

تاريخ أجيال وحضارات بها يتصلون بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، أما لو اتجه الناس إلى العاميات فسوف تصرفهم عن تراثهم وتمزق وحدتهم وتقضي على أملهم في المستقبل ، ولذلك حذر العلماء هناك من استعمال العاميات و طلبوا من مجتمعاتهم أن يحافظوا على فصحاهم ، بل حاولوا – ومعهم الحكام – ابتكار الطرق و الوسائل التي تؤدي إلى منع انتشار العاميات ، ومن ذلك أن الجمعية الوطنية الفرنسية عهدت عام 1794 إلى الأب جريجوار بأن يضع تقريرا يبين فيه الوسائل الناجعة للقضاء على اللهجات الشعبية ونشر اللغة الفصحى . ([1])

ولم يكن الاهتمام بالفصحى على هذا النحو وحده هو السبب في إهمال دراسة اللهجات في تلك الحقبة من التاريخ بل ساعد على ذلك عوامل أخرى أهمها: ([2])

1 – توجه الدراسة إلى الفصحى وبيان خصائصها واتجاهاتها لأنها – مع غرض الحفاظ عليها ودوام استمرارها – معبدة الطرق ، واضحة المسار ، مستقرة النظام ، ممتدة عبر التاريخ بسمات يمكن تحديدها و النظر في أمرها ، على عكس اللهجات الشعبية التي يحتاج تحديد مسارها ونظمها وسماتها إلى دراسات دائبة وجهود يتكبدها الباحث فيها مدة طويلة من الزمان لاستخلاص حقائقها ، وما يتعلق بها من دراسة الأحوال الاجتماعية والثقافية والبيئية للشعوب .

2 – و العلماء – آنذاك – كانوا يحبون الدعة و الهدوء ، ودراسة الفصحى توفر لهم ذلك لأن سماتها واضحة معلومة لا تستدعي الأسفار ، ولا مشقات الانتقال ،أما اللهجات فتحتاج لتتبع خصائصها و التعرف على ظواهرها إلى تنقل وترحال لملاقاة أربابها في بيئتهم دنت أو نأت ، سهلت أو صعبت مع ما يصحب ذلك من عناء السفر و الرحلات الشاقة ، ولكنها فرضت نفسها عليهم وجذبتهم إلى دراستها وتتبع مناحيها ، لأن التطور سنة الحياة ، واللغة لا تخرج عن سنن الكائنات في هذا الشأن، فكما يتطور كل شيء تتطور اللغة .

ولهذا على الرغم من محاولات الغربيين أن يمنعوا زحفها كان سيلها يتدفق في كل مكان ، فلم يستطيعوا أن يحصروا الموجات المتتابعة منها ، فاضطروا إلى التسليم بالأمر الواقع و الاتجاه إلى تلك اللهجات الناشئة حتى يعرفوا خط سيرها ،

---

[1] – علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص 49 .

[2] – عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص 449 – 450 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فبدأوا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في الاهتمام بتلك اللهجات ودراستها وقد استعانت هذه الدراسة بكل الوسائل العلمية الحديثة حتى استطاعت أن تضع قوانين لحياة اللغات وما يعرض لها من انقسام إلى لهجات وأسباب ذلك ونتائجه ، ووصل العلماء – في أمر التوحد و الانقسام – إلى نتائج ذات قيمة علمية كبيرة ، فاللغة متأثرة بحتمية العوامل الطبيعية و الاجتماعية والثقافية تميل إلى الانقسام أكثر من التوحد ، وهو رأي تؤيده الدلائل الواقعية، فاللغات منذ آدم (عليه السلام) يتوالى عليها الانقسام بعد التوحد ، وهي على هذا الحال في شتى بقاع الأرض إلى اليوم ، ولم تستمر – حتى الآن – لغة واحدة على طبيعتها دون تفرق إلى لهجات، كما أن اللغات قد تنتشر في مساحات واسعة من الأرض ، وقد تبقى في حيز ضيق من الوجود، وربما توسط حالها، كل ذلك يخضع لعوامل الانتشار والتعثر وعدم الانطلاق، وكل ذلك الانقسام واختلاف اللغات واللهجات قد خضع لعوامل كانت الدراسة الغربية فاتحة له وممهدة طريقه وواضعة أسسه العامة والخاصة حتى أصبحت له قوانين العلم. ([1])

وفي العصر الحديث ظهرت طرق ومناهج لدراسة اللغات و اللهجات في الغرب وانتقلت إلى الدراسات اللغوية المعاصرة في العالم العربي ، وقد ظهرت دراسات لبعض العلماء في التوزيع الجغرافي للغات و اللهجات وإمكان بيان الحدود الجغرافية الفاصلة بين اللغات أو اللهجات التي تنطوي تحت اللغة الواحدة . ([2])

وقد اضطر علم اللغة أن يصطنع خرائط وأن يقتبس طرق الجغرافيا لوضع الحدود اللغوية للهجات المختلفة ، وأن يتبين معالم كل لهجة ويفرق بين اللغات بعضها وبعض في خرائط يدون عليها الظواهر اللغوية المختلفة التي تسجل أدق الفروق في نطق الأصوات والمفردات ، وتبيّن ظواهر اللغات المختلفة و اللهجات وحدود التداخل بينها ، وأن يتتبع خط سير الظاهرة اللغوية و المناطق التي تمتد عبرها ، ونقط تجمع الظواهر المتنوعة ودراسة المفردات دراسة واسعة من حيث البناء والمترادفات المتعددة للمعنى الواحد بتعدد المناطق واختلاف الألفاظ باختلاف الأقاليم اللغوية ومقدار انتشار الكلمات في الأقطار والأقاليم مما يساهم في توضيح الواقع اللغوي ونقله على خرائط تعكسه بدقة سواء ما اتصل منه باللغات المشتركة

---

[1] – المرجع السابق ، ص 450 – 453

[2] – المرجع نفسه ، ص 455 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أو الخاصة أو الأدبية أو اللهجات الاجتماعية وهكذا، وتسجيل هذه اللهجات المختلفة في الأقاليم والأقطار المختلفة يرجعنا إلى مداخل تاريخية هامة بالإضافة إلى أن من فوائده : ([1])

- دراسة اللهجات لذاتها دراسة علمية عميقة ومعرفة تطوراتها .
- كما أن في دراسة اللهجات ما يتيح لنا كتابة تاريخها في عصورها المختلفة ، ويمدنا ذلك بالوسائل العلمية الدقيقة في معرفة أقرب هذه اللهجات صلة بالفصحى و أبعدها عنها.
- كما يتيح ذلك لنا مقارنة بين اللهجات المختلفة و اللغة المشتركة (الفصحى) .
- كما أن عمل الأطالس اللغوية يكمل الدراسات التي تعتمد على النصوص، فهو يكشف عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية كما أن الأطالس تطلعنا على تاريخ علم الأصوات و الثغرات التي أصابت اللغة المعنية بالدرس في الأماكن المختلفة التي غزتها ، وعن مدى انتشارها وتأثرها بالمراكز الثقافية وتنوع مفرداتها .

ولا ريب أن الأطلس اللغوي كانت له بذوره في دراسات علمائنا القدماء حين جمعوا النصوص اللغوية التي استخلصوا منها قواعد اللغة العامة ، وفيما جمعوا من نصوص تتعلق ببعض اللهجات السائدة في بعض مناطق الجزيرة . ([2])

وفي العصر الحديث جدت الأجهزة والآلات المعملية وطرق القياس المستحدثة التي يسرت دراسة اللهجات وتحديد خصائصها والأماكن التي تنتشر فيها فيما يعرف بالأطلس اللغوي أو الجغرافية اللهجية " linguistic geography " ، أو " Dialect geography " . ([3]) وذلك على أساس علم اللغة الجغرافي لأن العلاقة قائمة بين اللهجات وبيئاتها الجغرافية. وقد بدأ ظهور الأطلس اللغوي على يد اللغويين التاريخيين لأغراض تاريخية في معظمها، ثم أصبح ينحو المنحى الوصفي العلمي

---

[1] – د. البدراوي زهران ، مقدمة في علوم اللغة ، ص 181 – 182 .

[2] – عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص 458 .

[3] – ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ص 134 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

في مجال البحث اللغوي. ([1])

وفكرة الأطلس اللغوي نالت اهتماما كبيرا في العصر الحديث لتحديد جوانب مفيدة في علم التاريخ اللغوي ويبدو هذا في الصيغ الحية للغة أي بلد بالإضافة إلى ما تحويه من خصائص لهجية متنوعة ، وقد ساعد هذا كثيرا علماء اللغة التاريخيين وبخاصة عند تحديد معالم التغير التي تمت في الماضي حينما تكون الشواهد المطلوبة مفقودة أو غير كافية . ([2])

ويهتم علماء الأطالس اللغوية بدراسة " الظواهر اللغوية الحديثة " المتكلمة ويهتمون بالناحية العلمية التي تنتقل إلى حقل التجربة وهم يجمعون المادة اللغوية المطلوبة من الأماكن المحلية التي يقع عليها الاختيار من إقليم ما – رسمت حدوده – لعمل خرائط له مع الاستعانة براو يمثل المتكلمين المحليين وكذلك الاستعانة بمسجل لغوي مدرب تدريبا دقيقا على كيفية الإجابة على الأسئلة، ويجري البحث بتحديد مجموعات الكلمات و العبارات والجمل التي يسبق إعداد مقابلات لها من اللغة العامة أو بتحديد الظاهرة أو الظواهر اللغوية التي يراد دراستها، ويرتب ذلك في صورة أسئلة يجيب عليها الراوي اللغوي ، والمادة التي ينطقها الراوي اللغوي إما أن تكتب بالطريقة الصوتية أو تسجل على جهاز تسجيل ، أو تستخدم الطريقتان معا ثم تجري مرحلة المقابلة و المعارضة بين كل كلمة أو عبارة أو اصطلاح أدلى به الرواة اللغويون المحليون وبين المقابلات لها من اللغة العامة ، وتستخلص من المقارنة النتائج وتوضع على خريطة مستقلة للمنطقة. ([3])

والأطلس اللغوي يحوي خرائط متعددة للوقوف على ظواهر اللغة أو اللهجة مع الاستعانة ببعض النواحي الهندسية ، وعلى هذا فالأطلس اللغوي يقوم على عمل خرائط لبيان أصوات أو كلمات أو تراكيب لغة أو لهجة معينة أو عدة لهجات وتوضيح صلتها باللغة الأصلية أو بأخواتها من اللغات أو اللهجات الأخرى . ([4])

وتتجلى أهمية هذه الخرائط اللغوية في أنها توقفنا على بيان النواحي الصوتية واختلاف الألفاظ تبعا لاختلاف المناطق وأوجه الشبه بين اللغات و اللهجات

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 131 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 132 .

[3] – عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص 459 .

[4] – المرجع نفسه ، ص 461 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ومظاهر الاختلاف بينها على نحو دقيق ، وعن طريق الأطالس اللغوية تتحدد سمات اللغة أو اللهجة وخصائصها في مجالات الأصوات و الكلمات و الجمل وشتى النواحي اللغوية ، ويعرف مكانها وصلتها باللغات أو باللهجات المجاورة وعلاقتها بالأم التي تفرعت عنها ، وعلى هذا يمكن رسم الحدود الجغرافية لها على خريطة بوضوح كامل ، ومعرفة التغييرات التي تطرأ عليها من حين لآخر . ([1])

والأطلس اللغوي يصبح – بعد إتمامه – مرجعا للغوي حيث يزوده بالمعلومات التي يريدها بدلا من الخروج بنفسه ومحاولة الذهاب إلى الحقل اللغوي في المنطقة موضوع اهتمامه ، وإن كان نزول اللغوي المباشر إلى الحقل اللغوي قد يصبح ضروريا مع وجود الأطلس اللغوي حينما تواجهه مشكلات خاصة، ومع ذلك فالأطلس اللغوي خاضع للتغيير وغير ثابت لما يعتري الحياة من تغيير، ولذا لا تظل نتائجه ثابتة بل يقتضي عمل أطالس بين الحين و الآخر لمعرفة ما جدّ من تغيرات وتأثيرات لغوية في المناطق التي درست من قبل ، وهذا شأن اللهجات العامة الخاضعة للتطور السريع . ([2])

ويمكن استخدام هذه الأطالس في دراسة العربية الفصحى ولهجاتها وصلتها باللغات السامية واللغات الأجنبية، وهذا وثيق الصلة بالنصوص اللغوية، ويمكن أن يساعد في معرفة اللهجات المعاصرة وربما كشف شيئا من تاريخ الظواهر اللغوية وعناصرها عندنا وتأثرها بغيرها .

وربما كشف ذلك شيئا من الصلة بين اللهجات القديمة الفصحى و اللهجات الحديثة عن طريق الموازنة العلمية والكشف عن الألفاظ الدخيلة من اللغات الأخرى، وهذا العمل في العربية يحتاج إلى جهد مضن وإلى عمل جماعي دؤوب يتحلى بالروح العلمية الجادة حتى يمكن الوصول إلى أطلس لغوي عربي . ([3])

وقد اتجه بعض المستشرقين إلى دراسة اللهجات في الوطن العربي من ذلك: ([4])

- لهجة اليمن لـ .غ. كمبفماير الألماني .

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 462 .

[2] – ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ص 133 .

[3] – عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأ و تطورا ، ص 464.

[4] – المرجع نفسه ، ص 465 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- لهجة القدس لماكس مولر الألماني .
- لهجة بغداد لمايستر
- دراسات صوتية في العامية المصرية لهاريل
- نحو اللسان العربي العامي الدارج بمصر لـــ . و . اسبيتا باي .
- دراسات في اللسان العربي العامي ببيروت لـــ .أ . ماتسون .
- دراسات في اللسان العربي الدارج بمدشق لـــ . غ . برجستراس .

إن المكانة التي تحظى بها اللغة العربية في نفوس المسلمين جميعا من عرب وغير عرب أكبر بكثير من المكانة التي يحاول دعاة " القومية " أن يعطوها للغـــة ، فهم في الظاهر يجعلونها عنصرا بارزا من عناصر تكوين الأمة بـــالمعنى القـــومي ولكنهم في الواقع لا يهتمون بدراستها وفهمها كما يهتم المسلم؛ لأن ارتباط المـــسلم بها ارتباط ديني ، فهو حرص على فهمها و التعمق في أسرارها ليفهم أسرار كتاب الله تعالى ، فالإسلام وإن كان يجعل الدين هو المقوم الأول والأخير للأمة ، فإنه قد ربط بين الدين و اللغة العربية بعروة وثقى ومن ثم كان علماؤنا يقولـــون إن تعلـــم اللغة العربية من الدين ، لأن فهم الدين متوقف عليها لهذا يرى صاحب كتاب " كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية " الأستاذ أنور الجندي خطورة الدعوة إلى العامية أو المحلية وذلك لأن الهدف الذي تجري وراءه قوى كثيرة هو القضاء على اللغـــة الفصحى وإحلال اللغة العامية محلها وذلك حتى ينفصل البيان العربي و الأســـلوب العصري عن بيان القرآن ، فتحدث فجوة من شأنها أن تتسع عاما بعد عام حتى يقرأ القرآن فيما بعد بواسطة قاموس . ([1])

والحق أنه لم تحظ أية لغة في الدنيا منذ أن خلق الله الإنسان بما حظيت بـــه اللغة العربية من العناية من قبل أصحابها وخاصة اللغويين منهم وأهل الأداء ...

ومن أعظم ما تركوه لنا هو الوصف المستفيض للأداء القرآنـــي مـــن جهـــة و للغات العرب أي : الكيفيات المتنوعة في التأدية الصوتية والـــصرفية والنحويـــة لعناصر اللغة، وإن كان هذا الجانب من أوصافهم جد مهم بالنـــسبة لنـــا والأجيـــال القادمة فإنه لم يحظ إلى الآن بالعناية الكبيرة من قبـــل اللغـــويين المحـــدثين اللهـــم

[1] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ص 41 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

إلا القليل النزر من المحاولات ، وهو الجانب الذي ينبغي أن يعتنى به أكثر من غيره، فلئن تفطن العلماء والكثير من المثقفين إلى وجود القسط الكبير من المفردات في العاميات الحالية وهي فصيحة أو قريبة جدا من الفصيحة ، فإن هذا لن يفيد الأمة العربية شيئا مادام الأداء – أي كيفية النطق والتعبير عامة – لا يخضع لنواميس العفوية اللغوية التي تتصف بها كل اللغات التي ينطق بها يوميا في الحاجات العادية وفي حالة الأنس، وكل من يلجأ إلى استعمال الفصحى كما تعلمها في المدرسة في غير ظروف التعليم والتلقين فسيتعرّض بذلك للاستهزاء والسخرية، وقد رسخ في أذهان المعلمين أن اللغة العربية ليس لها إلا كيفية واحدة في التعبير بها حيث أصبح همّ المعلم هو الإعراب والنطق الصحيح ببنية الكلمة ، فأهمل المستوى العفوي و هو ما أجازته العرب من تسهيل للهمزة وإدغام للكثير من الحروف وإخفاء الحركات واختلاسها، وتسكين بعض المتحركات وحذف ما يستغنى في حال الخطابات المرئية، وتجاهل الناس هذا المستوى المستخف من التعبير العفوي لشدة غيرتهم على الصحة اللغوية حتى أدى بهم ذلك إلى اللحن . ([1])

على أن علماء اللغة ونقادها يختلفون في تقدير اللغة العامية كبير اختلاف فطائفة منهم يرون العامية فسادا للغة الأصلية وانحلالا ، وطائفة آخرون يرونها تطورا وبهذين التقديرين يتميز خصوم العامية أو أنصارها ، ومهما يكن من الخلاف في تقدير العامية بين الأنصار والخصوم فالصراع بينها وبين الفصحى واضح المصير . ([2])

" وليس النعي على الفصحى والإفاضة في مشكلاتها إلا برهانا ساطعا على أن العامية قد أفلست في محاولة امتلاكها ناصية التعبير الكتابي في مجال الثقافة والفكر، وأن الكأس في يد الفصحى كأس الغلبة و الانتصار رضيناها لغة لحياتنا العلمية والأدبية والاجتماعية على اختلاف المناحي والفروع ، ومانعنا عليها وإفاضتنا في تبيان مشكلاتها إلا نزوع عميق إلى إصلاحها و النهوض بها و السعي إلى تطويعها واستدامة حياتها حتى تواتي مطالب العلوم و الفنون و الآداب وتلائم

---

[1] – عبد الرحمن الحاج صالح ، مقال " اللغة العربية وتحديات العصر في البحث اللغوي وترقية اللغات " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 35 – 36

[2] – محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ، ص 92 – 93 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

حاجات الحياة في العصر الحاضر" . ([1])

فدلالة الهتاف بالعامية أن ثمة أسبابا تعصم الفصحى من أن تقضي عليها العامية ، وأن الهاتفين بهذه العامية يناهضون تلك الأسباب وينشدون ألا يقام لها في التقدير ميزان " لا خشية على الفصحى إذن من النعاة عليها ، ومن الدعاة إلى اتخاذ العامية مكانها، فالتفسير الصحيح لهذا النعي و تلك الدعوة أن الرأي العربي العام يبغي تيسير الفصحى حتى تدنو من منال الجمهور في غير عناء ، وأن تخف حدة التفاوت بين الفصحى لغة التدوين والعامية لغة الحديث ، فإن لم تكن لغة واحدة يتخذها الجمهور في خطابه وفي كتابته على السواء ، فلا أقل من أن تتضايق الفروق بين اللغتين ما أمكن التضايق ، وأن تتقارب الشقة بينهما ما أمكن التقارب ، وسبيل ذلك أن نواصل تذليل عقبات الفصحى التي تتمثل في تعقيدات النحو و الصرف ، وفي مصاعب ضبط الأوزان والصيغ ، وفي قيود وسائل الوضع والاشتقاق ، وأن نتألف من الكلمات العامية ما يسوغ توجيهه أو " تفصيحه " ففي العامية ألوف من الكلمات نجحدها حقها ونتنكب عن استعمالها لمجرد أنها عامية ولو أردنا أن نردها إلى الفصحى نسبها لبلغنا بها الغاية .." . ([2])

وفي إبّان النهضة الحديثة انتبه جمع من الباحثين لكلمات اللغة العامية ، فأولوها جانب اهتمام تارة ينوهون بما فيها من كلمات صحيحة ، وطورا يحققون أصولها ويبحثون فيما طرأ عليها من تحريف ليردوها إلى الفصحى ، بيد أن هذه الجهود على كثرتها وتتابعها مازالت مطمورة أو مبعثرة ، على أن ميدان البحث في أصول الكلمات العامية لم يسلم من الشوائب، فمن الباحثين من يسيئون الظن بالكلمات العامية قبل أن يتبينوها فتراهم يتجهون أول ما يتجهون إلى توهم ما عسى يكون قد دخل عليها من تحريف لكي يردوها إلى كلمة فصيحة غير محرفة، على حين أن الكلمة ربما كانت في صيغتها العامية وصيغتها الدارجة صحيحة فصيحة ، لا تفتقر إلى إعمال فكر أو استنجاد علم ، أو تكلف في التخريج . ([3])

لهذا فإن دراسة اللهجات الحديثة إذا نظرنا إليها من الناحية الأكاديمية البحتة

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 94 .

[2] – المرجع السابق ، ص 107 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 211 – 212 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

تعد من أهم المصادر لدراسة اللهجات العربية القديمة ، فاللهجات الحديثة ليست إلا نتيجة تطور للقديم منها ، ذلك أن اللهجات الحديثة قد احتفظت لها ببعض خصائص اللهجات العربية القديمة ، فلم تستطع يد الزمن أن تبدل منها، وتلك الصفات التي احتفظت بها ستكون لنا خير عون في الكشف عن خصائص اللهجات العربية القديمة التي تخبط في روايتها مؤلفو العرب .

فكلما زادت دراستنا للهجات العربية الحديثة تكشفت لنا أمور وأيقنا أن لهجات الكلام في البلاد العربية لا تزال تحتفظ بعناصر قديمة كانت شائعة في لهجات العرب قبل الإسلام، فاللهجات الحديثة وإن كانت قد تطورت في البيئات العربية المختلفة تطورا مستقلا باعد بينها وصبغها بصبغة محلية في بعض ظواهرها، قد استمسكت بكثير من السمات التي عرفت عن القبائل القديمة . ([1])

ج – الدعوة إلى العامية وموقف المحدثين منها :

إن الدعوة إلى تحديث اللغة العربية وتيسير نحوها وصرفها وهجران الغريب منها ، لا ينبغي أن تكون حجة لتلك الأصوات الانعزالية و التغريبية الداعية إلى التخلي عن العربية الفصحى واستبدالها بلهجات عامية ، لأن في ذلك إهدار لثقافتنا برمتها وإلغاء لرصيد روحي وفكري ليس من السهولة التخلي عنه ، لقد ثبت فشل هذه الأصوات وانتهت إلى الزوال ، وانكشف غطاؤها الإيديولوجي الذي كثيرا ما تلبس لبوس العلم ، بيد أن الأصوات المحافظة – أيضا – لا تقل في الإساءة للغة العربية عن تلك الأصوات الناعقة باسم العلم ، فهي تتوهم المحافظة عليها وصونها من كل انحراف بالانغلاق وعدم التفتح ، فهي تضر من حيث إنها تعتقد بأنها تحسن صنعا ، ولهذا فنحن بحاجة إلى من ينبري للبحث العلمي عن المشكلات التي تعرض طريق اللغة العربية في إكمال مسيرتها دون ذوبان ودون تقوقع ، وتيسيرها للتعلم السريع و التعليم المكين ، ولا يخيفنا موقف التغريبيين أو جمود المحافظين فحبنا للغة العربية يدفعنا إلى خدمتها انطلاقا من هذا التصور الذي سبيله الإقرار بقيمة التراث اللغوي وضرورة اغنائه بالبحث العلمي الجاد .([2])

---

[1] – إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 208 ، و في اللهجات العربية ،ص 239 .

[2] – د. أحمد يوسف، مقال " اللسانيات العامة وواقع اللغة العربية "، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، المجلس الأعلى للغة العربية، ص 262 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فالحداثة لا تنطلق من جذور مقطوعة، واللغة العربيـــة لا يـــضيرها تلـــك الصيحات التي تذهب سدى فهي أيسر من أن تنالها دراسة متسرعة ، وبحث تعوزه الدقة والنضوج ، وأما الاعتقاد في إغلاق اللغة العربية في وجه كل اجتهـــاد يريـــد إثراءها وتيسيرها وتحديثها سبيلا لصونها والحفاظ عليهـــا، أمـــر بـــالغ الخطـــورة واعتقاد فاسد لأنه سيرمي بالعربية إلى متاحف اللغات الميتة ويبعدها عـــن مواكبـــة سير التطور، وحرمان المتكلمين بها من الاستفادة بها فـــي مجـــالات التكنولوجيـــا الحديثة واستخدامها استخداما واسعا . ([1])

واللغة لا توصف بأنها صعبة أو سهلة إلا إذا كان من يتعلمهـــا مـــن غيـــر أبنائها، فالطفل الصيني الذي يكتسب لغة قومه كما يرضع لبن أمه ليـــست الـــصينية صعبة عليه، والهندية ليست صعبة على الهندي ، وهكذا مع اللغات كلهـــا ، وأمـــا أن العامية هي الحل فشعار يرفعه أعـــداء لغتنـــا وأمتنـــا، وإذا كانـــت الـــصحف و المجلات وكتب الأدب شعرا ونثرا وكتب العلوم على اختلاف مناحيها تعبر عـــن شؤون الحياة جميعها بالفصحى فأين المشكلة إذا حتى يسعى إلى حلها ؟ ([2])

إن ظاهرة الثنائية اللغوية ظاهرة طبيعية في حياتنا اللغوية منذ كانت، لكنهـــا ارتبطت في العصر الحديث بالوجود الاستعماري في المنطقة، ارتبطت به على وجه يجعل من العاميات سلاحا ضد الفصحى ويقف بها موقف الخصومة والعداء ، فلقـــد استغل الاستعمار هذه الظاهرة الطبيعية ليحارب الفصحى بلهجاتها المتعددة ووجـــد في اختلاف اللهجات الإقليمية ذريعة للقضاء على اللغة المشتركة التي تربط المشرق والمغرب بأواصر التفاهم و التجاوب، وتجعل من أقطار وطننا الكبير وحدة فكريـــة، فسارت خطة العداء للفصحى في اتجاهين : بدأت حملات مـــسعورة تكـــشف مـــن ناحية عن جمود الفصحى وتعقدها وبداوتها وتخلفها عن حاجة العصر وتلقي عليهـــا مسؤولية ما كان من تخلفنا وانحطاطنا، وتدعو من ناحية أخرى للعاميـــة وتـــضيف إليها مزايا من الفصاحة والسهولة والمرونة والقدرة على التعبير عن مطالب الحيـــاة العصرية ! وترى فيها الوسيلة لتثقيف الشعوب وتعليم الأميين . ([3])

---

[1] – المرجع نفسه، ص 264 – 265 .

[2] – د. يوسف الصيداوي ، مقال " اللغة العربية في تحديات العصرنة "، مكانة اللغة العربية بـــين اللغـــات العالمية، المجلس الأعلى للغة العربية، ص 335 – 336 .

[3] – د. عائشة عبد الرحمن، لغتنا و الحياة ، ص 99 – 100 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وكانت الحجج التي ارتكزوا عليها هي ذات الحجج التي نسمعها اليوم مرددة لم تتغير ولم تتبدل: يجب أن نكتب للناس باللغة التي يتداولونها في السوق. إن الفصحى لغة ثانية غير لغة التخاطب ولا يتوصل إليها إلا بعد دراسة ومران ، العامية سهلة والفصحى صعبة، فإذا ألفنا بالأولى نشرنا الثقافة في ميدان متسع ولم نحرم غير المتعلمين، العامية لغة الحياة في الأسواق والمنازل و الفصحى لغة الكتب على الرفوف ... الخ.

وقد بدأت الحملة على العربية إثر ثلاثة قرون من الحكم التركي، تدهورت فيها الحياة العامة وانحدرت اللغة إلى غاية السقم والضعف مجهدة بصراعها مع التركية التي فرضها العثمانيون لغة رسمية للدواوين والتعليم. ([1]) فحين ينفرط عقد دولة من الدول العظمى إلى دويلات في عصور انحطاطها يتبع ذلك تقطع الأواصر بينها بالتدريج في السياسة والاقتصاد ، بحيث تصبح كل دويلة شعبا مستقلا يباعد الزمن بينه وبين أشقائه ويقل تبعا لذلك الاتصال الفكري والاجتماعي ، وتنطوي كل منها على نفسها في بيئتها الضيقة ويتولد في هذا التفكك الاجتماعي تفكك فكري ثم تفكك لغوي منحدر، وهذا هو منشأ اللهجات العامية المحلية تتجلى أعراضا مرضية لا تعرفها الأمة في صحتها وقوتها ووحدتها ". ([2])

وهذا ما حدث مع اللغة العربية حين انفرط عقد الدولة الإسلامية العظمى أيام ذهاب العهد الزاهر لتلك الحضارة وإقبال عهد الضعف والانحطاط.

وفيما كان الغرب يتربص بالرجل المريض الموت ليتقاسم تركته ، بدأت بذور القضاء على اللغة العربية تلقي في أرضنا مسخا للشخصية القومية وعزلا لنا عن ماضي تاريخنا وميراثنا، وتمزيقا لوحدتنا اللسانية التي تربطنا عن تنائي الديار واختلاف الأقطار، وكان الاتجاه الاستعماري إلى إحلال لغاته محل العربية ، فإن تعذر هذا فلتكن اللهجات العامية هي السلاح الذي يقضي على عربيتنا الواحدة . ويبدو أن الجزائر بحكم سبق الاستعمار إليها كانت حقل التجربة للغزو اللغوي في قلب المغرب، وأن مصر في قلب المشرق كانت ميدانا لتجربة تمزيق الوحدة اللغوية

---

[1] – المرجع نفسه، ص 100.

[2] – سعيد الأفغاني ، من حاضر اللغة العربية ، ص 160 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

بإحلال العامية مكان الفصحى المشتركة . ([1])

وقد شنت فيها حملة شديدة على اللغة العربية اشترك فيها عـرب وأجانـب زعموا أن العربية لا تصلح لهذا العصر وعلومه، وأنها السبب في تـأخر العـرب وتخلفهم عن ركب الابتكار والإبداع ، وقام من دعا إلى هجـر العربيـة الفـصيحة والأخذ بالعامية، ومن دعا إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية، ومن دعا إلى تـرك العربية واعتماد لغة أخرى . ([2])

فبدأت الدعوة إلى نبذ الفصحى تتسلل إلى أفق مصر في عهد أزمتها بالتدخل الأجنبي في عصر إسماعيل، ففي عام 1880 على التحديد نشر الدكتور" ولهم سـبيتا " مدير دار الكتب المصرية كتابا باللغة الألمانية في" قواعد العربية العامية في مصر" وقد تنبأ بمصير العربية الفصحى إلى الموت – كما ماتت اللاتينية – وقـد اتـصل بالفصحى في نصوصها الرسمية والأدبية الهابطة المسفة، واتصل بالعامية لغة الحياة والأدب الشعبي وقارن هذا الوضع بما كان من أمر اللاتينية التي أماتتهـا اللغـات الفرعية التي كانت شبه لهجات محلية لها ، ووقف إلى جانب العامية التي توقع لهـا أن تخلف الفصحى، وفي ظنه أن هذا الوضع المتوقع يجدي كثيرا في محاربة الأمية والفقر الثقافي وما ينشأ عنهما من انحطاط سياسي وتخلف اجتمـاعي، وإذا كانـت العامية لغة منطوقة غير مكتوبة شغل نفسه بدراسة قواعد العامية كي تأخذ مجالهـا الحيوي للتعليم والثقافة والأدب على أن تكتب بحروف لاتينية ، وكان عذر" سـبيتا " فيما ذهب إليه من إلقاء تبعة انتشار الأمية والتخلف الفكري والسياسي على العربيـة الفصحى.

وتصوره أن العامية تصلح لأن تكون لغة كتابة تروج بها الثقافة أن المرحلـة كانت تعرف مؤلفات ومجلات بهذه العامية تلقى رواجا في جماهير الشعب ، وكتابها لم يكونوا غير مقتدرين على الفصحى لكنهم أثروا العامية ليصلوا إلى الجماهير ومن هذه المدونات ما كان للفكاهة والإضحاك مثل: " هز القحوف في شرح قصيدة أبـي شادوف" للشيخ يوسف الشربيني وأزجال الشيخ حسن الآلاتي، ولكن منها كذلك مـا كان للتوعية والتثقيف .

---

[1] – د. عائشة عبد الرحمن ، لغتنا و الحياة ، ص 101 .

[2] – د. شحاتة الخوري ، مقال " واقع اللغة العربية عربيا ودوليا "، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، المجلس الأعلى للغة العربية، ص 372.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وقد كان لدخول" عبد الله النديم " في هذا الميدان لافتا ومثيرا فالنديم من قادة الفكر والرأي وأعلام الكتاب والخطباء واستخدامه العامية في مقالاته السياسية – وهو من رواد اليقظة – شاهد على مدى الحاجة إلى العامية في إيقاظ الوعي الشعبي وشاهد في الوقت نفسه على كونها تصلح للكتابة ، وقد أصدر النديم مجلته (أبو نظارة) عام 1878 م، ثم " التنكيت والتبكيت " عام 1881، ولقيت المجلتان رواجا منقطع النظير، وغزت مقالات (النديم) الإصلاحية قرى الريف ونجوع الصعيد، وآزر قادة اليقظة القومية. هذا الاتجاه وقدّروا جدواه على وعي الشعب، وتثقيف الجماهير، وتعبئة الوجدان الشعبي وإرهاف الضمير العام . ([1])

كما أصدر النديم مجلة " الأستاذ" التي نشرت منذ عددها الأول في 24 أغسطس 1892 حتى عددها الأخير 13 يونيو 1893 مقالات كاملة في القضية اللغوية. وفي كتابات النديم بصفة عامة ارتباط واضح بين اللغة والوطنية . ([2])

وفي نوفمبر 1881م ظهرت مجلة " المقتطف " بدعوة إلى كتابة العلوم بالعامية وبظهور هذه الدعوة في الأفق العربي بدأ الصراع بين دعاة العامية وحماة الشخصية القومية ، وفيما كانت محاولة الغزو اللغوي تأخذ مجراها للتمكين للغة الانجليزية من اجتياح اللغة العربية ، بدأت الدعوة إلى العامية تأخذ مجراها في الحياة الثقافية والمناخ الفكري في مصر ، فقد صدر القرار الوزاري عام 1889 يقضي بأن تكون لغة التعليم في المدارس المصرية هي اللغة الانجليزية ، ووجهت كل البعثات التعليمية إلى انجلترا ، وأغلقت مدرسة الألسن، وفي عام 1893 قام المهندس الانجليزي للري المصري " ويلكوكس" يحاضر داعيا إلى إحلال العامية محل الفصحى في الكتابة و التأليف، وكان عنوان أو موضوع محاضرته هذا السؤال المطروح :

- **لِمَ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين إلى الآن ؟**

وكان جوابه أن العربية الفصحى ولا شيء غيرها هي التي أماتت قوة الاختراع في المصريين ، ولا أمل في إحيائها إلا إذا اتخذوا العامية لغة كتابة وتأليف ، وقد حرص ويلكوكس أن يسجل هذه المحاضرة في العدد الأول من " مجلة الأزهر " التي آلت إليه ليجعل منها منبرا للدعوة إلى العامية وإماتة الفصحى ،

---

[1] – د. عائشة عبد الرحمن ، لغتنا والحياة ، ص 100 – 103 .

[2] – د. محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات ، ص 26 – 27 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وأعلن أنه يفسح المجال في صدر المجلة للعلماء على أن يكتبوا بحوثهم باللغة العامية الحية التي يعرفها الشعب، لا بالفصحى الميتة التي لا يعرفها إلا قلة من المتخصصين وهو منطق لم يستسغه العلماء المصريون، فوقفوا من " مجلة الأزهر" موقفا أرغمها على الصمت والاحتجاب بعد صدور عشرة أعداد منها فحسب، وأصدر نفر من هؤلاء العلماء مجلة علمية مضادة للأزهر هي " مجلة المهندس" لنشر البحوث العلمية والرياضية باللغة الفصحى التي زعم ويلكوكس أنها لا تصلح لغة للعلوم . ([1])

كما تصدى عبد الله النديم للنضال عن لسان الأمة في صحيفة " الأستاذ " التي أصدرها في عام 1892 والتي كتب فيها يرد على ويلكوكس : " إننا نعلم علم اليقين أنه لو ظهر ألف داع ، بل مئات ألوف من دعاة أوربا لاستعمال لغة تميت لغة القرآن ما وجدوا آذانا سامعة " . ([2])

وعندما أغلق ويلكوكس مجلة الأزهر ترك فيها المحاولة للقاضي الانجليزي " سيلدون ولمور" الذي نشر عام 1901 كتابه " العربية المحكية في مصر" ليتوارى الأجانب زمنا من ميدان الصراع بين دعاة العامية وحماة الفصحى ، موجهين اهتمامهم إلى التمكين للغة الانجليزية إلى أن عاد " وليم ويلكوكس " إلى ميدان الصراع الأول بعد أن غاب عنه نحو ثلاثين عاما ، فترجم الإنجيل إلى العامية سنة 1925 ونشر في عام 1926 رسالة بالانجليزية ادعى فيها أن " سورية ومصر وشمال إفريقيا ومالطة تتكلم البوذية لا العربية " ثم ألف كتابا بالعامية عنوانه " الأكل و الإيمان" . ([3])

وقد حمل لواء هذه الحملة على العربية عرب من أصحاب النزعات الإقليمية الضيقة أمثال عبد العزيز فهمي وأحمد لطفي السيد وسلامة موسى بمصر ، ومارون غصن و رفائيل نخلة وسعيد عقل بلبنان. ([4]) فترك الأمر لهم عن يقين بأنهم سينجحوا حيث فشل الأجانب في المعركة اللغوية، إذ يكفي أن تصدر الدعوة إلى نبذ

---

[1] – د. عائشة عبد الرحمن ، لغتنا و الحياة ، ص 104 – 106 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 107 .

[3] – المرجع السابق ، ص 110 – 111 .

[4] – د. شحاتة الخوري ، مقال " واقع اللغة العربية عربيا ودوليا "، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، المجلس الأعلى للغة العربية، ص 373

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفصحى من أجنبي ليأخذ الشعب منها موقف الحذر والشك والرفض. ولعل الفصحى لم تجد من يخاصمها في الربع الثاني من القرن العشرين مثل" الأستاذ سلامة موسى" الذي جند قلمه الطيّع وأسلوبه البسيط و منطقه السهل للدعوة إلى نبذ الفصحى.

والأستاذ سلامة موسى كاتب مشهور له قراؤه وله مدرسته وتلاميذه ، وليس أجنبيا غريبا مثل المهندس ويلكوكس والقاضي ولمور، وليس مجهولا من عامة المثقفين مثل الدكتور سبيتا ، وقد ربط دعوته إلى هجر الفصحى بدعوته العامة إلى إصلاح المجتمع وتقدم الأمة ، ومن هنا كانت مظنة أن تنال من الفصحى ما لم تنله كل الحملات السابقة لدعاة العامية .([1])

وقد حشد الأستاذ سلامة موسى منطقه وقلمه ليدخل في صميم المعركة بين الفصحى والعامية، ونظر الداعية المصلح إلى مظاهر التخلف في المجتمع فردها كلها إلى عقم اللغة العربية، كما دخلت قضية الديمقراطية في الموضوع فإذا اللغة الفصحى هي المسؤولة عما يعوز من العدالة الاجتماعية ، كما دخلت قضية المرأة في المعركة فإذا اللغة المسؤولة كذلك عن رواسب تخلفها واستعبادها ... ([2])

ورغم ذلك الجهد لم تجد دعوة الكاتب المصلح سبيلا إلى التأثير على الوجدان الشعبي والنفاذ إلى الضمير القومي غير أن آراءه عاشت مع تلاميذ مدرسته الذين حملوا دعوته إلى نبذ الفصحى و ميراثها. ([3])

ولم تخل الشام من مثل ما عانته اللغة العربية الفصحى في مصر، فكانت هناك مراكز أجنبية تغذي الدعوة إلى العامية وتمدها وتهيئ لها المال والمنابر و الرجال والنشرات، وعمل الفرنسيون في الخفاء ثم ظهر لهم عقم هذه الدعوة فركزوها في ساحل الشام (حكومة لبنان الكبير) حيث أفادتهم جهودهم السابقة في خلق الكره الطائفي ثم إذكائه باستمرار، واستعانت به فأعانها على تهديم اللغة العربية الفصحى والتشكيك فيها والدعوة إلى العامية اللبنانية . ([4])

وقراءة هذه المحاولات تكشف أن الغرض ليس دراسة اللهجات وإنما العمل

---

[1] – د. عائشة عبد الرحمن ، لغتنا و الحياة ، ص 111 .

[2] – المرجع السابق ، ص 116 – 117 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 129 .

[4] – سعيد الأفغاني ، من حاضر اللغة العربية ، ص 164 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

على ترسيخها وتوسيع الشقة بينها هي نفسها، ثم بينها وبين اللغـــة الفـــصحى، وأن تبسيط القواعد ليس المقصود ولكن بلبلتها ثم هدمها لتبنى على شكل النحو الفرنسي:

- محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها
- نحو عربية ميسرة . كلاهما لأنيس فريحة .
- التحفة العامية في قضية فنيانوس (بالعامية والحرف العربـــي) لـــشكري الخوري .
- في متلو هلكتاب ؟ للخوري مارون غصن .

وهناك محاولات طبعت بالعامية و الحرف اللاتيني مثل :

- قواعد اللهجة اللبنانية – السورية للأب رفائيل نخلة .
- يارا بقلم سعيد عقل ، وهو شعر بالعامية وبالحرف اللاتيني . ([1])

كما صدرت نشرتين باللهجة العامية والحرف اللاتيني الأول لـــلأب رفائيـــل نخلة و الثانية بقلم سعيد عقل رد عليهما وعلى الدعوة الهدامة من أساسها الـــدكتور سعيد شهاب الدين برسالة عنوانها " دعاة العامية هم أعداء القومية العربية " تكفلـــت بحججهم الواهية تفنيدا وإبطالا ببراهين بديهية . ([2])

كما كان الهدف من نشر العامية في الجزيرة و الخليج هو الهدف نفسه مـــن المحاولات التي سبق أن تكرر مثلها في أجزاء الوطن العربي و الإســـلامي وهـــو فصل الأمة في نهاية المطاف عن تاريخها الحضاري القومي وحتى عن دينها ، ثـــم قطع صلة الحاضر الضعيف الذي تعيشه عن الماضي الذي يجب أن تنساه ، وســـد المنافذ التي يتسرب منها الفكر الإسلامي و التاريخ الأصيل للدولة الإسلامية . ([3])

لكن في غير الجزيرة والخليج تنبه لخطر الفكر العامي و الدعوة إليـــه علمـــاء المسلمين في كل من مصر والشام وغيرهما من البلاد العربية ، وبرز رجال غُيـــر على لغة التراث الخالد والحضارة العربية و فندوا مزاعم دعاة العامية وكشفوا مـــا

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 167 .

[2] – المرجع السابق ، ص 186 – 187 .

[3] – د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، الفصحى ونظرية الفكر العـــامي ، مطـــابع الفـــرزدق التجاريـــة ، الرياض، 1407 هـــ / 1986 م ، ص 13 – 14 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وراءها من أغراض ومن يقف وراءها ويدعمها وينتصر لها .

أما منظرو العامية في الجزيرة والخليج فقد استفادوا من التجارب التي سبقتهم و المحاولات المشابهة لمحاولاتهم التي حدثت في أقطار أخرى من البلاد العربية وما منيت به من فشل ذريع وذكر سيء لأصحابها ، فأدركوا أهمية الحذر في الأمر ولم يسلكوا الطريق الذي سلكه المستشرقون و الحاقدون من العرب على الإسلام ولغته ، وهو التصريح بالدعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى، رغم أن أولئك الدعاة قد قدموا أمام دعوتهم الصريحة مبررات اعتمدوا صوابها لتحقيق مآربهم وأظهروا شيئا غير قليل من التعاطف مع اللغة العربية، وادعوا أنهم ينطلقون من منطلق الغيرة على حاضر العرب ومستقبلهم وتقدمهم ، ولذلك رأوا أنه لابد من إحلال العامية محل الفصحى ليتحقق للعرب التقدم المنتظر. ([1])

أما في أقطار المغرب العربي فقد اتخذ الصراع من أجل اللغة العربية في هذه البلدان التي خضعت في وقت مبكر للاستعمار الأوربي شكل المقاومة ضد التجزيئية ، فقد كان الاستعمار الفرنسي في الجزائر يهدف إلى القضاء على عروبة هذا البلد ، فجعل التعليم الحديث منذ البداية (1830م) تعليما للمستوطنين الفرنسيين وحدهم ولهذا ظل التعليم في الجزائر حتى الاستقلال يتوسل باللغة الفرنسية في تدريس كل المواد الدراسية حيث يجعل الفرنسيون في الجزائر العربية الفصحى بعيدة عن التداول، فاللهجات العربية المحلية تسود في التعامل اليومي المحدود جنبا إلى جنب مع اللغة الفرنسية في المناطق العربية واللهجات البربرية تسود مع اللغة الفرنسية في المناطق البربرية، وبذلك أصبحت الفرنسية اللغة المشتركة. كما لم تكن العربية لغة الإدارة أو لغة التعليم في تونس بعد 1881م والمغرب بعد 1912م مع خلاف في الدرجة فقط ، فقد كانت السياسة اللغوية الفرنسية واحدة وقد اختلفت النتيجة باختلاف عوامل المقاومة اللغوية والحضارية .([2])

إن العربية الفصحى لغة جامعة لملايين البشر من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي وقد اتسع انتشارها مع قرون الزمن فكانت إلى اليوم أقرب إلى العالمية وهذا الواقع الملموس هو الذي جعلها هدفا للمستعمر الذي أعد العدة للقضاء عليها بالدعوة إلى حركة رجعية انحطاطية هي إحياء العاميات المحلية في كل بلد

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 17 .

[2] – محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات ، ص 25 – 26 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والكتابة بها وإهمال الفصحى مرة واحدة ، إذ كان في تعلمها جهد وليس في العامية جهد ، فإذا نجحت هذه الدسيسة جعل محل اللغة الواحدة عشرات من العاميات المحلية وتبعثرت هذه الأمة الواحدة إلى عشرات الشعوب ، وحينئذ سهل على دول الغرب ازدراد هذه اللقم الصغيرة فيما بينها . ([1])

- فأي لغة غربية لا ازدواج فيها بين لغة الأزقة و لغة المتعلمين ؟ الألمانية ؟ الفرنسية ؟ الإنجليزية ؟

لا شيء من ذلك البتة، والذي يعرف الفرنسية أو الانجليزية في قراها يدرك فارقا يذكر بالفارق بين فصحانا وعامياتنا، بل إن الفرنسية الفصحى لم تكن لغة الشعب الفرنسي الدارجة وإن الفرنسيين كانوا يجهلون هذه اللغة الجديدة التي انتشرت بواسطة وسائل التثقيف والوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .([2])

فهذه الأمم الراقية وجدت من دعاوي المحافظة على وحدتها و اطراد رقيها الحضاري إنشاء لغة فصحى جامعة ، ونحن حبانا الله فصحى قوية راقية قد جمعتنا فعلا في وحدة روحية مضى عليها أربعة عشر قرنا تتمنى الأمم الراقية أن تحظى ببعضها ، فلم يكن لها فصحى سعت هي سعيا حثيثا فخلقت فصحى مفتعلة ومضت بها إلى الأمام ، ووجد في بلاد العربية من يدعو إلى تفكيك هذه الوحدة وطرح تلك الفصحى. ([3]) إذن العربية حقا مصدر مخيف من مصادر قوتنا وأن أعداءها قدروها حق قدرها حين جندوا عليها ما جندوا من علم وقوة ودهاء ، فعلينا أن نتمسك بها تمسك الغريق بحبل النجاة . ([4])

فالعربية قد أضيف إلى وضعها كلغة تواضع العرب عليها ، أنها اقترنت ببعد روحاني وبكتاب محفوظ أخذت من قداسته مكانتها ومهابتها ولهذا كان بقاؤها إلى هذا الزمن قرين ببقاء القرآن، وأن مستقبلها باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك يبطل قياسها على ما في ألسن الأقوام الآخرين ، لأن ألسنتهم كما هي حضارتهم من الوضع البشري سليلة وإليه آيلة وعائدة ، وجودها بوجودهم وحدودها

---

[1] - سعيد الأفغاني ، من حاضر اللغة العربية ، ص 159 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 162 – 163 .

[3] - المرجع السابق ، ص 163 .

[4] - المرجع نفسه ، ص 184 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

بحدود أذهانهم وما توصلت إليه رؤاهم ومخيلاتهم . ([1])

وما أصدق المستشرق يوهان فك حين قال: " إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسا لهذه الحقيقة الثابتة ، وهي أنها قامت في جميع البلدان العربية وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي رمزا لغويا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية ، ولقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل، فستحتفظ أيضا بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية " . ([2])

لهذا كان وراء دفع الأعداء إلى تبني اللهجات في بلاد العرب و المسلمين أن ينفك عقد العربية كما انفك عقد اللاتينية إلى لغات مختلفة كانت لهجات في بدئها ومولدها ، هي الآن متعددة الكيانات مستقلة في نحوها وصرفها وألفاظها تتشابه في القليل وتختلف في المتعدد الكثير بين إسبانية وايطالية و انجليزية وفرنسية ...الخ . ([3])

والثابت تاريخيا أن المستعمر أخفق في إبعاد العرب عن الفصيحة ، وفي نقل العامية إلى مستوى اللغة المكتوبة، ويعزى إخفاقه في ذلك إلى مسوغين موضوعيين:

- **الأول** : وضوح الهدف أمام أنصار الفصيحة وتمسكهم به وإعلانهم الفصيحة عنوان المشروع القومي النهضوي، إضافة إلى جهدهم العلمي في نشرها وإحياء تراثها.

- **والثاني** : الارتباط بين الفصيحة والقرآن واستحالة تقعيد العامية واتخاذها لغة أدبية ذلك أن قيمة العامية كامنة في أنها منطوقة وقد نبعت مرونتها وحرارتها من هذا الأمر، فإن دونت جمدت وبات من المحتم نشوء عامية أخرى جديدة ، إضافة

---

[1] – د. عبد الفتاح أبو مدين ، مقال " العربية بين العوربة والعولمة " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 224 .

[2] – يوهان فك ، العربية دراسات في اللغة و اللهجات والأساليب ، ص 242 .

[3] – د. عبد الفتاح أبو مدين ، مقال " العربية بين العوربة والعولمة " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، المجلس الأعلى للغة العربية، ص 225 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

إلى أن الحيرة في اختيار إحدى العاميات العربية ستبرز جلية وسيثار الجدل حول صلاحية العامية المختارة للتقعيد والتقنين . ([1])

- فأية عامية ستختار ؟ أهي عامية مصر أم عامية الخليج ، أم عامية الشام ، أم عامية المغرب ...؟ وفي مصر أو الخليج أو الشام أو المغرب أية عامية من العاميات الكثيرة هناك ستختار ؟

إن أعداء اللغة العربية يعرفون تماما أن اللاتينية مثلا كانت هي اللغة الأدبية في ايطاليا وفرنسا واسبانيا في العصور الوسطى، وكانت العاميات المنتشرة في هذه البلاد هي اللهجات الايطالية والفرنسية والاسبانية وهي عاميات لاتينية تشبه العاميات العربية في صلتها بالفصحى، وقد أدى استخدام الأدباء والشعراء لهذه العاميات بعد ذلك في ايطاليا وفرنسا واسبانيا وتركهم اللغة اللاتينية الأدبية الأم إلى موت هذه اللغة وانسلاخ العاميات عنها وتكون اللغات الايطالية و الفرنسية و الإسبانية ، وهذا هو ما يريده الشعوبيون العلمانيون دعاة العامية وهو أن تتفكك لغتنا إلى لغات شتى في أرجاء الوطن العربي. ([2])

في حين أن هؤلاء اليهود مثلا كانوا مبعثرين في القارات الخمس تتكلم جالياتهم لغات لا حصر لها ، وعرف علماؤهم أن لا سبيل إلى جمع كلمتهم إلا بلغة جامعة، فأخذوا أنفسهم جيلا بعد جيل بإحياء العبرية القديمة الميتة يتعلمونها إلى جانب لغة الشعب الذي ينزلون بلاده ، فنتج أن خلق منهم أمة ودولة جامعة ، وأن أنشا اليهود بإحيائهم لغتهم الميتة دولة من العدم . ([3])

والعجيب أن هؤلاء الدعاة لم يقصدوا العبرية وهي لغة سامية ميتة وأغلب أهلها في بيئات أوربية وأمريكية ببعض ما قصدوا العربية من شرور، ثم إن كان في الحرف اللاتيني خير كما يزعمون فلِم لم يبشروا به بين اليهود الذين أنشأوا لهم دولة في أرض غيرهم فأحيوا حروفهم العبرية الميتة ولم يستخدموا الحروف

---

[1] – سمر روحي الفيصل ، المشكلة اللغوية العربية ، ص 43 .

[2] – د. رمضان عبد التواب، العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق ، ص 41 – 42.

[3] – سعيد الأفغاني ، من حاضر اللغة العربية ، ص 171 – 172 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

اللاتينية ؟ ([1])

إن كل ما قيل عن جمود الفصحى وعقمها وحيوية العاميات مغالطات مكشوفة ، فالزعم بأن الفصحى عاجزة عن مسايرة الزمن وتلبية حاجات الحياة اللغوية مردود بما أثبتت على مسار الزمن من طواعية للنمو وصلاحية للبقاء ، واتهامها بالمسؤولية عن تخلف وانحطاط أهلها يرده الواقع التاريخي الذي شهدها لغة الدولة الإسلامية في عصر قيادتها للحضارة الإنسانية ، وما يقال عن حيوية العامية مردود لأنها حيوية محدودة المجال بحدود كل قطر، إن لم يكن بحدود كل منطقة من القطر الواحد، محدودة الطاقة لا تتجاوز الأدب الشعبي إلى القضايا الفكرية والآداب العالمية، مردود كذلك بأن دعاة العامية أنفسهم خاضوا معركتهم ضد الفصحى باللغة الفصحى وكتبوا آثارهم بها باستثناء قلة نادرة ، والزعم بأن العامية وسيلة تثقيف للأميين لا يعني في الواقع سوى ترسيخ الأمية فيهم وترسيخ التخلف الثقافي. ([2])

" ولم نسمع في التاريخ قديمه وحديثه أن أمة من الأمم آثرت اللهجات العامية على اللغة النموذجية واعتمدتها المستوى اللغوي العام الذي يتعاملون به في حياتهم العامة والخاصة ، والذي به يسجلون أفكارهم وآدابهم وأعمالهم العلمية ، وما كان ذلك من جميع الأمم إلا لإدراك كل أمة أنها لا تكون أمة بالمعنى الدقيق سياسيا واجتماعيا وثقافيا إلا بمقوم يجمع شتاتها ويوحد بين أفرادها ، وبعماد صلب قوي تقام عليه بنيتها الأساسية وتشيد بفضله هويتها القومية ، وما ذلك المقوم وذلك العماد إلا اللغة الموحدة المتمثلة فيما يسمى باللغة النموذجية، أو الفصحى في حالتنا نحن العرب " . ([3])

ولقد أدرك العرب في القديم هذا المعنى ، فقد كان للعربية لهجات مختلفة وأنماط متنوعة من الكلام ، لكن عندما بدأ علماؤنا القدامى في التقعيد وضبط اللغة انتهجوا في ذلك نهجا مثاليا، ذلك أن هؤلاء عندما عكفوا على النظر في اللغة العربية بتقعيدها وضبط أحكامها انصرفوا إلى مستوى لغوي معين له وضعه المميز

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 177 .

[2] – د.عائشة عبد الرحمن ، لغتنا و الحياة ، ص 130 .

[3] – كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم و سوء الفهم ، ص 52 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ثقافيا واجتماعيا وسياسيا بالإضافة إلى ما يتسم به هذا المستوى من الشيوع الواسع والتكامل النسبي بين عناصره ، وخلوه من تنافر الرطانات وبلبلة الألسن ، ذلك المستوى على ما يروي التاريخ هو لغة قريش، وبهذا الاختيار ضمنوا إلى حد معقول وحدة المادة الخاضعة للدرس والنظر لتصبح النواة الخصبة لنمو لغة عامة زمانا ومكانا هي ما اصطلح عليه " العربية الفصحى" . ([1])

فلا خير في الدعوة إلى إحياء العامية واتخاذها لغة كتابة وتدوين ، ولكن الخير كل الخير في أن ندرس قواعد هذه العامية ومراجعها من اللهجات العربية ، عسى أن نستعين بها في إمداد قواعد الفصحى بما يوسع أقيستها وما يعالج مشكلاتها التي تعانيها في الوفاء بحاجات مجتمعنا الراهن، لكي نكفل لها أسباب اليسر ونواتيها بالمزيد من المرونة والطواعية، وبذلك نزودها بعوامل النماء والازدهار ونذلل ما يعترض طريقها من عقبات رجاء أن نبلغ بها المأرب البعيد والأمنية القصوى، فتكون لغة المخاطبة والحديث كما هي لغة الكتابة والتدوين. ([2])

ولسنا نأبى العامية لأنها طارئة فينا، تنزل من العربية منزلة الدخيل من الأصيل، فهي عريقة في نسب العروبة، ولكننا نأبى منها أنها " تناتيش لغات تهشمت وأحافير لهجات تهدمت وأعقاب ألسنة لم تبلغ الأوج ، فهي ترد العربية إلى وراء، حيث كانت القبائل متناثرة النطق ، متغايرة اللهجة وهي كذلك تنقض الجهد التاريخي الجماعي الخطير ذلك الجهد الذي أسلم العربية إلى صيغتها النقية الصافية صيغة الفصحى ، فكأننا باستحياء العامية أو العاميات المتعددة في بلاد الناطقين بالضاد نرجع القهقر إلى الجاهلية الأولى لنستقبل في غدنا سعيا زمنيا جديدا ، وجهدا جماعيا موصولا نبغي به توحيد العربية وتنقيتها وإفراغها في قالب محكم رصين ، حتى نصل بها إلى مثل هذه الفصحى عودا على بدء " . ([3])

وإذا كنا نسعى للحفاظ على العربية الفصحى من تأثير اللهجات العامية حتى نضمن دوما لها المكانة السامية التي تليق بها كلغة مشتركة جامعة لشمل الناطقين بها ، سليمة من اللحن والوهن ، فإن ذلك الجهد دافع لتحصينها من أي أثر يخدش

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 52 – 53 .

[2] – محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ، ص 201 .

[3] – المرجع السابق ، ص 199 – 200 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

سلامة سبكها وتماسك نظامها ، وهذا الجهد الذي لم ينقطع في سبيل خدمة اللغة العربية و الحفاظ على سلامة استعمالها وقف أيضا حصنا منيعا يحمي اللغة العربية عند احتكاكها بغيرها من اللغات الأجنبية أيضا، حتى تستفيد هذه اللغة في ما تسمح به أساليبها ويتقبلها نظامها دون أن تنصهر في بوتقة التأثر وتفقد سماتها وخصوصيات نظامها.

البَابُ الثَّالِثُ

جهود علماء العربية في حفظ السلامة اللغوية من تأثير اللغات الأجنبية.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفصل الأول

الفرق بين الترجمة والتعريب والتدخيل

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أ - تعريف الترجمة .

ب - الفرق بين الترجمة و التعريب .

ج - الفرق بين التعريب و التدخيل .

- **تمهيد :**

ومما لا شك فيه أن الترجمة مهمة في نقل العلم و المعرفة وفي اطلاع الإنسان على ما توصل إليه أخوه الإنسان في مضمار الرقي الحضاري ، فهي نافذة يطل منها كل من يرغب في تخطي حدود عالمه المحلي لإشباع الفضول وإرواء حب الاطلاع على آفاق ما وراء الحدود المحلية من ابتكار وتطور في شتى مناحي الحياة ، لهذا فقد كان للترجمة مكانة معتبرة عند علماء العربية على الخصوص حيث أدركوا منذ وقت مبكر أهمية الاستفادة مما لدى الآخرين من علوم ومعارف لا سابق معرفة لهم بها ، فخدموا الدولة الإسلامية بما نقلوه إليها من شتى مناحي الحقول العلمية مما ساهم في ازدهار المناخ العلمي الإسلامي وتشعب جوانب البحث و الدراسة ، وساهموا في خدمة الإنسانية بما حفظوه من ذخائر العلوم التي نقلوها من أصولها ، هذه الأصول التي ضاعت بعد أن عبث بها الزمن ، لتبقى الترجمات العربية الأمين الذي حفظ الأمانة العلمية وأداها خير تأدية لبعث عجلة

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الحياة العلمية الحديثة .

لكن رغم ما بذله علماء العربية في مجالي الترجمة و التعريب سواء في القديم أم الحديث ، فإن الحياة العلمية العربية مازالت عطشى و تحتاج لإرواء جوانب عديدة منها ، كما أن اللغة العربية هي الأخرى مازالت توصم بالقصور عن تلبية حاجات الحضارة المعاصرة من المصطلحات المعبرة عن الجديد العلمي و التقني و المعرفي بصفة عامة .

- فما هي أهم الجهود العربية في مجالي الترجمة و التعريب في القديم و الحديث ؟
- وفيما تمثلت خطوات علماء العربية في حفظ السلامة اللغوية أمام زخم اللغات الأجنبية القديمة و المعاصرة ؟
- وكيف واجهوا الغزو العلمي و المعرفي ؟
- وهل حقا عجزت اللغة العربية في حقبة من الحقب الزمنية عن مسايرة الحياة العلمية وعن استيعاب الجديد الوافد إليها ؟

أ – تعريف الترجمة :

الترجمة فن له أصوله وتقنياته الخاصة ، يفتح مجال الحوار بين الحضارات ويثري الآداب المختلفة بعناصر الحداثة والتجديد ويفتح الآفاق الثقافية على مصراعيها للأدباء و المفكرين حتى يطلعوا على ثقافات الشعوب وعبقريات الأمم . ([1])

فالترجمة لها أهمية كبرى في تصريف الأمور المحلية و الدولية في جميع أنحاء العالم ، وترجع أهميتها إلى كونها إحدى أدوات الاتصال والأداة الوسيطة في كل زمان ومكان بين الشعوب و القبائل في أنحاء الأرض ، وهي تساعد على :

- إقامة التفاهم بين الشعوب للتعايش السلمي .

[1] – د. يوسف حسين بكار ، الترجمة الأدبية إشكاليات ومزالق ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، 2001 م ، ص 11 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- نقل الفكر الإنساني الوجداني و العلمي بين الدول المتقدمة و النامية .
- نقل التطور الحضاري بين دول العالم المتقدم و النامي .
- تذليل العقبات السياسية و العسكرية و تنشيط التبادل التجاري . ([1])

والواقع أن الترجمة الفورية تسبق الترجمة التحريرية لأن الأولى استخدمها الإنسان الأول عند اتصاله بأخيه الإنسان لتبادل المنفعة ، أما التحريرية فارتبطت بعصر الكتابة وهي وليدة القرن التاسع عشر في أوربا عند انعقاد المعاهدات بين الدول ، في حين أن العرب عرفوا الترجمة التحريرية منذ زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ([2])

كما أصبحت الترجمة الفورية الآن شيئا ضروريا من ضروريا العصر لأنها وسيلة الاتصال السريعة بين المؤتمرين في المؤسسات و المنظمات الدولية ، وغالبا ما نشاهد المترجم الفوري إما جالسا أو واقفا بين الرؤساء و المسؤولين لنقل – بأمانة وسرعة – كافة الأحاديث و التصريحات ، ثم نرى هذا المترجم في صورة أخرى ولكن يحمل لقبا آخر وهو المرشد لإرشاد مجموعة من السائحين وتعريفهم بالمعالم السياحية .الخ ([3]) والترجمة الفورية فرع رئيسي من فروع الترجمة في جميع لغات العالم وهي قديمة قدم اللغات نفسها فقد كانت الحاجة داعية للتفاهم بين الشعوب . ([4])

والترجمة هي نقل المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية بمعناه لا بلفظه ، فيتخير المترجم من الألفاظ العربية ما يقابل معنى المصطلح الأجنبي ، وعلى الرغم من أن الترجمة المباشرة هي الغالبة ، إلا أن المترجم يلجأ أحيانا إلى التحرير أو الحشو أو الحذف لكي يوفق بين اللفظ المترجم و الذوق العربي ، وعموما فإن الترجمة إما أن تكون حرفية أي نقل كلمة بكلمة ، وإما أن تكون معنوية ، ومنها

---

[1] – عبد الغني عبد الرحمن محمد ، دراسة في التعريب و الترجمة ، ص 68 – 69 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 7 .

[3] – المرجع السابق ، ص 73

[4] – د. بشير العيسوى ، الترجمة إلى العربية قضايا وآراء ، ط2 ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1421 هـ / 2001 م ، ص 150.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

تظهر قدرة المترجم وفنه ومدى تضلعه باللغتين المنقول منها والمنقول عنها .([1])

أ / 1 – الترجمة الحرفية :

ويقول صلاح الصفدي بعد أن صنف طرائق الترجمة في اثنين حرفية ومعنوية ، أن الترجمة الحرفية رديئة لوجهين : أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ، ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها. والثاني أن خواص التراكيب و النسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما، وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات. وامتدح الترجمة المعنوية؛ لأن المترجم يحصّل معنى الجملة في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أو خالفتها. ([2])

ففي الترجمة الحرفية يقوم المترجم بنقل النص كلمة بكلمة وحرفا بحرف ، وبالطبع فإن هذه الترجمة فاسدة لأنها دائما ما تكون مفككة وليس بين كلماتها كبير ارتباط أو سياق يحكم وحدتها ، فضلا عن أن كثيرا من الكلمات الفنية ليس لها مصطلحات تقابلها في العربية ، أضف إلى هذا أن التعابير ذات الصبغة المجازية لا يتيسر لمترجم أن يقوم بنقلها بعينها إلى اللغة المترجم إليها ، لأن ثمة فارقا كبيرا بين الحقيقة و المجاز ، كما أن هناك " قواعد نحوية خاصة لكل لغة وهو ما يلاحظه كل من يتصدى للترجمة ، فالنقل من لغة إلى أخرى يبين لنا بوضوح هذا الخلاف بين اللغات في طرق نظم الكلام وصياغته ، فنحن في العربية إذا أردنا أن نعبر عن قوة الحق نقول : " الحق قوة " في حين أن اللغة الانجليزية إذا أرادت أن تعبر عن المعنى نفسه تقول " Right is might " فتأتي بالفعل المساعد أو بالمورفيم المقيد (is) لكي يتم الإسناد بين الاسمين بينما نجد أن اللغة العربية تستغني عن هذا المورفيم المنطوق بمورفيم صفري يدل على عملية الإسناد ، وهذا الاختلاف بين اللغتين لا يقف عند بناء الجملة " . ([3])

فالترجمة الحرفية لا تيسر في كل الأحيان لاسيما في ترجمة المصطلحات

---

[1] – د. كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 87 – 88 .

[2] – محمود بهاء الدين العاملي ، الكشكول، ص 184

[3] – حلمي خليل ، مقدمة لدراسة علم اللغة ، ص 108 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والأمثال و المجازات وهذا ما يؤدي إلى الحيرة في ترجمة هذه الأشياء كما هي من اللغة الأجنبية مهما يكن وقعها في الذوق العربي أو وضع ما يقابلها في العربية مما يؤدي معناها الأصلي دون تقيد بحرفية ما يترجم .

وقد كان أشهر المترجمين بهذه الطريقة : يوحنا بن البطريق ، وعبد المسيح بن الناعمة الحمصي ، وإذا كان اختلاف التراكيب في اللغات وعدم تكافؤ الألفاظ فيها قد أدى إلى غموض المعاني في الترجمة العربية ،فإنه قد قام مترجمون ممتازون بإصلاح ما تمت ترجمته بالطريقة الحرفية ، أو حتى أعادوا ترجمتها. ([1])

أ / 2 – الترجمة المعنوية :

وهنا يأتي المترجم أو الناقل إلى تفهم عبارة النص ، ويحصل معناها في ذهنه بالتعبير عن فحواها إلى العربية بجملة تطابقها في المعنى وإن لم تكن تساويها في عدد الكلمات وبذلك يكون الناقل بهذه الطريقة أكثر سدادا لأن المقصود في الترجمة ليس الألفاظ وإنما الفكرة الدقيقة التي يريدها المؤلف الأصلي ، وكان عميد هذا الاتجاه هو حنين بن إسحاق وكان – بشهادة المؤرخين – جيد الأسلوب واضح المعنى ، وإذا لجأ إلى نقل المصطلحات العلمية بألفاظها الأجنبية فإنه كان يتبعها بشرح معناها حتى يتحدد مدلولها في اللغة العربية . ([2])

ومن المعروف علميا أن الترجمة الأدبية أكثر فنا وإبداعا من الترجمة العلمية لغنى اللغة العربية بالأساليب اللغوية مما يجعل المترجم مؤلفا ومبدعا وهذا ما يؤدي بالأعمال الأدبية إلى أن تضيف تراثا ذا ظلال إبداعية.

أ / 3 – الشروط التي ينبغي توفرها في المترجم :

يقول الجاحظ : " ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون فيهما سواء وغاية ، ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما ، لأن كل واحدة من اللغتين

---

[1] – عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ط3 ، دار العلم للملايين ، نوفمبر 1980 م ، ص 115 .

[2] – د. كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 88 – 89 ، عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص 115 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

تجذب الأخرى وتأخذ منها وتعترض عليها وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين فيه كتمكنه إذا انفرد بالواحدة ؟ ..." . ([1])

لقد أدرك الجاحظ ضرورة معرفة المترجم باللغتين المنقولة، و المنقول إليها ، وهو الطريق الصحيح لمعرفة خواص التراكيب التي تختلف من لغة إلى أخـــرى ، فلابد لمن يقوم بعملية الترجمة أن يتصف بثلاث ميزات هي :

1 – الإلمام الكامل باللغة المترجم عنها .

2 – الإلمام الكامل باللغة المترجم إليها .

3 – معرفة الموضوع المعنى بالترجمة .

و الإلمام باللغة المترجم عنها لا يعني أن يكون الشخص قـــادرا علـــى فهـــم النص فحسب ، وإنما يراد بذلك أن يكون المترجم قادرا على استيعاب دقائق اللغـــة ومفاهيم المفردات و الشحنة العاطفية التي تحملها كل مفردة أو جملة ، كما يجب أن يدرك التفصيلات المتعلقة بأسلوب الكاتب وطرائق التعبير المختلفة .

أما الإلمام باللغة المترجم إليها فهو أهم من القـــضية الأولـــى ، إذ إن أكبـــر الأخطاء الموجودة في الترجمة ناجمة عن ضعف المتـــرجم فـــي لغـــة الترجمـــة ، فالمترجم الذي يلم بتفاصيل ودقائق اللغة التي يترجم النص إليها لا يكفيـــه مراجعـــة المعاجم مرارا ، بل يحاول أن يجد تعابير مناسبة في قوالب متينة وسلـــسة للأفكـــار التي يريد نقلها .

كما أن لمعرفة موضوع النص الذي يقوم الشخص بترجمته دورا كبيرا فـــي نجاحه ، فلكل علم من العلوم مصطلحات كثيرة و تعابير متعددة تفصل بينها وبـــين سائر العلوم و المعارف ، ومن يقوم بترجمة كتاب في علم النفس مـــثلا يجـــب أن يكون مطلعا على مصطلحات هذا العلم وإلا لا يمكن أن يقدم ترجمة صحيحة عـــن هذا الكتاب .

يقول أنطون مقدسي : " كل نص في أية لغة مكتوبة كانت يتميـــز بالاتـــساع و الكلية ، وله خصائصه المحلية و القومية فصعوبات الترجمة لا تكمن في نقل الكل

---

[1] – الجاحظ ، الحيوان ، ج1 ، ص 51 – 52 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المشترك بين كل الناس ، وإنما في نقل الشيء الفريد من نوعه " . ([1]) لأن الترجمة حوار وصراع لإقحام حضارة في حضارة أخرى ، لهذا فإن الترجمة الناجعة هي التي تستطيع أن تترك على القارئ نفس التأثير الذي يتركه النص الأصلي على قارئه . ([2])

فالترجمة عن اللغات تنقل إلينا مشاعر قوم غير قومنا ، و تعبر عن خلجات نفوس غير نفوسنا بما نقتبس من اللغات المختلفة التي تطلعنا على مناحي التفكير عند الأمم الأخرى، لهذا فإن جميع المثقفين وأهل المعرفة على اختلاف أنواعهم في حاجة إلى أن يعرفوا اللغات الأجنبية، ولا يقف تعلم اللغة بالمرء عند تعلم بعض الكلمات و الجمل بل ينبغي أن تحمل المفردات و الجمل إلينا أفكارا جديدة .

لهذا " فإن التصدي لفن الترجمة من غير معرفة اللغة وفهم أساليبها تشبه محاولة فتح باب بلا مفتاح ومما لاشك فيه أن تعلم اللغة العادية يكون بالاستعمال أما لغة العلم فإنما تكون بدراسة الترجمة فالغرض من دراستها إذن هو تحقيق القوة في اللغة ودقة التعبير بها حتى لا تند عنها ما حوت اللغة من أفكار أو ردت إليها من معان . وهدف الترجمة أيضا هو أن نتعرف على ما في اللغة من مشاعر وعقائد واهتمامات عامة وتمرين النفس على الحديث بها بيسر وسهولة بفنون شتى من التعبير ودراستها تظهرنا على ما لم يبد لنا من قبل في اللغة من إيجاز وقوة وصفاء، فهي تشعرنا بحيوية اللغة في أنفسنا وأنها أصبحت عندنا متأججة وأكثر نظاما وتهذيبا مما يتيح تنمية الشخصية على الوجه الأكمل " . ([3])

ولعل أوضح وأوجز تعريف للترجمة ما عرفها به في سطور قليلة الدكتور طه حسين في مقدمته لترجمة " آلام فرتر " للدكتور أحمد حسن الزيات : الترجمة في الفن و الأدب ليست وضع لفظ عربي موضع لفظ أجنبي إذ الألفاظ شديدة القصور عن وصف الشعور في اللغة الطبيعية ، فكيف بها في لغة أخرى ؟ إنما الترجمة الفنية و الأدبية عبارة عن عملين مختلفين كلاهما صعب عسير ، الأول أن يشعر المترجم بما شعر به المؤلف وأن تأخذ حواسه وملكاته من التأثر والانفعال

---

[1] – د. يوسف حسن بكار ، الترجمة الأدبية إشكاليات ومزالق ، ص 11 .

[2] – رضا ناضيميان ، الترجمة ومناهجها التطبيقية بين العربية و الفارسية ، ط1 ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة 1423 هـ / 2002 م ، ص 50 .

[3] – د. حسن الأشموني، أثر الترجمة في حضارة العرب، دار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة ، ص 39

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

نفس الصورة التي أخذتها حواس المؤلف و ملكاته إن صح هذا التعبير ، والثاني أن يحاول المترجم الإعراب عن هذه الصورة و الإفصاح عن دقائقها وخفاياها بأشد الألفاظ تمثيلا لها وأوضحها دلالة عليها . ([1])

" فالترجمة مصدر الإلهام العميق وغذاء للآداب بما تجريه في جسم الشعوب من الدم الجديد الذي يبعث الحياة و الأمل و النشاط ، وهي فن لا يدخل في عداد الأعمال الآلية ولا يقصد منه وضع كلمة محل كلمة أخرى ، بل إن فن الترجمة يتطلب مجهودا يفوق مجرد معرفة اللغتين ، ورغم قدمه البعيد لا يزال هذا الفن في دور الشباب ، ولو قدر للعالم أن يباعد بينه وبين الترجمة لظل راكدا لا حركة فيه ولا حياة ، فالعواطف وطرق الأداء و الأفكار الإنسانية من الأركان التي تستند إليها الترجمة والأفكار وطرق الأداء عرضة للتغيير، ولا يقدر لها الذيوع و الانتشار بغير الترجمة " . ([2])

وعلى كل حال فإن اللفظة الأجنبية الواحدة قد يكون لها في النقل العربي مترادفان أحدهما مترجم و الآخر معرب ويعيشان معا إلى أن يتغلب أحدهما على الآخر نتيجة قبول استعماله بين الناس.

ب – الفرق بين الترجمة و التعريب :

والتعريب هو الكلمة الشقيقة للترجمة ولكنها محدودة في الشكل و المضمون ، فإذا نقلت العبارة من لغة غير العربية إلى اللغة العربية يسمى تعريبا، ولكن العكس إذا نقلت من العربية إلى أية لغة أجنبية فتسمى ترجمة . ([3])

و الترجمة العربية لنص أجنبي تكون أحيانا ترجمة حرفية فنقرأ الأسلوب ونحس أنه أسلوب أجنبي على الرغم من أنه مكتوب باللغة العربية ، أما إذا أضفى المترجم على النص الأجنبي صفة العربية على العلوم ، أي أعطاه صبغة عربية فإنه يكون قد عربه، وبالتالي فالتعريب أشمل وأجود من الترجمة .

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 110 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 126 .

[3] – عبد الغني عبد الرحمن محمد ، دراسة في التعريب و الترجمة ، ص 31 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ومن حيث المفردات فالتعريب هو إخضاع اللفظ الأجنبي لأوزان عربية ، ويفرق الدكتور عادل العول بين الترجمة وبين التعريب بقوله : حين نقوم بترجمة كتاب أو نص من أية لغة إلى اللغة العربية مثلا فهذه ترجمة ، و الترجمة هنا هي عملية نقل المعرفة ، وهنا ينبثق سؤال : **ماذا أريد من هذه الترجمة** ؟ فإذا كنت أريد من نقل هذه المعرفة أن أتيح الفرصة لثقافتي العربية لكي تتحاور مع ثقافة جديدة وأن تتلاقح معها لتنمو ثقافتي وتزدهر وتصبح أكثر قوة على الإسهام في الثقافة العالمية وفي النهضة العلمية العالمية فهذا هو التعريب ، إذا التعريب مصطلح يجب أن يطلق على ما نقصده من عملية الترجمة وهو أن نجعل الثقافة العربية المعاصرة على المستوى المعروف عالميا وأن نمضي بها قدما بحيث نساهم في تقدم المعرفة الإنسانية بشكل عام . ([1])

ج – الفرق بين التعريب و التدخيل :

أما الدخيل فهو ألفاظ داخلت لغات العرب من كلام الأمم التي خالطتها ، فتفوهت بها العرب على مناهجها لتدل في العبارة بها على ما ليس من مألوفها ، وتجعل منها سبيلا إلى ما يجد من معاني الحياة لأن أرضهم وديارهم لم تكن الأرض كلها فتنحصر بين أيديهم حتى يتعين عليهم أن يضعوا لكل شيء ضريبه من اللفظ ونديده من التعبير. ([2]) وهكذا فالدخيل في لغة العرب يكاد يكون صورة جغرافية لما عرفوه مما خرج عن حدود جزيرتهم . ([3])

وقد ذهب نفر من علمائنا الأفاضل إلى أن " تدخيل الألفاظ هو كلمة توضع في مقابل " تعريب " الألفاظ فلقد وجد أن اللغة تقبل بعض الألفاظ دون أن تمسها بأدنى تغيير، وقد رمز لها المعجم الوسيط (إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة) بالرمز (د) وبتتبّع ألفاظ هذا الرمز في المعجم المذكور يبدو أن اللغة قبلت من الدخيل أكثر مما قبلت من طريق التعريب .

وقد أشار الدكتور شاهين إلى كثرة الدخيل في مجال المصطلحات العلمية

---

[1] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 61 – 62 .

[2] – الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص 159 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 160 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

خاصة " المسميات الجديدة " فقال : لقد كثر التدخيل في مجال المصطلحات العلمية من هذا النوع الخاص بالمسميات الجديدة ، حتى لنجد ألفاظا دخيلة تشرحها المعاجم بألفاظ دخيلة أخرى ، كما جاء في " معجم المصطلحات العلمية " غير أن ذلك كله لا يخفى على المشتغلين بالعلوم ، ومن حسن الحظ أنه ليس من عناصر اللغة عامة، فهو محصور داخل مجال الاهتمام به ، ولذلك صاغ أن يكون خارج أوزان الكلمة العربية طويل البنية حتى ليزيد عدد حروفه على عشرة ، على الرغم من أن بنية الكلمة العربية لا تزيد عن خمسة في الأسماء المجردة أو سبعة في المزيدة ، كما لا تزيد عن أربعة في الأفعال المجردة أو ستة في المزيدة .([1])

والفرق بين اللفظتين يشرحه مفصلا الدكتور إبراهيم أنيس فيقول ([2]) : الكلمة الأعجمية التي يشيع استعمالها لدى العرب القدماء تأخذ نسج العربي فينتقص من أطرافها وتبدل بعض حروفها ويغير موضع النبر منها حتى تصبح على صورة شبيهة بالكلمات العربية وتلك هي التي سماها علماء العربية فيما بعد المعرّب ،أما غيرها من الكلمات الأجنبية التي بقيت على صورتها الأصلية فقليل عددها وقد ظلت قليلة الشيوع و الدوران وأطلق عليها " الأعجمي الدخيل " كأنما أريد بهذا استبعادها عن ألفاظ العربية الأصيلة.

إن التدخيل إذا كان هو أيسر الوسائل وأشبه بالعملة الرديئة التي تطرد العملة الجيدة أي المقابل العربي الأصيل للمصطلح الأجنبي الوافد .

وخلاصة القول أن التعريب له ثلاث دلالات رئيسية هي . ([3])

- **أولا :** يقصد به استخدام العرب ألفاظا أعجمية على طريقتهم في اللفظ و النطق أي أنهم عند وضع الكلمات المعربة يحافظون على الأوزان العربية و الإيقاع العربي قدر الإمكان حتى لا تتنافى هذه الألفاظ مع روح العربية وموسيقاها فلا يستثقلها اللسان العربي .

- **ثانيا :** يقصد بالتعريب نقل النصوص من إحدى اللغات الأجنبية إلى اللغة

---

[1] – د. كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 64 – 65 .

[2] – د. إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، ص 125

[3] – شحاذة الخوري ، دراسة في الترجمة و المصطلح و التعريب ، ج1 ، ص 157 – 159 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

العربية، أي أن معنى التعريب يتصرف هنا إلى الترجمة ، فهنا تكون كلمة " تعريب" مرادفة لكلمة " ترجمة " التي هي نقل المعنى من لغة إلى لغة .

- **ثالثا :** يقصد به جعل اللغة العربية لغة الإنسان الأساسية أي أن تكون لغة العلم و العمل و لغة الفكر والشعور والحراك الاجتماعي، وتبعا لذلك يقال : عرّبنا المجتمع؛ أي : جعلنا العربية لغته الأساسية و الحياتية ، وعرّبنا التعليم : إذا جعلنا أداته في كل درجاته وتخصصاته اللغة العربية .

الفصل الثاني

حفظ سلامة اللغة العربية قديما

من تأثير اللغات الأجنبية

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أ - احتكاك العربية بغيرها من اللغات القديمة .

ب - الترجمة و التعريب قديما .

ج - جهود النحاة في إخضاع المعرب لمقاييس العربية .

د - أثر الترجمة في حضارة العرب ولغتهم .

هـ - أثر الترجمة العربية في حضارة الغرب .

أ – احتكاك العربية بغيرها من اللغات القديمة :

إن حياة أي لغة بمعزل عن التأثيرات الخارجية شيء خيالي ربما لم يتحقق لأي لغة على مدى تاريخها الطويل ، ومهما فرض من قيود ووضع من سدود حول اللغة ومتكلميها فإن الاحتكاك بالعالم الخارجي لابد أن يحدث و التبادل اللغوي لا مفر من أن يتم، وحين يحدث – لسبب أو لآخر – أن تلتقي لغتان أو أكثر في مكان واحد، لا يمكن أن يتصور وقوف كل منهما بمعزل عن الأخرى تقول لا مساس. وإنما الذي يحدث أن يبدأ الاحتكاك بينهما وأن يتبادلا التأثير والتأثر.([1])

والتأثير والتأثر في اللغات سنة طبيعية وقانون دائم فاللغات تأخذ و تعطي ، ويعمل التقارب والمعايشة في المكان و الزمان عملا كبيرا وفاعلا في الاقتراض

[1] – د. أحمد مختار عمر ، تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى ، ص 121.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والاستعانة، ولكي يستطيع الشعبان المتقاربان أن يتواصلا ويتفاهما يصيران إلى المزج بين لغتيهما فتأخذ كل لغة من الأخرى ما يسد حاجتها وما يؤهل حامليها والمتكلمين بها للتفاهم والتواصل مع من هم في جوارهم .

و العبارة المتواترة و المستعملة لتعيين اللغات الغريبة عن العربية هي " الأعجمية " وقد اشتق منها النحاة مصطلحات أخرى كـ " العجمة " أو" الأعجمي " أو غيرها من العبارات التي ترتبط بالتسمية الأصلية. واتخذت عبارة " الأعجمية " في اللغة والاصطلاح موقعا يقابل " العربية " إذ جاء في اللسان " العُجْم و العَجم خلاف العُرب و العَرب ". ([1])

وجاء فيه أيضا : " العرب جيل من الناس معروف خلاف العجم " . ([2]) والأعجم الذي لا يفصح ولا يُبين كلامه وإن كان عربي النسب" . ([3])

وهذا المعنى الأخير الذي احتفظت به المعاجم ليس إلا صدى للفكرة التي استقرت في أذهان المشتغلين بالعربية و القائلين إن الفصاحة مقتصرة أو تكاد على اللسان العربي ، وبما أن للأعجمية هذا المعنى السلبي فقد صارت في المعجم من مرادفات اللحن إذا ما اقترنت بالكلام و المتكلم " فأن يأتي به أعجميا أي يلحن فيه " . ([4])

واستعمل العرب النحاة عبارات كثيرة لوصف تعامل لغتهم مع بقية اللغات ، ومن العبارات المستعملة أكثر من غيرها في هذا السياق ألفاظ مشتقة من جذر (خ ل ط) وهو جذر يدل جمع ألفاظه على معنى الامتزاج و الجمع و الاشتراك. ([5]) فيستعمل الاستراباذي عبارة " خالط " في معنى امتزاج لسان بآخر فيقول متحدثا عن فرعية العجمة في كلام العرب : " والعجمة في كلام العرب فرع العربية إذ الأصل

---

[1] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج12 ، ص 448 .

[2] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص 683 .

[3] – المصدر نفسه ، ج12 ، ص 449 .

[4] – المصدر السابق ، ج12 ، ص 451 .

[5] – المصدر نفسه ، ج7 ، ص 328 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

في كل كلام ألاّ يخالطه لسان آخر " . ([1])

ومن العبارات المستعملة في وصف التعامل الخارجي عبارة " دخيل " وهي عبارة لا تخلو في أصل معناها المعجمي من موقف ينقص من قيمة ما ينعت به ، ففي المعجم يطلق هذا اللفظ على الشخص الذي يدخل في نسبة ليس هو منها في الأصل ، وهذا المعنى العام هو الذي قصده ابن يعيش وهو يتحدث عن العجمة فيقول : " العجمة دخيلة على كلام العرب" ([2]) ومعنى كونها دخيلة أنها أحدثت فيه إحداثا وأقحمت عليه إقحاما .

فقد عاشت العربية في مهدها من الجزيرة العربية ما عاشت من الزمن حتى كانت الخرجة الكبيرة و الهجرة البعيدة المدى التي دعا إليها الإسلام فخرجت اللغة مع آلاف أهلها الذين خرجوا إلى المشرق القديم وأقصى المغرب المعروف، وجعلت هذه العربية تتفاعل مع ما خالطت من لغات ، فلا تعطي فقط بل كانت تأخذ، كذلك سنة الحياة في اللغات و الحضارات الغالبة و المغلوبة ، وكان يساندها في ذلك الصراع حينا من الدهر سلطان دولة قوية وإمبراطورية واسعة موحدة ، فلما انحلت عقدة اتحادها وتوزعتها دولات مختلفة ظل يساندها الإسلام بقوته المعنوية دهرا طويلا في كل مكان حتى اليوم ، لأنها لغة كتابه ولسان ثقافته والسبيل الوحيد لمعرفته ، وغالبت العربية هنا وهناك وهنالك وفي هذا الغلاب الطويل والصراع المرير ، انتهى بها الأمر حينا إلى ظفر واستقرار هنا وهناك وحينا انتهى أمرها إلى هزيمة وتقهقر هنا وهناك، وهذا التذويب في المزج الذي صادفه أهلها في الواسع الفسيح من أقطار الأرض وبين الملايين من الدماء المختلفة حري بأن يخفف من كثافة مادتها وقوة تماسكها ويخلخل نسيجها من اللحظة الأولى التي بدأ فيها فيدخل عليها الضعف والوهن في صوغها وتركيبها وبيانها إذ تفعل بها الألسن ما تفعل دائما باللغى ولا مفر من وقوعه ، فبدأ فيها منذ أول الدهر و بدئ الدولة الإسلامية المهاجرة تغير عاجل واضح ، ولم يغفل أهلها منذ أول الأمر عن هذا الأثر بل هالهم أمره فهبوا يحاولون أن يحفظوا على العربية تماسكها ويوقوها التخلخل و التحلل

---

[1] – الاستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن)، شرح كافية ابن الحاجب، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب ، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان 1419هـ/ 1998م، ص 91 .

[2] – ابن يعيش ، شرح المفصل ، المجلد 1 ، ج1 ، ص 66 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ليظل لها من القوام ما تهدي به إلى مراد الدين وقوام القرآن . ([1])

ويصف لنا الجاحظ لغات الأقوام التي امتزجت وتعايشت مع طوائف وفئات المجتمع العباسي وكيف أثرت على لغة السكان الأصليين و العرب الفاتحين فيتحدث عن وجود ظواهر لغوية عديدة مثل " اللكنة " عند الأعاجم وكيف تسربت إلى العامة و الحكلة و الحبسة وغيرها ، فيرجع الجاحظ اللكنات أساسا إلى ما كان يجده بعض الأعاجم من صعوبة في التكيف العضوي لمخارج الحروف العربية التي لا توجد في لغاتهم ، خاصة أن لكل لغة حروفا تدور في أكثر كلامها ، مثل " استعمال الروم للسين و استعمال الجرامقة وهم من السريانيين للعين " . ([2])

يقول الجاحظ : " قال الأصمعي : ليس للروم ضاد ، و لا للفرس تاء و لا للسريان ذال " ([3]) ولهذا كانت اللكنة التي يعرفها بقوله : " ويقال في لسانه لكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول " ([4])

ونبه الجاحظ إلى أنه من الممكن أن يستدل على جنس المتكلم الأعجمي من مخارج حروف كلماته حتى وإن كانت ألفاظه متخيرة منمقة ومن ثم ميزت الحروف بين لكنات الأعاجم فكشفت عن أجناسهم لأن لكل جنس منهم لكنته النابعة من قدرته اللغوية، ويعلل عدم تعلم اللغة في السن الكبيرة المتقدمة لما تصحبه من صعوبة في النطق تسبب لكنات بعض الأعاجم وهي الفئات الدخيلة على المجتمع العباسي في عصر ازدهار الحضارة العباسية فهو يقول : " ألا ترى أن السِنْدي إذا جلب كبيرا فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا، ولو أقام في عليا تميم وفي سفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاما ، وكذلك النبطي القح خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط ، لأن النبطي القح يجعل الزاي سينا ، فإذا أراد أن يقول زورق قال (سورق) ويجعل العين همزة فإذا أراد أن يقول مشعل قال مشئل " . ([5])

ويقول الجاحظ في عيب آخر من عيوب نطق الأعاجم لألفاظ العربية : " فإذا

---

[1] – أمين الخوالي ، مشكلات حياتنا اللغوية ، ص 14 – 16 .

[2] – الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 64 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 65 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 39 – 40 .

[5] – المصدر السابق ، ص 70 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

كان الثقل الذي في لسانه من قبل العجمة قيل : في لسانه حكلة". [1] " فإذا قالوا في لسانه حكلة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال " . [2]

ويختلف مبلغ ما تأخذه لغة عن أخرى باختلاف العلاقات التي تربط الشعبين وما يتاح لهما من فرص للاحتكاك المادي و الثقافي فكلما قويت العلاقات التي تربط أحدهما بالآخر، وكثرت فرص احتكاكهما نشطت بينهما حركة التبادل اللغوي . [3]

والمفردات التي تقتبسها لغة ما عن غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل هذه اللغات أو برزوا فيها أو امتازوا بإنتاجها أو كثرة استخدامها ..الخ ، فمعظم ما انتقل إلى العربية من المفردات الفارسية و اليونانية يتصل بنواح مادية أو فكرية امتاز بها الفرس و اليونان وأخذها عنهم العرب. [4]

وتخضع في الغالب الكلمات المقتبسة للأساليب الصوتية في اللغة التي اقتبستها و لمقومات هذه اللغة ، فينالها كثير من التحريف في أصواتها وطريقة نطقها وتبعد في جميع هذه النواحي عن صورتها القديمة ، فالكلمات التي أخذتها العربية مثلا عن الفارسية أو اليونانية قد صبغ معظمها بصبغة اللسان العربي حتى بعد كثيرا عن أصله، ومن ثم نرى أن الكلمة الواحدة قد تنتقل من لغة إلى عدة لغات فتتشكل في كل لغة منها بالشكل الذي يتفق مع أساليبها الصوتية ومناهج نطقها ، حتى لتبدو في كل لغة منها غريبة عن نظائرها في اللغات الأخرى . [5]

فقد كان العرب يغيرون الحروف الأعجمية إلى حروف عربية وهناك أمثلة كثيرة على إبدال أصوات بأخرى ، ولكن المتتبع للتبدلات الصوتية يجد أنها لم تجر في لسان الأقدمين على قاعدة مطردة ، ويبدو أن العامل الذي يتحكم فيها متغير في كل الأحوال ومن ثم لم تطرد قاعدتها غير أن هناك مقاييس عامة استقر عليها الأقدمون يمكن الاحتكام إليها في معرفة اللفظ الأعجمي سواء عرب أم بقيت له

---

1 – الجاحظ ، الحيوان ، ج4 ، ص 12 .

2 – الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 40 .

3 – علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص 254 .

4 – المرجع نفسه ، ص 25526 .

5 – علي عبد الواحد وافي ، اللغة والمجتمع ، ص 26

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

عجمة.

وقد بلغ من دقة ضوابط التعريب أن استطاع اللغويون استخلاص القوانين التي كانت العربية تجري عليها في تعريب الدخيل و إلحاقه و التصرف فيه ، كما استطاعوا من العصور الإسلامية الأولى استنباط قواعد لمعرفة المعّرب و الدخيل والقيام بمحاولات إحصائية لحصر ألفاظهما وردها إلى أصولها من اللغات الأخرى . ([1])

ولا يخفى أن قسما عظيما من الأفعال العربية أصلها أسماء جامدة ، ربما كانت في الأصل أعجمية معّربة، والغالب فيها أن تكون رباعية كقولهم : " فلسف " وتفلسف الرجل تحكم (من الحكمة) وتحذق بالشيء والأصل فيها كلمة يونانية هي " Philosophia " الفلسفة، وهذه مركبة من أصلين "PHILIA" حب " SOFFA " الحكمة، وأمثال هذه الكلمات كثيرة في العربية وأكثرها مأخوذ عن الفارسية أو اليونانية أو اللاتينية، واللغة لا تنفك عن الاستعارة في كل آن وزمان ، فإن العامة تقول " ستف " بمعنى رتب صفوفا بعضها فوق بعض ، وهي لفظة كثيرة الاستعمال بينهم ولا نرى لها ذكرا في كتب اللغة ، فالظاهر أنها معربة من "STOW" التي هي و"STUFF" من أصل واحد ، فيرجح أن عامتنا أخذت هذا الفعل عن الانجليز ولو حصل ذلك قبل أن جمعت اللغة لكانت هذه اللفظة معدودة الآن بين الألفاظ العربية ولما تجرأنا على القول بأنها مأخوذة عن لغة أعجمية فما المانع من حصول مثل ذلك في اللغة قبل أن جمعت، وهي إذ ذاك أكثر قبولا لمثل هذه الاستعارات نظرا لاحتياجها إلى الألفاظ " . ([2])

ففي اللغة بوجه خاص نعرف أنه قد كان هناك اتصال لغوي قديم بين العربية و لغات الشعوب التي تعربت بعد الإسلام ، ولسنا نوغل بهذا القديم إلى الأصول البعيدة لما يعرف باللغات السامية و الحامية و الآرية ، وإنما حسبنا أن نشير إلى المعروف من صلات العربية باللغات التي خالطتها في الجاهلية ، فقد كانت الإمارتان العربيتان في الحيرة والشام على اتصال سياسي وحضاري وثقافي بالفرس

---

[1] – الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، وضع حواشيه وعلق عليه خليل عمران المنصف، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1419هـ/1998م، ص 7 – 11 ، والسيوطي، الباب التاسع عشر من المزهر.

[2] – جرجي زيدان ، الفلسفة اللغوية و الألفاظ العربية ، ص 111 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والروم ، ومعروف من تاريخ الأدب الجاهلي، وهو من أهم المصادر اللغوية للفصحى أن أمراء المناذرة والغساسنة كان لهم شعراء عرب مختصون بهم ، وإلى هؤلاء الأمراء كانت رحلة الشعراء من الجزيرة العربية ، فمنهم من كانوا يؤثرون المقام في بلاط الأمراء كالنابغة الذبياني ، ومنهم من كان يكتفي بالوفود على الحيرة وغسان ابتغاء الصلة كالأعشى، أو لعرض قضايا قبائلهم كالحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم ، ومنهم من كانت الظروف تسعى به إلى الأمراء كطرفة بن العبد ، وهؤلاء على سبيل المثال معدودون من فحول الشعراء الجاهليين ، وكلهم من أصحاب المعلقات.

وقد كانت دواوينهم من المصادر الأولى لجمع معجم ألفاظ العربية ووضع قواعدها في النحو والصرف والعروض والبلاغة، وعن هذا الطريق اتصلت عربية الجزيرة بلغات الشام والعراق، وقد صارا بعد من أكبر أقطار الوطن العربي وعرب الحجاز وفيهم لغة قريش كانوا على اتصال موسمي بالشعوب المجاورة جنوبا وشمالا في رحلتي الشتاء والصيف، وبمصر والسودان عن طريق سيناء والبحر الأحمر، كما كان لعرب الجنوب صلاتهم التجارية ومخالطتهم اللغوية للشعوب الواقعة على الساحل الشرقي والشمالي لافريقية والساحل الجنوبي لأسيا عبر البحر الأحمر وخليج عدن وبحر العرب، ثم كان هناك بين قبائل العرب نفسها اتصال حيوي مستمر. ولعل أقواه ما كان في الحجاز حيث العاصمة الدينية و الاقتصادية والأدبية الكبرى لبلاد العرب.

وهناك أسماء كثيرة – ذكرتها المصادر التاريخية للعصر الجاهلي – ممن كانوا يعرفون إلى جانب لغتهم العربية لغة أخرى أو أكثر من لغات الشعوب التي كان لها بالجزيرة العربية اتصال، ومهما يكن عدد هؤلاء فإن كتب التاريخ لا تذكر عادة إلا ذوي الشهرة منهم كالشعراء والمترجمين الرسميين كعدي بن زيد ولقيط بن معمر، ومن اشتهروا بالقراءة في الكتب الدينية أو اكتتبوا قصص الشعوب وأساطيرها كورقة بن نوفل وسويد بن الصامت ، وكذلك الأمر في عصر المبعث قبل حركة الفتوح ، تقتصر كتب التاريخ – عادة – على ذكر ذوي المكانة مثل كتّاب الرسول (ﷺ) الذين كانوا يكتبون له إلى الملوك ويترجمون رسائلهم من اللغات الفارسية أو القبطية أو الحبشية، فالذي لاشك فيه أن المسألة في هذا لم تقف عند حالات فردية لأشخاص معروفين بأسمائهم بل تجاوزتها إلى النطاق العام ، فكان هناك عرب غير هؤلاء يعرفون لغة أو أخرى من لغات الشعوب التي كانوا

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

يتعاملون معها، كما كان هناك من أهل هذه الشعوب من يعرفون العربية ، ثم كانت هناك مخالطة لغوية بين هذه الألسن تأخذ طريقها من حيث يريد أهلها أو لا يريدون.

ويتجلى أثرها فيما دخل معجم العربية القسم من ألفاظ دخيلة ومعربة حاول بعض علماء العربية استقصاءها وردها إلى أصولها من لغات غير العرب ، كأبي منصور الجواليقي في" المعرب" والشهاب الخفاجي في " شفاء الغليل فيما في ألفاظ العربية من الدخيل" وجلال الدين السيوطي في الباب الذي عقده في " المزهر" لما أخذت العربية من اللغات الفارسية والسريانية والعبرية والرومية والحبشية والقبطية .([1]).

وأيا ما كان جهد اللغويين القدامى في تحاشي الأخذ من تراث هذه القبيلة أو تلك ، ورفض اعتماد شعرها في الشواهد اللغوية ، فالذي لاشك فيه هو أن المخالطة اللغوية كانت واقعا لا مفر منه ، وأن هذه القبائل المتجنبة كانت تخالط القبائل العربية في المناطق المعتمدة حجة في الفصاحة ، وكان من الاتصال التجاري و السياسي بين شعوب المنطقة اتصال فكري ولغوي تحكمه مؤثرات حيوية أخذا وإعطاء ، في حدود ما تقتضي به ضرورات الجوار والتعامل ، وتضبطه في الوقت نفسه عن قصد أو غير قصد عوامل مضادة من حرص الشعوب على صيانة قومياتها ووعيها لما في التفريط في اللسان من مسخ للشخصية القومية وتفريط للذات . ([2]) .

فإذا " كانت عملية الاتصال غاية من الغايات السامية التي تهدف إليها اللغة ، فلابد أن تكون هذه اللغة في خدمة المجتمع الذي يستعملها ، ولابد أيضا أن تحمل بين أحضانها وسائل ملائمة تساعد أفراد هذا المجتمع على تحقيق تلك الغاية، وقد تفاعلت اللغة العربية عبر مختلف عصورها مع لغات أخرى واحتكت بها بطرق متنوعة ولكنها تمكنت من صيانة خصائصها الإعرابية وصيغ عددها ودلالات زمنها وأحكام اشتقاقاتها، وهو ما دفع ببعض العقول الأوربية المنصفة إلى الإقرار بأن العربية قد احتفظت بكثير من الأصول السامية القديمة في مفرداتها وقواعدها وأنه

---

[1] – عائشة عبد الرحمن ، لغتنا و الحياة ، ص 29 – 31 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 35 – 36 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

تكاد لا تعادلها في ذلك أية لغة سامية أخرى " . ([1])

وفي احتكاك العربية بغيرها من اللغات القديمة تبرز تلك العلاقة الخاصة بينها وبين الفارسية لما كان للعنصر الفارسي من دور في المجتمع العربي آنذاك.

أ / 1 – الشعوبية صراع لغوي :

فلم يكن هناك صراع ديني بين العرب والفرس في عهد بني أمية ، بل صراع لغوي، أو صراع بين قوميتين ، وظهرت بوادر هذا الصراع حين قام عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين في الأمصار، فقد قوي الشعور بالقومية العربية في عهده، إذ تبين للعرب بعد اتصالهم بالأمصار أن لهم لسانا عربيا مبينا يتميزون به ويحسنون وحدهم أداءه ونظم الكلام بألفاظه وعباراته والنطق بأصواته فاشتد تعلقهم واعتزازهم بهذا اللسان .

ولذلك قرّب عبد الملك بن مروان شعراءَ الدولة وأدباءَها من مجلسه ، ونصّب نفسه حاميا لتلك اللغة الشريفة، واشتهرت في عهده المجالس الأدبية التي اجتمع فيها الشعراء وأهل الفصاحة والبيان وأثيرت فيها مسائل من النقد الأدبي والغوص في نواحي الجمال والبلاغة في النص العربي. ([2])

وقد تغير هذا الوضع عند مجيء العباسيين ، فقد كانت الدولة العباسية ذات طابع فارسي في معظم مظاهرها ذلك أن العباسيين اعتمدوا على الفرس في تأسيس دولتهم، فقد كان لهؤلاء الفضل في عودة السلطان لآل العباس وانتزاعه من أيدي الأمويين لذلك مال العباسيون للفرس وأخذوا عنهم نظم الحكم وقلدوهم في الأزياء و الطعام وفي أشياء كثيرة ، فكان للغة الفرس دور كبير في حياة الناس أيام العباسيين، وكان كثير من الناس في هذه الدولة يتكلمون العربية والفارسية بل كان الأمراء والوزراء وجلهم من الفرس يؤثرون الكلام بالفارسية حتى في قصور الخلافة ، واقتصر شأن العربية على المسائل الدينية و العلمية وبين الخاصة من المثقفين الذين اشتهر أمرهم في كتب التاريخ وذلك في المناطق التي نأت من بلاد

---

[1] – د.التجيني بن عيسى، مقال" تأثير اللغة العربية في اللغة العبرية " ، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، ص 131

[2] – إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، ص 184 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفرس كخراسان ونحوها، أين أصبح العامة لا يصطنعون إلا الفارسية في كلامهم ولا يكادون يعرفون من العربية إلا بضع آيات من القرآن الكريم يتعبدون بها في صلاتهم ونسكهم ويرددونها في رطانة أعجمية ، وقد بلغ من تأصل الفارسية في تلك النواحي النائية من فارس أن شق على كثير من المسلمين هناك حتى قراءة فاتحة الكتاب في ألفاظها وأصواتها العربية. ([1])

وما يسمى بالشعوبية أو الانفصالية في نظر بعض الناس ليس في الحقيقة إلا القومية في نظر الفريق الآخر، وهكذا نرى أن الحركة السياسية الواحدة قد يسخط عليها قوم فيطلقون عليها الشعوبية ، ويرضى عنها آخرون فيسمونها بالقومية ، فالحركة التاريخية التي ظهرت بوادرها في أواخر عهد بني أمية كانت من وجهة نظر العرب حركة شعوبية ومن وجهة نظر الفرس حركة قومية . ([2])

ومعظم ما يروى لنا من مظاهر الشعوبية في كتب اللغة و الأدب لا يعدو مجموعة من الأشعار تتضمن ذكر مثالب العرب ، وأخرى يرد بها أصحابها منوهين بمحاسن العرب وطاعنين على الفرس والحياة الفارسية ، فإذا شئنا البرهنة على أن هذه النزعة لم تكن إلا صراعا بين العربية والفارسية، وجب الاستئناس بكتاب الجاحظ " البيان والتبيين " وبالكتب الأخرى التي أشارت إلى الشعوبية ككتاب " العرب" لابن قتيبة ، وكتاب " العقد الفريد " لابن عبد ربه ، ويعد كتاب الجاحظ أسبق هذه الكتب وأوفرها ذكرا للشعوبية وسرد حوادثها ذلك لأن الجاحظ عاش حياته كلها يشهد مآسي الشعوبية وما آلت إليه تلك النزعة الانفصالية بين قوم اتحدوا دينا وأصبحوا بعد الإسلام إخوانا في الدين.

ولكن اتصال اللغتين العربية والفارسية قد ولد الاحتكاك بين الفريقين، فقد وجد الموالي من الفرس أنفسهم عاجزين عن السيطرة على الأداء العربي و النطق العربي فأصابتهم عقدة النقص، كما تبين للعرب تفوقهم في هذا فأصابتهم عقدة التفوق فانعزل هؤلاء عن هؤلاء ولم يشفع لهم إزاء تلك العقدة اللغوية ما كانوا عليه من وحدة دينية إسلامية، واتجه كل فريق إلى الطعن في لغة الفريق الأخر ورميها بسهام مسمومة أو على الأقل النيل من مزاياها وخصائصها .

ويروي لنا الجاحظ – وهو من نصب نفسه مدافعا عن لغة العرب ضد

---

[1] – المرجع السابق ، ص 190 – 191 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 192 – 193 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

هجمات الشعوبيين – طرفا من تلك المشاحنات التي قامت بين هـؤلاء وهـؤلاء ، ونلحظ مما روي أن الفريقين قد وجهوا كل عنايتهم إلى النواحي الوثيقة الصلة باللغة ، ففي حديث الجاحظ عن البلاغة والبيان يشيد بفصاحة العرب ويثبت اللكنة والرطانة للأعاجم مستدلا على ذلك بأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ثم يوازن بين الشعر العربي وما يسميه الفرس شعرا في لغتهم ، فيقول إن العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، فتضع موزونا على موزون، والعجم تمط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن موزونا على غير موزون.([1])

ويؤكد لنا حقيقة أن الشعوبية صراع بين اللغتين العربية و الفارسية أحمد أمين بقوله في ضحى الإسلام : " إن من أهم أهداف الشعوبيين النيل من آداب العرب وذلك بالعمل على إفساد الأدب العربي وإضاعة معالمه بنسبة الشيء إلى غير قائله كالذي قام به أبو عبيدة الذي كان أوسع علما وأكثر ثقافة ، فقد عرف تاريخ الفرس لفارسيته والثقافة اليهودية ليهودية آبائه ولكنه لم يكن يحسن التعبير كالأصمعي ، فالأصمعي يمثل العربية ويتعصب لها وأبو عبيدة يمثل فكرة الشعوبية و البحث عن معايب العرب والتشهير بهم . ([2])

" ومن أدلة الصراع بين اللغتين ما يقال من أن الشعوبية قد دفعت بحماد الراوية وخلف الأحمر لينتحلا أشعارا على العرب القدماء رغبة في إفساد آدابهم و الانتقاص من لغتهم . ([3])

فنزعة الشعوبية ليست في حقيقة أمرها سوى صراع بين اللغتين العربية و الفارسية ، وقد عنى الجاحظ بوصف نطق الأعاجم للأصوات العربية وكان مما قرره في هذا الشأن أن الأعجمي لا يقدر على إتقان النطق بهذه الأصوات العربية (ولو أقام في عليا تميم وفي سفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاما) ، لهذا فإن تسمية العربية بلغة الضاد قد شاعت في القرن الرابع الهجري للتمييز بين العرب وغيرهم من الفرس والأتراك. وأن نشأة هذه التسمية قد بدأت في بغداد ومنها انتقلت

---

[1] – المرجع السابق ، ص 194 – 196 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 197 ، و أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج1 ، ص 49 .

[3] – د. إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، ص 197 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

إلى بعض البلاد العربية الأخرى . ([1])

فقد ظهر الخلط بينها وبين الظاء في المشرق بصفة خاصة بعد أن تغلغل الفرس و الأتراك في البلاد العربية ، ولما استفحل الأمر في القرن الرابع الهجري شهد من علماء العربية من ألفوا كتيبات ينصون فيها على الكلمات التي تكتب بالضاد والتي تكتب بالظاء ، مثل الكتاب الذي ألفه الصاحب بن عباد وسماه " الفرق بين الضاد والظاء" وحينئذ أي في القرن الرابع الهجري شاع اختصاص العربية وحدها بالضاد ثم استمر علماء اللغة بعد هذا القرن في جهادهم للتمييز بين الضاد و الظاء رغبة في التمييز بين العربي والفارسي أو الأعجمي الذي تمثل لهم في الفرس و الأتراك حينئذ . ([2])

ب – الترجمة و التعريب قديما :

لقد بدأت الحضارة العربية الإسلامية بنزول القرآن الكريم الذي أنشأ أمة – كانت أمية – ورفعها حتى تسنمت قمة الركب في الكرة الأرضية في غضون سنوات يسيرة ، وقد توالت بعد العصر الراشدي عصران هما العصر الأموي و العصر العباسي فيهما ازدهرت الحضارة أيما ازدهار، وذلك للنشاط العالمي الذي قام به العرب إبان هذين العصرين في مجالي الترجمة والتعريب وما نقلوه من العلوم و المعارف من الحضارات السابقة و المجاورة .

لكن هذا لا ينفي معرفة العرب لهذا النشاط العلمي قبل الإسلام فقد " عرف العرب قبل الإسلام شيئا من النقل، فإن أشياء من التوراة والإنجيل كانت منذ الجاهلية معروفة في اللغة العربية، وكانت وفود العرب على كسرى ، وانتقال العرب بالتجارة بين فارس والعراق والشام ومصر والحبشة ، تدل على وجود نقل شفوي على الأقل" . ([3])

في حين أن حركة النقل نشطت في الإسلام لعدة بواعث هي : ([4])

---

[1] – المرجع السابق ، ص 198 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 200 – 201 .

[3] – عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص 111 .

[4] – المرجع نفسه ، ص 112 – 113 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أ – احتكاك العرب بغيرهم من الأمم اطلع العرب على ثقافات جديدة فأحب العرب أن يوسعوا بهذه الثقافات آفاقهم الفكرية.

ب – حاجة العرب إلى علوم ليست عندهم مما كانوا يحتاجون إليه في حياتهم.

ج – القرآن الكريم وحثه على التفكير وطلب العلم .

د – العلم من توابع الحضارة فحينما تزدهر البلاد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا تتجه النفوس إلى الحياة الفكرية و التوسع في طلب العلم.

هـ – رعاية الخلفاء للنقل والنقلة .

ب / 1 – العصر الأُمَوِيّ :

وقد كان ازدهار حركة الترجمة و التعريب راجع لعامل رئيسي مهم ألا وهو اهتمام الخلفاء بهذه الحركة العلمية الهامة وتقديرهم للعلم والعلماء ، فقد نشأت حركة الترجمة أيام الأمويين بتشجيع من خالد بن يزيد بن معاوية (ت 85 هـ) الذي أخفق في نيل الخلافة فانصرف إلى العلم. ([1])

نقل الدكتور علي النشار ([2]) عن الفرنسي لوكلير أن خالد بن يزيد بن معاوية أمر بعض علماء اليونان الذين كانوا في الإسكندرية بترجمة بعض كتب أرسطو المنطقية عن اليونانية إلى العربية .

كما نقل الدكتور محمد مرحبا ([3]) عن الفهرست لابن النديم أن خالدا كان ذا همة ومحبة للعلوم وأنه أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كانوا ينزلون بمصر وأمرهم بنقل كتب الكيمياء (أو الصنعة) من اللسان اليوناني أو القبطي إلى اللسان العربي وكان هذا أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة ، لكن رغم أن الترجمة بدأت في عصر بني أمية إلا أن الأمويين كانوا مشغولين بالفتوح وتوطيد

---

[1] – شحاذة الخوري ، دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب ، ج1 ، قدم له عبد الكريم اليافي ، ط1، دار الطليعة الجديدة ، دمشق، سوريا ، 2001 م ، ص 22 ، و أورنك زيب الأعظمي، حركة الترجمة في العصر العباسي، ط1، دار الحرف العربي للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت، لبنان 2005 م ، ص 26.

[2] – د. علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام و اكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، ط3 ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان 1404 هـ / 1984 م ، ص 22 .

[3] – مرحبا (محمد عبد الرحمن) ، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ، تقديم الدكتور جميل صليبا، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1970م، ص 66

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أركان الدولة فلم يتح للترجمة أن يتسع أفقها ، ومع ذلك فقد خطت معهم أولى خطواتها . ([1])

وقد ظلت أعمال الترجمة التي تمت في العصر الأموي أعمالاً فردية، ولم تأخذ شكل الفريق المتكامل أو الجماعة المتآزرة أو المشروع المنظم حتى جاء عصر العباسيين (133 – 656 هـ / 750 – 1258 م) فأخذت الترجمة و التعريب شكلا لم تشهده أمة من ذي قبل من حيث الفخامة والتنظيم ومن حيث الانفتاح على علوم الأمم الأخرى وثقافات شتى الشعوب ، وإذا كان العصر الأموي قد أنتج ثمارا لا بأس بها في مجال الترجمة ونقل العلوم و تعريب المعارف فإنه للأسف قد ضاع تراث العرب والمسلمين الذي وضع في هذا العصر أو قد يكون اندثر فلم يعرف عنه شيئا حتى الآن. ([2])

ب / 2 – العصر العباسي :

وجاء العصر العباسي ومعه العلوم تفيض فيضا في المملكة الإسلامية ، فنرى الثقافة اليونانية قد ترجمت بجميع فروعها من طب ومنطق وطبيعة وكيمياء ونجوم ورياضة وترجمت الرياضة الهندية والتنجيم الهندي ، وترجم تاريخ الأمم من فرس ويونان ورومان وغيرهم، والعلوم الدينية نرى أصحاب الديانات يتجادلون في أمور أديانهم ، والعلماء يجتهدون في شرح كل ما يعرض لهم من أمور الدين بعقلية منطقية وعبارات علمية ، وفي الطب و الرياضة وغيرها من العلوم التي تعتمد على التجارب والبراهين نرى بروز طائفة من العلماء التي اعتمدت كل الاعتماد على التجارب وأقوال المنطق ، وهذه الظاهرة جديدة في العصر العباسي ، وإن كانت نتيجة طبيعية لحياة الناس ونضوجهم العقلي . ([3])

وساعد استخدام الورق على اتساع الحركة العلمية وبهذا ظهرت المصنفات الكثيرة التي تحصّل كنوز الثقافات الأجنبية والعربية، ويقدم لنا الجاحظ قائمة بأنواع الكتب وأسماء المؤلفات الشائعة في عصره، ويصنفها بأنها تحتوي على كل أنواع

---

[1] – شحاذة الخوري ، دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب ، ج1 ، ص 22 .

[2] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة ، ص 84 .

[3] – طيبة صالح الشذر، ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة 1980 ، ص 268 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المعرفة فيقول: " وحسبك ما في أيدي من كتب الحساب و الطب و المنطق و الهندسة ومعرفة اللحون والفلاحة والتجارة ..." . ([1])

فقد كان العصر العباسي بحق أزهى عصور الترجمة و التعريب ، بل كان " العصر الذهبي للترجمة " فقد أصبحت الدولة هي راعية هذه الحركة فخصصت لها المبالغ المجزية والعلماء والمترجمين والبحث عن الكتب والمراجع من أصقاع الدنيا.

وأخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم و يترجمون الكتب الإغريقية و السريانية والفارسية وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية، وقد حمل لواء هذه الحركة العلمية العظيمة – التي امتدت بعد ذلك بضعة قرون – عدد من العلماء العرب الأعلام قاموا بأروع الانجازات العلمية وكتبوا أعظم المؤلفات والموسوعات وأضافوا إلى هذه التراجم الكثير من مبتكراتهم ، كان ذلك العصر عصرا ذهبيا للغة العربية فقد زخرت بآلاف المصطلحات و المقابلات و المأثورات، ما زال المشتغلون بالعلوم حتى اليوم يهرعون إلى نبعهم الفياض ليأخذوا كؤوس العلم والمعرفة بلغة عربية جزلة معطاءة اتسعت آفاقها الرحبة لمختلف العلوم و الفنون. ([2])

لقد شعر العرب والمسلمون كافة زمن الدولة العباسية بحاجتهم إلى الانتفاع بحضارات الأمم الغابرة وصناعتهم وليس من سبيل إلى ذلك إلا بالترجمة فاهتم الخلفاء بها ، فترجمت كتب السياسية و الطب والرياضة والفلك والتنجيم ، ومن أوائل مترجمي العصر العباسي الأول" ابن المقفع " الذي نقل كتب الفرس في السياسة وتدبير الملك والآداب وسير الملوك ، كما ترجم كتبا يونانية كانت نقلت زمن كسرى أنو شروان إلى الفارسية في المنطق والفلسفة وكتاب كليلة ودمنة الذي نقل إلى الفارسية من الهندية، وهذا الكتاب الأخير أحد الكتب الذي ضاع أصلها وبقيت ترجمته العربية فانتفع به الناس .([3]).

وقد كان أبو جعفر المنصور (135 – 158 هـ) – ثاني الخلفاء العباسيين – مولعا بالطب والنجوم والفلك والهندسة ، فكاتب ملوك الروم يطلب منهم ما لديهم في هذا الشأن، فبعثوا إليه كليات إقليدس في الهندسة وفي الطبيعيات ، وفي ذلك يقول

---

[1] – الجاحظ ، الحيوان ، ج1 ، ص 54

[2] – د. كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 85 .

[3] – حسن الأشموني ، أثر الترجمة في حضارة العرب ، ص 95 – 96 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المسعودي : " كان أبو جعفر المنصور أول خليفة ترجمت له كتب من اللغات العجمية إلى العربية، منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السند هند ، وترجمت له كتب أرسطو طاليس في المنطقيات وغيرها، وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية و السريانية وخرجت إلى الناس فنظروا فيها وتعلقوا إلى عملها ، وكان جورجيوس (160 هـ / 777 م) رئيس أطباء جند يسابور ، قد استقدمه المنصور ليكون طبيبه الخاص لما شاع عنه من مهارته الطبية، وكان يجيد اليونانية والفارسية، فقام بترجمة كثير من كتب الطب اليوناني والفارسي، وسار أولاده وتلاميذه على نهجه في الترجمات الطبية. ([1])

ثم فترت الترجمة بعد المنصور إلى أن أحياها البرامكة والرشيد فحثوا العلماء على ترجمة كتب كثيرة وصححوا بعض ما ترجم زمن المنصور . ([2])

وسار الرشيد على منوال أسلافه ففي الحملة التي افتتح فيها مدينتي عمورية وأنقرة أمر الرشيد عماله هناك بالمحافظة على ما فيهما من مكتبات ، ثم لم يلبث أن انتدب بعد ذلك طائفة من العلماء الذين يعرفون اليونانية والآرامية والسريانية للقيام بفحص ما تحتويه تلك المكتبات من مؤلفات تتحدث عن الطب والفلك والرياضيات و الحكمة والفلسفة وغيرها ، وقد اختار أولئك العلماء النفيس النادر من تلك المؤلفات وعادوا به إلى بغداد فأودعهما الرشيد بيت الحكمة و أوكل أمر العناية بها إلى الطبيب يوحنا بن ماسويه الذي أصبح رئيسا لبيت الحكمة ذاته فيما بعد ، وأمره أن يرعى هذه المنقولات وأن يعنى بترجمتها وأن يختار في سبيل إنجاز هذه الترجمة من يعاونه ممن أحسنوا اللغات إلى جانب اللغة العربية . ([3])

وشيّد الرشيد بيت الحكمة ببغداد (830 م) فلما آلت الخلافة إلى المأمون (198 – 218 هـ) سار سير والده – بل أشرف على الذروة – حيث وجه همته إلى الترجمة والتأليف حيث كان يميل بطبعه إلى كتب الحكمة ولاسيما كتب الفلسفة والمنطق، وأكثر ما ترجمه هذا اللون لأنه رأى فيه خير عون على دعم العقل وتحكيم المنطق، واهتم المأمون ببيت الحكمة وجذب له العلماء والمترجمين من كل حدب وصوب . ([4])

---

[1] – كارل السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 85

[2] – حسن الأشموني ، أثر الترجمة في حضارة العرب ، ص 96.

[3] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 85 . .

[4] – المرجع السابق ، ص 85 – 86 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

كما أرصد المأمون علماء لتهذيب الكتب المترجمة وتوجيه الأسماء المعربة من الأعلام والأجناس على ما يناسب المنطق العربي. ([1]) فبلغت حركة الترجمة في عصر المأمون أوجها حين عربت ألفاظ الطب والطبيعة والكيمياء والفلك و الرياضيات والفلسفة، وما يزال كثير من هذه الألفاظ صالحا للتعبير عن هذه العلوم إلى يومنا هذا. ([2])

و لما كانت الدولة هي راعية النهضة ومفجرة ينابيع الحضارة، فإن الأفراد في عصر الدولة العباسية كان لهم دور كبير في العناية بالترجمة، فقد كان لبعض أهل الثراء ممن عرفوا بالعلم والفضل نصيب وافر في هذا المضمار، ولقد كان لإقدام المأمون على ترجمة كتب العلم و الفلسفة أثر كبير في نفوس الأغنياء من رعيته ، فاحتذى بعضهم حذوه في طلب كتبها والإغداق على مترجميها، ومن هذا البعض: بنو موسى المنجم (من أثرياء القرن الثالث الهجري) فقد كانوا كثيري الاهتمام بنقل الكتب إلى اللغة العربية ولاسيما كتب الرياضيات وكانت لهم دار مخصصة لإقامة المترجمين فعهدوا فيها بالترجمة إلى عدد من النقلة المشهورين، فيرزقونهم بخمسمائة دينار في الشهر للنقل والملازمة كما يقول السجستاني. ([3])

ويقول الدكتور حسن فتح الباب ([4]) : " اقترن عصر استقرار الدولة الإسلامية وازدهارها واتساع نفوذها وترامي أطرافها بازدهار البحث العلمي عن طريق التبادل والتعاون بينها وبين الدولة الرومانية (البيزنطية) بصفة خاصة ، ولا غرو أن يطلق على عصر هارون الرشيد وابنه المأمون " العصر الذهبي للفكر والمعرفة " وأن تبلغ فيه حركة البحث العلمي مدى بعيدا ، فلقد كان عصر الإحياء العلمي بحق لأنه العهد الذي ارتفعت فيه أعلام الإسلام على كثير من أقطار العالم الغنية بالموارد، وساد السلام الإسلامي مشارق الأرض ومغاربها، ويقول أيضا : لقد امتدت حركة الترجمة التي بدأها المأمون إلى جميع فروع العلم والمعارف ، ولم يأل العباسيون جهدا في استقاء العلوم و الفلسفات والرياضيات من شتى مصادرها والبحث عنها في منابتها القاصية، وغني عن الذكر أن نجاح حركة الترجمة والبحث العلمي يرجع في المقام الأول إلى حرية الفكر التي جاء بها الإسلام وكانت ديدن

---

[1] – الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص 163 .

[2] – صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص 320 .

[3] – مرحبا (عبد الرحمن) الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ، ص 74 – 75

[4] – د. كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 90 – 91 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المسلمين في تعاملهم مع غيرهم ، وصارت بغداد والكوفة والبصرة مراكز قيادة ومصادر إشعاع يقطنها أقطاب العلم والقيادات الفكرية ويقصدها طلاب العلم ويتزاحم عليها المتعطشون للمعارف والثقافة والعلوم والفنون.

ب / 3 – أشهرُ المترجمين و النَّقَلَة :

وقد استعان العرب المسلمون بكثير ممن لهم قدرة وباع كبير في عمليات نقل العلوم والمعارف المختلفة من اللغات الأخرى إلى العربية، وكان من أشهر المترجمين عن اليونانية و السريانية ماسرجويه الذي ترجم لعمر بن عبد العزيز (101 – 199 هـ) من السريانية إلى العربية موسوعة طبية يونانية وأبي يحيا (يوحنا) البطريق الذي كان من أوائل المترجمين، وقد استخدمه الخليفة المنصور وأتى من بعده ابنه يحي (أبو زكريا) بن البطريق الذي نقل كتاب " سر الأسرار" المنسوب لأرسطو إلى العربية، ومنهم الحجاج بن يوسف بن مطر الحاسب الذي ترجم " المجسطي" لبطليموس ومنهم سهل بن ريان الطبري، وهو الذي وضع الترجمة العربية الأولى لكتاب" الأصول" لإقليدس ومنهم أبو زكريا يحي بن ماسويه صاحب كتاب " دغل العين" .

وتلميذه حنين بن إسحاق العبادي أشهر مترجمي المؤلفات العلمية اليونانية إلى العربية فقد تعلم اليونانية وآدابها الطبية وتعلم العربية على الخليل بن أحمد وحذق السريانية والفارسية، ونقل عددا كبيرا من الكتب الطبية، وقد اختاره المأمون لرئاسة بيت الحكمة ومعه ابنه إسحاق وابن أخيه حبيش بن الحسن وتلميذه عيسى بن يحي بن إبراهيم ، ومنهم أبو بشر متى بن يونس وحنين بن إبراهيم الناطلي وثابت بن قرة الحراني الذي كان يحسن السريانية والعربية، وكان جيد النقل إلى العربية، ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكي الذي عاش في زمن الخليفة العباسي المستعين بالله ، وقد برع في نقل الكتب الطبية والرياضية والفلكية ، ومنهم ويوسف الخوري القسّ، ونيقولاوس الراهب .

أما أشهر المترجمين والنقلة عن اللغة الهندية فمنهم أبي عبد الله بن إبراهيم بن حبيب الفزاري الكوفي الذي اشتهر في ترجمة الكتب الفلكية في عصر المنصور، وقيل أنه هو الذي ترجم " السند هند الكبير" وقيل إن ابنه محمد هو الذي نقله عن

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الهندية . ([1])

ب / 4 – دقة الترجمة :

وإن مما يزيد إكبارنا بالمترجمين و المعربين في تلك الفترة الذهبية من حياة الأمة العربية والإسلامية أن هؤلاء لم تتوفر لديهم المعاجم والقواميس في أية لغة كانوا ينقلون منها، سريانية أو يونانية أو هندية أو فارسية أو غيرها، وإنما كانوا يعتمدون على أذواقهم وقدراتهم على إدراك المعاني والمراد إضافة إلى مقدرة كبيرة في اللغة العربية ذاتها خاصة في اشتقاقها وتصريفاتها. ([2])

وعن دقة المترجمين في ذلك العصر وأمانتهم في النقل يقول الدكتور توفيق الطويل كان أغلبهم يلتزمون الدقة و يتوخون الأمانة فيما ينقلون فكانوا في العادة يحرصون على أن تكون تحت أيديهم نسخ الأصل الذي ينقلون عنه ، وترجماتها في غير العربية – السريانية – ليقابلوا بين بعض والبعض الآخر، وكانوا يقسمون الجمل إلى بنود وفصول وفقرات حتى يتيسر نقل معانيها إلى العربية في وضوح لا يحتمل اللبس، كما كان يفعل ابن الأشعث فيما يروي ابن أبي أصيبعة، وشروحهم للأصل تشهد بأنهم كانوا على إلمام دقيق بالتعبيرات الدارجة والمصطلحات المألوفة في اللغة التي ينقلون عنها، ولعل النص الآتي من الفهرست لابن النديم يوضح مسلك المترجمين أو المعربين في زمن قيام الحضارة العربية الإسلامية العظمى.

(قال أحمد بن عبد الله بن سلام) : ترجمت صدر هذا الكتاب و الصحف و التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من اللغة العبرانية واليونانية والصابئة، وهي لغة أهل كل كتاب إلى اللغة العربية حرفا حرفا ، ولم أبتغ في ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه مخافة التحريف، ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته ولم أنقص إلا أن يكون في بعض ذلك من الكلام ما هو متقدم بلغة أهل ذلك الكتاب فلا يستقيم لفظه في النقل إلى العربية إلا أن يؤخر، ومنه ما هو مؤخر لا يستقيم إلا أن يقدم ليستقيم ذلك في العربية ، وأعوذ بالله أن أزيد في ذلك أو أنقص منه إلا على

---

[1] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة ، ص 90 – 91 . والمجلس الأعلى مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، ص 182.

[2] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 91 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

هذا الوجه الذي ذكرته وبينته في هذا الكتاب " . ([1])

وأما بخصوص قضية المصطلح العلمي في العصر العباسي ، فإن الدكتور محمد شرف صاحب المعجم الشهير" معجم العلوم الطبية والطبيعية " يقول في مقدمته : فإذا عرفنا أن الذين تولوا نقل علوم اليونان إلى العربية في عصر الخطباء العباسيين كانوا من النسطوريين و الكلدانيين والأعاجم ، وهؤلاء كانوا علماء أكثر منهم أدباء وإن كانوا تعلموا العربية فإنهم لم يتفقهوا فيها ولم يتقنوا آدابها ، فإننا لن نستغرب أن نجد ما عربوه مشحونا بالألفاظ الأعجمية مع أن لها في العربية مرادفات ، وأنهم لم يجروا في التعريب على نمط واحد يصح إتباعه إلا في أحوال معينة بل نجدهم صوروا الكلمات اليونانية بصور شتى يصعب على قارئها رجعها إلى أصولها ، ولم يذكر أحد منهم أو من أئمة اللغويين أي قواعد لما يعرب من الكلمات الأعجمية . ([2])

لكن مجمل القول أن أهل الترجمة و النقل في الحضارة العربية الإسلامية الزاهرة توخوا " البيان والإيضاح " ولم يتوقفوا أمام قضية المصطلحات ، بل كان كل مصطلح لا يسهل عليهم نقله بلفظ عربي أصيل بادروا إلى تعريبه تعريبا لفظيا من غير أن يحول ذلك دون نقل نص علمي برمته إلى العربية ، أو دون تأليف كتاب بالعربية تاركين للأجيال من بعدهم مهمة صياغة مصطلح مثيل لتلك الكلمات، هؤلاء الرجال مهما قيل عن جهودهم ومهما تعرضت أعمالهم للتحليل و النقد وإبراز بعض جوانب قصورهم فإنهم نهضوا بنهضة لم يسبق لها مثيل في العالم الإسلامي ، بل لا تدانيها نهضة في نفس هذا العالم حتى الآن، هؤلاء الذين على أكتافهم قامت الحضارة العالمية التي غذاها إبداع المبدعين و المؤلفين بعد اطلاعهم على كل ما تم نقله وترجمته ، أو ما بقي بلغاته الأجنبية دون ترجمة .

ج – جهود النُّحاة في إخضاع المعرّب للصيغ العربية :

ومن الحق أن الدارس لا يملك النصوص الكثيرة لإثبات وجود الكلمات المعربة في اللغة العربية في الجاهلية ، ولكن هناك من الظروف و الأدلة ما يقطع بحدوث ذلك فيها ، فالعرب في الجاهلية لم تكن أمة منطوية على نفسها ، بل فرضت

---

[1] – المرجع السابق ، ص 89 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 91 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

عليهم ظروف حياتهم الاتصال بمن جاورهم من الأمم سواء كان عن طريق التجارة أو الغزو أو الوفادة ، وهذه كلها وسائل للمخالطة واللقاء يتبعها نقل الألفاظ من اللغات الأخرى وتداولها بين العرب ، ولقد استعمل بعض الشعراء الجاهليين ألفاظا غريبة في شعره مما دعا العلماء فيما بعد إلى عدم الاحتجاج به . فأمية بن أبي الصلت مثلا كان – فيما يقال – يستعمل ألفاظا غريبة في شعره فيسمي الإله " السلطليط " والسماء " صاقورة وحاقورة " ، وأغلب الظن أن هذه الألفاظ كلها لم تكن من ابتداعه ، بل كانت مما اطلع عليه في الكتب الدينية التي يقال إنه كان يداوم قراءتها، وعدي بن زيد العبادي كان من نصارى الحيرة ، وقد عاش فترة في البلاط الفارسي والمعتقد أن هذه الفترة قد انعكس تأثيرها عليه في نقل ألفاظ من الفارسية واستخدامها بين العرب . ([1])

ولم تكن تنقطع الوفود العربية عن الرحلات إلى بلاد الفرس والروم و الحيرة وغسان والحبشة والهند والنتيجة بالضرورة تبادل الألفاظ بين العرب والأجانب، والدليل العلمي الحاسم على وجود المعرب من الألفاظ في الجاهلية هو القرآن الكريم ، فقد احتوى على ألفاظ كثيرة وصفها بعض الصحابة و التابعين – فيما روي عنهم – أنها من غير لغة العرب، كما ألف العلماء في ذلك كتبا خاصة وصنف السيوطي وحده كتابين في هذا الموضوع هما : " المتوكلي فيما في القرآن من المعرب " و " المذهب فيما وقع في القرآن من المعرّب " وقد جمع فيهما مجهودات السابقين عليه في الأفكار و الألفاظ . ([2])

ووجود المعرب في القرآن قضية علمية اختلف حولها العلماء اختلافا كبيرا على رأيين : أحدهما وجود المعرب في القرآن، وإلى ذلك ذهب بعض الصحابة و التابعين والعلماء ، منهم ابن عباس ووهب بن منبه وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء والسدي وأبو عمران الجويني وعمرو بن شرحبيل وأبو موسى الأشعري والزمخشري وابن الحاجب و السيوطي وغيرهم ، ثانيهما : أن القرآن لا يحتوي على غير العربي من الألفاظ ، وهو مذهب كثير من العلماء ومنهم الإمام الشافعي وأبو عبيدة وابن فارس وابن جرير الطبري و الباقلاني

---

[1] – محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 105 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 106 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والرازي ... وغيرهم .([1])

لهذا فقد ارتضى الدارسون المتأخرون الرواية التالية عن أبي عبيد القاسم بن سلام ، وقد أوردها الجواليقي بعد أن أورد قول أبي عبيدة : من زعم أن في القرآن لسانا سوى العربية فقد أعظم على الله القول واحتج بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ ﴾ . ([2])

و الرواية هي : قال أبو عبيد : وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم في أحرف كثيرة أنه من غير لسان العرب ، مثل (سجيل و المشكاة و اليّم و الطور و أباريق وإستبرق) ، وغير ذلك، فهؤلاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة ، ولكنهم ذهبوا إلى مذهب وذهب هذا إلى غيره وكلاهما مصيب إن شاء الله تعالى ، وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل ، فقال أولئك على الأصل ثم لفظت به العرب بألسنتها فعربته فصار عربيا بتعريبها إياه ، فهي عربية في هذه الحال ، أعجمية الأصل فهذا القول يصدق الفريقين جميعا . ([3])

وجاء في مفتاح السعادة " العرب العاربة قد اختلطت بسائر الألسنة في أسفارهم فعلقت في لغاتهم ألفاظ حتى جرت مجرى الفصيح واستعملوها في أشعارهم ومحاوراتهم ولهذا نزل بها القرآن " .([4])

وسواء كانت الألفاظ الواردة في القرآن من لغات أخرى أعجمية باعتبار الأصل، عربية باعتبار الحال، أم أعجمية باعتبار الأصل و الحال ، فإن ورودها في القرآن يدل على أن العرب قد فهمومها وتقبلوها وفهمهم لها يدل على شيوعها بينهم من قبل أن يأتيهم بها ، وهذا يثبت ما نحن بصدده من وجود الألفاظ المنقولة من لغات أخرى في الجاهلية ومن استمرار ذلك حين جاء الإسلام .

ومع مجيء الإسلام ازداد اختلاط العرب بالأجانب بالفتح و الهجرات و الرق و الخدمة، وترتب على ذلك استخدام الألفاظ الأجنبية في العربية ووجود ألفاظ عربية في اللغات التي احتكّت بالعربية وهذه الألفاظ المعربة قد ضمت الكثير منها

---

[1] – أحمد القوص، المعرب في القرآن ، مخطوط دار الكتب 465 لغة تيمور. ص 199 .

[2] – سورة الزخرف ، الآية 3 .

[3] – الجواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي ، ص 6 .

[4] – طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى) ، موسوعة مصطلحات مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم ، تحقيق د. علي دحروج ، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان 1998م، ص 912، ج2 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

– فيما بعد – المعاجم العربية والمصنفات الخاصة بالتعريب دون الإشارة إلى تاريخ استخدامها في اللغة العربية، ومع ذلك فمن المؤكد أن حركة النقل اللغوي في القرن الأول قد استمرت وزادت عما كان عليه الأمر في الجاهلية، على أن أهم موقف واجه العرب فيما يتعلق بالتعريب جاء في بداية القرن الثاني الهجري حين اتسع نشاط الثقافة العربية تأليفا وترجمة فازدادت الحاجة لكلمات جديدة ومصطلحات جديدة. ([1])

وكان من الطبيعي أن يهتم علماء العربية – رحمهم الله – بظاهرة التعريب كما اهتموا بغيرها من الظواهر الطارئة على الكلام العربي ، وذلك بهدف دراستها وجمع روايات السابقين المتناثرة عنها ، والتمييز بين الكلمات المعربة وغيرها، وفي رصد جهود العلماء في هذه الظاهرة يتبين أنه قد تناولها أولا النحاة وأصحاب المعاجم و الفقهاء والمفسرون تناولا سريعا في إطار الاتجاه العام لمؤلفاتهم، فالنحاة تناولوا هذه الظاهرة مهتمين ببنية الكلمة المعربة وخضوعها لشروط الصياغة العربية ، كما تناولوها أيضا في باب علل الممنوع من الصرف ، وبدأ ذلك بكتاب سيبويه الذي جاء فيه عنوان نصه " هذا باب ما أعرب من الأعجمية " . ([2])

وأورد تحت هذا العنوان ما يتعلق بإبدال الحروف وطرق الصياغة و الإلحاق للكلمات المعربة وتابعه على ذلك النحاة بعده ، أما أصحاب المعاجم فيوردون بعض الكلمات المعربة لذكر معانيها ويقفون على ذلك بأنها معربة مع النص على اللغة التي عرّبت منها ،أما الفقهاء والمفسرون فقد أهمهم من ذلك كله وقوع المعرب في القرآن الكريم ومناقشة هذه الناحية بالرفض والقبول ،أما تخصيص ظاهرة التعريب وكلماته بمؤلفات مستقلة فقد تأخر– فيما يبدو – إلى القرن السادس الهجري وبدأ ذلك بكتاب الجواليقي (المعرب من الكلام الأعجمي) .

وتوالت بعده الجهود الخاصة بتلك الظاهرة بقلة أولا ثم بكثرة في العصر الحديث كما يتضح من الجدول الآتي : ([3])

اسم الكتاب	المؤلف وتاريخ الوفاة أو طبع الكتاب	الإشارة إلى وجوده
1 – المعرب من الكلام	لأبي منصور الجواليقي (ت 539)	مطبوع

[1] – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 109 – 110 .
[2] – سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، ص 303 .
[3] – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 112 – 113 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الأعجمي.		
2 – التـــذيل و التكميـــل لمـــا استعمل من اللفظ الدخيل.	عبد الله بن محمد البشبيشي (ت 820)	مخطوط
3 – المتوكلي فيما في القـــرآن من المعرب.	جلال الدين السيوطي (ت 911)	مخطوط
4 – المهذب فيمـــا وقـــع فـــي القرآن من المعرب.	جلال الدين السيوطي (ت 911)	مخطوط
5 – التعريب (رسالة)	ابن كمال باشا (ت 940)	مخطوط
6 – شفاء الغليل فيما في كـــلام العرب من الدخيل.	شهاب الدين الخفاجي (ت 1096)	مطبوع
7 – المعرب و الدخيل.	مصطفى المدني (القرن 11)	مخطوط
8 – قصد السبيل فيما في اللغة من الدخيل.	محمد الأمين المحبى (ت 1111)	مخطوط
9 – الطراز المذهّب في الدخيل و المعرب.	محمد نهاني (ت 1885 م)	مطبوع
10 – المعرب في القرآن الكريم	أحمد القوصي (ت القرن 13)	مخطوط
11 – الدليل إلى مرادف العامي و الدخيل.	رشيد عطية اللبناني (ت 1898 م)	مطبوع
12 – التقريب لأصول التعريب	طاهر بن صالح الدمشقي (ت 1337)	مطبوع
13 – التهـــذيب فـــي أصـــول التعريب.	أحمد عيسى (طبع 1342 هـــ)	مطبوع
14 – الاشتقاق و التعريب	مصطفى المغربي (طبع 1366)	مطبوع .

وقد دارت دراسة علماء اللغة الأقدمين للمعرب حول تحديد معناه والمقـــصود منه ووضع الضوابط لصيغه، ومعرفة هذه الأمور تؤدي إلى استخلاص موقفهم منه.

وقد اصطلح النحاة العرب على إدخال الاسم الأعجمي فـــي نظـــام العربيـــة بـــ" الإعراب " مرة وبـــ" التعريب" أخرى مثال الأول : قال ســـيبويه فـــي بعـــض عناوين كتابه " هذا باب ما أعرب من الأعجمية ". ([1]) ومثال الثاني قول ابن يعيش:

[1] – سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، ص 303.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

" التاء في (مَوازِجة) و (جَوَارِبة) دلالة على التعريب". ([1]) وجاء في شفاء الغليل: " التعريب نقل للفظ من العجمية إلى العربية و المشهور فيه " التعريب" وسماه سيبويه وغيرهم " إعرابا " فيقال حينئذ معرّب ومعرب " .([2]) وقال الجوهري في الصحاح : تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على مناهجها تقول عربته العرب وأعربته أيضا " . ([3])

وبما أن " تعريب الاسم العجمي أن تتفوه به العرب على مناهجها". ([4]) فإن متكلمي العربية قد اتخذوا إجراءات صيغية للعدول بهذا الاسم عن أصله كي يناسب أبنية العربية وليتضح من التعاريف السابقة أنها تتجه جميعا إلى وصف الناحية العملية و اللفظية في عملية التعريب، إذ ينقل العرب هذه الألفاظ أو يعيرونها ، أي يأخذونها كما عبر سيبويه في قوله : " اعلم أنهم مما يعيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة ..." . ([5])

أو يتكلفون إدخالها في لغتهم ويترتب على ذلك أحكام لفظية من إلحاق أو تغيير أو إعراب، وعن الكلمة المعربة جاء في كشاف اصطلاحات الفنون " المعرب عند أهل العربية لفظ وضعه غير العرب لمعنى استعمله العرب بناء على ذلك الوضع" . ([6])

وهذا هو الغالب في استخدام الكلمات المعربة وقل أن يحدث تغيير في معاني الكلمات المنقولة، وقد نص العلماء على ما يجب أن يتسم به اللفظ المنقول من لغة أجنبية كي يطلق عليه أنه " معرب" ففرقوا بين ما جاء في نصوص موثقة كالقرآن الكريم و الحديث، وما نقله العرب المعتد بكلامهم ، وبين ما نقله المولدون الذين لا يعتد بما جاء عنهم، أو بعبارة أخرى بين ما نقل عن عصر الاستشهاد في الحضر، وما استعمل بعد ذلك العصر، فقبلوا النوع الأول وحكموا صحته، وعزلوا

---

[1] – ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج5، ص 98.

[2] – الخفاجي (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، المتوفى سنة 1069 هـ) ، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، قدم له وصححه ووثق نصوصه وشرح غريبه الدكتور محمد كشاش ، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1418 هـ/1998 م ، ص 33 – 34.

[3] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 268.

[4] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج1 ، ص 687.

[5] – سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، ص 303.

[6] – التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، المجلد الثالث ، ص 195.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

النوع الثاني وأطلقوا عليه اسم " المولد ". ([1])

قال الجواليقي عن كتابه " المعرب من الكلام الأعجمي" : هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ونطق به القرآن المجيد وورد في أخبار الرسول (ﷺ) والصحابة والتابعين وذكرته العرب في أخبارها وأشعارها ليعرف الدخيل من الصريح. ([2]) ونقل الخفاجي النص السابق ثم زاد عليه قوله : " فما عرّبه المتأخرون يعد مولدا وكثيرا ما يقع مثله في كتب الحكمة و الطب " .([3])

وينبغي التنبيه إلى أنه يفهم من عبارات الأقدمين مثل (ما ذكرته العرب) أو (ما تكلمت به العرب) أو (ما نطقت به) عرف خاص لدى علماء اللغة ، يقصد به المادة اللغوية الموثقة في عصر الاحتجاج وبذلك يفهم من كلام الجواليقي أن المعرّب لا يطلق إلا على الكلمات التي استخدمها الناطقون من العرب في هذا العصر، أو التي وردت في نصوص موثقة كالقرآن والحديث، أما الذي نقله المولدون بعد ذلك فقد نص الخفاجي أنه يطلق عليه اسم المولد" .

أما عن جهود النحاة العرب في إخضاع المعرب لمسلك الصيغ العربية فإنه ينبغي أن يعلم منذ البداية أن هذه الجهود جاءت لتقنن لما قد حدث فعلا ، إذ أن نقل الكلمات الأعجمية إلى العربية لم ينتظر قواعد النحاة التي وضعوها للتعريب ليتوافق معها توافقا كليا، والناطقون الذين اتصلوا بالأعاجم ونقلوا الكلمات من لغاتهم لم يدر في حسابهم الإتيان بها على صيغ معينة أو التزام مطرد لحروف عربية خاصة مكان حروف أخرى في اللغات الأجنبية، وإنما يعرفون الكلمات من غيرهم فينطقونها على حسب ما سمعوها أو على حسب مقدرتهم على نطقها خصوصا مع لغات لم يكونوا يجيدونها كالفارسية والرومية والهندية وغيرها، والمتصور أن يأتي هذا النطق موافقا تماما لنطقها في لغتها أحيانا، أو يحدث فيه التغيير في كثير من الأحيان، وهذا التغيير الذي يحدث لا يلتزم دائما طريقة موحدة – كما أراد النحاة له من بعد أن يكون – فحاولوا – بجهد مشكور– أن يضعوا لها قوانين تحكمها مستهلين في ذلك بدراسة اللغة العربية باعتبار أن الكلمات الأجنبية قد استعملها العرب ،

---

[1] – محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 116 – 117 .

[2] – الجواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي ، ص 5

[3] – الخفاجي ، شفاء الغليل ، ص 33 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ولكن فرض منطق لغة على لغة أخرى إن صح في بعض الأمثلة فإن أمثلة أخرى كثيرة تبقى غير خاضعة له ، وترتب على ذلك أن المطلع على القوانين العلمية التي وضعوها للمعرب يلاحظ عليها القصور عن تغطية استقرائية صحيحة لأمثلة التعريب، كما يلاحظ أيضا أنها غير مطردة على اتجاه واحد ، فالقاعدة الواحدة تحتمل وجوها أخرى غيرها تذكر معها ، بحيث لا يؤدي كل ذلك إلى نتائج مقنعة ، ولم يكن المنتظر غير ذلك . ([1])

ويتمثل أهم ما تعرض له النحاة من قضايا التعريب في :

1 – الإلحاق بأبنية العرب :

قال سيبويه : اعلم أنهم مما يعيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما ألحقوه كلامهم وربما لم يلحقوه فأما الذي ألحقوه ببناء كلامهم فدرهم ألحقوه ببناء هجرع ، وبهرج ألحقوه بسهلب ، ودينار ألحقوه بديماس ، وديباج ألحقوه كذلك وقالوا إسحاق فألحقوه بإعصار، ويعقوب فألحقوه بيربوع ... ولما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم ثم عاد سيبويه يقول : وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم أو لم يكن نحو خراسان وخرم و الكركم . ([2])

وقال أبو حيان في الارتشاف : " الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام : قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي و الزائد و الوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع نحو درهم وبهرج ، و قسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله نحو آجر ويسفسير، وقسم تركوه غير مغير، فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعد منها وما ألحقوه بها عد منها ، مثال الأول : خراسان لا يثبت به (فعالان) ، ومثال الثاني خرم ألحق بسلّم . ([3])

والذي يفهم من هذين النصين أن الأمر المعتد به لدى النحاة هو الإلحاق لا التغيير فإذا ألحق الاسم بأبنية العرب – سواء غير أم لم يغير – أخذ أحكامها ،أو بتعبير سيبويه " لما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم ، وإذا لم يلحق بأبنيتهم

---

[1] – محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 118 – 119 .

[2] – سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، ص 303 – 304 .

[3] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 269 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

– غير أم لم يغير أيضا – لم يأخذ هذه الأحكام .

2 – تغيير الحروف و الحركات :

يقول سيبويه : وربما غيروا حاله عن حاله في الأعجمية مع إلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية ، فأبدلوا مكان الحرف الذي هو للمعرب عربيا غيره ، وغيروا الحركة وأبدلوا مكان الزيادة ولا يبلغون به بناء كلامهم لأنه أعجمي الأصل، فلا تبلغ قوته عندهم إلى أن يبلغ بناءهم وإنما دعاهم إلى ذلك أن الأعجمية يغيرها دخولها العربية بإبدال حروفها، فحملهم هذا التغيير على أن أبدلوا وغيروا الحركة كما يغيرون في الإضافة، إذ قالوا : هني نحو: زباني وثقفي ، وربما حذفوا كما يحذفون في الإضافة، ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون به البناء و ما لا يبلغون به بناءهم وذلك نحو آجروا بريسم وإسماعيل وسراويل وفيروز والقهرمان ،وقد فعلوا ذا بما ألحق ببنائهم وما لم يلحق من التغيير والإبدال والزيادة والحذف لما يلزمه من التغيير، وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم أو لم يكن نحو خراسان وخرم و الكركم . ([1])

ولأن الأعجمية يغيرها دخولها العربية – كما يقول سيبويه – حدث التغيير في الحروف والحركات بإبدال حرف مكان آخر أو تغيير الحركة أو حذف بعض الحروف في الصيغة أو الزيادة فيها ، أو ترك البنية على حالها إذا كانت حروفها من حروفهم ، لكن سمات التغيير – على هذه الصفة – عامة وغير منضبطة ، بل و لا يستطاع ضبطها بدقة لأنها خضعت لتصرف الناطقين لا لصناعة الدارسين ، ولذلك جاء أسلوب سيبويه عن هذا التغيير – في نصه السابق – حذرا استخدم فيه كلمة (ربّما) ثلاث مرات .

وقد نص القدامى على بعض المظاهر التي نظن اطراد التغيير فيها ، ومن ذلك ما ذكره الجواليقي: " وهذا التغيير يكون بإبدال حروف من حرف أو زيادة حرف أو نقصان حرف أو إبدال حركة بحركة أو إسكان متحرك أو تحريك ساكن ، وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه ، فمما غيره من الحروف ما كان بين الجيم و الكاف وربما جعلوه جيما وربما جعلوه كافا وربما جعلوه قافا لقرب القاف من الكاف ، قالوا : " كُربجٌ " وبعضهم يقول : " قربُقٌ " قال أبو عمرو سمعت

[1] – سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، ص 304 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الأصمعي يقول : هو موضع يقال له " كربكٌ " قال : يريدون " كـربجٌ " . وأبـدلوا الحرف الذي بين الباء و الفاء فاء وربما أبدلوه باء ، قالوا : " فـالوذٌ " و " فِرنـدٌ " وقال بعضهم : " بِرند" . وأبدلوا السين من الشين ، فقـالوا للـصحراء " دَسْـت " ، وهي بالفارسية " دشت" . وقالوا "سـراويل" و" إسـماعيل " وأصـلها " شـروال" و " إشماويل" ، وذلك لقرب السين من الشين في الهمس ..." . ([1])

ولو تابع الدارس التأمل في الكلمات التي حوتها كتب المعرب وأمكنته قـدرة الرجوع إلى اللغات الأعجمية التي نقل منها ذلك فسيخرج بمظاهر أخرى غير مـا نصوا عليه منها، بل إن الذي نصوا عليه منها لا تطرد ظواهره في كل الأمثلة. ([2])

ولنتأمل الأمثلة الخمسة الآتية مما أورده الخفاجي في شفاء الغليل : ([3])

1 – خندريس : اسم الخمر تكلمـت بـه العـرب قـديما ، قيـل : هـو معـرب (كندرة ريش) أي شاربها ينتف لحيته لذهاب عقله .

2 – دهقان : بفتح الدال وكسرها، معرب عن الفارسية (ده خان) أي رئيس القريـة ومقدم أهل الزراعة .

3 – زنديق : قال أبو حاتم : هو فارسي معرب (زنده كرد) أي عمل الحياة لأنـه يقول ببقاء الدهر ودوامه .

4 – سردار : من ألفاظ التراكمة وهي بالفارسية (أسفهسالار) ومعنـاه : رئـيس الجيش .

5 – سدير : علم قصر معروف ، وقد قيل : إنه معـرب مـن الروميـة وأصـله (سه دل) ، أي فيه ثلاث قباب متداخلة .

ففي **المثال الأول** : غيرت الكاف خاء والشين سينا، وهو مما لم ينص عليه الجواليقي في التغيير. وفي **المثال الثاني**: غيرت الخاء قافا ، ولم ينص أيضا علـى ذلك ، وفي **المثال الثالـث** : يلاحظ النقص في الصيغة مع إبدال الكاف قافـا ولـم

---

[1] – الجواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي ، ص 7– 8 .

[2] – محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 123 .

[3] – الخفاجي ، شفاء الغليل ، ص 136 – 150 – 165 – 183 – 183 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ينص عليه أيضا. وفي **المثال الرابع** : تكاد الصلة تنقطع بين الكلمتين وإن احتوى كل منهما على السين والراء وحرف المد الطويل. وفي **المثال الخامس** : يلاحظ إبدال الراء من اللام ومد حركة الدال. والذي يدل عليه ذاك أن " مسلك التغيير في التعريب لا يضبط بقوانين محددة وأن ما ذكره العلماء منها يصدق عليه أنه ملاحظات غير مطردة " . ([1])

3 – تحديد علامات المعرب :

وهو جانب آخر من جوانب الجهد الذي بذله علماؤنا للتمييز بين العربي و المعرب وقد اتجه ذلك بصفة خاصة إلى بيان صفات الصيغ المعربة من حيث اجتماع الحروف التي لا تجتمع في العربي، أو ذكر أوزان الكلمات التي لا تأتي على مثلها الكلمات العربية .

وقد جمعت كتب التعريب المتأخرة مثل " قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل " و" المعرب في القرآن الكريم " نماذج من ذلك، ويكفي هنا ذكر بعض الأمثلة التي ذكرها الجواليقي: " لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية فمتى جاءتا في كلمة فاعلم أنها معربة ، ومن ذلك " جلوبق " و" جرندق " و" الجوق "..، ولا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية ، من ذلك " الجص " و" الصنجة " و" الصولجان" ونحو ذلك، وليس في أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء ، فإذا مر بك ذلك فاعلم أن ذلك الاسم معرب نحو" نرجس" و" نرس" و" نورج " ...

وليس في كلامهم زاي بعد دال إلا دخيل من ذلك " الهنداز " و" المهندز ". وأبدلوا الزاي سينا فقالوا : " المهندس " ولم يحك أحد من الثقات كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء فإذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيل ، فأما أمثلة العرب فأحسنها ما بني من الحروف المتباعدة المخارج ، وأخف الحروف حروف الذلاقة ، وهي ستة : ثلاثة من طرف اللسان وهي : الراء والنون واللام و ثلاثة من الشفتين وهي : الفاء و الباء والميم، ولهذا لا يخلو الرباعي والخماسي منها إلا ما كان من "عسجد" فإن السين أشبهت النون للصفير الذي فيها والغنة التي في النون، فإذا جاءك مثال خماسي أو رباعي بغير حرف أو حرفين من حروف الذلاقة فاعلم أنه ليس من

---

[1] – محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 124 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

كلامهم" .([1])

كما :

1 – ليس في كلامهم وزن (فعالان) كخراسان .

2 – وليس في كلامهم وزن (فاعيل) كقابيل وهابيل ، وذلك معرب .

3 – وليس في كلامهم وزن (فعاويل) كسراويل وذلك معرب . ([2])

والحق أن هذا الجهد الذي بذل في استقصاء علامات المعرب وتصنيفها يقصر عن الإحاطة بكل ما عرب من الكلمات الأعجمية لوضعها في قواعد تنتظمها ويؤكد هذا تصفح كتاب واحد يضم كلمات نسب لها التعريب ، فإن الانطباع الذي يخرج به المرء من ذلك هو ما ذكروه من علامات التعريب ملاحظات تصدق على بعض الأمثلة ويبقى الكثير من الكلمات مما لا يخضع لهذه الملاحظات ، لأن ظروف مورد المعرب من لغات متعددة و ظروف نطقه من العرب الذين يجيدون هذه اللغات لا تسمح له بالنظام و التقنين . ([3])

وهذا لا يقلل من قيمة الجهد الذي بذله هؤلاء النحاة في تحديد المعرب و محاولة إخضاع الصيغ الدخيلة إلى بعض التغييرات والضبط الذي يسمح لها بالالتحاق بأبنية الكلمات العربية ، إلا أن هذا الجهد على أهميته يبقى يتطلب بذل المزيد من الدراسة والبحث لإزالة الكثير من الغموض ولكشف المزيد من الحقائق.

د – أثر الترجمة في حضارة العرب و لغتهم :

وقد سايرت العربية تلك الحركة التاريخية ذات الأثر البعيد في الحياة الفكرية واللغوية والحضارية فاستوعبت تراث الأمم القديمة لم تكد تدع منه شيئا ذا بال، وتمثلته وأدته إلى الإنسانية في زيه العربي وروحه الإسلامية، كما أضافت إليه رصيد علماء الدولة الإسلامية الذين تتابعوا على الميدان فقدموا جديدا من العلوم الطبيعية و الرياضية ودخلوا التاريخ رواد لآفاق لم يستشرق لها من قبلهم ، وتلقت المكتبة العربية أوليات الكتب العلمية التي ألفها الرواد فاستطاعت أن تؤدي

---

[1] – الجواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي ، ص 10 – 11 .

[2] – أحمد القوص، المعرب في القرآن ، ص 140 .

[3] – محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 126 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

مصطلحات العلوم الرياضية في الحساب والجبر والفلك كما أمكنها استيعاب المصطلحات العلمية في الطب والطبيعة والكيمياء والجغرافيا والصيدلة والنبات، في مثل مؤلفات جابر بن حيان وابن يونس والبيروني والخوارزمي والحسن بن الهيثم وابن البيطار والشريف الإدريسي وأبي بكر الرازي وابن سينا و الزهراوي وغيرهم من علماء عصر النهضة الإسلامية التي أخذت الدور القيادي للحضارة الإنسانية في العصر الوسيط وفي كتاب" كشف الظنون" لحاجي خليفة فكرة وافية عن مدى الطاقة التي مكنت العربية من أن تترك هذا الرصيد الضخم من المؤلفات في شتى فروع العلم والمعرفة والأدب ، مع تقدير أن هذا الذي في الكتاب هو ما بقي لنا إلى القرن الحادي عشر الهجري من ذخائر تراثنا، وبعد أن لقي أكثره مصيره الفاجع في حروب الصليبيين وغزو التتار. ([1])

إذن لقد كانت البداية بالأخذ أساسا وبعد هضم تلك العلوم انتقلت العربية من التقليد إلى الإبداع ومن مرحلة الأخذ من اللغات إلى مرحلة تقديم الثمار الفكرية والعلمية إلى سائر اللغات ، فلأول مرة في التاريخ شرع العرب في إنتاج المعرفة في مستواها الأرقى، فاخترعوا الأرقام التي تستعمل اليوم في العالم كله وتوصلوا إلى ابتداع فروع في الرياضيات لم تكن موجودة قبلهم كالجبر و المقابلة (الخوارزمي) ، وفعل مثلهم علماء الفيزياء و الكيمياء ، أما الفلسفة فبعد أن هضموا الفلسفة الإغريقية ونظرياتها شرعوا في كتابة فلسفة قائمة على الإيمان بالعقيدة الإسلامية ، فأضاف الفارابي وابن سينا وابن رشد معرفة جديدة، وحاولوا أن يوفقوا بين المادة و الروح بإخراج الفلسفة من الاشتغال بالأرض وحدها إلى الاهتمام بالسماء أيضا ، وقد استطاع العلماء العرب في بضعة قرون أن يسهموا برقي ووعي وكفاءة في ترقية العلوم في كل حقول المعرفة . ([2])

وهذا بفضل العلوم المنقولة التي أنشأت طائفة من الأطباء و الفلكيين والرياضيين استغلوا بحوثهم فوصلوا إلى مرتبة النبوغ في علوم شتى ولم ينته هذا العصر الأول حتى أصبحت هذه العلوم المترجمة ملكة راسخة في أهل الملة

---

[1] – عائشة عبد الرحمن ، لغتنا و الحياة ، ص 77 .

[2] – د. عبد المالك مرتاض ، مقال" الكلمة الافتتاحية " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 11

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الإسلامية وامتزجت بحياتهم وأدبهم وبحثهم . ([1])

وقد نمت اللغة العربية على أيدي المسلمين في عصور النهضة العلمية العظمى بفضل ما أوتوا من اقتدار على الاشتقاق و التعريب، فكانت هذه الترجمة الأولى في العالم الإسلامي نبراسا لقدرة هذه اللغة العربية على التوسع و المقدرة على التعبير عن دقائق العلوم، وقد أضحت لغة العلوم قرونا عديدة من الزمان. ([2])

وتتمثل أهم النتائج التي أثمرتها حركة الترجمة العظمى في عصر الخلافة العباسية على وجه الخصوص وفي عصري الخلافتين الأموية و العباسية على وجه العموم في النقاط الآتية : ([3])

1 – اتسعت آفاق المعرفة في العالم العربي والإسلامي لتشمل علوما وفنونا وفلسفات لم يكن للعرب و المسلمين بها علم من قبل، أو كانوا على إلمام ضئيل ببعضها فأفادوا سعة وعمقا وخبرة ، بل يندفعون إلى تعمق آيات القرآن الكريم وفهمها والغوص في معانيها وقد أدى احتكاكهم بالشعوب الأخرى ومحاورتهم للفرق المختلفة والمذاهب والعقائد المتعددة على دراسة هذا وذلك وعرضه على ميزان الحس الإسلامي و نبذ الفاسد والانتفاع بالمفيد .

2 – كان من أهم النتائج أيضا إثراء اللغة العربية بما دخل إليها من مصطلحات وتعابير جديدة في مختلف العلوم والفنون فقد دخل في اللغة العربية كثير من المعاني و التراكيب والعبارات العلمية، وأصاب قاموسها عددا كبيرا من الألفاظ الأجنبية ، وتحولت إلى لغة عالمية قادرة على استيعاب كافة مجالات الحياة من سياسة وقانون وإدارة ، وإذا أردنا أن نعرف مبلغ الأثر الذي خلفته الترجمة والنقل في عمود اللغة العربية فهذا الأثر إنما يتجلى فيما طرأ على الأدب من تغيرات عميقة ، وفيما اتسعت له الألفاظ العربية من معان جديدة ازدادت بها غنى ودقة ووضوحا وسلامة وفيما طرأ على الكتابة والتأليف من تنسيق وتنظيم ، فأصبحت العربية قادرة على أن تعبر عن منطق أرسطو وفلسفة أفلاطون وطب أبقراط و جالينوس .

3 – لقد تحمل العرب مسؤولية جسيمة في نقل تراث الإنسانية المشتت وتطويره

---

[1] – حسن الأشموني ، أثر الترجمة في حضارة العرب ، ص 97 .

[2] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 92 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 92 – 93 ، وعمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص 119 – 120 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وإضافة كثير من المبتكرات إليه بعد ما شرحوه وطبقوه، حيث كانت تجاربهم وملاحظاتهم واستقصاءاتهم قد أضفت على كل هذه العلوم الخاصية العربية و الذاتية الإسلامية ، فقدموا للبشرية إلى آخر الزمان حضارة لن ينساها الإنسان في كل بقاع الدنيا لأنها في الحقيقة هي التي حملت إليه مشعل الحضارة الحديثة و أساس ما هو فيه الآن من تقدم عالمي معاصر .

4 – قدم المسلمون في القرون الخوالي للإنسانية خدمة عالمية جليلة ، فقد حافظوا على التراث الإنساني من الضياع و صانوه من العبث و أنقذوه من الدمار ،فقد كان مصيره الضياع لولا أن قيض الله له العرب فلم يفعلوا به ما فعله الفرنجة في إسبانيا عندما أجلوا المسلمين عنها ، أو ما فعله المغول و التتار عندما هاجموا البلاد الإسلامية ورموا بالتراث العربي والإسلامي في البحر وحرقوه .

5 – ظهر أثر الترجمة أيضا في صناعة الكتب من حيث التنسيق و التبويب و التنظيم، وفي تأليفها بوجه عام من حيث التسلسل في عرض الأفكار و الآراء ، وتوضح الكتب التي وضعت في تلك الفترة ما وصل إليه العرب المسلمون من قوة عظيمة في التمحيص و التحليل و الغوص في أعماق المعاني .

هـ – أثر الترجمة العربية في حضارة الغرب :

لقد كان للترجمة العربية الدور الكبير في حفظ التراث الإنساني من الضياع ، فقد ضاعت أصول كثيرة من كتب الأمم الشرقية و اليونانية وبقيت ترجمتها العربية، ولولا جناية التتار حين هجموا على بغداد واحرقوا ما أحرقوه من كتب وأغرقوا في دجلة ما أغرقوه، لورث العرب العالم علما أغزر وأوفر ، كما عملت العقول الإسلامية في هذا التراث العتيد فشرحت وصححت وألفت وابتكرت وقدمت للعالم الغربي الذي اتصل بالعرب في الأندلس و صقلية وايطاليا وسواها من البلدان أساسا لنهضته الحاضرة .

فقد فتح العرب كثيرا من أرض أوروبا وأسسوا دولة الأندلس وأقاموا بصقلية أكثر من قرنين، واحتلوا أهم موانئ ايطاليا واستقروا مدة بجنوبي فرنسا بمقاطعة " برفانس" واستولوا على جزر البحر الأبيض المتوسط، هذا وإنهم اتصلوا قديما بأمراء المسلمين في الشرق و الغرب كالذي كان بين شرلمان إمبراطور فرنسا وجرمانيا الغربية و بين أمير المؤمنين هارون الرشيد وأمراء الأندلس ، كما اتصلوا

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

في القرون الوسطى بالشرق أيام الحروب الصليبية ، وقد كان لذلك أثره في نقل علوم العرب و آثار الشرق العلمية .

وقد بهرت حضارة الأندلس أنظار الأوربيين منذ القرن العاشر فهرع إليها طلاب العلم وكان أسبقهم إلى ذلك رجال الدين المسيحي واجتهدوا يعاونهم جماعة من علماء اليهود في نقل مئات المصنفات العربية إلى اللاتينية في المنطق والفلسفة والحساب والهندسة والفلك والطب والجبر والكيمياء والطبيعة وسواها، ورجعوا إلى بلادهم مزودين بهذه الكنوز التي أقبل عليها علماؤهم بالنظر والدرس فكانت من أكبر عوامل نهضتهم . ([1])

وإلى قرطبة سعى طلاب العلم من أوربا يدرسون في معاهدها وينقلون من ذخائر خزائنها، و في مكتبة الزهراء وفي غيرها من دور العلم بالأندلس و المغرب ترجمت إلى اللاتينية كتب الأدوية والطب والجراحة مثل كتاب الأدوية البسيطة لابن الوافد الطبيب العربي الأندلسي 997 م وقد ترجم إلى اللاتينية نحو خمسين مرة ، وكتاب الجراحة لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي 1013م ، وقد بقي أساسا للتعليم الجراحي بأوربا لبضعة قرون ، كما نقل تراث اليونان إلى أوربا عن ترجماته العربية . ومن أعلام مترجمي العصر الأندلسي من العربية إلى اللاتينية جيرار دي كيمونا (1114 – 1187م) الذي نقل من العربية نحو سبعين كتابا منها فلسفة الكندي و الفارابي وقانون ابن سينا وعلم النجوم لجابر بن أفلح وكتب أرسطو وجالينوس .([2])

ولمدى قرون ظل الطب العربي أساس الدراسة الطبية في جامعات أوربا ، وكان قانون ابن سينا الذي ترجمه الكيموني إلى اللاتينية ، ممثلا المدرسة العربية في الطب وبقي محافظا على مكانته في جامعة مونبليه ولوفان حتى أخريات القرن السابع عشر ، كما ترجم كتاب الكليات لابن رشد إلى اللاتينية باسم " كوللجيه " وصار المتن الشهير الذي كان يدرس في جامعات أوربا التي تأخذ عن المدرسة العربية في الطب، كما دخلت قوانين ابن سينا الأربعة الأولى من عام 1340 في المنهج الرسمي المقرر على المرشحين للدرجات العلمية في الطب . ([3])

يقول الدكتور لوكلير في كتابه " تاريخ الطب العربي " إن اللغة العربية لها

---

[1] – حسن الأشموني ، أثر الترجمة في حضارة العرب ، ص 98 – 100 .

[2] – د.عائشة عبد الرحمن ، تراثنا بين ماض وحاضر ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة ج م ع ، ص 27 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 44 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفضل في معرفة أوربا كتبا يونانية ضاع أكثرها مثل كتاب جالينوس في الأمراض السارية وكتاب أرسطو في الحجارة وكتاب أبولونيوس في المخروطات. ويعقب جوستاف لوبون في كتابه " حضارة العرب" على هذا بقوله : إذا كانت هناك أمة نقرّ بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعامل الزمن القديم ، فالعرب هم تلك الأمة. كذلك نجد مونتجمري وات في كتابه " فضل الإسلام على الحضارة العربية " الذي نقله إلى العربية حسين أحمد أمين ، يشرح في عصر الترجمة الذهبي في أوربا للقيام بالنهضة التي امتدت وازدهرت الآن ، فيقول في الفصل الخامس : أما العصر الذهبي للترجمة فقد وجد خلال القرن الثاني عشر حين قام كثير من العلماء في إسبانيا بترجمة كثير من الكتب العربية إلى اللاتينية فما حل القرن الثالث عشر الميلادي حتى عرفت أوروبا الغربية حركة فكرية قوية قادرة على تمثل كل ما تعلمه العرب في ميداني العلوم و الفلسفة .

وقد ترجمت في ذلك القرن المؤلفات العربية الممتازة التي لم تكن قد ترجمت بعد ، ثم ترسّل في كلامه ليشتمل على الرياضيات والفلك و الطب وغيرها من العلوم المختلفة التي دخلت في بناء الحضارة الأوربية الحديثة ، و التي إن دل شيء على وجودها فإن ألفاظا ذات أصل عربي في اللغات الأوربية الآن لتعد من أهم هذه الأدلة . ([1])

تقول المستشرقة الألمانية زيغرد هونكه : " أجل في لغتنا كلمات عربية عديدة وإننا لندين – و التاريخ شاهد على ذلك – في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب ، وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محببة إلى النفوس ، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب الذي كان يوما من الأيام قاتما كالحاباهتا وزركشته بالتوابل الطيبة النكهة وطيبته بالعبير العابق، وأحيانا باللون الساحر، وزادته صحة وجمالا وأناقة وروعة " . ([2])

إذن لم يكد يهل القرن الثالث عشر الميلادي حتى انتشرت في جميع أنحاء أوربا الثقافة العربية، وكانت حركة الترجمة عن العربية فيها خلال القرون الوسطى مما يستحق الدراسة، وقد كشف الكثير من الباحثين عن هذا الجانب من صلات

---

[1] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 94 – 95

[2] – زيقريد هونكه، شمس العرب تستطع على الغرب ، " أثر الحضارة العربية في أوبة " نقله عن الألمانية فاروق بيضون ، كمال دسوقي، وراجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، ط8، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1413هـ/1993م، ص 20

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الشرق بالغرب وعنوا بالنواحي المختلفة من انتشار الثقافة الشرقية في أوربا ، ولم تقف أوربا عند هذا الحد بل واصلت بحكم هذا الاتصال تعلم اللغة العربية ، وكان من أمر وسائل هذا الاتصال العلمي أن جرت المكاتبات بين أوربا وبين الشرق باللغة العربية ، وهكذا امتد نفوذ العرب فقويت حركة التعليم و النقل العلمي حتى أجاد الأوربيون ترجمة العلوم العربية . ([1])

وكان نتيجة لهذا الاتصال أن أنشئت الكليات لدراسة اللغة العربية و الدراسات الشرقية ككلية ميرامار ومدرسة طليطلة ، وامتدت هذه الدراسات حتى قررتها الجامعات الأوربية في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي كجامعة باريس ولوفان ، فكانت جميع هذه الحركات مما أحكم الاتصال المعنوي بين الشرق و الغرب إحكاما قويا وكان سبيلا للاتصال بالثقافة العربية حيث تم للغويين التعرف على فلاسفة العرب بدراسة مؤلفاتهم كالكندي و الفارابي وابن سينا و الغزالي وابن رشد وغيرهم . ([2])

فقد نقل التراث اليوناني أولا إلى العربية فترك بها آثارا لا يمكن إنكارها ، ثم انتقل بنصوص العربية من المشرق الإسلامي إلى الأندلس فكان له أثر في الفكر المسيحي و اليهودي لا يقل عما كان له في الفكر الإسلامي ، ثم انتقل إلى شمال اسبانيا وشمال ايطاليا فكان له أثر في بزوغ فجر النهضة الأوربية وعندما انتقل هذا الانتقال الأخير لم يكن في صورة ترجمات فقط وإنما كان لهذه الترجمات شروح عربية ودراسات مستقلة قام بها العلماء العرب ، وهذه الدراسات هي ما عرف باسم الفلسفة الإسلامية . ([3])

وقد شهد المؤرخون الأوربيون للحضارة و العلم بأن المرحلة الرائدة لعصر العلم الحديث تمت على أيدي علمائنا في العصر القيادي للحضارة الإسلامية واعترفوا بأن حركة الإحياء التي بدأت بها النهضة الحديثة في أوربا إنما قامت أساسا على ما انتقل إلى الغرب الأوربي من تراثنا العلمي و الحضاري، كما شهدوا بأن علوم الطب و الرياضيات و الفلك والكيمياء ، سارت في الغرب الحديث على

---

[1] – حسن الأشموني ، أثر الترجمة في حضارة العرب ، ص 67 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 69 – 70 .

[3] – د. تمام حسان، مقال " اللغة العربية بين العورية والعولمة " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 185 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الدروب التي عبدها رواد هذه العلوم من أعلام الدولة الإسلامية، وقد ثبت تاريخيا أن أكثر مؤلفاتهم العلمية والفلسفية كانت تدرس في جامعات أوربية إلى القرن السابع عشر في أصولها العربية أو مترجماتها اللاتينية التي تتابعت من القرن الثالث عشر الميلادي وعلى سبيل المثال لا الحصر . ([1])

يقرر تاريخ العلم أن :

- رسائل جابر بن حيان (ت 198 هـ) التي ألفها في الكيمياء باللغة العربية في القرن الثاني الهجري عرفتها أوربا في نصوصها العربية وترجمات لاتينية ثم ألمانية لهولميار " Holmyard " 1678 م ، ثم ترجمها إلى الانجليزية ريتشارد راسل " F.Russel " في طبعة لندن 1928 م .

- وكتاب حساب الجبر والمقابلة الذي ألفه أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي (ت 336 هـ) في أوائل القرن الثالث الهجري ، نقله جيرار الكريموني إلى اللاتينية في القرن السادس عشر الميلادي، ثم نشر روزن" F. Rosen " نصه العربي من ترجمة انجليزية في طبعة لندن 1850 م ، ونشر ناجل "A.nagel" ترجمة الأبواب الخاصة منه بالحساب كما وضع جاندزة " S. gandz" كتابا عن مصادر جبر الخوارزمي.

- وكتاب " الحاوي لصناعة الطب " الذي ألفه أبو بكر الرازي (ت 311 هـ) من علماء القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري ،تحمل أقدم نسخة عربية منه في أوربا تاريخ 1282 م بمخطوطات المكتبة الوطنية في باريس وترجمه إلى اللاتينية جيرار الكريموني عام 1486 م ، ونص رينو في ترجمته الفرنسية لكتاب إدواربراون " الطب العربي " على أن كتب الرازي التي ترجمت إلى اللاتينية بلغت خمسة وعشرين جزءا ، و الجزء الخاص بالتشريح و المعروف بالمنصوري – أهداه إلى المنصور بن إسحاق والي خراسان – نشرت ترجمته في طبعة ميلانو 1481 م ، ثم نشره كونينج " P . Koning" مع أجزاء من كتاب الكناش الملكي لعلي ابن عباس و القانون لابن سينا في طبعة ليدن سنة 1903، وترجمة برونر" W . Bruner " إلى الألمانية في طبعة برلين 1900م، ورسالة في الجدري والحصبة ، ترجمها " فالا E.Valla" إلى اللاتينية في طبعة البندقية عام 1498 م ، وجاك جوبيل "J. Goupyl" إلى

[1] – د. عائشة عبد الرحمن ، لغتنا و الحياة ، ص 138 – 141 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

اليونانية عام 1548 م . وترجمه إلى الفرنسية جاك بوليه " J.Poulet" في طبعة باريس 1866م ولوكلير ولينوار " Leclere, Lenoir " في طبعة باريس سنة 1866م ونشر جرينهل " W. Greenhill " نصه العربي مع ترجمة انجليزية في طبعة لندن 1848م، كما نشر النص العربي مع ترجمة فرنسية عام 1896م، وترجمه كارل أوبيتز "K.opitz" إلى الألمانية في طبعة ليبزج سنة 1911 م.

- وكتاب علي بن العباس (ت 384) كامل الصناعة الطبية المعروف باسم **الكناش الملكي** ، ألفه بالعربية في القرن الرابع الهجري وترجم إلى اللاتينية في طبعة البندقية سنة 1932، ثم في طبعة ليدن سنة 1523م. وبصريات حسن بن الهيثم (ت 422 هـ) التي ألفها بالعربية في كتاب من سبعة أجزاء بعنوان " المناظر" عرف مع غيره من مؤلفات ابن الهيثم في ترجمات لاتينية بالعصور الوسطى ، ونشر ريزنر"Risner" ترجمة لاتينية كاملة للمناظر بأجزائه السبعة عام 1573، كما نشر كارل شوي"K . Schoy" بالألمانية عام 1920م رسالة ابن الهيثم في استخراج القطب.

- وكتاب **الأدوية البسيطة** للطبيب الأندلسي " أبي الوافد " نشرت ترجماته اللاتينية نحو خمسين مرة وكتاب التصريف للطبيب الأندلسي " أبي القاسم الزهراوي " (ت 411 هـ) ترجم إلى اللاتينية في طبعة البندقية سنة 1497م ثم في طبعتي ستراسبورغ سنة 1532م، وبال سنة 1541م. والجزء الخاص منه بالجراحة كان أساسا للتعليم الجراحي بأوربا لبضعة قرون وقد نشر نصه العربي مع ترجمة لاتينية في طبعة أكسفورد سنة 1778م .

- و**قانون ابن سينا** (أبي علي الحسين ت 428 هـ) في الطب ، المؤلف بالعربية في أوائل القرن الخامس الهجري من خمسة أجزاء ، ترجمه إلى اللاتينية جيرار الكريموني ، ونشر في طبعات ميلانو 1473م ، وبادوا 1476م و البندقية 1482م ، ثم أعيد طبعه حتى بلغت طبعاته عشرين مرة في القرنين الخامس عشر و السادس عشر ونشر نصه العربي في روما سنة 1593 م .

- وكتاب **الشريف الإدريسي** (ت 457 هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الذي ألفه بالعربية في صقلية في القرن الخامس الهجري كان المرجع الجغرافي الأول في عصر النهضة ، ونشرت أجزاء منه في ليدن سنة 1866 م ، وفي روما مع ترجمة ايطالية سنة 1883 م ، و في مدريد سنة 1901 م ، و ترجمة دي جويه ودوتز إلى الألمانية في طبعة أو بسالا سنة 1894 م .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- و**مفردات ابن البيطار** (ت 646 هـ) في الأدوية التي ألفها بالعربية في كتابه " الجامع في الأدوية المفردة " في أوائل القرن السابع الهجري ، عرفت في نصها العربي بأوربا في عصر النهضة، وترجمت إلى اللاتينية قبل أن ينقلها فون زونتهايمر إلى الألمانية في طبعة شتوتجارت (1840م – 1842م) ولوكلير إلى الفرنسية في طبعة باريس (1877م – 1883 م) .

وهكذا كان تقدم الغرب من ثمرات الفكر العربي ، أوحى بإيجاده عن طريق النقل و الترجمة التي كانت أساس النهضة في أوربا و البلاد الأخرى بما كان يحمله هذا الفكر العربي بين جنبيه من عناصر صياغة حركات النهضة و التقدم .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفصل الثالث

حفظ سلامة اللغة العربية حديثا

من تأثير اللغات الأجنبية.

أ - واقع اللغة العربية بين اللغات العالمية .

ب - دور الترجمة في العولمة .

ج - الترجمة و التعريب حديثا .

د - موقف المحدثين من الترجمة و التعريب .

هـ - جهود علماء العربية في توفير المصطلح العلمي .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أ – واقع اللغة العربية بين اللغات العالمية :

لقد أثبتت اللغة العربية قديما أنها لغة صالحة للتعبير عن كل جديد فلم تقف جامدة أمام الانقلاب الجذري الذي أحدثه الدين الإسلامي في الحياة العربية بصفة خاصة ، بل راحت تخدم هذا الأخير وتنقل تعاليمه ، ففتحت بابها لاستيعاب زخم جديد من المفاهيم التي صقلت اللغة صقلا رائعا فأدته خير تأدية ظهرت اللغة من خلالها بحال جيدة وأساليب مقتبسة من المعجزة القرآنية ، ثم سايرت اللغة العربية النقلة الحضارية و العلمية و المعرفية التي شهدها العصر العباسي – عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وانفتاحها على آفاق العلوم و المعارف الأجنبية – فكانت هذه اللغة وسيلة طوع الحاجة لم تشكو تقصيرا أو عجزا في نقل ذخائر العلم و المعرفة .

- **فهل بقيت هذه اللغة على هذا المنوال في مسايرة الجديد العلمي و المعرفي ؟**
- **وهل بقيت محافظة على مكانتها المعتبرة بين بقيت اللغات العالمية ؟**

إن قوة اللغة من قوة مجتمعها ، وإن ما يطرأ عليه من ضعف وتقهقر لابد أن ينعكس عليها بالركود و الانكماش ، وإن قدرة اللغة العربية على التعبير ومرونتها في الأداء وطاقاتها باتجاه التجديد و الإبداع كل ذلك مستمد من حيوية المجتمع وتجدد اهتماماته وتوسع مجالات اجتهاده . ([1])

والواقع أن العربية قد تعرضت لكثير من الهجمات المختلفة ، بعضها ولاشك يضمن نزعات تهديمية وعواطف منحرفة ، وبعضها جاء نتيجة لقصور الإلمام بها ، ولكن فيها أيضا ما يعود إلى النية الطيبة و الملاحظة الحقيقية . ([2])

وإضافة لمعركة العربية الفصحى ضد العامية لمنع الازدواجية فثمة معركة أخرى بينها وبين اللغات الأجنبية لمنع ما يدعي بالثنائية اللغوية ، لهذا " تعتبر اللغة العربية من حيث الانتشار في وقتنا الحاضر هي الخامسة بعد الصينية و الانجليزية و الهندية و الاسبانية " . ([3]) وقد كانت اللغة الرائدة في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية . ورحم الله شاعر النيل حافظ إبراهيم الذي عبر عن شكوى

---

[1] – بشير العيسوى ، الترجمة إلى العربية قضايا وآراء ، ص 171 .

[2] – الجنيدي خليفة ، نحو عربية أفضل ، ص 9 .

[3] – عبد الغني عبد الرحمن محمد ، دراسة في فن التعريب و الترجمة ، ص 18 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

العربية الفصحى مما وقع لها من أهلها ، وما يدبر لها من كيد ومكر ، فقال :

رَجعتُ لنفســـــي فاتهمت حَصَاتي ونـاديتُ قومي فاحتــسبتُ حَياتي
رَموْني بعقـــْم في الشباب وليْتني عقمــتُ فلم أجزعْ لقولِ عِداتي
وسِعْتُ كتـــــابَ الله لفظًا وغَــايَةً ومَا ضقْتُ عن آي به وَعِظاتِ
فكيفَ أضيقُ اليومَ عن وصْف آلةٍ وتَنســـــيق أسماء لمخترعاتِ
أنا البحـــــرُ في أحشائه الدرُّ كامن فهل سَألوا الغواصَ عن صَدَفاتِي. ([1])

فقد بدأت الحملة على اللغة العربية في أوائل القرن التاسع عشر المـيلادي تقريبا، وامتدت على أيدي كتّاب ومفكرين أجانب ثم حمل لوائها كتاب مـن الـبلاد العربية، ولقد ترك هؤلاء الأجانب ذيولا من أبناء العرب ينهجون نهجهم في الحملـة الحاقدة على اللغة العربية و النيل من قدرتها و التقليل من قدرها . ([2]) ورمي هـذه اللغة بالقصور، وإن كان هذا القصور والتخلف نتيجة ما عانته اللغة العربيـة فـي عصر الانحطاط و العصر العثماني " فلم تستطع العربية التخلص من هذا القـصور بمحاولة المشاركة في العلوم لأن تلك العلوم قطعت شوطا بعيدا في الترقي، و تجلّى أثر ذلك في فقر العربية في المصطلحات العلمية الدقيقة و المتزايدة في كل لحظـة وفي فقرها في الثروة العلمية الحديثة مؤلفة ومترجمة " . ([3])

" فالأمة قد تمتحن باحتلال أرضها فتناضل من أجل الحرية حتـى تـستردها على المدى القصير أو الطويل وتمتحن باغتصاب خيرات أرضـها وأرزاق بنيهـا فتحتمل الجوع و الحرمان ، بل قد تحارب في عقيدتها فيتصدى الـضمير الـشعبي لحمايتها بالرفض والتحدي لكنها حين تمتحن بسرقة لسانها تضيع ! تمسخ شخصيتها القومية وتبتر عن ماضيها وتراثها وتاريخها، ثم تظل محكوما عليها بأن تظل أبـدا تحت الوصاية الفكرية و الوجدانية للمستعمر حتى بعد أن يجلو عن أرضها " . ([4])

و الإصلاح اللغوي هو أحد تلك الأهداف الآجلة التي لا يتوقع لها النجاح إلا

---

[1] – حافظ إبراهيم ، الديوان ، ج1 ، ط1 ، دار صادر ، بيروت 1409 هـ – 1989 م ، ص 209 – 210 .
[2] – د. كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 25 – 26 .
[3] – د. حسين نصار ، دراسات لغوية ، دار الرائد العربي، بيروت لبنان 1401هـ/ 1981م، ص 11 .
[4] – ذ. عائشة عبد الرحمن ،لغتنا و الحياة ، ص 173 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

مع التخطيط لأجيال قادمة وبذل الجهود مهما شقت أو استفحل أمرها على أبناء هذه اللغة ، وليست تتم الوحدة السياسية وتستقيم النظم الاجتماعية في شعب من الشعوب إلا على أساس الوحدة اللغوية التي تصبح للشعب بمثابة رباط سحري يجذب أفراده بعضهم إلى بعض ويوثق الصلة بينهم ، ولا تكون تلك الوحدة اللغوية إلا في لغة مشتركة للشعب تنتظم الناس كافة ويتطلع كل منهم إلى إتقانها و السيطرة عليها نطقا وأداء . ([1])

وكلما كانت أداة التواصل و التفاهم محكمة النسيج متسقة العناصر خالية من المتنافرات الجانحات ، كان الأمر كذلك عند أهليها على وفاق هذه الصورة تتآخى أفكارهم وتتآلف اتجاهاتهم وتتأكد شخصيتهم ويشتد انتماؤهم لجماعتهم أو مجتمعهم، من هنا كان حرص الأقوام المتحضرين على لغتهم وحمايتها من عوامل التشتيت والتفريق حتى لا ينقطع حبل الوصل بينهم ويصبحوا شراذم لا حول لها. ([2])

وربما كانت أكبر حركة تأليف عرفتها العربية في كل تاريخها تلك التي نمت بعد نكبة المغول ، فكأن الدارسين حينئذ أرادوا إنقاذ ما يمكن إنقاذه من التراث الفكري الذي خلفه أجدادهم العرب بعد أن أحرق منه الكثير وغرق منه الكثير في أثناء غارات المغول وتخريبهم لبغداد ، وتتسم بعض مؤلفات هذا العصر بالجمع الشامل الكامل في استقصاء عجيب أدى إلى نشأة ما يعرف بالموسوعات ، وظل العلماء يمارسون الجمع و التأليف حتى في العصر العثماني .([3])

غير أن معظم ما ألف فيه لا يعدو أن يكون جمعا لتراث السابقين وتفسيرا له أو تعليقا عليه ، وأن الابتكار فيه قليل أو نادر ، وكل ما لهم من فضل أنهم جمعوا هذا التراث فصانوه من الضياع ، فكان نتاج هذا العصر قد خلد اللغة وجمع كل ألفاظها وتعابيرها وأساليبها فجمع بهذا كله أبناء العرب حولها . ([4])

---

[1] – د. إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، ص 7 .

[2] – د. كمال بشر ، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم ، ص 106 .

[3] – د. إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، ص 223 .

[4] – المرجع نفسه ، ص 224 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

أ – الظروف العربية العامة في القرن التاسع عشر :

لقد انقضى القرن الثامن عشر و البلاد العربية مع سائر الأقطار التي شملها الحكم التركي تغطُّ في نوم عميق ، فالأمية منتشرة شاملة والسلطة استبدادية إقطاعية وهمّ الناس الظفر بما يسد رمقهم فكانت الحالة الاجتماعية و الفكرية و السياسية متشابهة في أكثر هذه البلاد حيث الجهل والمرض والخرافات و الفوضى هي السائدة . ([1])

ولم يكن من الصعب على زائر المشرق العربي أو السائح فيه في القرن التاسع عشر أن يميز سوء حالته بأدنى نظرة ، فقد جاء الرحالة الفرنسي (فولني Volney) في أواخر القرن الثامن عشر وسجل مشاهداته في كتاب رحلته الذي سماه " ثلاثة أعوام في مصر و الشام " فأدهشه ما رآه فيها من الفساد و التأخير . ([2])

وكان مما ذكره عن مصر : " الجهل عام في هذه البلاد مثل سائر الدولة العثمانية، وهو يتناول كل الطبقات ويتجلى في كل العوامل الأدبية والطبيعية ". ([3])

ولما زار (فولني) سوريا في أواخر القرن الثامن عشر قال في وصفها : " إن الجهل سائد في سوريا كما في مصر وسائر تركية ، وقد انتقد بعضهم هذه الحالة عبثا ولم يأت الكلام عن إنشاء الكليات ونشر التعليم و التهذيب بثمر ، لأن هذه الألفاظ لها عندهم معان غير ما نفهمه نحن منها .." ([4])

فالأمية كانت متفشية بين طبقات الناس عامة بحيث تستطيع أن تعد في دمشق مثلا في مطلع المئة الرابعة عشرة للهجرة مئة أو أكثر ممن يحفظون المتون و الحواشي ثم لا يستطيع أحدهم أن يكتب سطرين مفيدين واضحين سليمين من الأغلاط و الركاكة ، هذا شأن العلماء أما سواهم فيكفي أن تعرف أن رسالة يأتي بها البريد إلى أحد الناس فيدور بها على أهل حيه ثم على الحي المجاور فلا يجد أحدا يفك حروفها لينبئه بمضمونها . ([5])

---

[1] – محمد علي الزركان، الجوانب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق، ط1 ، دار الفكر دمشق ، سوريا 1988م ص 14 – 15 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 13.

[3] – جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، المجلد الثاني ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت لبنان 1963م، ص 366 .

[4] – المرجع نفسه ، ص 370 .

[5] – سعيد الأفغاني ، حاضر اللغة العربية في الشام ، معهد الدراسات العالية، القاهرة 1961م، ص 13 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

كما أن " النثر في أواخر العصر العثماني كان المعول فيه على الألفاظ بين سجع واستعارة وتورية وجناس بحيث يتعذر الوصول إلى المعنى لما يحجبه من الصور المبهمة ". ([1]) لهذا سعى أدباء النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى معالجة هذه العيوب بالرجوع إلى النثر العربي القديم وبخاصة العباسي منه ، فعكفوا على كتب ابن المقفع والجاحظ و القاضي الفاضل وأهل المقامات يعبون منها ، فأخذت هذه الروح تسري بين الكتاب من أواسط ذلك القرن لكنهم لم يتفقوا على أسلوب واحد يقلدونه من أساليب القدماء . ([2])

وقد تحدث الشدياق عن هذه المرحلة فوصف لنا دور العلم في عهده ، وكيف كان يجري التعليم فيها، إنه تعليم فاسد من كل جوانبه من حيث الرجال الذين يشرفون عليه أو يقومون به، ومن حيث النتائج التي ينتهي إليها. ([3]) فالرجال يرميهم بالجهل وسطحية الثقافة ، فيقول : " وكان المعلم المذكور مثل سائر معلمي لالصبيان في تلك البلاد في كونه لم يطالع مدة حياته كلها سوى كتاب الزبور، وهو الذي يتعلمه الأولاد هناك لا غير وليس قولي أنهم يتعلمونه مؤذنا بأنهم يفهمونه ، معاذ الله فإن هذا الكتاب مع تقادم السنين عليه لم يعد في طاقة بشر أن يفهمه ،وقد زاده إبهاما وغموضا فساد ترجمته إلى اللغة العربية وركاكة عبارته حتى كاد أن يكون ضربا من الأحاجي والمعمى، وإنما جرت عادة أهل تلك البلاد أن يدربوا فيه أولادهم على القراءة من غير أن يفهموا معناه ، بل فهم معانيه عندهم محضور".([4])

ويعرب الشدياق عن عجبه من أمر السلطات الدينية و المدنية لأنها تترك أمر التعليم في أيدي أمثال هؤلاء المعلمين. ويتساءل : " فكيف ترضون يا أسادتنا الأعزة لعبيدكم الأذلة أن تربي أولادهم في الجهل و العمه ، وأن يكون معلموهم لا يعرفون العربية ولا الخط والحساب والتاريخ والجغرافيا ولاشيء غير ذلك مما لابد للمعلم من معرفته، فكم لعمري من ملكات براعة وحذق مَنَّ الله تعالى بها على كثير من هؤلاء الأولاد، غير أنه لفقد أسباب العلم وعدم ذرائع التأديب و التخريج

---

[1] – جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، المجلد الثاني ، ص 606 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 606 .

[3] – خلف الله محمد أحمد ، أحمد فارس الشدياق وآراؤه اللغوية و الأدبية ، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العالية 1955 م ، ص 70 .

[4] – أحمد فارس الشدياق ، الساق على الساق فيما هو الفارياق ، ج1 ، باريس ، 1855 م ، ص 14 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

طفئت جذوتها فيهم على صغر بحيث لا يمكن أن يشفيها بهم نتف التحصيل على كبر" . ([1])

لقد تردت اللغة العربية إلى ما تردت إليه الحياة في سائر مجالاتها في عصور الانحطاط التي استمرت عدة قرون .([2]) وقد دخل العرب والمسلمون عصر الانحطاط في المجال الثقافي حين أقفلوا باب الاجتهاد لأن إقفال باب الاجتهاد كان يعني التوقف عن مواكبة سير الحياة واحتياجاتها المتجدّدة . ([3])

فأفل نجم اللغة العربية في عصور الإمبراطورية العثمانية وتقلص ظلها عن الحياة العامة وعن شؤون الإدارة، وانزوت في بعض حلقات الجوامع والمساجد وهي تحاول المحافظة على كنوز التراث الإسلامي العربي وخاصة على ذخيرة العلوم الدينية واللغوية. ([4]) وتشير مصادر عصر الانحطاط عامة على نتاج نثري سقيم، فقد نافست التركية العربية في عقر دارها وزاحمت العامية الفصحى فأصاب الألسن عيّ و لكنة . ([5])

أ / 2 – النهضة الفكرية الحديثة عند العرب :

" ولطالما كان الشرق منبعا للعطاء ومبعثا للخير و الضياء ، بل كان منذ أقدم عصوره منبت الحضارات ، ترعرع في كنفه الفكر الإنساني ، وتقلبت على جوانبه الشعوب تقصده من كل مكان غزاة فكر وغزاة بيان ، ثم قلب له الدهر ظهره عندما انطوت صفحة العهد العباسي وتدفقت على البلاد العربية سيول الأعاجم و الأتراك ، فدكت أركان البناء القائم ونشرت القلق و الاضطراب وبعثت الفتن وروح الفوضى ، فصدف الناس عن العلم و الجهد العلمي وراحوا يتقون ضربات الأيام ويبثون ما في نفوسهم في أدب عامي أو ما يقترب من العامي ، وهكذا خبت جذوة العبقريات وراح الشرق في ظلمته الكالحة يترقب يوما يبعث فيه حيا ، وإذا

---

[1] – المصدر السابق ، ص 14 – 15 .

[2] – كارم السيد غنيم ، ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين ، ط1 ، الزهراء للإعلام العربي 1409 هـ / 1989 م ، ص 128 .

[3] – جعفر دك الباب ، النظرية اللغوية العربية الحديثة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1996 م ، ص 23

[4] – ريمون طحان ، بيطار طحان ، اللغة العربية وتحديات العصر ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1984 م ،ص 12 ، وعدنان الخطيب ، المعجم العربي بين الماضي و الحاضر ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، 1967 م ، ص 5

[5] – جبران مسعود ، لبنان و النهضة العربية الحديثة ، ط1 ، بيت الحكمة ، بيروت 1967 م ، ص 23 – 24 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

بذلك اليوم يقترب وإذا هناك يقظة عامة تعقبها نهضة مباركة اندلعت شرارتها الأولى في الشرق عندما احتك بالغرب فكانت شرارة اليقظة التي بدأت بطيئة واتسعت شيئا فشيئا لتحقق النهضة الحقيقية" . ([1])

ولأن الأمة العربية كانت مشتاقة إلى العلم و الخلاص من روح العصر التركي بكل تخلفه، فقد أدارت وجهها للغرب بحذر وانبهار في آن واحد ، فهي تلتفت إليه وهي تحمل في ضميرها تجاربها المريرة مع الغرب بعد الحروب الصليبية، وكانت تنبهر لأنها ترى الجديد الخارق بالنسبة للعصر الذي كانت تعيش فيه ، ومن هنا بدأت البلاد العربية تتصل بأوربا وبدأ كل أصحاب الطموح الفكري والعلمي والثقافي يحاولون أن يستقوا من مناهل الغرب ما استطاعوا وأن ينقلوا تجربة الغرب ويقيموا جسرا بين هذه الحضارة الجديدة وبين العقل العربي الطموح إلى المعرفة وبعث اليقظة في قلوب الجماهير العربية .([2]).

والحضارة الغربية التي كانت في بداية نهضتنا تتفوق تفوقا كبيرا على واقعنا الحضاري، وفدت إلى بلادنا في صورة عدوانية تمثل دولا متفوقة تختلف في لغاتها وتقاليدها وخاصة في دينها عن بيئتنا ، كما أنها أتت إلى هذه البلاد لاستعمارها واستغلالها والسيطرة عليها ، فكان من الطبيعي أن يحاول مجتمعنا البحث عن وسيلة تحول بينه وبين الذوبان والضياع أمام تيار الحضارة الغربية الجارف ، وتحفظ له كيانه وشخصيته ، فلجأ إلى تراثنا العربي محاولا إحياءه و العودة به إلى عصره الذهبي وهو العصر الذي كانت الحضارة العربية تتفوق فيه تفوقا كبيرا على الحضارة الأوربية . ([3])

" وبما أن التراث هو النسغ الذي بعث الحياة في عروق أوربا إبان النهضة ، بل إن عملية إحياء التراث التي سبقت ورافقت عصر الانبعاث في أوربا هي التي كانت تقف وراء حفز قوى التجديد و إنضاج الفكر الأوربي وصولا به إلى أندر وضع ثوري عاشته البشرية في مسيرتها التطورية ، فإن قوى الامبريالية قد تبنت

---

[1] – حنا الفاخوري ، الجماع في تاريخ الأدب العربي الأدب الحديث، ط1 ، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986م ، ص 7 – 8.

[2] – مجموعة من الأساتذة و الباحثين و المبدعين العرب ، رفاعة الطهطاوي جسر الحضارة الجديدة ، ط1، دار العودة ، بيروت 1975 م ، ص 34 – 35.

[3] – عبد المحسن طه بدر ، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (1870 – 1938) ط4 ، دار المعارف ، ص 17.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

منذ البداية مهمة تعطيل عملية إحياء التراث وتشويه معطياته في البلاد التي تستحوذ عليها " . ([1])

وقد ظهر قبس النهضة الأول منذ مطلع القرن التاسع عشر مصحوبا بتغيرات كثيرة سياسية واجتماعية وفكرية وأدبية وعلمية، وكانت العربية سلاح تلك الشعوب التي جابهت به السيطرة الأوربية التي عملت على عرقلة انتشار اللغة العربية ونمو الفكر و الثقافة الإسلامية. ([2]) ولهذا " نهض رواد النهضة يعالجون ما تراكم على اللغة في عهد الانحطاط من ثقل وضعف واضطراب ، كما راحوا يتدارسون اللغة في أصولها واشتقاقها وأساليب تركيبها، ويتتبعون اللحن والضعف في الكتابة ويقومون ما اعوج ويصلحون ما أفسد. ([3])

فلغة كل أمة هي لسان حالها الذي يعبر عن آمالها وآلامها وطموحاتها وبواسطتها يحتفظ بالتراث العلمي والثقافي كي ينقل من جيل إلى جيل حتى تدرك الأجيال والأمم مدى مساهمة هذا المجتمع أو ذاك في بناء صرح الحضارة الإنسانية علما وأدبا وخلقا وفنا وعقيدة . ([4])

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى بعث اللفظ الدقيق من لغتنا وإحياء الفروق بين الألفاظ، لأن العربية قد أصيبت في عصور الانحطاط بمرض العموم والغموض والإبهام كنتيجة لافتقاد وظيفتها الهادفة في هذه العصور فضاعت الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة فغدت مترادفة وكثر استعمال الألفاظ في المعاني المجازية وصرفت عن معانيها الأصلية، فضاع الفكر بين الحقيقة والخيال، وزالت الخصائص المميزة والفروق الفاصلة وأصبح لكل موضوع مهما تكرر قوالب من اللغة ثابتة وأداة من اللفظ لا تتغير مصوغة لكل مناسبة أو موضوع تنقل وتلحق كلما تكررت تلك المناسبة أو عرض ذلك الموضوع .

على أن اللغويين أيام ازدهار اللغة كانوا يدركون هذه المزية من المزايا العربية فعنوا بإبراز الفروق بين الألفاظ في مؤلفات خاصة ككتاب " الفروق " لأبي

---

[1] – محمد المبارك ، مواقف في اللغة و الأدب و الفكر ، دار الفارابي ، بيروت ، 1974 م ، ص 13 .

[2] – ريمون طحان ، بيطار طحان ، اللغة العربية وتحديات العصر ، ص 25 .

[3] – حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 37 .

[4] – زكريا إبراهيم ، طرق تدريس اللغة العربية ، ص 33 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

هلال العسكري وأبواب الفروق من كتاب " أدب الكتاب " لابن قتيبة والقسم الأول من " فقه اللغة وأسرار العربية " للثعالبي . ([1])

كما أضحى التعدد اللغوي حقيقة واقعية وآنية ، الأمر الذي يستدعي التعامل مع هذه الحقيقة و التفاعل معها بالتفكير بجديّة في توفير كل الشروط لترقية طرق تعليم اللغة العربية للمتعلم المفترض المتعدد اللغات بالضرورة لكي تجد لها مكانا في خريطة هذا التحدي العالمي الجديد .([2]) فاللغة لا تقاس بمقياس الغنى والفقر، إنما تقاس بمقياس القوة والضعف، فإذا كانت قادرة على استيعاب عصرها شبرا بشبر كانت لغة قوية، أما إذا حصل العجز أو العوز في ذلك فهي ضعيفة، وعليه ستكون مضطرة اضطرارا إلى الاستعارة الأجنبية . ([3])

لهذا فالأمة العربية مطالبة اليوم باستعادة دورها الريادي للحضارة الإنسانية حينما كان علماؤها روادا في الكيمياء والصيدلة والرياضيات وجامعاتها في الأندلس وشمال إفريقيا تعج بالطلاب الأوربيين، ولا يمكن أن يتحقق لها ذلك إلا بإعادة الاعتبار للغتها رمز حضارتها وعزتها ، فلا أحد يمكن أن ينكر أن العربية استطاعت أن تستوعب الحضارات والثقافات الإنسانية وكانت واسطة بين الثقافة الإغريقية القديمة و النهضة الأوربية الحديثة بعد أن نقحت تلك العلوم وأضافت إليها الكثير، وقد كانت الترجمة أساس تلك الحضارة ، وكما يقول طه حسين حين سئل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة : كيف تحصل الترقية اللغوية للغة العربية ؟ أجاب " ترجموا وترجموا ثم ترجموا ". ([4]) لما للترجمة من الفضل الكبير في الازدهار الحضاري و الرقي الفكري والاتساع المعرفي والثراء اللغوي .

---

[1] – د. عبد العزيز شرف ، اللغة العربية و الفكر المستقبلي ، ط1 ، دار الجيل بيروت 1411 هـ / 1991 م ، ص 82.

[2] – د. أحمد حساني، مقال " المرتكزات اللسانية لتعليمية اللغة العربية في وسط تعدّد الثقافات واللغات " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 82

[3] – د. عمار ساسي ، اللسان العربي وقضايا العصر ، ص 18 .

[4] – د. صالح بلعيد ، مقال " تحديات اللغة العربية في الألفية الثالثة " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 320

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ب – دور الترجمة في العولمة :

ولقد ظهرت العولمة بظهور ثورتي المعلومات و الاتصالات و التي أدت بدورها إلى زيادة التقارب بين الشعوب و الحضارات ، ولذلك أصبح العالم بمثابة قرية إعلامية صغيرة أو ما يمكن تسميته بـ " عالم بلا حدود " لأن العولمة تستهدف إلى إزالة الحدود والحواجز الاقتصادية والعلمية والمعرفية بين الدول والشعوب. ([1])

وتعد الترجمة من خطى التقارب بين الشعوب فلا يرجع التقارب إلى السياسة و الدبلوماسية فحسب ، بل إن حظ الأدباء في ذلك وافر عظيم ، فترجمة شاعر أو كاتب أو عالم روسي أو ألماني أو هندي أو صيني لاشك تفسح المجال للتعارف الإنساني وتمهد له الطريق، وأما العزلة من هذه الناحية فغير مقبولة لأن جهل شعب بأدب شعب آخر ووقوف أحدهما من الأخر في موقف العزلة فأمر لا يصح التسليم به . ([2])

ذلك أن الترجمة و اللغات ترمي إلى توثيق عرى التعاون بين الشعوب مهما اختلفت الثقافة و الأصل فهناك من الأمور الثقافية ما لا تباح تحقق جدواه إلا بتبادل الآراء ، فالترجمة توفر لنا أسباب التقارب الذي لا مندوحة عنه لكي نؤدي مهمتنا الثقافية و العلمية، وليس من شك في أن لها من الآثار ما يبعث روح العلم المشترك الذي يولد روح التضامن ويحقق التآلف بين مختلف من يعملون لخدمة العلوم و المعارف. وفي الحق أننا لو سلمنا بأن الصفات المنسوبة لجنس من الأجناس تتفوق على غيرها، فإن هذا الجنس لو عاش في عزلة لما أفاد الإنسانية شيئا ، ذلك أن الميزات الجنسية و الوطنية ليست وحدها عامل التقدم في ركب الإنسانية بل لابد معه من قيام العلاقات الثقافية و العلمية بين شعب وآخر لمراعاة الدراسات المقارنة للعلوم و الفنون والآداب . ([3])

وتؤدي المكانة العالمية لأية لغة من اللغات إلى الإقبال على تعلّمها لا باعتبارها مادة تخصّص بل باعتبارها رافدا ثقافيا هاما وأداة تعامل حضاري، كما تؤدي الأهمية العلمية لأية لغة من اللغات إلى الاهتمام بالترجمة منها إلى اللغات

---

[1] – عصام نور الدين، العولمة وأثرها في المجتمع الإسلامي ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، مؤسسة شاب الجامعية ، 2002 م ، ص 10 .

[2] – حسن الأشموني ، أثر الترجمة في حضارة العرب ، ص 135 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 47 – 48 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المختلفة ، وبقدر الإحساس بأهمية لغة من اللغات في المجال العلمي يزيد الشعور بضرورة الترجمة منها ، وبهذا تصبح نسبة المترجم من لغة من اللغات إلى مجموع ما يترجم في العالم مؤشرا هاما لبيان أهمية هذه اللغة من الناحية الحضارية بين لغات العالم . ([1])

ولعل أوضح معيار يبين لنا الأهمية الحضارية للغات الكبرى من عالمنا المعاصر هو عدد الكتب التي تصدر سنويا بكل لغة من هذه اللغات .

ثمّ إن قلة الإنتاج العربي من الكتب بالقياس إلى الإنتاج باللغات العالمية الأخرى ظاهرة ملحوظة ، ومعنى هذا أن مستقبل العربية كلغة دولية ذات قيمة حضارية مرتبط بزيادة الكتب التي تصدر بها في كل فروع المعرفة المعاصرة . إن قلة الإنتاج العربي من الكتب يلاحظ أيضا في قلة ما يترجم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ،وإذا كانت الدول التي تقدمت مراحل أكثر تهتم بالترجمة إلى لغاتها الوطنية فما أحوج المنطقة العربية إلى مزيد من الترجمات في كل فروع المعرفة المتقدمة.

وتتضح الأزمة الحضارية للغة العربية أيضا من الجانب الآخر للترجمة ، وذلك أن ترجمته الكتاب العربي إلى اللغات الأخرى قليل ونادر، فإذا كان بعض المستشرقين والشرقيين قد ترجموا مئات قليلة من الكتب العربية على مدى عدة قرون ، فإن الترجمة هنا قد تمت في إطار تخصصي، وثمة فرق بين ترجمة تعد للعلماء المتخصصين وبين ترجمة تتجه إلى المثقف الأجنبي في محاولة لإثراء معارفه بكتب جديدة في كل فروع المعرفة . ([2])

وإذا توقفنا لحظة لنرى تأثر اللغة العربية بالأفكار الوافدة وهو ما يقابل العولمة وأثرها في غيرها من اللغات وهو ما يسمى العوربة – وذلك حتى نهاية القرن السادس الهجري تقريبا – ولئن نظرنا إلى تقلب أحوال العربية بين العولمة و العوربة لنجدن العوربة ترتبط في أساسها بالإسلام و انتشاره خارج حدود شبه الجزيرة العربية ، ولنجدن العولمة ترتبط في أساسها كذلك بالترجمة من تراث الأمم الأخرى وما نشأ عن ذلك من ظهور الفرق و التصوف والفلسفة الإسلامية والعلوم

---

[1] – محمود فهمي حجازي، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا و مشكلات ، ص 152 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 164 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الطبيعية ، غير أن وضع كل هذا النشاط في نصوص ومصطلحات عربية كان مصدر عَوْرَبَة للغات الأخرى فيما بعد . ([1])

إن أول دعائم النهضة العلمية العربية هي الإسراع بخطوات الترجمة باعتبارها الركيزة الأساسية في حقل الشعوب المتقدمة و الحضارات المتطورة علميا. فهي تخدم المثقفين والباحثين والمهتمين بأمور البحث العلمي بحيث تستهل لهم الدراسة والاطلاع باللغة التي يفهمونها – اللغة الأم – فيستوعبون مقررات العلوم ويهضمون عناصرها ويقتنعون بنتائجها، فأحسن ما نستطيع أن نقيس به قيمة التعليم والثقافة في البلاد العربية هو الإنتاج العلمي ، ومن سبل هذا الإنتاج اللغات والترجمة فهي دراسات منتجة ومفيدة في توثيق العلاقات بيننا وبين الفكر العالمي في العلوم والفنون، فقد حفلت البلاد العربية بحضارات عديدة في عصور مختلفة ، ولا يتحقق استكناه سر هذه الثقافات إلا بدراسة اللغات و الترجمة ، فحقنا في الإنتاج هو واجبنا في تعلمها . ([2])

ولما كان التقدم الثقافي في شعب من الشعوب إنما يقاس بمستوى ما وصلت إليه الغالبية الشعبية، فلابد لنا في نهضتنا الحاضرة من أن نلتمس الوسائل لإعداد الفرصة للشباب لهذه الدراسة وحثه على الاستزادة منها حتى ولو كان ذلك بعد الانتهاء من المراحل التقليدية التي ينتهي عندها من التعليم وذلك للارتفاع بمستواه الفكري، فمن تعلم لغة قوم قلت ما بينهم من الفوارق وقام التقارب في الأفكار. فعلينا أن نوجه الكثير من عنايتنا لرسم برنامج موحد للترجمة وتعلم اللغات بما يساير حاجات الشعب في نهضته الحديثة ويسد أوجه النقص في ثقافته، فأهمية تلك الدراسات في عمليات التخطيط والنهوض بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي تقضي بأن يكون لها مركزا وجهازا للبحوث اللغوية والترجمة ، يعنى بكل ما يتعلق بالتطورات العالمية وتطورات بلادنا وتقدمها . ([3])

فالأمم توجه عناية كبيرة نحو تعليم الشعب مختلف اللغات و تعمل على

---

[1] – د. تمام حسان، مقال " اللغة العربية بين العوربة والعولمة " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 183 – 184 .

[2] – حسن الأشموني ، أثر الترجمة في حضارة العرب ،ص 54 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 55 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

تدريبه على فن الترجمة ، وتبذل جهودا جبارة لكي تمتد دائرة التعليم فيهـــا فتـــشمل أكبر عدد من الأفراد، فاللغة والترجمة مفتاح باب كل معرفة ، وقديما كان على كل من يرغب في دراسة أحوال الشرق أن يدرس لغاته ليقف على أحوالـــه ، فكـــان أن احتلت اللغة العربية مكان الصدارة ، وكان لها الشأن الأول بين اللغات الأخـــرى ، وكان يدرسها الأجانب حتى نبغ فيهم مترجمون عديدون نقلوا جانبـــا مـــن التـــراث العربي إلى لغاتهم. وتنافس الناس جميعا في تعلمها للاطلاع على حضارة العـــرب ومدنيتهم الباهرة. ([1])

فعلينا أن نستكمل دورة التفاعل بين الفكرين الغربي والشرقي ، وليس منا من ينكر أن في مقدور اللغة العربية أن تأخذ و تعطي بحيث تؤدي رســـالتها المرجـــوة كأداة عالمية في التعبير في مختلف العلوم و الفنون ، فباللغات والترجمـــة نـــستعيد منزلة العرب الأولى، وإذا كانت ثقافتنا فيما مضى قـــد اضـــطرتنا إلـــى الترجمـــة و التأليف ومعرفة اللغات ، فإننا اليوم في العهد الجديد في حاجة أمس إلى اللغـــات و الترجمة والتعريب والتأليف ، فغاية الثورة الإنسانية من تثقيف المتعلمين باللغـــات و الترجمة هي تمكينهم من مسايرة الاتجاهات العالمية في التفكير . ([2])

لهذا فإن وجود لغة عالمية يؤدي إلى التخلص من مشاكل الترجمة وما تثيره في كثير من الأحوال من سوء التفاهم و الشقاق ولاسيما في المجـــالات الدوليـــة ، و التخلص كذلك من تلك الجهود التي تبذل في الترجمة و النفقات الباهضة التي تنفق عليها ، ففي منظمة الأمم المتحدة جهاز ضخم للترجمة يتكون من مئات المتـــرجمين وأدوات اتصالات كهربائية معقدة للإرسال و الاستقبال ، يقوم على صيانتها عدد من المهندسين المهرة الذين يمكن الانتفاع بهم في وجوه أخرى، ومع مهارة المتـــرجمين في هذه المنظمة ودقتهم لم يخل الأمر من أخطاء أو انحرافات في التعابير لا يمكـــن معها التفاهم بين المؤتمرين ، وقد شعر القائمون بعملية الترجمة في كـــل العـــصور بتلك الصعوبات التي كانت تصادفهم ولكنهم مع هذا لم ينصرفوا عن الترجمـــة بـــل ظلوا يتابعون جهودهم جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر، فيوفقون حينـــا ويخفقـــون أحيانا، ذلك لأن الأمم و الشعوب قد رأت منذ القدم حاجتهـــا الملحـــة فـــي اتـــصال بعضهم ببعض وفي تبادل الثقافة، وقد تبين للمفكرين في تلك الأمم أن تبادل الثقافـــة

---

[1] – المرجع السابق ، ص 56 – 57 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 59 – 60 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

يحول دونه حصون منيعة فصلت بين بني الإنسان وهي اللغـــات، وأولئـــك الـــذين حاولوا التطلع إلى ما وراء تلك الحصون نفر قليل من الناس في كل أمة وفي كـــل عصر، وهم الذين قرّبوا بين الشعوب ووصلوا الإنسان بأخيه الإنسان رغبـــة فـــي تبادل المنافع و المعارف. ([1])

وقد أدى التقدم الهائل والسريع في أنظمة الحاســـوب وبرمجياتهـــا ، وفـــي تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى انتشار الترجمة الآلية والتي تتم مـــن خـــلال برمجيات حاسوبية تترجم من لغة إلى أخرى، وهناك محـــاولات وتجـــارب حـــول إخضاع اللغة العربية للترجمة الآلية، وهذه المحاولات قد قطعت مراحل جيدة تكفلت بها شركات برمجيات عديدة .

لكن السؤال المطروح : **إذا ما اكتملت البرمجيات اللازمة لترجمة اللغـــة العربية آليا من وإلى غيرها فما دور أهل اللغة في تطوير لغتهم ؟ وهل ســـتنتظر شركات البرمجيات في ترجمة الكتب والوثائق و التقارير حتى تنتهي المؤســـسات اللغوية من الاتفاق على قواعد الترجمة والمصطلحات والكتابة والترقيم والاختصار والرسم والرمز، وغير ذلك مما تشمله الكتابة العلمية والتكنولوجية ؟**

ومن سيضبط دقة ما يترجم خاصة وأن السرعة في الترجمة ستكون غير محدودة لأنها هنا ترجمة فورية وآلية في نفس الوقت، وهل ستقبل الترجمة الآلية مختلف قواعد النحو و الصرف أم ستفرض نوعا آخر من القواعد ؟

ولهذا لابد أن يعمل أهل اللغة بالتعاون مع أهل البرمجيات لوضع قواعد تصلح للبرامج الحاسوبية وفي نفس الوقت تحافظ على روح اللغة وســـماتها وخصائـــصها دون إجحاف ودون تشدد . ([2])

فقد وضح من استقراء تاريخ الحضارات أن الترجمة ضرورة من ضرورات حياة الأمة لتحقيق التواصل الفكري الدائم بينها وبين العالم الخارجي مـــن حولهـــا، وهي بالنسبة لنا نحن أبناء العربية تمثل مفتاحا أساسيا من مفاتيح ملاحقة ركب التقدم العلمي والترقي التقني في العالم الخارجي، وذلك بفضل ما تؤديه من انفتـــاح علـــى المخترعات العالمية والمكتشفات العلمية واطلاعنا على ما وصل إليه العالم المتقـــدم

---

[1] – د. إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، ص 302 – 303 .

[2] – د. إبراهيم بدران ، مقال " اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، ، ص 351 – 352 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

من مراحل في طريق الرقي، وهذه عملية جوهرية في مراحل النهضة والتقدم للأمة أي أمة كانت ، إضافة إلى هذا فإن انتشار حركة الترجمة و العناية بها تفيد اللغة العربية ذاتها بما تقدمه من إضافات جديدة في الألفاظ و المصطلحات و المعطيات العلمية والفنية ([1]) ، أو كما يقول الأستاذ إبراهيم خورشيد : ([2])

" إن أية أمة تترجم للحاجة والضرورة التي تبعث على الترجمة من الدين أو حاجة من العلاج ، أو حاجة من التقدم الصناعي، أو حاجة من كشف المجهول، كما تترجم للمتعة الروحية التي تشيع البهجة في النفس حين تقرأ أثرا من آثار غيرها ، وتترجم استكمالا لمعارفنا التي يجب ألا تقف عند حد ولا تنتهي عند غاية، وتترجم تعزيزًا لمقوّمات شخصيتنا التي تزيدها القراءة قوة واستقلالا، وتترجم تقوية لوشائج التفاهم الدولي بين الأمم، وتترجم لتفتح أمامنا نوافذ الفكر فنستطيع أن نطل على العالم وعلى ما حولنا من نوافذ متعددة، وبهذا تكون الرؤية أمامنا أوضح والضوء أقوى والآفاق أرحب.

ومنذ بداية النصف الثاني لهذا القرن ظهرت بوادر حركة قوية في ميدان تعليم اللغات الأجنبية تؤكد ضرورة إجراء الدراسات التقابلية بين اللغات المختلفة للتعرف على ما يجب تقديمه لدراسي اللغات الأجنبية. ([3]) ويمكن اعتبار التعليمية – وهو فرع حديث من فروع علم اللسان العام – مصطلحا حديثا لعلم عريق في التراث يهتم بدراسة أنجح الطرق في تحصيل اللغات . ([4])

فمن أهم المظاهر الحضارية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الاهتمام الواضح بتدريس اللغات الحية وتطوير هذا التدريس ليواكب بقاع الحياة العصرية ومتطلباتها، وقد حظيت اللغة العربية بجانب كبير من هذا التطور، إذ استطاع الخبراء العرب في هذا المجال تطويع الأبحاث و الدراسات التي تمت في مجال تعليم اللغات الحية لخدمة اللغة العربية .

---

[1] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 120 .

[2] – خورشيد إبراهيم زكي ، الترجمة ومشكلاتها ، ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1406 هـ / 1985 م ، ص 8.

[3] – د. محمد إسماعيل صيني ، إسحاق محمد الأمين، التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء ، ط1 ، عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود الرياض ، 1402 هـ / 1982 م ، ص هـ .

[4] – عمار ساسي ، اللسان العربي وقضايا العصر ، ص 80 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وقد تركز جانب كبير من هذا التطور على التدريس التقليدي إذ تناول بالتغيير ما يتعلق به من مفاهيم وأهداف وطرق تعليمية ووسائل معينة، كما أثر هذا التطور على المدرسين أنفسهم وطرق إعدادهم و الدور المنوط بهم بالإضافة إلى المقررات الدراسية و نظم الامتحانات . ([1])

ولاشك أن التقدم التكنولوجي كشأنه من الكثير من مظاهر الحياة العصرية أسهم كثيرا في تطوير طرق التعليم الحديثة، ففي كل يوم يطالع المدرسون في الأسواق وسائل فنية كالأفلام والأشرطة والأسطوانات بالإضافة إلى المذياع والتلفزيون والمسجل ومختبر اللغة وغير ذلك من الوسائل السمعية والبصرية أو الوسائل المعنية التي تساعدهم بل تحثهم على تطوير طرقهم في تعليم اللغات الحية. ([2])

و العربية قد حققت علميتها وعالميتها معا ، حققت علميتها عندما استطاعت أن تستقبل العلوم في عصر النهضتين العربيتين الأولى و الثانية وبينهما ألف عام ، وعندما أغنت العلوم وحملت ثمرات العقول العربية المبدعة عدة قرون ، وحققت عالميتها عندما اتصلت باللغات الأخرى الشرقية والغربية فأخذت وأعطت واقترضت وأقرضت فعرفت أبناءها بما لدى غيرهم ، وعرفت الآخرين بما عند أبنائها . ([3])

وعلينا اليوم أن نحرص الحرص كله على تطوير هذه اللغة العربية وتطوير طرق تدريسها لنحفظ لها مكانتها بين اللغات العالمية المعاصرة، لأن عصر المعلوماتية والتكنولوجيا الحديثة يفرض البقاء للأقوى والأصلح ، والأقوى والأصلح في عالم اللغات هو للغة التي تثبت قدرتها على استيعاب العالم المعاصر فتعتبر عن كل جديد فيه دون عجز أو قصور، وتترجم كل جديد وافد أصدق ترجمة.

---

[1] – د. حمادة إبراهيم ، الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية و اللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1987 م ، ص 5 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 8 .

[3] – د. شحادة الخوري ، مقال " واقع اللغة العربية عربيا ودوليا "، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 380.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ج – الترجمة و التعريب حديثا :

فاللغة هي سجل العلوم والآداب والفنون عند كل أمة ، والعقول البشرية مختلفة والبيئات التي تؤثر في النفوس الإنسانية متباينة وقد تهتدي أمة بخبراتها وتجاربها إلى ما لم تهتد إليه أمة أخرى، وقد تختلف آدابها وفنونها لاختلاف الأمزجة والطباع باختلاف أحوال المعاش وطبيعة البلاد وسائر الأحوال التي تؤدي إلى أنواع الآداب كما تختلف النظم الاجتماعية في البلاد المختلفة تبعا لأحوال معاشها أو لدين سماوي نزل إليها أو نحو ذلك من الأمور التي تؤدي إلى تباين النظم الاجتماعية التي تحيا عليها الأمم المختلفة، لذلك كان من المفيد لكل أمة أن تطلع إلى ثمرات العقول عند غيرها من الأمم لاسيما في عصرنا هذا الذي تتطور فيه الحياة تطورا سريعا، وتتجدد العلوم ويظهر في ميادينها المختلفة كل يوم جديد من الحقائق أو طريف من المبتكرات، كما تتنوع المذاهب الأدبية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ولابد لكل أمة تريد النهوض أن تعرف أسباب نهوض الأمم الأخرى من علم وأدب وفن ونظام لتلحق بها، وعلى كل أمة أن تشارك بنصيب في تقدم الحضارة الإنسانية والعلوم الإنسانية، وينبغي لها من أجل ذلك أن تعرف ما وصلت إليه غيرها من الأمم الأخرى حتى تبني على ما بنت وتزيد على ما وصلت إليه جديدا من العلوم و الفنون ، و السبيل إلى ذلك معرفة اللغات و الترجمة . ([1])

لذلك فإننا نحرص على الترجمة من الآداب و العلوم الأجنبية ، فالترجمة لم يكن لنا غنى عنها في يوم من الأيام ، وكلما امتدت ثروتنا الأدبية وازدادت اتساعا وغزارة ، وكلما ازداد اتصالنا بالفكر الإنساني كلما زادت حاجتنا إلى الترجمة ، فاللغات والترجمة من أي النواحي أتيتها أداة فعالة من أدوات الثقافة العالية التي نحتاج إليها . ([2])

وما أحرى أبناء العروبة أن يلموا باللغات والترجمة وأن يوجهوا إليها ما تستحقه من عناية وأن ينتفعوا بما يمكن أن يكون فيها من ثمرات فدراسة تاريخ حضارة الأمم الأخرى يعتبر ركنا أصيلا في دراسة أدب هذه الشعوب ودراسة لغاتها وعلومها، ذلك أننا بالترجمة نستطيع أن نبرز المقومات الكبرى والمعالم

---

[1] – حسن الأشموني ، أثر الترجمة في حضارة العرب ، ص 91 – 92 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 37 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الرئيسية لحضارتنا العربية وأن نصل حضارتنا بتراث العرب الماضي، فلنعمد إلى الأخذ من كل مطلب من مطالب الحياة كما كانت سنة أجدادنا وآبائنا العـرب ، وأن نجعل نصب أعيننا اللغات و الترجمة. ([1])

فهي تعتبر من أهم الوسائل في بناء آداب الشعوب كما تعتبر مـن الوسـائط الثقافية التي لا غنى لأي شعب عنها ، ذلك أن الترجمة أداة الاتصال بالحياة العقليـة الفردية والجماعية على حد سواء فإذا أردنا أن نتعرف على شعب فخير وسيلة هـي قراءة كتبه ومؤلفاته، فالشعوب وإن تشابهت في مراحل حياتها ضعفا وقوة وإشـراقا وظلمة فهي تختلف في الطباع و في الخصائص ودرجـة التعلـيم ونـوع الثقافـة و التربية .

فمن طبيعة العصر الذي نعيش فيه التطور المستمر في جميع مجالات الحياة ويصاحب هذا التطور عادة استحداث معاني وألفاظ جديدة تناسب التقنيات الحديثـة و المكتشفات العلمية، وقد تستجد ألفاظ وكلمات ومصطلحات في العلـوم الطبيعيـة و الإنسانية فلابد للغة العربية أن تقتحم هذه المجالات والتكيف معها والعمـل علـى ترجمتها وإيجاد المرادفات في لغتنا الواسـعة التـي تـستوعب مـدلولات أعظـم المكتشفات والمبتكرات.

وهناك اتجاه لدراسة بعض الظواهر التركيبية في العربية المعاصرة أصحابه خليط من المستشرقين والعرب بعضهم يتناول ظـاهرة جزئيـة وبعـضهم يتنـاول مجموعة ظواهر بالدرس الوصفي أو التقابلي الذي يقابل بين قواعد العربية الفصحى وقواعد لغة أوربية حديثة والجامع بين أصحاب هذا الاتجاه أنهم إذا وجدوا شبها بين جملة أو تركيب ما في العربية وإحدى اللغتين : الفرنسية أو الانجليزيـة سـارعوا فجزموا أن العربية المعاصرة اقتبست هذه الظاهرة التركيبية من إحداهما أو كلتيهما، ونحن وإن كنا لا ننفي التأثير اللغوي الأوربي في العربية المعاصرة نرى أن التشابه وحده ليس كافيا، فكل لغات العالم بينها وبين لغات أخرى من غير أسرتها اللغويـة تشابه، أما القول بالاقتباس فيلزمه : ([2])

1 – أن تكون الظاهرة المزعوم اقتباسها موجودة حقا في اللغة الأوربية المعنيـة وأن تكون من الظواهر كثيرة الاستعمال بين أبنائها.

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 50 – 51 .

[2] – عباس السوسوة ، العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية ، ص 21 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

2 – وأن تخلو العربية المكتوبة قبل أواخر القرن التاسع عشر الميلادي من هـذه الظاهرة .

ولا يخفى أن قسما عظيما من الأفعال العربية أصلها أسـماء جامـدة ربما كانت في الأصل أعجمية معربة والغالب فيها أن تكون رباعية كقولهم " فلسف" و تفلسف الرجل تحكم (من الحكمة) وتحذق بالشيء و الأصل فيها كلمة يونانية هي " phila sofia " الفلسفة وهذه مركبة من أصلين : (plilia) حـب ، (sofia) الحكمـة وأمثال هذه الكلمات كثيرة في العربية وأكثرها مأخوذ عن الفارسية أو اليونانيـة أو اللاتينية واللغة لا تنفك عن الاستعارة في كل آن وزمان ، فإن العامة تقول " ستّف " بمعنى رتب صفوفا بعضها فوق بعض وهي لفظة كثيرة الاستعمال بينهم ولا نرى لها ذكر في كتب اللغة ، فالظاهر أنها معربة من " stow " التي هي" stuff " من أصل واحد ، فيرجح أن عامتنا أخذت هذا الفعل عن الانجليز ولو حـصل ذلـك قبـل أن جمـعت اللغة لكانت هذه اللفظة معـدودة الآن بين الألفاظ العربية، ولمـا تجرأنـا على القول بأنها مأخوذة عن لغة أعجمية ، فما المانع من حصول مثل ذلك في اللغة قبل أن جمـعت وهي إذ ذاك أكثر قبولا لمثل هذه الاستعارة نظرا لاحتياجهـا إلـى الألفاظ. ([1])

وقد تسللت بعض التعبيرات والأساليب إلى لغتنا بفعل الترجمـة مـن آداب ولغات أوربية مثل : ذّر الرماد في العيون – يكسب خبزه بعرق جبينه – لا يـرى أبعد من أرنبة أنفه – يلعب بالنار– لا جديد تحت الشمس – ألقى المسألة على بساط البحث – توتر العلاقات – يلعب دورا خطيرا في السياسة أو التاريخ .. الخ

بل إن اللغة العربية استخدمت تراكيب جديدة من طبيعة تعبير اللغات الأجنبية ومثال ذلك شيوع استخدام الجمل الاسمية وتناثرها وكأنها وحدات مـستقلة ، فهـذه طريقة التعبير الأوربي تماما بالجمل الاسمية المستقلة التـي تجعـل فيهـا الـنقط و الوقفات فقرات تالية . ([2])

فمشكلة " الاستعمال اللغوي " أو" التركيب اللغوي" النـاجم عـن الأسـاليب الأجنبية المترجمة جزء من المشكلة اللغوية العربية المعاصرة التي لا دخـل للغـة العربية فيها، وينبغي الاهتمام الكبير بهذا الجانب، لأنه عظيم التـأثير فـي سـلامة

---

[1] – جرجي زيدان ، الفلسفة اللغوية و الألفاظ العربية ، ص 111 .

[2] – عبد العزيز شرف ، اللغة العربية و الفكر المستقبلي ، ص 43 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الاستعمال اللغوي العربي، لأن الترجمة لها " جنايات كبيرة على التراكيب العربية الفصيحة " ([1]) التي ينبغي الوقوف لها بالمرصاد حتى لا تشيع هذه الأخطاء الناتجة عن الترجمة عن اللغات الأجنبية على حساب تراكيب اللغة العربية الفصيحة.

يقول طه حسين : " إن لنا في هذه اللغة التي نتكلمها ونتخذها أداة للفهم و الإفهام حظا يجعلها ملكا لنا ، ويجعل من الحق علينا أن نضيف إليها ونزيد فيها كلما دعت إلى ذلك الحاجة أو قضت ضرورة الفهم و الإفهام أو كلما دعا إليه الظرف الفني ، لا يقيدنا في ذلك إلا قواعد اللغة العامة التي تفسد اللغة إذا جاوزناها، فليس لأحد أن يمنعك أو يمنعني أن نضيف إلى اللغة لفظا جديدا أو ندخل فيها أسلوبا جديدا مادام هذا اللفظ أو ذاك الأسلوب ليس من شأنه أن يفسد أصلا من أصول اللغة أو يخرج بها عن طريقها المألوفة " . ([2])

ولقد كان للوعي اللغوي أثر بالغ خلال الحقبة الماضية في إمداد الفصحى بالمئات من الكلمات التي عبرت عن جديد الحضارة ، ومازلت جهود اللغويين والباحثين والمترجمين والكاتبين عامة تتواصل في هذا السبيل.

ولقد كان موقف مجمع اللغة العربية من ألفاظ الحضارة موقفا طيبا أقبل على المسميات الدائرة في الحياة العامة يعالجها بأن يتخذ لأسمائها الأجنبية بديلا مستمدا من الكلم الفصاح، وهو نفس الموقف الذي اتخذه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي في الرباط في حملته لمحاربة اللفظ الدخيل في العالم العربي وما نجد ثماره في معجم " قل ولا تقل" والذي تطالعنا به مجلة " اللسان العربي" التي يصدرها. ([3])

ج / 1 – دور التعريب في التنمية :

لقد أصبح من الحقائق الثابتة القول : إن العلاقة بين التنمية والتربية و التعليم العالي و الجامعي عميقة وجوهرية، وأن كل توسع في هذا المجال من

---

[1] – يوسف حسين بكار ، الترجمة الأدبية إشكاليات ومزالق ، الفصل الثاني من جنايات الترجمة على التراكيب العربية الفصيحة ، ص 29 – 45 .

[2] – طه حسين ، حديث الأربعاء ، ج3 ، ط9 ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ج م ع ، ص 29 .

[3] – عبد العزيز شرف ، اللغة العربية والفكر المستقبلي ، ص 46 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

التعليم يجب أن يتم في ضوء حاجات القوى العاملة و حاجات التنمية الاقتصادية و الاجتماعية في الحاضر وفي المستقبل، وذلك ضمن الأهداف الإنسانية الرفيعة التي تهدف إلى رقي الفكر الإنساني والحضارة الإنسانية في جميع جوانبها. ([1])

ثم إن الأمة العربية تعاني من تخلف كبير في البحث العلمي و التنمية ، لهذا يجب وضع إستراتيجية شاملة للنهوض بالأمة العربية مرتكزة على العلم و على إعداد القوى البشرية العلمية المؤهلة ، إذ لا يمكن لأية أمة أن تتقدم وتنمو اقتصاديا واجتماعيا دون تقدم علمي ، وعدم اعتماد التعريب يؤدي إلى فقدان الوحدة الثقافية المبتغاة بين الدول العربية ، فلا يستطيع البحث العلمي أن يتابع لأنه يصدر في إحداها بلغة لا تحسنها الأخرى ، فالبعض يستخدم اللغة الفرنسية و الآخر يستخدم اللغة الانجليزية أو الألمانية أما داخل القطر العربي الواحد فعدم استعمال اللغة العربية يؤدي إلى خلق ازدواجية قد تشكل خطرا على الوحدة الوطنية . ([2])

وإن استعمال اللغة العربية يساعد في تكوين القوى البشرية و النشر العلمي وعلى التقليل من الصعوبات التي يعانيها الطلاب باعتمادهم على اللغة الأجنبية التي تؤدي إلى قلة استيعابهم وتمثلهم العلوم ،فينخفض مدى التحصيل العلمي ويتدنى مستوى التعليم بشكل عام ،وهو يؤثر سلبا على التنمية لما للتعليم الجامعي من دور فيها ، كما يساعد التعريب أيضا في تسهيل التنسيق بين مراكز البحوث في الأقطار العربية وتبادل الخبرات وعلى توسيع الثقافة العلمية في الأوساط الشعبية و الكفاءات المتوسطة التي لا يمكن للأمة أن تنهض بدونها ، ثم لا ننسى أن اللغة العربية عنصر هام في بناء شخصية المواطن العربي ، وتعلمه بلغته يقوي عزته ويربطه بماضيه وتراثه العام ، وهو يكمل التحرر الفكري للأمة العربية ويعينها على كسر طوق التخلف والتحرر من أنواع التبعيّات الاقتصادية والثقافية والعلمية ويساعد على وحدتها. ([3])

---

[1] – د. عبد الكريم خليفة ، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث ، ط5 ، دار الفرقان للطباعة و النشر والتوزيع ، 1418 هـ / 1997 م ، ص 182 .

[2] – د. سعيد كناي ، مقال " تعريب العلوم ودوره في التنمية في الوطن العربي " ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 66 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 67 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ج / 2 – تجارب حديثة للترجمة و التعريب :

وقد مرّت مناطق الوطن العربي بمرحلة انحطاط قبل أن تستفيق في فجر نهضتنا الحديثة وتبدأ الخطى في إصلاح ما أتلفه عصر انحطاطها ، وكان مما أولته اهتمامها مسألة اللغة العربية و كيفية بعثها لتواكب الحضارة الحديثة ، ومسألة اللغات و الترجمة وتعريب المعارف و العلوم التي تعد أساسا لكل نهضة .

– تجربة مصر :

ففي مصر كانت حملة نابليون هزة عنيفة للمصريين ، حيث نبهتهم أنهم يعيشون في جهالة وأن أوربا قطعت أشواطا بعيدة في الحضارة ، ورأى محمد علي أن من خير أسباب النهضة نقل آثار الأمم الغربية في العلوم و الآداب ، وقد وجد المترجمون أول الأمر عسرا لتخلف اللغة العربية عن متابعة الحركة العلمية زمنا طويلا، واحتاجت الترجمة إلى علماء ذوي شغف بالاطلاع و البحث وجلد على العمل، رجعوا إلى معجمات اللغة و الكتب القديمة – من الكتب العربية – لاستخراج المصطلحات العلمية أو لصياغة ما يؤدي مطالب العلم الحديث إذا عجز القديم عن أدائه وإن كانت الألفاظ الأجنبية في كثير من الأحيان قد غلبتهم، ففضلهم في عقد الصلة الأولى بين الشرق و علوم الغرب لا يجحد . ([1]) وقد تطلب الأمر طبقة من العلماء يتولون مهمة الترجمة و التعريب و النهوض بالأمة .

لقد كانت الآثار الثقافية للحملة الفرنسية موضع إعجاب في أوساط المثقفين المصريين ، فعمل محمد علي على تنشئة طائفة من الشباب المصري المزود بثقافة عصرية وذلك بإرسالهم إلى فرنسا للتخصص في فروع مختلفة من العلم ، وفي الوقت نفسه أنشأ محمد علي عددا من المدارس الابتدائية والثانوية على النظام الحديث وأمر بترجمة المؤلفات التعليمية و العلمية من الفرنسية إلى العربية .([2])

وكانت غاية محمد علي مرتبطة بإنشاء قوة عسكرية تناسب طموحه إلى القوة فكان مما أنشأ مدرسة أركان الحرب في أبي زعبل شمال القاهرة ودعا لها أساتذة من الفرنسيين ، ثم أنشأ في الضاحية نفسها مدرسة للطب الحديث سنة 1826 ، فكان

---

[1] – حسن الأشموني ، أثر الترجمة في حضارة العرب ، ص 113 .

[2] – د. تمام حسان، مقال " اللغة العربية بين العوربة والعولمة " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 189 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

إنشاء هذه المدرسة وجهودها في التعليم والترجمة خير وبركة بالنسبة للغة العربية واتصالها بالعلم و الفن الحديثين ، وكان من ضروريات الترجمة أن يطلع المترجم على معاجم اللغة والمفردات الفنية والإصلاحية القديمة كمفردات ابن البيطار، وذلك للعثور على المصطلح المناسب أو لصوغ مصطلح آخر يؤدي إلى فهم المحتوى وبهذا انعقدت الصلة بين لغة العرب و علوم الغرب. ([1])

وقد عرفت مصر الترجمة العلمية أول الأمر مما كان يقوم به الأساتذة في مدرسة الطب لإفهام طلابهم مادة العلم ، ثم قام المترجمون بترجمة طائفة من الكتب التي وضعها هؤلاء الأساتذة بلغتهم في الطب و الفسيولوجيا والطب البيطري وغير ذلك ، ثم أنشأ محمد علي مدرسة الألسن سنة 1842 لتخريج المترجمين ، و اتبع ذلك بإنشاء إدارة للترجمة (قلم) أنتج الكثير من الكتب العلمية في نواح متعددة من أمور الحياة ، فأضاف بذلك توثيقا للصلة بين العربية و العلوم الحديثة ، ولم يقف الأمر بالمصريين عند مجرد تحصيل العلوم الحديثة من مصادرها الأجنبية و الوقوف عند إجادة فهمها ، بل أضافوا إلى ذلك بالتدريج مشاركة في تنمية ما لديهم منها في صورة مؤلفات وضعت باللغة العربية فكانت هذه المؤلفات مصابيح تنير طريق النهضة العلمية و الابتكار باللغة العربية . ([2])

ومحمد علي لم ينتظر في ترجمة العلوم الطبية وغيرها وتعريب المعارف إلى أن يأتي مبعوثوه من أوربا ولم ينتظر أيضا حتى يتعلم الأساتذة الأجانب الذين استجلبهم لتعليم المصريين، بل كان في بداية النهضة يصحب الأستاذ الفرنسي ترجمان وهؤلاء التراجمة كانوا من اللبنانيين والمغاربة والأرمن ، كما تم اختيار نخبة من رجال الأزهر من ذوي الدراية بعلوم اللغة وكلف هؤلاء الرجال بمراجعة النصوص المترجمة وتصحيحها وإعادة كتابتها بلغة سليمة واضحة . ([3])

وكانت مدرسة الألسن منذ إنشائها سنة 1835 مركزا للترجمة إلى التركية وإلى العربية وفي عهد محمد علي تمت ترجمة 114 كتابا إلى اللغة العربية و 61 كتابا إلى اللغة التركية، وتتناول الكتب المترجمة إلى العربية كل فروع العلوم الطبية و الطبيعية و الرياضيات. ([4])

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 190 .

[2] – المرجع السابق ، ص 191 .

[3] – د. محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية غي العصر الحديث قضايا ومشكلات ، ص 19 .

[4] – المرجع نفسه ، ص 18 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وقد شعر بعض العلماء والأدباء المصريين بأن الحضارة الغربيـــة تغـــزوهم بشدة، وأنهم أمام فيض زاخر من الصناعات و العلوم وألوان الحضارة وأدواتهـــا ، وكثير من المخترعات والكشوف الطبية والكيمياوية والفنون العقلية و اليدوية ولكـــل منها مصطلحاتها، ولا تستطيع اللغة العربية أن تجاري كل هـــذا أو تعبـــر عنـــه ، فأخذوا يستحثون علماء اللغة على النهوض بها حتى لا تتخلف عن ركب الحـــضارة أو تغزوها اللغات الأجنبية وتضعفها ، فأنشئ المجمع اللغوي يضم نخبة مـــن كبـــار العلماء والأدباء وهو جاهد في وضع كثير من المصطلحات أو تعريبها أو اشتقاقها، لتطويع اللغة للعلوم والفنون المختلفة وفي هذه الفترة الأخيرة مالت الترجمـــة إلـــى الناحيتين الأدبية والاجتماعية . ([1])

- **سوريا و لبنان :**

وفي بلاد الشام وعلى وجه التجديد في ربوع لبنان المطل علـــى البحـــر أحدثت المدرسة الأمريكية في قرية تدعى " عبية " في النصف الثاني مـــن القـــرن التاسع عشر، ثم نقلت إلى بيروت وحملت اسم الكلية الأمريكية ، وكان الطب مـــن العلوم التي تدرس في هذه الكلية بنجاح ظاهر، ولكن التعليم بالعربية في هذه الكليـــة لم يدم طويلا وفي غفلة من الزمن جرى تحويله من العربية إلى الانجليزية. ([2])

أما في سوريا حيث تكثر نسبة السكان المسيحيين على اختلاف مذاهبهم فقـــد تسربت إليهم الثقافة الحديثة أول الأمر بواسطة المبشرين الأوربيـــين و الأمـــريكيين على حد سواء، فقد أنشأ هؤلاء المبشرون عددا مـــن المـــدارس وبعـــض الكليـــات و المطابع ، وأضافوا إلى تعليم الدين المسيحي و الدعوة إليه تعلـــم بعـــض العلـــوم الحديثة حتى إذا ألم بعض الشباب بما تلقوا من هذه العلوم بدأوا يـــشيّدون بأنفـــسهم بعض المدارس العليا وغيرها ، وكان لهم من وحدة الدين بينهم وبين الغـــربيين مـــا شجعهم على طلب العلم في بلاد الغرب، وكما كان الأزهر في مـــصر ســـببا فـــي الحفاظ على تراث العربية في صورته التي كان عليها ، كان في سوريا عـــدد مـــن المشتغلين بالتراث على المستوى الفردي ، فلما تنبه الشباب السوري إلـــى ظـــواهر البعث العلمي كانت اللغة العربية واسطة لصحوتهم ووسيلة لإنتاجهم . ([3])

---

[1] – حسن الأشموني ، أثر الترجمة في حضارة العرب ، ص 123 – 124 .

[2] – شحاذة الخوري ، دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب ، ج1 ، ص 190 – 191 .

[3] – د. تمام حسان، مقال" اللغة العربية بين العوربة والعولمة " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 192 – 193.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وقد قامت أول حكومة عربية في دمشق سنة 1918م وأسست وافتتحت المدرسة الطبية العربية 1919 م وبدأت تدريسها بالعربية منذ افتتاحها واستمرت في ذلك باطراد حتى اليوم مع الكليات العلمية العديدة التي أنشئت بعدها في القطر العربي السوري، وتعاهد أساتذتها منذ البدء على التدريس باللغة العربية و الترجمة إليها و التأليف بها ، وإيجاد المصطلح الطبي الملائم ، فأعلوا من شأن العربية و عرفوا خصائصها فاستخرجوا لآلئها ونشروها في مؤلفاتهم وترجماتهم، وقد دأبت هذه الكلية تخرج الأطباء باللغة العربية دون أن يقل مستواهم العلمي عن أية كلية للطب في الوطن العربي و العالم ، وقد جرت مجراها الكليات العلمية الأخرى التي أحدثت في القطر العربي السوري منذ استقلاله حتى اليوم ، فقد تابعت الكليات جميعها وفي جامعات القطر الأربع خطوات كلية الطب واعتمدت العربية لغة العلم و التعليم ، وترجم أساتذتها العلوم المختلفة إلى العربية وألفوا بها الكتب الجامعية وجدّوا في إيجاد المصطلح دون كلل أو هوادة . ([1])

ومنذ عام 1960 بدأت نقابة الأطباء في سوريا بإصدار " المجلة الطبية العربية " وهدفها إثبات صلاحية اللغة العربية للتعليم الطبي و الأبحاث الطبية المختلفة ، واستمرت في الصدور كل ثلاثة أشهر إضافة إلى " دليل الكتاب التقني العربي " وهو وإن كان دليلا غير كامل فإنه يورد ما لا قل عن 700 كتاب ومرجع باللغة العربية في مجالات العلوم و الميادين التقنية المختلفة ، وقد نجحت التجربة السورية نجاحا ملحوظا فجامعة دمشق مثلا تدرس الطب بالعربية منذ أكثر من نصف قرن ويتخرج فيها النابهون و العلماء في مختلف التخصصات الطبية ، وباعتراف بعض الهيئات الدولية ، فإن الطلبة الذين تلقوا علومهم الطبية باللغة العربية لا يقلون مكانة عن خريجي الجامعات الأجنبية مما يؤكد أن اللغة العربية لا تقل شأنا عن اللغة الانجليزية في قدراتها على التعبير كما هو مطلوب، كما يؤكد المسؤولون أن القائمين على التدريس استطاعوا بكفاءاتهم العلمية ومقدرتهم على عمليات الترجمة أن ينقلوا إلى طلابهم كل ما هو جديد وحديث ، وخير دليل على ذلك هي الكتب الطبية العربية المتوافرة في متناول الطلبة و التي ساهم في تأليفها أو ترجمتها أعضاء هيئة التدريس. ([2])

---

[1] – شحاذة الخوري ، دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب ، ج1 ، ص 31 – 32 .

[2] – مجمع اللغة العربية الأردني ، الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني ، ط1، عمان، الأردن، 1405هـ/1985م، ص 65

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فالتجربة التاريخية إذن تبرهن على أن تعليم الطب باللغة العربية هو الأمـــر البديهي وأن مستوى الأطباء لم ينخفض حين تعلموا بلغتهم القومية ، بل إن التعلـــيم باللغة العربية مهّد للمؤلفات الطبية العربية فرصة الظهور والانتشار ووفّر إمكانيـــة وضع المصطلحات وهيأ المناخ للبحث العلمي في الحقل الطبي.

- **العراق :**

كما اتخذت الجمهورية العراقية عام 1976 قرارا سياسيا بتعريب التعلـــيم العالي تعريبا كاملا ورسمت الخطوات اللازمة وأحدثت الهيئات المختصة التاليـــة : الهيئة العليا للتعريب – مركز التعريب بوزارة التعلـــيم العـــالي و البحـــث العلمـــي – اللجان الجامعية للتعريب – الهيئات العلمية في الأقسام – اللجنة الجامعية . كمـــا أحدثت في وزارة الإعلام دائرتين إحداهما للتعريب و الثانية للتعجيم وأصدرت عام 1977 م قانون المحافظة على اللغة العربية . ([1])

- **الأردن :**

وتأسس مجمع اللغة العربية في عمان 1976 م ومنذ تأسيـــسه وهـــو يعتبـــر تعريب التعليم الجامعي أحد مسؤولياته ، فقام بترجمة عدة كتب علمية في مجـــالات متعددة مستعينا بمشاركة أساتذة الجامعات، كما أن دستور الجامعات هنـــاك يـــنص على أن اللغة العربية هي لغة التدريس – إلا في حالات اســـتثنائية شـــاذة – إلا أن التعريب قد تأجل في كليتي طب الأسنان والطب البشري إلـــى ســـنة 1980 م حيـــث يجري تعريب علومها منذ ذلك التاريخ. ([2])

- **تجربة المغرب العربي :**

أما في المغرب العربي فتقوم في تونس المؤسسة الوطنية للترجمته و التحقيق والدراسات ببذل الجهد في هذا المجال ، فقـــد أنـــشأت معهـــدا يخـــتص بالترجمـــة والتعريب هناك وهو" المعهد الوطني للترجمة الأدبية والعلمية ووضع المصطلحات " إلا أن التعريب الشامل للمرحلة الجامعية لا يزال يعاني من القـــصور، فـــلا تـــزال الفرنسية هي اللغة الرئيسية للتدريس و البحث العلمي . وقد انعقدت في تونس نـــدوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علما وتطبيقا سنة 1986 ، شاركت في تنظيمها

---

[1] – شحاذة الخوري ، دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب ، ج1 ، ص 33 .

[2] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 112 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المنظمات الدولية ذات العلاقة بالموضوع وهي : المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس والمنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، والمعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية، ومركز المعلومات الدولي لعلم المصطلح .

وقد نهجت دولتا المغرب و تونس نهجا يقوم على الاحتفاظ باللغة الفرنسية مع التعريب في الوقت نفسه وهذه الثنائية اللغوية تطبيقا لمبدأ الأصالة عن طريق العربية و الحداثة عن طريق الفرنسية.

وتختلف السياسة اللغوية في الجزائر عنها في تونس و المغرب في وصف التعريب بأنه ضرورة لا تقل أهميتها عن التحرير وقد برز فيها موقفان مختلفان عن التعريب ،حيث يرى أنصار التعريب أنه تعميم للثقافة في إطار خطة شاملة ترمي إلى تحويل الذهنية الوطنية عن النسخ الثقافي و الاجتثاث الروحي وأنه عمل من أعمال التحرر و إلا بقيت البلاد خاضعة للتبعية الثقافية الفرنسية ، ومن ثم ينبغي تطبيق سياسة التعريب الفوري الشامل مع الإبقاء على الفرنسية لغة أجنبية . ويرى المناهضون للتعريب أنه لا يعد لمواكبة الحياة العصرية وأن العربية مازالت غير قادرة على تدريس المواد العلمية ولهذا ينبغي الاحتفاظ بالثنائية اللغوية كاملة بوصفها زادا عظيما .

وقد أخذت الحكومة الجزائرية في تنفيذ خطة تعريب التعليم تارة عن طريق التعريب الرئيسي أي تعريب المواد سنة دراسية بعد أخرى ، وتارة عن طريق التعريب القطاعي أي تعريب مادة بعينها في كل السنوات الدراسية .([1])

كما واجهت الدولة الجزائرية المستقلة أزمتها اللغوية من بين ما واجهت من مخلفات الاستعمار" وكان أن صارت دعوة التعريب إعلان ثورة وشعار مرحلة وهتاف جهاد ونداء معركة ". ([2]) وحدد عام 1970 لوضع نهاية هذه الجولة بمقتضى قرار جمهوري أصدره الرئيس هواري بومدين في أفريل عام 1968 م ، يقتضي إبعاد أي موظف أو عامل في مؤسسات الدولة لا يعرف اللغة العربية معلنا إصرار الجزائر على استكمال تعريب لسانها في موعد أقصاه عام 1970، ومعطيا مهلة عامين آخرين لمن فاتهم دخول المدارس الشعبية لمحو الأمية العربية ، وقد أخذت

---

[1] – د. محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات ، ص 125 – 126 .

[2] – د. عائشة عبد الرحمن ، لغتنا و الحياة ، ص 192 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

إجراءات التعريب طريقها إلى التنفيذ : الدواوين توشك أن تستكمل تعريبها والأسماء الفرنسية للميادين والطرق والأحياء قد استبدلت بها أسماء عربية، ولافتات المتاجر ترجم أكثرها إلى العربية واكتفى بعضها بتغيير الحروف اللاتينية إلى حروف عربية و الصحف اليومية تخصص صفحات كاملة لنشر دروس العربية، والمدارس العربية لمحو الأمية تنتشر وتكاد تضيق على سعتها بمن يحرصون على مكافحة أميتهم العربية قبل عام 1970 .([1])

لكن لم تلبث أن تتعقد معركة التعريب وتأخذ وضعها الصعب بين متناقض المذاهب وصراع القيم وملتقى التيارات . ([2])

ج / 3 – واقع التعريب في الجامعات العربية :

ويعيش العالم العربي وضعا غير مستقر في ميدان العلم و التكنولوجيا ففي حين أن التعليم الثانوي معرب في معظم البلاد العربية ، فإن الجامعات تعيش ازدواجية لا تحسد عليها، فالعلوم الاقتصادية و الإنسانية معربة غالبا في الوقت الذي نرى أن ميدان العلوم والتكنولوجيا بقي بعيدا عن اللغة العربية في معظم جامعات العالم العربي باستثناء الجامعات السورية والعراقية وبعض الخطوات المحتشمة في بعض دول المغرب العربي ، ويمكن تلخيص أهم أسباب تعثر التعريب في الجامعات العربية فيما يلي : ([3])

- غياب القرار السياسي الواضح وتردد بعض مسؤولي تعريب التعليم العالي وعدم اقتناعهم بجدوى التعريب بحجة عدم استيعاب اللغة العربية للعلوم .
- غياب خطة عمل منهجية لتعريب تدريجي وشامل .
- نقص الكفاءات العلمية العربية واستخدام الأستاذ الأجنبي في التعليم العالي .
- قلة الوثائق العلمية باللغة العربية كما ونوعا .
- عدم التنسيق بين الجامعات العربية وعدم ارتباطها ببعضها البعض باتفاقيات تعاون أو توأمة .

---

[1] – المرجع السابق ، ص 193 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 195 .

[3] – د. سعيد كناي ، مقال " تعريب العلوم ودوره في التنمية في الوطن العربي " ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 60 – 61 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- عدم توحيد المصطلحات داخل الوطن العربي وأحيانا داخل القطر العربي الواحد رغم المجهودات الجبارة التي قام بها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط ، والمركز العربي للتعريب و الترجمة و التأليف و النشر بدمشق وعمان والقاهرة وبغداد وبعض مراكز التعريب في الجامعات العربية كجامعة الملك عبد العزيز بجدة و جامعة التكنولوجيا ببغداد ...الخ .

ويجدر بالقائمين على الأمر و الغيارى على اللغة العربية وعلى خدمة الوطن العربي أن يولوا مسألة التعريب الاهتمام الكبير لما للغة القومية من الدور الهام في تسهيل التحصيل العلمي و المعرفي ، ذلك لأن التعليم باللغات الأجنبية لا يخلو من الكثير من المشاكل التي تعود بالأثر السلبي على اللغة القومية من جهة ، وعلى تحصيل الطلاب للعلم و المعرفة من جهة أخرى .

ج / 4 - التعليم باللغة الأجنبية وسلبياته :

- **لماذا انخفض المستوى العلمي لخريجي الكليات الطبية ؟**

هناك اتفاق على أن السبب الأساسي هو ضعف الطالب في اللغة الأجنبية بحيث يصعب عليه متابعة دروسه الطبية بها ، ونبعت مشكلة انخفاض المستوى العلمي منه ثم تعقدت حين شرعت كليات الطب العربية تفتح أبوابها للدراسات العليا الاختصاصية بغية تأهيل الأطباء ليترأسوا مناصب هيئة التدريس فيها ، ذلك أن الطبيب الذي لم يتقن اللغة الأجنبية في المرحلة الثانوية والجامعية أصبح الآن مدرسا يعلم الطب باللغة الأجنبية التي يرطن بها ، مما زاد المستوى العلمي ضعفا من حيث ظن القائمون عليه أنهم ارتقوا به درجات . ([1])

وخير من ذلك العدول من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية ، لأن الطالب العربي قادر على إتقان جانب كبير من لغته القومية في حين يصعب عليه إتقان القدر نفسه من اللغة الأجنبية وهو مقيم بين أهله . وهناك فوائد أخرى للتدريس بالعربية منها توجيه الطاقة الذهنية المهدورة في تعلم لغة التعليم إلى تعلم مستوى المادة الطبية، وهذا الأمر يوفر الجهد و الوقت . ([2])

لقد أدى التدريس بلغات غير عربية إلى تخلف عام بين العرب ، لأن الإبداع

---

[1] - سمر روحي الفيصل ، المشكلة اللغوية العربية ، ص 76 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 77 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

لا يمكن أن يكون بغير اللغة الأم ، كما أدى إلى تخلفهم في مجال استيعاب اللغة العربية في ذاتها ، وأهم المساوئ التي تكتنف التعليم وتحصيل العلوم بلغات أجنبية في المدارس و الجامعات العربية : ([1])

- **إعاقة نمو ملكة الإبداع :**

فالتعليم بلغات أجنبية في المدارس و الجامعات العربية يؤدي إلى إعاقة نمو ملكة الإبداع لدى أبناء العربية لأن الدارس يصرف جهده كله أو معظمه في التغلب على صعوبات اللغة إنه يصرف جهده في الحفظ ولا يبقى له من الطاقة ما يعينه على الإبداع .

- **التبعية الفكرية و ذوبان الذات الحضارية :**

وهناك علاقة تعاطف تنشأ بين الدارس وبين المجتمع الذي ينقل العلم بلغته وكثيرا ما تتحول هذه العلاقة إلى " تبعية فكرية " فإذا قلنا : إن معرفة اللغات الأجنبية ضرورة من أهم الضرورات للتقدم و الإثراء المعرفي فإن هذا يجب ألا يتجاوز حتى تصبح هذه اللغة الأجنبية هي الوسيلة الوحيدة لتحصيل هذه المعرفة، واللغة هي أول ضرورات إثبات الذات الحضارية وبدونها تذوب هذه الذات وتضيع الهوية ، وإذا كان الطريق للعالمية لا يكون إلا ذاتيا أي تنطلق طاقتك المخزونة كي تتفاعل بحرية لتصل إلى أقصى مراحل الإبداع و الانطلاق ، فإن تلك المرحلة لا يستطيع الإنسان أن يبلغ مرتبتها إلا بتحويل كل المعطيات المتاحة لها إلى عملية هضم مستمر واستيعاب شامل وتحويله من شخص مستهلك إلى آخر مبدع ومنتج للحضارة المعاصرة وذلك لا يكون إلا بكسر حاجز اللغة .

- **صعوبة نشر الثقافة العلمية وفهم الأحاسيس :**

ولا تقتصر مهام علماء الأمة على استيعاب العلم و الإبداع العلمي ،بل من مهامهم الأساسية أيضا نشر الثقافة العلمية بين المواطنين العاديين ولا تخفى ضرورة نشر الثقافة العلمية لتقدم المجتمع ودفع الحركة العلمية ذاتها ، ودارس العلم بلسان أجنبي فاقد القدرة على التعبير عنه في يسر بلسان الأمة وهكذا تحرم الأمة من الكتاب العلميين المبدعين وبالتالي تحرم من الثقافة العلمية الرفيعة.

---

[1] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 70 – 76.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- **جمود اللغة العربية :**

كما يؤدي عدم استخدام اللغة القومية كوسيلة لنقل العلم إلى جمود هذه اللغة وعدم استطاعتها مسايرة التقدم فتعجز عن الوفاء بمتطلبات الحياة التي تزيد فيها الاختراعات و الابتكارات و الأساليب المتعددة زيادة مطردة ويؤدي هذا حتما إلى انهيار اللغة .

- **تدهور مستوى التعليم الجامعي :**

ثم إن الجهد الذي يبذله الطالب في حل اللغة و العجز عن استيعابه الكامل للمادة يكون على حساب المادة العلمية نفسها ، وعدم القدرة على التفاعل الذاتي بل عدم القدرة على ملاحظة تطورات العلم و التكنولوجيا ، حيث إن العقل يستطيع الانطلاق من ذاتيته اللغوية بأكثر من اللغات الأجنبية التي قد يستطيع أن يتعايش معها تعايشا كاملا ، و الفكر الأصيل لا يمكن له أن يظهر أو ينشأ في الأمة إلا إذا كان أبناؤها يتعلمون ويكتبون ويؤلفون بلغتهم .

ج / 5 – مشكلات الترجمة و التعريب في الوطن العربي :

فقد دل إحصاء بيبليوغرافي قامت به المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم عما ترجم خلال إحدى عشرة سنة (1970 – 1980) أن عدد الكتب المترجمة يبلغ 2840 كتابا موزعة كما يلي : ([1])

– المملكة الأردنية الهاشمية – 22	– سلطنة عمان – 05
– دولة الإمارات العربية المتحدة – 02	– فلسطين – 05
– الجمهورية التونسية – 40	– دولة قطر – 03
– الجمهورية الجزائرية – 16	– دولة الكويت – 95
– المملكة العربية السعودية – 07	– الجمهورية اللبنانية – 152 .
– جمهورية السودان الديمقراطية – 09	– الجمهورية الليبية – 44

[1] – شحاذة الخوري ، دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب ، ج1 ، ص 109 – 110 ، وكارم السيد غنيم ، اللغة العربية الصحوة العلمية الحديثة ، ص 165 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

– الجمهورية العربية السورية – 442	– جمهورية مصر العربية – 1758
– الجمهورية العراقية – 238	– المملكة المغربية – 02
	2840

فنلاحظ من هذه المعطيات أن ثمة تفاوتا كبيرا في عدد الكتب التي ترجمت في هذا القطر أو ذاك حيث تأتي جمهورية مصر العربية في المقدمة بنسبة 62% ، وتليها الجمهورية العربية السورية بنسبة 17% ، ثم الجمهورية العراقية بنسبة 9% ...الخ .

كما نلاحظ أن عدد الكتب المترجمة دون العدد المطلوب سواء بالقياس إلى عدد السكان أو بالقياس إلى الحاجات الفكرية و الثقافية .

وإذا نظرنا إلى الإحصائية السابقة من ناحية أنواع المعارف المترجمة نجد الآتي :

– المعارف العامة – 22	– العلوم الأساسية – 224
– الفلسفة – 165	– العلوم التطبيقية – 184
– الديانات – 235	– الفنون الجميلة – 93
– العلوم الاجتماعية – 560	– الآداب – 1022
– اللغويات – 20	– التاريخ و الجغرافيا – 315
	2840

وهذه الأرقام تدل لنا على عدم توازن في أعداد الكتب المترجمة بين المعارف المختلفة مع نقص ظاهر في كتب العلوم الأساسية و العلوم التطبيقية إذ لا تزيد نسبتها عن 14% في حين أن الآداب من قصة و رواية ومسرحية ونقد وتاريخ وجغرافيا وعلوم اجتماعية تزيد نسبتها عن 70% .

إن هذه النسبة تدل على خلل واضح ولاسيما أن البلدان العربية تمر بمرحلة تنمية اقتصادية واجتماعية شاملة تستند بل ينبغي أن تستند إلى العلوم و التقنيات قبل كل شيء آخر .

وهناك جملة من العوائق و المشكلات تبدو بارزة على طريق الترجمة

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و التعريب المعاصرة ، سواء على المستوى الثقافي أو على مستوى التعليم العام و الجماعي ، وهي العقبات التي يتخذها المعارضون لترجمة وتعريب العلوم و البحوث العلمية ذرائع لهم في دعوتهم ، وتتمثل هذه المشكلات في : ([1])

1 – أن المصطلحات العلمية و التقنية الجديدة يضعها المخترعون و الباحثون والمكتشفون، ولما كانت البلاد العربية قد خضعت للحكم العثماني ثم للسيطرة الأوربية فإن اللغة العربية لم تستخدم في كافة مناحي الحياة العلمية والإدارية والتعليمية، وقد أفقدها هذا بعض نموها واستمراريتها في هذه المجالات ، كما اصطبغت هذه المكتشفات والمخترعات والبحوث بالصبغة الأجنبية في حين أن اللغة العربية كانت معزولة عن تدريس العلوم الحديثة بدعوة عجزها عن استيعاب مواد أي علم حديث آنذاك، وعدم وجود اختراعات واكتشافات عربية في فترة التخلف العلمي الذي أصاب الأمة الإسلامية والعربية أفقد أهل العربية القدرة على التعامل مع سيل المصطلحات العلمية والتقنية المتدفقة.

2 – ضعف الإمكانات المادية اللازمة للنهوض بحركة التعريب المرغوبة على مستوى الأمة العربية.

3 – ومن المشكلات أيضا ردود الفعل المتوقعة كأن تقوم الدول المتحدثة بالانجليزية مثلا بمقاطعة الرسائل الجامعية والبحوث العلمية التي تصدر بالعربية.

4 – كما يحدث أحيانا أن تتعسر إجراءات باحثينا وعلمائنا (سواء كان مصدر هذا التعسير داخليا أو خارجيا) لحضور المؤتمرات العلمية العالمية مما يؤدي إلى الغياب عن حضورها وعدم الإلمام بما ورد فيها ، وحرمان أهل العربية من العلميين من الاحتكاك بزملائهم من أهل اللغات الأخرى ، وفي هذا الحرمان آثار سيئة كبيرة تؤدي إلى استمرار التخلف العلمي والتبعية التقنية.

5 – ويدعي المعارضون للترجمة و التعريب في الوطن العربي والعالم الإسلامي أن العرب المبعوثين لا يستطيعون استيعاب المواد العلمية في الخارج بلغات أجنبية لأنهم تعلموها في بلادهم باللغة العربية ، لكنهم نسوا أو تناسوا أن سنة أو ستة أشهر من التقلب في العلوم المؤلفة باللغة الأجنبية – خاصة العلوم

---

[1] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 121 – 127 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

التي تخصص فيها كل مبعوث – كفيلة بتجهيزه لاستيعاب غيرها في نفس المجال هناك في البلاد الأجنبية .

6 – كما يدعون أيضا عدم قدرة الأساتذة العرب الحاصلين على الدكتوراه و الدرجات العلمية الأخرى من جامعات غير عربية على متابعتهم البحث العلمي باللغة العربية، ونسوا أو تناسوا أن العربي مهما طالت غربته ومهما تقلب في العلوم بلغات أجنبية فإنه إن كان فاهما لمعاني ما درس هاضما لمقاصد ما فهم ، فإنه يستطيع مع تحصيله لأصول العربية وتقلبه بعض الشيء في فنونها أن ينقل ما درس إلى لغته الأم بكل أمانة ودقة.

7 – كما أن الاستعانة بالخبرات الأجنبية تشكل مشكلة في طريق التعريب وخاصة في مجال العلوم الرياضية و الطبيعية ، حيث يؤدي عدم قدرة الأجنبي على تكييف المادة الدراسية بما يناسب الثقافة العربية والإسلامية إلى هيمنة الثقافات الأجنبية على حساب التراث العربي الإسلامي.

8 – ويعتبر تعدد الأفراد والجهات الواضعة للمصطلحات في العالم العربي مشكلة تواجه حركة التعريب، فكل مجمع أو معهد أو هيئة تعمل منعزلة تقريبا وتريد لما وصلت إليه من مصطلحات أن يشيع ، وهذه التعددية في وضع المصطلحات خلقت في العالم العربي عدة لغات علمية عربية .

9 – ومن المشكلات التي يطرحها المعارضون لحركة تعريب العلوم والبحث العلمي في عالمنا العربي عدم وجود الكتب العلمية الدراسية والمرجعية باللغة العربية، أو ندرة هذه الكتب وعدم وجود وسائل نشر ووسائل توزيع جيدة لدى الهيئات والجهات التي تحاول القيام بحركة تعريب في البلاد العربية .

10 – يضاف مشكلة قبول المصطلحات الجديدة ، حيث تقوم المجامع اللغوية بشتى لجانها وكذلك تقوم الهيئات العلمية المهتمة بالتعريب والجامعات بوضع المئات من المصطلحات ويحاولون عرضها على الناس بقصد استعمالها ، لكن الذي يحدث أن تبقى هذه المصطلحات في بطون الكتب ولا تحظى بالتوزيع و الانتشار، وقد يكون السبب أيضا هو عدم قبول جمهور الأكاديميين لها وعدم استحسانهم النطق بها ، وإيثار الاختصار والسهولة في اقتراض كلمات أجنبية لاستعمالها معربة دون بذل جهد في الأخذ بما أنتجته المجامع أو توصلت إليه جهات أخرى تسعى في المجال ذاته.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

11 – والمجامع اللغوية تبذل جهودا كبيرة لتحقيق التعريب إلا أن الانفصال بين النظرية والتطبيق في أعمالها لا يزال واضحا إذ إن الكثيرين يشكون من عدم توافر القواميس العلمية العربية الحديثة في العلوم المختلفة، ومن عدم سرعة المجامع اللغوية في إيصال ما تنتجه من جهود إلى المؤلف و الطالب .

وخلاصة القول إن العجز الواضح في إعداد المترجمين وعدم وجود هيئة تضم هؤلاء وتنضم أعمالهم وتتفق عليهم على غرار المشروع الذي قام به الخليفة المأمون (198 – 218 هـ / 813 – 833 م) في العصر الذهبي للترجمة من عصور الحضارة العربية الإسلامية، ليمثل أهم المشكلات التي تواجه التقدم و الرقي في العالم العربي والإسلامي. إضافة إلى هذا فإن من الأسباب التي أدت إلى عدم النهوض بتعريب العلوم والمعارف الحديثة والمعاصرة حتى الآن – وهي أهم خطوة للتقدم – هو عدم وضع قضية التعريب في المكان اللائق بخطورتها في سلم الأولويات السياسية العربية حاليا . ([1])

فحركة الترجمة والتعريب في العصر الحديث تفتقد إلى القرار السياسي في شؤونها وخصوصا في توحيد المصطلحات وتعريب التعليم الجامعي وقد نص عبد الكريم خليفة مرارا في كتابه" اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث " على أهمية القرار السياسي في النهضة العلمية العربية .([2])

د – موقف المحدثين من الترجمة و التعريب :

فالمدنية العصرية تغزونا بعلومها وفنونها وصناعتها وتفرض علينا نفسها بألفاظها الأجنبية التي تميزها كالمخترعات وأجزائها وشتى الأدوات و العقاقير وصنوف المطاعم و المشارب والأواني ومظاهر الحياة الحضرية بصفة عامة .

وقد تشعبت الآراء في مطلع القرن التاسع عشر، فمن قائل بتعريب الألفاظ الأجنبية الجديدة على صيغ وأبنية توافق البناء العربي، ومن قائل بوجوب وضع كلمات عربية جديدة تدل على معاني الكلمات الأجنبية الأصلية في لغاتها ، وكان من أنصار التعريب في مصر الشيخ محمد الخضري (وهو عالم لغوي ومؤرخ)

---

[1] – المرجع السابق ، ص 130

[2] – عبد الكريم خليفة ، اللغة العربية و التعريب في العصر الحديث ، ص 173 – 200 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وعارضه في ذلك الأستاذ حفني ناصف (وهو عالم لغوي أيضا) ولكن الرأي انتهى إلى أن تقدم الترجمة أولا ثم يأتي التعريب بعدها ، وقد أيد ذلك الأستاذ عباس العقاد ، وينقل الأستاذ إبراهيم خورشيد (وهو من أكبر المترجمين المحدثين في مصر) هذا الرأي بقوله : يبحث في اللغة العربية عن أسماء المسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة ، فإذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد ، يستعار اللفظ الأعجمي بعد صقله ووضعه على مناهج العربية ، ويستعمل في اللغة الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوي، وحجة الدكتور صروف ومن ذهب مذهبه في التعريب وإثراء اللغة العربية بالألفاظ الأجنبية هي أن" اللغة جسم حي نام وشأن من يحاول منعها من النمو شأن الصينيين الذين يربطون أقدام بناتهم لكي لا تنمو وتبلغ حدها الطبيعي ، ولكن إذا كان النمو مشوها فلابد من تقييده وتهذيبه ولا يراد باللغة وأهلها أن تبقى ونبقى كما كانت وكانوا في عصر البحتري و الخوارزمي وإلا لزمنا ألا نتخذ غير الجمل مطية وغير السيف سلاحا . ([1])

إن اقتباس العربية عند الضرورة ألفاظا أجنبية لا يضيرها، بل يعينها ويحل المشكلات التي تعترض سبيل تعريب العلم والتعليم شريطة أن يتم هذا الاقتباس بروية وأناة، ويعتمد فيه على الذوق السليم، ويراعى فيه بناء اللفظة العربية على وزن مألوف من أوزان العربية .

يقول محمود تيمور: " والقول المفضل فيما يبدو لي أن نتوسط في الأمر وأن يكون موقفنا من مسألة المعرب والمولد موقف مرونة وموازنة وتقتير لملابسات كل لفظ ومدى الحاجة إليه ، فلنشتق ولنتضف من العامية ولنستحيي القديم من الألفاظ ولنعرب الأجنبي متوخين في كل ذلك الحكمة ، وحريٌّ بنا أن ندع ذلك للهيئة اللغوية المشرفة على أن تراعي سهولة الألفاظ وموسيقية الحروف وخفة الصيغة على السمع" . ([2])

إذن النظرة الحديثة للمعرب تختلف عن نظرة القدامى الذين بالغوا في الاحتياط منه حيث قصروا المعرب على السماع في عصر الاستشهاد ورفضوا القياس عليه بعد ذلك ، ثم زادوا هذا الاحتياط شدة بعد أن حاولوا جاهدين إخضاعه

---

[1] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ،ص 63 .

[2] – محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ، ص 13 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

لمسلك الصيغ العربية في الإلحاق والتغيير والعلامات ، لكن هذا الجهد العظيم مع ذلك قصر عن الإحاطة التامة باستعمال الكلمات الأجنبية المتعددة المصادر والاستعمال، فجاءت نتائجه غير منضبطة .([1])

لقد تناول اللغويون المحدثون ما أسماه العرب " التعريب " ضمن دراسة عامة لما أطلقوا عليه اسم الاقتراض أو الاستعارة " browing " فدرسوا التأثير والتأثر بين اللغات من نواح متعددة ، ومن ذلك بيان مدى تأثر اللغة المستعيرة أو المقترضة من لغة أخرى في اختلاط عناصرها أو بقائها لغة واحدة مع ما طرأ عليها من عناصر اللغات الأخرى ،كما يدرس المحدثون أيضا مدى التأثر بين اللغات من فصائل مختلفة أو من فصيلة واحدة أو ما أسماه " ماييه " باللغات المتميزة وغير المتميزة . ([2]) حيث يقتصر التأثير في النوع الأول غالبا على المفردات ، بينما يمكن أن ينفذ التأثير في النوع الأخير إلى عنصر أخرى في اللغة نحوا وصيغا ومفردات، وإذا كثر هذا النوع الأخير في لغة ما كان أمرا خطيرا حيث يؤدي ذلك – كما يقول – إلى استبدال اللغة بغيرها استبدالا تاما . ([3])

ويتوسع أولمان في بيان المصادر اللغوية التي يلجأ إليها المتكلم للاقتراض حين يواجه بالنقص في قصور الثروة اللفظية لديه عن أداء حاجاته ، إذ يلجأ في ذلك إلى اللغات الأجنبية أو اللهجات المحلية أو الاصطلاحات الفنية و المهنية الخاصة ، فينقل الكلمات كما هي أو يلجأ فيها إلى الترجمة . ([4])

ونقل الكلمات من اللغات الأجنبية مع عرفها في لغتها الأصلية بما لا يؤثر في اللغة المقترضة مما أطلق عليه النحاة العرب " التعريب " في مدى الحاجة إليه اجتماعيا وعلميا ، وقد اعتبر اللغويون المحدثون هذا النوع من الاقتراض أمرا عاديا لا خوف منه ولا خطر فيه، وذلك بالقياس إلى أنواع الاقتراض الأخرى التي تؤثر في نظام لغة ما وقد تؤدي إلى الإخلال به وإفساده ،يقول فندريس : لندع جانبا استعارة المفردات التي تتبادلها اللغات فيما بينها، فمن خصائص هذه المستعارات أنها لا تحتم كون المتكلم يتكلم اللغة التي استعيرت منها أو حتى معرفته بها ،فاستعارة المفردات مهما اشتد تأثيرها يمكن أن تظل مسألة خارجة عن اللغة. ([5])

---

1 – محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 128 .

2 – المرجع السابق ، ص 128 – 129 .

3 – ماييه ، منهج البحث في الأدب و اللغة ، ص 101

4 – أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص 167.

5 – فندريس ، اللغة ، ص 358 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فنقْلُ الكلمات من لغة إلى أخرى أمْرٌ عادي كثيـر الحـدوث يترتـب علـى الاتصال الاجتماعي بمظاهره المختلفة من التجارة أو الثقافة أو الحروب أو انتقـال العادات والتقاليد ، ويتم ذلك كله في غالب الأحيان من الناطقين باللغة أنفسهم بطريقة تلقائية تدعو إليها ضرورة الاستعمال ويتوقف انتشارها على العرف اللغـوي فـي البيئة التي نقل إليها.

ومن الطبيعي أن هذه الكلمات الأجنبية المنقولة تتوقف صحة نطقها – كما هي في لغتها الأصلية – على ظروف أخرى تتعلق بالناطقين أنفسهم ، سواء من نطقوها أولا أم من استعملوها بعد ذلك تبعا لإجادة اللغة التي نقلت منها الكلمة أو دقة السماع لها، ويبقى الاختلاف في نطقها موجودا حتى بعد انتشار استعمالها في البيئة الجديدة، إن الحالة الوحيدة التي يمكن فيها تحديد مسلك الصيغة هي حالة التعريب المتعمـد ، حيث تدعو الحاجة العلمية أو الفنية لاستخدام مصطلحات جديدة تدعو إليها الضرورة ففي هذه الحالة يتصور خضوع نقل الكلمات من اللغات الأجنبية لطريقـة موحـدة سواء نقلت دون تصرف فيها على الإطلاق أم نقلت مع التصرف فـي صـيغتها أو حروفها أو حركاتها، هنا فقط يمكن أن يتدخل علماء اللغـة بالتحديـد و التقنـين أو بعبارة أخرى يمكن فرض مسلك اللغة المنقول إليها على الكلمات المنقولة كما يمكن التدخل في ضبط كمية الألفاظ المنقولة حسبما تدعو الضرورة ، أما منعه مطلقا فأمر بعيد وغير علمي، لأنه يتنافى مع الحاجات العلمية و الفنيـة المتجـددة فـي كـل العصور، أما استعمال الكلمات الأجنبية بين الناطقين أنفسهم فإن التدخل في تحديـد كميته أو إخضاعه لنظام اللغة التي نقل إليها لن يؤدي إلى نتائج مفيـدة مطـردة إذ تقتصر هذه النتائج عن الإحاطة بها أو إخضاع الناطقين لها لأن النـاطقين – مـع تعددهم وقدراتهم – يتعذر إخضاع نطقهم لقوانين محددة حين النقل أو الاسـتعمال ، واللغات التي ينقلون عنها ذات نظام خاص بها في الصيغ و الحروف يتعذر معهـا فرض نظام آخر عليها ، فإذا أضيف لذلك أن النقل يكون من لغات متعددة – كمـا حدث في العربية قديما ويحدث الآن – بدا الأمر حينئذ أشد عسرا ومع ذلـك فإنـه لا يدعو للجزع، لأن الأمر كما قال فندريس : " استعارة المفردات مهما اشتد تأثيرها يمكن إذن أن تظل مسألة خارجية عن اللغة " . ([1])

لكن رغم ذلك فإنه ينبغي أن يلجأ إلى إيجاد الكلمات العربية المعبـرة عـن

---

[1] – د. محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 130 – 131 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المفاهيم و المستجدات الحضارية في اللغات الأجنبية بإتباع السبل التي توفرها العربية لذلك ما أمكن لذلك سبيلا حتى يتم الوصول إلى مسألة مرضية في قضية توفير المصطلح العلمي العربي المنشود.

هـ - جهود علماء العربية في توفير المصطلح العلمي :

إن المصطلح العلمي و التقني أداة من أدوات التفكير ووسيلة من وسائل التقدم العلمي و الأدبي ، وهو قبل ذلك لغة مشتركة بها يتم التواصل و التفاهم خاصة بين طبقة أو فئة معينة في مجالات المعرفة و الحياة ، فما العلم إلا لغة أحكم وضعها، وإذا لم يتوفر للاصطلاح العلمي هذا الإحكام وهذه الدقة فَقَدَ مُبَرِّر وجوده وتعطلت وظيفته . ([1])

ولقد سبق العرب غيرهم من الأمم في توفير" المصطلح العلمي " حتى كان لهم في" علم المصطلح " طرقهم الخاصة وتقاليدهم التي أفادوها في هذه المعارف العلمية ، فتركوا لنا الكثير من المصطلحات التي تتوزع في شعب المعرفة كافة تمثلت في مُعجمات خاصّة بكل علم من العلوم ، وقد أتيح للعرب أن يجدوا في لغتهم وسائل مفيدة في توفير المصطلح منذ أن أظلهم الإسلام بظله فتحولت العربية بظهور الإسلام لغة علمية حفلت بكل ما يقتضيه العلم من " مصطلح " وليس أدل على ذلك من أن غير العرب من العلماء المسلمين قد اتخذوها لغة لهم كتبوا بها مصنفاتهم العلمية حتى عدهم المؤرخون من علماء العرب. ([2])

غير أن العربية في بداية أمرها لم تعرف لفظة " مصطلح " ولا لفظة " اصطلاح " بالمعنى الذي نعرفه اليوم مقابلا للفظ الأجنبي" Term " وإنما عرفت لفظة " المصطلح " مصدرا ميميا ولفظ " اصطلاح " مصدرا لفعل مزيد بالهمزة و التاء على وزن " افتعل " من الفعل الثلاثي " صلح يصلح " ولم يتخذوا هذا اللفظ " اصطلح يصطلح اصطلاحا " ولفظ " المصطلح " الجائز صوغه مصدرا ميميا أو اسم مفعول مقابلتها في المعنى للفظ الأجنبي " term " إلا في المئة الحادية عشرة عند الشهاب الخفاجي (المتوفى 1069 م) ، وقد أخذ بذلك الزَّبِيدي في تاج العروس

---

[1] – جمعية المعجمية العربية بتونس ، وقائع ندوة إسهام التونسيين في إثراء المعجم العربي ، ص 99 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 100 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وذكر نسبته له . ([1])

" فالاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول " و" الاصطلاح إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما " و قيل: " الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى " و قيل : " الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد" وقيل : " الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين" ([2]) وفي ذلك إشارة إلى أهمية اتفاق العلماء في الحقول العلمية والدراسات اللغوية على إعطاء كلمة ما دلالة جديدة .

وقد قاد التفجر المعرفي في العصر الحديث إلى نشوء " علم المصطلحات " وهو علم يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية و المصطلحات اللغوية التي تعبر عنها النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها. ([3])

فقضية المصطلح العلمي قضية كبيرة لأنها تعكس على قضية أخرى خطيرة ومصيرية في حياة الأمة العربية وهي " تعريب العلوم " ثم إن المصطلح العلمي يحقق في نقل العلوم ما لم تستطع تحقيقه العبارة الوصفية كما أنه يمتلك ميزة أخرى أيضا هي الاختصار ويعين ناقل العلم (المترجم أو المعرّب أو المقتبس) على التناول المنهجي لأية قضية علمية يقوم بنقلها. ([4])

فلا يعيب أمة من الأمم أن تنقل المعرفة عن غيرها لأن هذه المعرفة هي ملك الإنسانية كلها ، ولم يحدث في التاريخ أن تصدرت أمة قيادة أمم أخرى كل الوقت ، بل هناك دائما صعود وهبوط، ولعل ما يعيب الأمم حقا هو ألا تحاول الأخذ من منارات المعرفة أينما كانت وألا تحاول المساهمة فيها و الصعود مرة أخرى إلى درجة أعلى بين الأمم ، وإن حرية الفكر و البحث العلمي تستلزم – كما يقول الدكتور مدكور – حرية التعبير عن هذا الفكر فيكون العالم حرا في اختيار اللفظ

---

[1] – عبد الأمير محمد أمين الورد ، المصطلحات العلمية كيف نضعها ؟ وكيف نوحدها ؟ ومسؤولية المجامع في ذلك، ندوة تعليم اللغة العربية، الجزائر 5 – 7 رجب 1404 هـ / 7 – 8 أفريل 1984 م ، قسم اللغة العربية ،كلية الآداب، جامعة بغداد ص 1 .

– الجرجاني (الشريف علي بن محمد) كتاب التعريفات ، ط3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1408 هـ / 1988 م ، ص 28 .

[3] – د. علي القاسمي ، المصطلحية (علم المصطلحات) ، النظرية العامة لوضع المصلحات وتوحيدها وتوثيقها، مجلة اللسان العربي، المجلد 38 ، ج1، الرباط 1980م، ص 9.

[4] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 156 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الذي يؤدي المعنى المراد ، وتاريخ العلم يؤكد أن العلماء لم يكشفوا الحقائق وحدها ، بل قدموا ما استطاعوا وسائل التعبير عنها، وهكذا سار تطور العلم وتطور مصطلحاته معا . ([1])

" واللغة العربية هي التي تملأ الفجوة الفاصلة بين التفكير و التعبير عند من يحيون بالعربية و يتعلمون بغيرها ، تلك الفجوة التي تبعث على الخلل و التأخير و التعطل و إضاعة الجهد ، فإذا ما ردمت العربية الفجوات مهدت الطرق إلى التفاهم السريع المتعمق المتسع الذي يرتفع بالمستوى العلمي ويبسّر الاستيعاب فالإبداع أمام العلماء العرب الذين خلصوا من القيود اللغوية فانطلقوا في الأجواء العلمية . ([2])

ويكون تطويع العربية للتعبير عن هذا الإبداع في شتى المجالات من خلال وسائل عديدة توظف لإيجاد المصطلحات الملائمة لكل ذلك :

- **التوليد :**

والتوليد كان خير وسائل اللغة إلى الثراء ، والمراد به استعمال الناطقين للغة لفظا لم يكن مما روي عن العرب في القرنين الأولين أو القرون الثلاثة الأولى و التي توصف بأنها عصر الرواية، وهو العصر الذي اعتمد العلماء فيه كل ما روي من اللغة عن العرب في بواديهم وحواضرهم ، وهذا المصطلح الذي تردد كثيرا في الدراسات اللغوية القديمة كان المقصود منه غالبا مرادف الاشتقاق ، ولكنه اشتقاق مرتبط بفترة زمنية معينة ، وهو في الواقع أوسع معنى من الاشتقاق لأنه يطلق على عملية استخراج اللفظ الجديد ، أو عملية استعمال اللفظ القديم في المعنى الجديد سواء أكان اللفظ عربي الأصل أم كان معربا وعلى ذلك يمكننا أن نعتبر التوليد بمثابة الإبداع الذي ينشىء تأليفا جديدا في اللفظ أو في المعنى ، فهو لا يعتبر بابا من أبواب الإثراء اللغوي بل يعتبر صيغة تضم أشتات الوسائل المستخدمة في تكثير الألفاظ تبعا للحاجة إليها، ويمكن أن نرجع ثمرة استخدام ما سبق من وسائل التنمية اللغوية إلى عملية التوليد هذه . ([3])

---

[1] – حسن عبد العزيز ، الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1413 هـ / 1992 م ، ص 30 .

[2] – حسين نصار ، دراسات لغوية ، ص 19 .

[3] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 58 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والمولد ويسمى المحدث أيضا ويراد به في الاصطلاح اللغوي : ما أحدثــه المولَّدون الذين لا يحتج بألفاظهم، وهم الطبقة التي وليت العرب في القيام على لغتهم من المتحضرين، وذلك يشبه الوضع في بادئ الرأي لأنه اســتقلال بــالمنطق عــن الطريقة التي انتهجتها العرب ، والعلماء لا يقبلون الوضع ولا يصححون الاستعمال إلا من عربي لمكان السليقة واعتبار النحيزة، لذا ميزوا بين الكلام فيما ينقلونه فقالوا هذه عربية وهذه مولدة . ([1])

ولهذا فقد جاء في اللسان" سمي المولد من الكلام مولدا إذا استحدثوه ولم يكن من كلامهم فيما مضى، والمولد المحدث من كل شيء". ([2]) ومن هذه الوسائل:

أ – الاشتقاق :

وهو ثلاثة أنواع : الصغير و الكبير والأكبر، ومن أجــل هــذا توصــف العربية بأنها لغة اشتقاقية لأنها تتوصل كلماتها عن طريق استخدام المــادة بجميــع صور الاستخدام ، وأكثر العلماء على أن الاشتقاق نوعان الصغير والكبير فالصغير هو: أن تتفق جميع المشتقات في ترتيب حروفها الأصــلية ومثــل ذلــك المــصدر " الكتابة " فالفعل الماضي المجرد " كتب " و المضارع " يكتب " واســم الفاعــل " كاتب " وأما الاشتقاق الكبير فلا يشترط فيه اتفاق الكلمة الأصلية والكلمة المشتقة في ترتيب الحروف، ويسمى أيضا القلب مثل جذب وجبذ ، والطريقة الأكثر شيوعا في الاشتقاق هي الاشتقاق الصغير. ([3])

ولابد من الإشارة إلى أن اللغة العربية تتميز بهذه الطريقة في الاشتقاق على اللغة الأوربية فلم تعرف اللغات الأوربية هذا " التحول الداخلي " في الحركات بــل اقتصرت على طريقة تسمى الإلصاق، و يوضح الدكتور عبد الــصبور شــاهين أن المقصود بالإلصاق هو إضافة زائدة في صدر الكلمة (prefixe) أو في عجزها تسمى لاحقة (saffixe) أو في وسطها تسمى (infixe) ويغلب على اللغات الأوربية الاعتمــاد على السوابق واللواحق في صوغ الكلمات ويقل – إن لم ينعدم – استعمال الحــشو أي: التدخل في قلب الكلمة بالتغيير أو بالإضافة، أما في العربية فإننا نستخدم إلــى

---

[1] – الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص 165 .

[2] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج3 ، ص 575

[3] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 50 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

جانب " التحول الداخلي" عملية الإلصاق فندخل على المادة بعض السوابق و اللواحق والدواخل أو الحشو في شكل مقاطع كاملة تحمل بالقوة معنى وظيفة لغوية وبذلك تحصل على قدر وفير من الكلمات . ([1])

وقد تنبه علماء العربية القدماء إلى فكرة الاشتقاق منذ بدءوا يبحثون في اللغة وربطوا بين الألفاظ ذات الأصوات المتماثلة و المعاني المتشابهة واتضحت لهم ناحية الأصالة و الزيادة في مادة الكلمة. ([2])

جاء في المزهر أن الاشتقاق هو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة. ([3]) وهو يعد من أكبر خصائص اللغة العربية حيث يكسبها طواعية داخلية تمكنها من تلبية كثير من الحاجات الدلالية و المتطلبات المصطلحية. ([4]) فعن طريقه تكونت في اللغة العربية آلاف الكلمات للحياة العامة ولمصطلحات العلوم على مدى عدة قرون، وثبت أنه من أكثر طرق التنمية المعجمية فاعلية وأهمية . ([5])

ولاشك أن هذه الطريقة في توليد الألفاظ بعضها من بعض تجعل اللغة جسما حيا تتوالد أجزاؤه ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية واضحة . ([6])

وهكذا جعل الاشتقاق ألفاظ اللغة العربية مجموعات تنظم كل واحدة منها نمطا جامعا مؤلفا من مادة ومعنى، وبالتالي أصبح كاشفا عن أصل الألفاظ وسبيل معرفة الأصيل من الدخيل منها، فإن الكلمة الدخيلة في العربية تبقى غالبا في معزل عن هذه المجموعات فلا تجد لها أصلا لفظيا ذا معنى يدل على أصالتها ، كالصراط والفردوس والكوب، فليس في العربية مادة (ص رط) ولا (فردس) ولا (كوب).([7])

كما نجد من وسائل التوليد اللغوي :

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 51 .

[2] – إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، ص 26 .

[3] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، ص 34

[4] – عالم الفكر ، المجلد العشرين ، العدد الثالث ، أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ، الكويت ، 1989 م ، ص 19 .

[5] – محمود فهمي حجازي ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ص 36 .

[6] – محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، ص 79 .

[7] – المرجع نفسه ، ص 82 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ب – النحت :

وهو انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على سبيل الاختصار، على أن يكون هناك توافق في اللفظ و المعنى بين المنحوت والمنحوت منه، وهو في الواقع نوع من الاختصار الذي عرفت اللغة قديما صورا منه، ولجأ إليه العرب في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية تعبيرا عن جمل كثر دورانها على الألسنة فأشاروا إليها بهذا الاختصار، ويجري نحت الكلمة الجديدة بتركيبها من الحرفين الأولين في الكلمة الأولى ثم تكمل من الكلمة الثانية بحرفين أو ثلاثة وقد تكون التكملة أكثر من ثلاثة ، و النحت على هذا يضيف إلى مادة اللغة ألفاظا جديدة لم تكن في استعمال السابقين ولكنها لا تزيد زيادة مطّردة لأن الضرورة التي تلجئ إلى النحت لا تتكرر كثيرا ، فالحاجة إلى اختصار جمل كثيرة الورود هي حاجة محدودة، وكذلك يعتبر النحت من الوسائل غير المخصبة في مجال تكثير ألفاظ اللغة و للغويين العرب تحفظ في استعماله ولا ينصحون به إلا في حالة نقل المصطلحات الأجنبية التي تشتمل على السوابق و اللواحق . ([1])

وقد استعمل العرب النحت دفعا للالتباس في النسب، كما كان استعماله بعد ذلك لاختصار بعض الجمل التي يكثر دورانها على الألسن، وهذان الغرضان ذكرهما الخليل بن أحمد (ت 170 هـ) ومثل لهما بأمثلة في حدود صفحتين نستفيد منها أن النحت من المنسوب إلى عبد شمس أو عبد القيس أو عبد الدار: " عبشمي، وعبقسي وعبدري، فأخذوا من حروف الكلمتين وحذفوا بعضها، ومنه قول عبد يغوث بن وقاص الحارثي :

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم تر قبلي أسيرا يمانيا .

فلو لم يحدث هذا النحت وقيل" عبدي " فقط لا لتبس المقصود بالنسب. و الغرض الثاني صوغ أفعال و مصادر من جمل وعبارات يكثر دورانها على الألسنة مثل (حيعل) و مصدره (الحيعلة) من حي على كذا، وبسمل و(البسملة) من : بسم الله الرحمن الرحيم. ([2]) . إضافة إلى وجود نحت وصفي مثل (صلدم) من الصلد والصدم و (هجرع) من الهرع و الهجع ، وكذلك النحت الاسمي مثل : جلمود

---

[1] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 76 – 57 .

[2] – الخليل بن أحمد ، العين ، ج1 ، ص 60 – 61

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

من جلد وجمد . ([1])

وقد عرفت العربية النحت على نحو محدود منذ الجاهلية وسجل لغويو القرن الثاني الهجري أمثلة بأعيانها تناقلتها كتب اللغة على مدى قرون ، ثم طرحت قضية النحت في العصر الحديث في إطار الإفادة من الإمكانيات اللغوية المختلفة لـصوغ المصطلحات العلمية والكلمات الحضارية . ([2])

وقد ظل ظاهرة مروية بأمثلتها الشائعة حتى كانت النهضة اللغوية والعلميـة في العصر الحديث حين واجهت العربية تطورا عظيما في العلوم وأدوات الحضارة، ومن ثم شعر القائمون عليها بعجزها عن اللحاق بكل هذا فكان الالتفات إلى النحـت كطريق من طرق النمو اللغوي . ([3])

وقد بذل علماء اللغة العربية جهودا مشكورة في مجـال تـوفير المـصطلح العربي قديما وحديثا من خلال تطويع العربية لاسـتيعاب العلـوم و المبتكـرات ، ومازالوا في هذا المجال الذي يتطلب تكاثف الجهود للوقوف في وجه المد الغزيـر الذي تفرضه الحضارة المعاصرة .

هـ – جهود علماء العربية القدامى في توفير المصطلح العلمي :

إن شرف الأمة في رقي لغتها ، ورقي لغتها في مسايرتها للعلوم و الفنون واتساعها لأن تخوض في بحث كل علم أو فن ، وتشرح مـسائله وإن بلغـت فـي كثرتها وغموضها أقصى غاية ، وقـد كانـت العلـوم و الفنـون علـى اخـتلاف موضوعاتها قد وجدت من بيان اللغة العربية معينا لا ينضب فلم تلبث أن لبست من ألفاظ هذه اللغة وأساليبها حللا ضافية . ([4])

و المصطلح قصة ضاربة في القدم ، فقد ظهرت مع ظهور الإسلام عنـدما احتاج الدين الجديد الذي ظهر في القرن الخامس الميلادي إلى مـصطلحات جديـدة

---

[1] – السيوطي ، المزهر ، ج1 ، 482 – 485 ، وصبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص 249.

[2] – محمود فهمي حجازي ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، ص 72 .

[3] – د. حلمي خليل ، المولد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعـد الإسـلام ، ط2 ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ،لبنان ، 1405 هـ / 1985 م ، ص 96 – 97 .

[4] – محمد الخضر حسين ، دراسات في العربية وتاريخها ، ص 228 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

لتحديد المفاهيم الحديثة و لوضع الأحكام العامة و القواعد الرئيسية ،وذلك لأن هـذه الأحكام وتلك القواعد قد اختلفت عما ألفه العرب من عادات وتقاليد قبليـة ، وعلـى هذا فإن هناك مصطلحات قد حدد الإسلام مفاهيمها وحصر استخدامها . ([1]) ولعـل الناظر في كتب مثل (المتوكلي) للسيوطي و (الفهرست) لابن النديم و (التعريفـات) للجرجاني و (مفاتيح العلوم) للخوارزمي و (شفاء الغليل) للخفاجي، وغيرهـا مـن الكتب ليتأكد من عظمة اهتمام علماء المسلمين في حركة الترجمة والتعريب العظمى التي تمت في العصرين الأموي والعباسي وما بعدها بقليل، ذلك أن دقة المصطلحات وتحديد المعاني وصلت إلى شرح المصطلح إذا كان جديدا على العربية، حتى أنهـم كذلك قد أطلقوا مصطلحات على تراكيب في عضو ما تناظر ما هو معـروف فـي أعضاء أخرى لتشابه الوظيفة أو العمل بينهما، ففي طـب العيـون مـثلا : تـذكر " المشيمة ، الشبكية، العنكبوتية، والقرنية " في العين، وهذه أسماء لأشياء أخرى في البدن ، لكن تشابه العمل أدى إلى اقتراض المصطلح واستعماله في طب العيون. ([2])

لهذا فالتراث اللغوي العربي غني، فقد عبر عن كل ما يشاهده الإنسان ومـا يفكر فيه أو يحسه وتناول أفراحه وأتراحه وصحته ومرضه ، وظـواهر الطبيعـة ومكونات الأرض وطبقات الجو واتجاهات الرياح وهبوب الأنواء وأحوال المياه في البحار والأنهار ..الخ وهذا التراث الزاخر يمكن أن يمد العلماء والباحثين ببعض ما ينشدونه من مصطلحات علمية من خلال :

1 – أسماء الأعيان و مشتقاتها :

والمقصود من أسماء الأعيان ما يدل على الذوات المحسوسة مـن الإنـسان والحيوان والنبات والجماد مثل (الذهب ، الحجر، الكهرباء) وهي أسماء تقابـل فـي مدلولاتها أسماء الصفات وأسماء المعاني المجردة كالمصادر، وأسماء الأعيان فـي اللغة العربية كثيرة جدا، وقد تبين لبعض علماء اللغة من الباحثين المجتهـدين فـي عصرنا الحاضر أن ما اشتقه العرب من أسماء الأعيان كثير جدا. ([3])

---

[1] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 155 .

[2] – المرجع السابق ، ص 156 – 157 .

[3] – محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 139 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

بل قرر بعضهم أنه لا يكاد يوجد اسم جامد لم يشتقوا منه ، يقول " لا نكـــون مبالغين حين نقرر أن العرب لم يتركوا اسما جامدا دون الاشتقاق منه ، وإن نـــدت عن المعاجم التي بين أيدينا بعض هذه المشتقات، فكلما فكرت في اسم جامـــد مـــن أسماء الأعيان وخيل إلي أن العرب لم يشتقوا منه تبين لي بعد البحث في المعـــاجم أنهم اشتقوا منه مثل (النهر، الأرض) ويترتب على هذا الكشف اللغوي تغيير فكـــرة درج عليها الصرفيون من قبل هي قصرهم الاشتقاق على اســـم المعنـــى المجـــرد " المصدر" دون غيره، إذ ينظم إليه أيضا أسماء الأعيان التي يصح الاشتقاق منهـــا بمقتضى هذا الكشف اللغوي استنادا على هذه الجمهرة الكثيرة الواردة عن العـــرب الفصحاء في استعمال أسماء الذوات والاشتقاق منها ، وهذا الاستعمال العربي يفـــتح أحد المنافذ لسد بعض الحاجة العلمية لمصطلحات الطبيعـــة و الكيميـــاء و الطـــب و الصناعات المختلفة سواء من الأسماء الجامدة نفسها ، أو مما اشتق منها .([1])

وهناك نماذج – بعضها – مما استعملته العرب في هذا الشأن فمن (الذهب ، الفضة، الدينار، الدرهم) قالوا مذهب، مفضّض، مدنّر، مـــدرهم، ومـــن (الحجـــر، الجص، التراب، الرمل ، الماء) قالوا : استحجر الطين ، هذا البناء مجصص ، هذا الكتاب مُترب، هذا الشيء مموّه ومرمّل ، ومن (الطّحال : الغدة المعروفة) قيـــل : طَحِل الرجل : عظم طحاله، ومن (الخيشوم : غضاريف الأنف) قيل : الأخـــشم : المصاب بخيشومه لا يكاد يشم شيئا ... وهكذا وهذه النماذج قليل من كثير ، وجدول من نهر الألفاظ التي استعملها العرب من هذا النوع ، ومن الواجب أن نفيد من هذه الثروة اللغوية التي خلفها أسلافنا ، فنستعمل من الكلمات الأصلية ومشتقاتها ما يعين على وضع المصطلحات العلمية حيث يجد الأطباء و الصيادلة و المهندسون وغيرهم للأمور الحسية التي يمارسون عليها أعمالهم مقابلا لها من أسماء الأعيان العربيـــة ومشتقاتها . ([2])

2 – الاشتقاق للدلالة على إصابة الأعضاء :

وطريقة أخرى يمكن أن تساعد في لغة الطب عامة كما يمكن الإفادة منها في

---

[1] – المرجع السابق ، ص 140 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 141 ، وعبد الحميد حسن ، الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، 1971 م ، ص 29 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وضع المصطلحات الطبية خاصة، نقل ابن سيده في " المخصص" عن أبـــي عبيـــدة قوله : " من اشتكى من هذا– يقصد ألم الضرب – شيئا، قيل فيه (فُعِل) وكذلك كـــل ما كان في الجسد " . ([1])

وقد ساق ابن سيده هذا القول بعد أن أورد جملة من هذه الأفعال تحت عنوان " أفعال الضرب المشتقة من أسماء الأعضاء " و التي نذكر منها على سبيل المثال : (دَمَغَهُ) أصاب دماغه ، (جَبَهَهُ) أصاب جبهته ، (ذَقَنَه) أصـــاب ذقنـــه ، (ثَغَـــرَه) : أصاب ثغره ، وذكر ابن مالك في " التسهيل" أن ذلك مطرد قال : " واطراد صوغه من أسماء الأعيان لإصابتها " . ([2])

ويفهم مما قاله ابن سيده : أن هذا الاشتقاق يستخدم في الدلالـــة علـــى تـــألم الأعضاء بصورة عامة سواء أكان الألم من مرض أو كدم أو جرح ويتحقـــق ذلـــك ببناء هذه الأفعال للمجهول ، فيقال : (دُمغ ، جُبه ، ذُقن ، ثُغر ....) .

كما يفهم من حكم ابن مالك باطراد ذلك أن هـــذه الطريقـــة ليـــست خاصـــة بالأفعال التي أوردها ابن سيده أو غيره من أصحاب المعاجم وكتب اللغة بـــل هـــي مطردة فإذا أريد الدلالة على ألم العضو – أي عضو – فلنا أن نشتق منه عـــن وزن (فُعِل) ، وهذه الطريقة – بهذه الصيغة – تخدم من يقدم من الأطباء علـــى التـــأليف باللغة العربية ، أما فائدتها للمصطلحات الطبية فإنها تفهم مما سبق ذكره ، فإن هذه الأفعال المشتقة للدلالة على ألم العضو يمكن أن يطرد منها الاشتقاق لأخذ المصطلح العلمي، فما دام أبيح الاشتقاق لأخذ الأفعال من أسماء الأعضاء ، فإنه يباح أيضا أن يؤخذ من هذه الأفعال مشتقات غيرها ، فيقال: (مدموغ ، مجبوه ، مذقون، مثغـــور ...) وهكذا الأمر في كل ما نصوا عليه من هذه الأفعال وما لم ينصوا عليـــه ممـــا نقيسه نحن مادام ينطبق عليه مواصفات هذه الطريقة .

إن المؤرخين للحضارة العربية والإسلامية يقررون أن هذه الحـــضارة قـــد بلغت مدى بعيدا من الرقي في العصور المتقدمـــة و الوســـطى ، وأن نـــور هـــذه

---

3 – ابن سيده (أبو الحسين علي بن إسماعيل النحـــوي اللغـــوي الأندلـــسي المتـــوفى ســـنة 458 هـــ) ، المخصص، المجلد الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 105 .

1 – ابن مالك ، تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد ، حققه وقدم له محمد كامل بركات ، النشار دار الكتـــاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة 1387 هـــ / 1967 م ، ص 196 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الحضارة حمله وأذكاه متخصصون في كل علم وفن ومنهم الأطباء من أمثال الفارابي والرازي وابن سينا وابن النفيس.

ومنهم الرحالة والجغرافيون من أمثال: ابن بطوطة والمقدسي والاصطخري وابن جبير والإدريسي.

ومنهم من جاب البحار ودرسها كابن ماجد . وتخصص كثيرون في الإلهيات كابن رشد والغزالي وابن عربي . ويبرز في علم الاجتماع اسم ابن خلدون شامخا بين المشتغلين بهذا العلم قديما وحديثا ، ولم يغب عن تراثنا كثير من علماء الفلك و الطبيعة كالخوارزمي و البيروني، وبرز في العقاقير ابن البيطار والرازي ، ومازالت نظريات ابن الهيثم في الرياضيات موضع تقدير العلماء حتى عصرنا هذا، وقد ترك هؤلاء وغيرهم تراثا علميا مجيدا بقي منه حتى اليوم ما يدل على مساهمتهم الجادة والأكيدة في الحضارة الإنسانية ، ولاشك أنهم خلعوا على هذا التراث العلمي الروح العربية والإسلامية في مادته ومصطلحاته، إذ حدّدوا مصطلحات بعض العلوم التي وجهوا إليها اهتمامهم الشديد كالنحو و الحديث ففي النحو كتب تحمل اسم" حدود النحو" للرماني والحدود النحوية للفاكهي وهذان من كتب المصطلحات.

ومن هذا النوع نفسه كتب" مصطلح الحديث" ، وهي كثيرة ، وقد تنبه التهانوي لأهمية المصطلح العلمي فألف كتابه المشهور كشاف اصطلاحات العلوم و الفنون ومثله " جامع العلوم " الملقب بـ " دستور العلماء " لعبد النبي الأحمد فكري . ([1])

وقد كثرت المصطلحات العلمية العربية مع تنوع جوانب المعرفة العربية واتساع الأفق العلمي في القرن الثالث و القرون التالية، ولذا كانت المصطلحات خارج إطار اهتمام المعاجم العربية العامة . ([2])

فقد أعرض اللغويون عن أغلب الألفاظ التي جدت في اللغة ولاسيما على عهد العباسيين بحجة أنها من استنباط المولدين لم تجر على ألسنة العرب الخلصاء فإذا

---

[1] – محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 144 – 145 .

[2] – محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ص 112 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

تمثلت ذلك العصر بجميع جوانبه الحضارية وعرفت أن أبناءه لـم يعجـزوا عـن استنباط كلمات لجميع المعاني والأغراض التي تولدت عندهم، أكبرت الخطب الذي أنزله باللغة أرباب المعاجم لإسقاطهم منها تلك الكلمات المولدة التي لو بقيت لكانـت أنفس قلادة في جيد هذا اللسان الشريف. ([1])

فإن اللغويين في القرون الأربعة الأولى على الخصوص تقيدوا بجمع اللغـة عن طريق المشافهة وفضلوا ما تفوه به البدو دون الحضر وما نطقت به قبائل معينة دون قبائل أخرى ، ثم دخلت المعاجم مع المتأخرين في فترة صار اللاحق يقلّد فيهـا السابق، ولم تعد المادة المعتمدة حية يجمعها اللغويون من الناطقين بلسانها ، بل عاد ينقل من غيره من الأسلاف في عصر التدوين ويتجاهل ما جد من ألفاظ المظـاهر الحياتية ومصطلحات العلوم التي ابتكرت وسرت على يد علماء كبار فـي الطـب و النبات والرياضيات والفلك والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم .

وهذه القطيعة مع المادة الحية المتوافرة عند متكلمـي اللغـة ومـستعمليها بدعوى فساد لسانهم، واعتماد النقل من المصادر التي سمع أصحابها من الأعـراب في الجاهلية وصدر الإسلام على الخصوص جعلت المعجمية العربية تنقطـع عـن واقعها وتفقد دورها الأساسي في تمثيـل الثقافـة والحـضارة القـائمتين، وكـذلك الخصائص الفعلية و الحالية للمفردات ومعانيها المستحدثة و المصطلحات الجديـدة الموضوع منها والمنقول. ([2])

ومن منهجيات بعض علماء الحضارة العربية الإسلامية لأوائل الذين اهتمـوا بالمصطلحات :

- **منهجية البيروني في نقل وترجمة المصطلحات الأجنبية :**

وهو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ،أحد عباقرة الحضارة الإسلامية ، له إسهامات علمية قيمة، سافر إلى الهند و جال في مختلف أنحائها وألف في ذلـك كتاب " ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة " . ([3])

---

[1] – عبد الله البستاني ، البستان ، ص 46 .

[2] – د. عبد القادر الفاسي الفهري ، المعجم العربي نماذج تحليلية جديدة ، ط1 ، دار توبقال للنشر ، الـدار البيضاء ، المغرب 1986 ، ص 18 – 19 .

[3] – كارم السيد غنيم ، ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين ، ص 105 – 107 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وقد لمع نجمه العلمي في القرن الحادي عشر الميلادي ، لخص طريقته في نقل ووضع المصطلحات في كتابه المذكور بقوله : " وأنا ذاكر من الأسماء و الموضوعات في لغتهم – أي الهنود – ما لابد من ذكره مرة واحدة يوجبها التعريف، ثم إن كان مشتقا يمكن تحويله في العربية إلى معناه ما لم أمل عنه إلى غيره إلا أن يكون بالهندية أخف في الاستعمال فنستعمله بعد غاية التوثقة منه من الكتبة أو كان مقتضبا شديد الاستعصار فبعد الإشارة إلى معناه، وإن كان له اسم عندنا مشهور فقد سهل الأمر فيه ..." . ([1])

- **منهجية داود الأنطاكي في نقل وترجمة المصطلحات العلمية :**

له العديد من الكتب، ولكن كتابه " التذكرة " فاق تراثه كله في الشهرة وذيوع الصيت ، وفي هذا الكتاب بل الموسوعة ، يحدد الأنطاكي طريقة وضعه للمصطلحات العلمية من اللغات الأجنبية إلى العربية حيث كان يقف عند كل مفردة من مفردات الكتاب فيذكر اسمه الأصلي وما آل إليه من تغيير في اللغات الأخرى وبخاصة أثناء تعريبه ، فالأس : باليونانية أموسير وبالفارسية مرزباج ، و بالسريانية : هو سن وبالعبرية اخمام ، و بالعربية : ريحان ، وهكذا .([2])

- **منهجيات أخرى :**

كما كتب ابن البيطار كتابه " الجامع في الأدوية المفردة " وضمه شرحا مفصلا لما يزيد على الألف وأربعمائة نبتة طبية مبتدئا بذكر أسمائها وطرق استعمالها ، وفي " قاموس الأطبا وناموس الألبا " تأليف مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري – وهو من علماء القرن الحادي عشر الهجري – قوله في المقدمة : هذا الكتاب الذي لم أسبق إلى مثاله ولم ينسج على منواله ، لما اشتمل عليه من ذكر أنواع المفردات من المعدن والحيوان والنبات وما يحتاج إليه كل فرد منها من معرفة ضبط لفظه مما ذكره أئمة اللغة بأصح ضبط بنيان ، ومن معرفة ماهيته ونوعه وطبعه وقوته ومنافعه ومضرته وإصلاحه وكمية ما يستعمل منه بحسب الإمكان ، ومن ذكر أسماء المركبات وضبط كل فرد منها مع بيانه ومع ذكر

---

[1] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 131 – 132 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 132 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

صفة تركيب بعضها " . ([1])

فالعربية لغة اشتقاقية والاشتقاق هو الأساس في بناء الكلمات فيها وهو الذي مكن أبناء العربية في العصور المختلفة من توليد كثير من الألفاظ التي يحتاجون إليها سواء من الأصول العربية أو من الأصول غير العربية ، وقد أشار ابن جني إلى الاشتقاق من الألفاظ الأعجمية ونقل عن شيخه أبي علي الفارسي " أن العرب اشتقت من الأعجمي النكرة كما تشتق من أصول كلامها ". ([2]) واستشهد بشعر لرؤبة وذكر من الأمثلة " درَهَمت الخبازى ، أي صارت كالدراهم ، فاشتق من الدراهم وهو اسم أعجمي ، وحكى أبو زيد : رجل مدرهم " . ([3])

وكذلك نقل ابن دريد عن أبي عبيدة قوله : " سألت أعرابيا عن حروب كانت بينهم فقال : كانت بيننا حروب عونٌ تفقأ فيها العيون مرة نجنق وأخرى نرشق فقوله (نجنق) دال على أن الجيم زائدة ، ولو كانت أصلية لقال نُمجنق ، على أن المنجنيق أعجمي معرب " . ([4]) وحول هذه الكلمة نقل الزمخشري أن الحجاج نصب على البيت منجنيقين ووكل بهما جانقين ، فقال أحد الجانقين ..." . ([5])

وقد سبقت التوليد طبقة من الوضع العربي خرجت ببعض الكلام في الاشتقاق عن معاني الجاهلية وذلك ما يسمونه بالألفاظ الإسلامية . ([6]) ومن هذا الضرب كل ما استحدثه أهل العلوم و الصناعات من الأسماء كمصطلحات الفقه و النحو و العروض، وغيرها مما يكون له اسمان : لغوي وصناعي و الأصل في جميع ذلك الألفاظ الشرعية التي نقلها النبي (ﷺ) من اللغة إلى الشرع . ([7])

ومن المولد هذه المصطلحات التي جاءت بها العلوم وهي معدودة أيضا من الألفاظ الإسلامية لأنها وضعت في الإسلام ، ومنها ألفاظ خاصة بالمتكلمين

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 132 – 133 .

[2] – ابن جني ، المنصف ، ج1 ، ص 132 .

[3] – ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 358 .

[4] – ابن جني ، المنصف ، ج1 ، ص 147 .

[5] – الزمخشري (العلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة 583 هـ) ، الفائق في غريب الحديث ، ج1 ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان 1417 هـ/ 1996 م ، ص 208 .

[6] – الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص 165 .

[7] – المرجع نفسه ، ص 166 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و الرياضيين و الفلكيين والأطباء والفقهاء والصوفية وغيرهم وقد أفردت لها معاجم خاصة بشرحها : ككتاب التعريفات للجرجاني و" كشاف اصطلاحات العلوم " للتهانوي وكليات أبي البقاء واصطلاحات الصوفية ، وأول ما وضع من هذا النوع فيما نظر كتاب " مفاتيح العلوم" لمحمد بن أحمد الخوارزمي من أهل القرن الرابع ، جمع فيه مصطلحات أهل العلوم والصناعات المختلفة . ([1])

و من ذلك أيضا ظهور المذاهب المختلفة والفرق الدينية من معتزلة وشيعة ومرجئة وخوارج ...إلخ ، فهذه الفرق كان لكل منها معان خاصة استخدموا ألفاظا للدلالة عليها، فغيروا بذلك مدلول هذه الكلمات الأصلية بتحميلها معانيهم الخاصة بالإضافة إلى معانيها الأصلية ، وعندما جاء عصر التدوين وبدأ العلماء يدونون العلوم و ضعوا لكل علم مصطلحات خاصة أخذوا أكثرها من كلمات عربية الأصل وحوروا مدلولها ، فالعروض ببحوره المختلفة و النحو بأسمائه المختلفة والمنطق بما يتصل به من القضية والمحمول والموضوع وأصول الفقه والقياس ، كل هذه معان دخلت في اللغة ومعاجمها. ولم يكن للعرب الأولين علم بها، وهكذا كان الإسلام والفتوحات الإسلامية وما تبعها من حضارة سببا في سعة اللغة ونموها وانتشارها. ([2])

لقد أولى العلماء الأقدمون أهمية كبيرة لموضوع المصطلحات ضمن اهتماماتهم بموضوع اللغة وأبحاثها وقدموا في هذا الاتجاه دراسات كان لها أعظم الأثر في بيان الترابط بين المصطلحات الشرعية واللغوية وفي مقدمة تلك الدراسات العلمية كتاب " الزينة في المصطلحات الإسلامية و العربية " لأبي هشام أحمد بن حمدان الرازي.

وإلى جانب الرازي نجد آخرين بذلوا جهدا كبيرا في مصنفاتهم كابن فارس الذي عقد لها بابا خاصا في كتابه " الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها" سماه " باب الأسماء الإسلامية" وكذلك عمل الإمام السيوطي في المزهر وفعل علماء المعاجم . ([3])

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 167 .

[2] – عبد العزيز عتيق ، المدخل إلى علم النحو و الصرف ، ص 121 .

[3] – عمار ساسي ، اللسان العربي وقضايا العصر ، ص 54 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

هـ/ 2 – جهود علماء العربية المحدثين في توفير المصطلح العلمي :

وقد ظلت اللغة العربية تحمل الآداب و العلوم و الفنون وتعبر عنها في أحلك الظروف التي مرت بها الأمة العربية والعالم الإسلامية، لما فيها من قدرة على النموّ وتنوع الأساليب، وكانت خير وعاء حفظ الحضارة العربية خلال أكثر من عشرة قرون شهدت تحولات فكرية وسياسية واجتماعية مختلفة وقد أدرك العرب الأهميّة لغتهم في بداية النهضة الحديثة فأوْلَوْها عناية كبيرة ونشروا كثيرا من التراث ليكون ردا لهم يحمي ثقافتهم وحضارتهم وقيمهم التي بدأت تتعرض للغزو الثقافي و الاستلاب . ([1])

كما أدركوا أن قضية " تعريب العلوم " ليست مسألة لغوية فقط ، بل هي في المقام الأول مشكلة فكرية ، فالعلوم التي يصر القائمون عليها على بقاء تدريسها باللغات الأجنبية هي الطب والهندسة والعقاقير والكيمياء والطبيعة ، وينبع هذا الإصرار من الدعوى بأن تدريس هذه المواد باللغة العربية سيؤدي إلى التخلف عن مسايرة التقدم العلمي العالمي فيها، وهذا كلام صحيح من وجهة نظرهم، إذ يعبرون به عن واقعهم الذي درجوا عليه لأن المنبع الذي يستقون منه غير عربي، فهم تابعون لغيرهم من الأجانب فيما يقدمه هؤلاء من نظريات واكتشافات فكروا فيها بعقولهم وكتبوها بلغاتهم ، فإذا أراد علماؤنا اكتساب شيء من ذلك كان مما يجود عليهم به هؤلاء الأجانب فيترتب على ذلك أن يتابعوا أصحاب الحقوق الأصلية في كل شيء في التفكير واللغة وفي الفهم والتعبير ، والغريب أن الأجانب الذين يتابعهم العرب مختلفون في لغاتهم وكل منهم يؤلف بلغته ويعتز بها ، ولم يمنع ذلك أيا منهم من مسايرة الحضارة والإسهام فيها بجهود تذكر باسمهم وتنسب إلى بلادهم ، فإذا ما انتقلت القضية إلى العرب وجدنا من يصر على التدريس والتأليف بإحدى اللغتين الانجليزية أو الفرنسية، حيث استقوا تعليمهم غالبا من الناطقين بهاتين اللغتين في فرنسا وانجلترا أو الولايات المتحدة، وبقيت مساهمة علماء العربية ضئيلة بجوار هؤلاء ، فلم يستطيعوا التخلص من قبضتهم و السير بجوارهم في الدرس و البحث و التأليف بالعربية . ([2])

---

[1] – د. أحمد مطلوب ، مقال " دور اللغة العربية في الإشعاع الحضاري " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 50 .

[2] – محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 135 – 136 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والتنازل عن لغتنا في العلم جزء من البلاء العام الذي ابتليت به الأمة العربية فتنازلت عن كثير من مقوماتها الأساسية وقلدت غيرها في الأخلاق والسلوك و العادات والنظم والعلم ، فما أيسر أن يقال: " إن اللغة العربية غير علمية " و الحق أن هذه المقولة الزائفة مما صدقه الناس بغير اقتناع وأخذوا به من غير تثبيت ، فاللغة العربية بها من الاتساع و المرونة ودقة الألفاظ و التصرف في الجمل و الأساليب ما يمكنها من التعبير عن أعمق الأفكار و أرقى المشاعر، وهذان الجانبان – الفكر والشعور – يمثلان الجمهرة الغالبة في كل تأليف وترجمة ، لكن تبقى قضية لها نصيب من الجدية في التأليف العلمي ، وهي قضية " المصطلح العلمي العربي فهي مشكلة تواجه المؤلفين و المترجمين ، وهم منه بين خيارين : وضعه أو نقله ، ويتطلب الموقف الأول – وضعه – أن يجدوا الوسائل اللغوية التي تعينهم على العثور على المصطلح المناسب بعد جهد قليل ، ويتطلب الموقف الثاني – النقل – أن يتعرفوا على بعض الأسس والمبادئ التي تعين على الصياغة ليصير المصطلح المنقول منسجما مع طرائق العربية في صياغتها ، مألوفا للأذن العربية في جرسه وبنيته. ([1])

ومن العوائق الخطيرة التي تحول دون اتخاذ العربية لغة للعوم الحديثة فقرها في المراجع الهامة و الخوف أن تعزل العلماء عن الركب المتقدم في سرعة هائلة لهذه العلوم، وعلى الاتحاد العلمي العربي أن يتغلب على هذا العائق بأن يضع مشروعا واسعا للترجمة يقوم على شقين : الشق الأول : ترجمة المراجع وأمهات الكتب التي يحتاج إليها العلماء وطلاب الدراسات العليا ومن يريدون الاتساع في علومهم ، والشق الثاني : ترجمة البحوث الحديثة وخاصة تلك التي تحمل رأيا جديدا أو كشفا مبتكرا أو أحد الفتوح العلمية، لملاحقة التقدم العلمي في اللغات الأكثر شيوعا على الأقل . ([2])

كما علينا أن نفتش في تراثنا القديم عن جهود العلماء ذوي الاختصاص فيما استخدموه من المصطلحات العلمية ، وما استعمله العرب من كلمات صالحة للاستخدام في العلوم، ثم نلجأ إلى وسائل الصياغة التي أقرها أيضا ذوو الاختصاص من علماء اللغة قديما وحديثا للحصول على ما يعوزنا من مصطلحات جديدة ، فإذا

---

[1] – المرجع السابق ، ص 136 – 137 .

[2] – حسن نصار، دراسات لغوية ، ص 25 – 26 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

لم يسعفنا هذا ولا ذاك كان التعريب – بشروطه – آخر الحصون التي تلجئنا إليها الضرورة. ([1]) على أن يتوفر المتخصصون في العلوم المختلفة في وقتنا الحاضر على استخراج مصطلحات علومهم من تراثنا هذا الغنى الزاخر، فتجمع وترتب وتضمها معاجم متخصصة تكون تحت أيدي الباحثين و المؤلفين في كل فرع من تلك العلوم ، فيستخرج الأطباء المصطلحات الخاصة بهم من المؤلفات العربية في الطب ، ويبحث علماء الفضاء و الأحوال الجوية عن مصطلحات لهم في مؤلفات علم الفلك وكذلك بقية العلوم . ([2])

فإضافة إلى معركة العربية الفصحى ضد العامية لمنع الازدواجية هناك معركة أخرى بينها وبين اللغات الأجنبية لمنع الثنائية اللغوية ، ففي فجر النهضة العربية المعاصرة كانت العلوم الأساسية والتطبيقية تدرس في مصر باللغة العربية ونشط التأليف العلمي بها و الترجمة إليها مع إغنائها بالمصطلح اللازم، واستمرت هذه الحال إحدى وستين سنة (1826 – 1887) ولكن في عام 1887 ، أي بعد الاحتلال البريطاني لمصر بخمس سنوات حول هذا التعليم إلى اللغة الانجليزية ، وفي بلاد الشام في بيروت بلبنان ، درست الكلية الأمريكية العلوم بما فيها الطب باللغة العربية و بنجاح باهر مدة ثماني عشرة سنة (1868 – 1886) لكن لم ينجُ من هذا الخطأ التاريخي سوى القطر العربي السوري الذي بدأ بتدريس الحقوق و الطب بالعربية ابتداء من عام 1919 م ثم تابعه بالنسبة لكل العلوم الأساسية والتطبيقية والاجتماعية والإنسانية في جامعات القطر ومعاهده وبنجاحات مؤكدة بالإضافة إلى سيادة العربية المطلقة في سوريا في الميادين الأخرى الأساسية والاقتصادية و التشريعية و القضائية والإعلامية و المالية، وعمل الزمن على ترسيخ استخدام اللغة الأجنبية بدلا عن العربية في التدريس العلمي في أكثر الأقطار العربية ، فظهرت الحاجة إلى تحويله إلى العربية أي تعريبه استجابة إلى دواع عديدة . ([3])

فالطموح إلى عزة ما بعدها عزة يقضي علينا بأن نعيد علم الطب وسائر العلوم و الفنون إلى لغتنا العربية، فإن هذه اللغة تسمح بما أتاها اللغة من غزارة

---

[1] – محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، ص 138 .

[2] – المرجع السابق ، ص 144 .

[3] – د. شحادة الخوري ، مقال " واقع اللغة العربية عربيا ودوليا "، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 375.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

العلم وحكمة المقاييس كل ما تدركه العقول و الأبصار ، ولم يبق علينا إلا أن نرجع إلى معجمات ومصطلحات علمائنا ومقاييس لغتنا ، ونتعاون على أن تكون مصطلحاتنا العلمية واحدة .([1])

ولما كانت العربية من اللغات المتصرفة يشتق منها اسم الفاعل و المفعول والمكان و الآلة سهل الطريق إلى وضع أسماء مفردة لهذه المستحدثات فإن أكثرها من قبيل المكان أو الآلة أو الموصوف بالفعل، وهناك وسيلة أخرى هي طريقة المجاز فإذا عرض لنا معنى جديدا نظرنا إلى لفظ يتناوله على وجه عام مثالا، أو مستعمل في معنى يقرب منه وعلقناه عليه كما فعل بعض الأذكياء في رتل وقطار وبريد ومنطاد وعربة ، ولا تثريب علينا إذا لم نهتدي إلى وضع أسماء مفردة أن نعلق عليها أسماء مركبة نحو حاكي الصدى للفونغراف .." . ([2])

يقول صاحب كتاب " المصطلحية " : أن واضعي المصطلحات يلجأون أحيانا إلى ألفاظ قديمة يطلقونها على مفاهيم جديدة فيصبح للكلمة مدلول جديد بدلا من مدلولها المندثر ، أو مدلول جديد إضافة على مدلولها القديم ، فمثلا لفظة (القاطرة) كانت قديما تعني الناقة التي تتقدم القافلة فأصبحت الآن تعني عربة من عربات السكة الحديدية و (السيارة) كانت في الأصل القافلة لكنها تعني الآن العربة التي يحركها محرك وينتقل بها الناس من مكان لآخر وهكذا . ([3])

فلابد أن يعنى المعجم الحديث بهذه الناحية ويثبت هذه الألفاظ التي جدت في العربية واقتضتها ظروف المجتمعات الجديدة ، ومن العجب أن المعجم العربي لم يول هذه الناحية ما تستحقه من عناية كافية ، وربما تنكر أصحاب المعجمات الحديثة إلى هذا النوع من المولد الجديد . ([4])

ويواصل السامرائي: " وإذا عدنا إلى عربيتنا الحديثة وجدناها تزخر بمئات الألفاظ الجديدة المولدة و المعربة وقد أخذت طريقها إلى الاستعمال وصارت مخصصة مقيدة بنوع خاص من المعنى غير أن اللغويين مع ذلك مازالوا مترددين في عد هذا الجديد من الفصيح ، أقول من الواجب علينا أن نفسح لهذا الجديد الذي

---

[1] – محمد الخضر حسين ، دراسات في العربية وتاريخها ، ص 238 .

[2] – المرجع السابق ، ص 157 .

[3] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 53 .

[4] – إبراهيم السامرائي ، العربية تاريخ وتطور ، ص 375 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

قذف به المستعملون مكانا في كتبنا اللغوية لأنه صار من مادة هذه اللغة " . ([1])

إن البحث العلمي في اللغة العربية يتصف بصفات جد سلبية بالنظر إلى ما يعرف العصر من تكنولوجيا حديثة تطبق على البحوث اللغوية بنجاح تام في البلدان الراقية ، وبالتالي تعذر الاستجابة لمتطلبات العصر من وضع مصطلحات وغيرها من الأعمال الخاصة بتكييف اللغة وإثرائها وذلك راجع إلى أمور ثلاثة هي : ([2])

1 – **اعتباطية** العمل عند الكثير من اللغويين أي : عدم خضوعه لضوابط علمية، وذلك بعدم مراعاته لمعطيات العلوم اللسانية الحديثة بصفة خاصة ، و منهجية العلوم الاجتماعية بصفة عامة .

2 – **حرفيته** أي : اقتصاره على البحوث الفردية التي هي أشبه شيء بالصناعات التقليدية ، يعتمد فيه على المعالجة اليدوية ، كالنظر الجزئي في القواميس و الاقتصار على جرد العديد من المعلومات بالأيدي العزلاء ... إلخ.

3 – **عدم شموليته** بعدم الرجوع إلى كل المصادر العربية التي يمكن الاستفادة منها وخاصة المخطوط منها، وجميع المراجع الأجنبية التي يمكن استغلالها لتحديد المفاهيم الحديثة .

كما أن الذي يعوز اللغويين في مشكلة الألفاظ الجديدة هو عرضها عرضا كافيا لإشاعتها و لا ننسى أن ما ذاع من الألفاظ في فجر النهضة العربية الحديثة كان وليد حماسة الكتاب له وإقبالهم عليه ، وعلى الهيئة اللغوية المشرفة أن تتفنن في عرض الألفاظ على الجمهور بمختلف الوسائل و في مقدمتها الصحف و المجلات ، وبالتكرار يتسنى للجمهور أن يغربل ما يعرض عليه وأن يأخذ ما يوائم ذوقه ، فلا يلبث كثير من هذه الألفاظ الجديدة أن يشيع ويدخل في صميم اللغة السارية . ([3])

" إن الوضع الطبيعي في كل لغة أن ينشأ اللفظ الموفق مؤديا غرضا من أغراض التعبير فيصقله الاستعمال حتى يبلغ منزلة الألفة ، وعلى مر الأيام يتسع

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 376 .

[2] – عبد الرحمن الحاج صالح ، مقال " اللغة العربية وتحديات العصر في البحث اللغوي وترقية اللغات " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 25 – 26 .

[3] – محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ، ص 14 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

مدلوله في الإفهام أو يتقلص ويتوهج في مجال التعبير أو يعلوه الصدأ ، وربما انتقل إلى مقام غير مقامه وحل غيره محله ، وربما طال عليه الأمد وهو سائغ مستعذب عليه رونق الحياة ، وربما قضت عليه الأقدار بأن يصير إلى إغفال وإهمال كذلك شأن اللغات في ألفاظها وعباراتها منذ كانت : تنازع موصول بين النباهة والخمول، وتسابق دائر بين النماء والفناء " . ([1])

والناس يتخذون ألفاظهم تماشيا مع متطلبات الحياة وسدا لمقتضيات التعبير وإرضاء لما في أنفسهم من ألوان المشاعر ،" وغلبة اللفظ في الاستعمال أسطع برهان على صلاحيته وأقوم دليل على صدق الحاجة إليه ، بل إن غلبة استعمال اللفظ وثيقة تثبت أنه خلية حية في بنية اللغة خليقة بالتقدير والاعتبار" . ([2])

وقد وضع بعض العلماء العرب منذ مطلع النهضة العربية الحديثة و حتى اليوم منهجيات في المصطلحية ، فالأمير مصطفى الشهابي وضع منهجيته المصطلحية ضمن كتابه " المصطلحية العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث " والدكتور جميل الملائكة وضع منهجيته المصطلحية في مؤلفه " في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه " .

وأحمد الأخضر غزال وضع منهجية مصطلحية في" المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية " كما وضع أحمد شفيق الخطيب منهجية ارتآها للمصطلحات العلمية خاصة مصطلحات العلوم ، هذا إلى جانب المنهجيات المصطلحية التي وضعتها المجامع اللغوية والعلمية المتعددة في بعض البلاد العربية . ([3])

لقد أصبحت قضية المصطلح العلمي من أهم قضايا تنمية اللغة العربية للوفاء بمتطلبات الحياة المعاصرة وذلك من ضوء مجموعة من المتغيرات أهمها كثرة الإنتاج المعاصر في المجالات العلمية والتقنية وتعدد التخصصات المعنية وضرورة التعبير باللغة العربية عن ذلك الفيض من المصطلحات العلمية و التقنية التي وضعت أساسا في اللغة الأوربية وينبغي علينا إيجاد المقابل المناسب بالعربية .

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 28 .

[2] – المرجع السابق ، ص 29 .

[3] – كارم السيد غنيم ، اللغة العربية و الصحوة العلمية الحديثة ، ص 131 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وقد بدأت قضية المصطلح العلمي العربي في العصر الحديث تطرح لأول مرة في إطار حركة الترجمة و التأليف في الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، تتضح هذه البدايات في مؤلفات رفاعة الطهطاوي (1801 – 1872م) ، وخير الدين التونسي (1810 – 1879م) . كما تظهر أيضا في الدوريات التي بدأت بإصدار الوقائع في مصر (1828م) ثم في الدوريات العربية الأخرى التي زادت بعد ذلك بصورة واضحة ويلاحظ في وضع المصطلحات الحديثة ارتباطها في جانب منها بجهود فردية في كتب ألفت تعريفا بالحضارة الأوربية وبالنظم الحديثة .أهم هذه الكتب : تخليص الإبريز في تلخيص باريس لرفاعة الطهطاوي ، وأقوم المسالك لخير الدين التونسي.

وكان ثمة تعاون بين المعنيين بالترجمة و التأليف في داخل القطر العربي الواحد على نحو ما وجد في مدرسة الألسن التي أنشئت بالقاهرة 1835م لتكون مركزا للترجمة حيث تمت في عصر محمد علي باشا في مصر ترجمة 114 كتابا إلى العربية بجهود من تخرجوا فيها فارتبطوا بها وتعاونوا في الترجمة ، وفي هذه المرحلة المبكرة كانت المصطلحات العربية في كتب التراث مصدرا مهما لإيجاد المصطلحات الحديثة في مصر وتمثلت في الاعتماد على التراث الطبي في إعداد بطاقات معجم" الشذور الذهبية في المصطلحات الطبية " لمحمد بن عمر التونسي (1804م – 1874م) للإفادة منه في ترجمة كتب من الفرنسية إلى العربية .

ويلاحظ في جهود هذا الجيل أنه قد تعددت وسائل وضع المصطلحات الحديثة بين التغير الدلالي والاشتقاق والترجمة المباشرة وكان الطهطاوي ومعاصروه على وعي بضرورة تنمية المعجم العربي بالمصطلحات وقد عبر عن ذلك في مقدمة طويلة لترجمة كتاب : قلائد المفاخر (1833م – 1849م) . ([1])

لقد كان رواد النهضة العربية الحديثة من المفكرين و الأدباء و اللغويين والعلماء المجددين شاعرين شعورا قويا بما صارت إليه اللغة العربية من ضيق معجمها بمطالب الكتاب والمعرّبين يستوي في ذلك ما يتصل بألفاظ الحضارة أو المصطلحات العلمية. ([2]) وقد تجلى ذلك فيما بذلوه من جهود فردية أو جماعية في توفير المصطلح العلمي العربي.

---

[1] – محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات ، ص 37 – 39 .

[2] – حسن عبد العزيز ، الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة ، ص 13 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

هـ / 2 – 1 – الجهود الفردية : وتمثلت في :

1 – أحمد فارس الشدياق (1804م – 1887م) :

ويعد أحمد فارس الشدياق أول من طرح موضوع المصطلحات للتفكير المنهجي في العصر الحديث. ([1]) فقد شغلته قضية المصطلح العلمي العربي لذلك دعا سنة 1860م في مجلة الجوائب إلى عمل جماعي لتعريب مصطلحات العلوم و الفنون. ([2]) كما تولى وضع الكلمات العربية المقابلة للكلمات الأجنبية والتي لا يزال الكثير منها يستعمل إلى يومنا من خلال صحف " الجوائب " أيضا . ([3])

وقضية وضع المصطلحات العلمية عند الشدياق تقوم أولا على بيان الأسباب التي دفعته إلى التفكير في مسألة وضع المصطلحات العلمية ، وتقوم ثانيا على بيان الحلول التي اقترحها واتبعها ليحفظ للغة العربية مكانتها ويجعلها لغة حية نامية لا تجمد على حال بل تتطور بتطور المدنية و الحضارة ، وتتسع لكل ما تجيء به هذه . ([4])

فاللغة كما يعرفها الشدياق بنت الحياة ، ومن غير المعقول أنها قد نشأت دفعة واحدة ، بل " إن اللغة كغيرها من الصنائع والموضوعات البشرية لا يحدث شيء منها تاما كاملا من أول وهلة ولكن على التدريج " . ([5])

ومسألة تفكير الشدياق في وضع المصطلحات يرجعها الدكتور خلف الله محمد أحمد إلى عدة أسباب منها : ([6])

– أن الشدياق جاء مصر في عهد محمد علي باشا، وقد كان هذا العهد عهد الترجمة وبخاصة في الميدان العلمي ميدان الطب والهندسة ، وقد اتصل بأمراء هذا البيت وكتب في" الوقائع المصرية " وهي الجريدة الرسمية ، وكل هذا قادر بأن يلفت ذهن الشدياق إلى مسألة المصطلحات .

---

[1] – محمود فهمي حجازي ، اللغة في العصر الحديث قضايا ومشكلات ، ص 40 .

[2] – مجمع اللغة العربية الأردني ، الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني ، ط1 ، عمان الأردن 1403 هـ / 1983 م ، ص 150 .

[3] – عمر الدسوقي ، نشأة النثر الفني وتطوره ، ج1 ، مطبعة الرسالة 1962 م ، ص 52 .

[4] – خلف الله محمد احمد ، أحمد فارس الشدياق وآراؤه اللغوية و الأدبية ، ص 122 .

[5] – أحمد فارس الشدياق ، سر الليال في القلب و الإبدال ، ج1 ، ط2، 1284هـ ، ص 25 .

[6] – خلف الله محمد أحمد ، أحمد فارس الشدياق وآراؤه اللغوية و الأدبية ، ص 122 – 123 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- ومنها أنه اشتغل بالترجمة وبخاصة ترجمة المقالات التي كانت تنشرها الجرائد و المجلات الانجليزية و الفرنسية لينشرها في الجوائب ، وكانت هذه المقالات تخص مسائل الحضارة والمدنية مما يحتاج إلى وضع مصطلحات، فمن أمثلة المقالات التي نشرتها الجوائب : عن قوة البخار، واختراع الباخرة ، وإبرة المغنطيس والغاز والحديد ... الخ ، والفروق بين الشرق والغرب ، وما إلى ذلك مما امتلأت به أعداد هذه المجلة مما لا عهد للعرب به .

- ومن ذلك أيضا ما رآه من تهافت التجار و أصحاب الحرف و الصناعات على اللغات الإفرنجية و حرصهم على الحديث بها وعلى أن يجعلوها لغة التخاطب و التعامل فيما بينهم ، يقول : "... أما من يتعاطون منا التجارة ويحملون عبء الإمارة فإنهم يزعمون أن اللغة العربية لا تصلح في هذا الزمن ... فلابد من الاستعانة بكلام الأجانب " . ([1])

- ومنها وهو الأخير أن الشدياق كان يحب العربية حبا عظيما فحاول أن يثبت أنها لغة لا تتخلف عن اللحاق بركب الحضارة و مسايرتها باستيعاب كل جديد فيها.

فاللغة عند الشدياق بنت الحياة " لا يحدث شيء منها تاما كاملا من أول وهلة ولكن على التدريج " وهو من أجل هذا يرى أن باب الوضع مفتوح أمام المولدين لأنه " يراعى به اللزوم والضرورة ، وتهذيب اللغة عن أن تشان بالألفاظ الأعجمية " ولأن العرب إذا كانوا قد قالوا كذا وكذا فقد " ساغ لنا أن نقول أكثر من ذلك مما تمس الحاجة إليه فهم رجال ونحن رجال ". ([2])

فالشدياق يرى أن للألفاظ المولدة حقا في دخول الثروة اللغوية لذلك نجده في خاتمة كتابه " الجاسوس على القاموس" يعطي أهمية كبيرة للألفاظ المولدة التي جرت على ألسنة كبار الكتاب و الشعراء ويساوي بينها و بين الألفاظ العربية القديمة فيقول: " ... إني كنت نويت أن أجعل مكان هذه الخاتمة نقدا يشتمل على ما فات صاحب القاموس من الألفاظ اللغوية والاصطلاحية الفصيحة ، وكنت جمعت منها نحو خمسة كراريس مع مقدمة وازنت فيها بين العرب العاربة والعرب المولدين

---

[1] – أحمد فارس الشدياق ، الجاسوس ، ص 3 .

[2] – أحمد فارس الشدياق ، كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ، ج1 ، ط1 ، مطبعة الجوائب بالأستانة 1288هـ ، ص 205 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و الغرض من ذلك الاحتجاج بكلام هؤلاء إذا كانوا متضلعين من العربيـــة كجريـــر و الفرزدق والأخطل وبشار بن برد وأضرابهم " . ([1])

فيبدو من كلامه أنه يؤكد على أهمية الأخذ بالمولدات وخاصة المـــصطلحات ويقول: " ولو أنه عنى بجمع الألفاظ الاصطلاحية لكان أولى لأنها لم يصطلح عليها إلا لعدم وجود مرادف لها في اللغة فصارت من هذا القبيل جـــزءا منهـــا ، كيـــف لا والذين اصطلحوا عليها كانوا أئمة ورعين فلو لم يروا لها لزوما لما تداولوها".([2])

وقد اتبع الشدياق طرقا في تنمية الثروة اللغوية رغبة منه في خدمتها وجعلها تساير الركب الحضاري والجديد الذي يقذف به يوميا، وكان من السبل التـــي دعـــا إليها واقترح اعتمادها :

أ – الاشتقاق :

فعن طريق الاشتقاق نستطيع صياغة الكثير من الألفاظ العربية التـــي تغنينـــا عن الألفاظ الأعجمية كاسم المكان أو الآلة مثلا ، يقول الشدياق : " علـــى أن أكثـــر هذه الأسماء هو من قبيل اسم المكان أو اسم الآلة ، وصوغ اسم المكان و الآلة فـــي العربية مطرد من كل فعل ثلاثي ، فما الحاجة إلى أن نقول (فبريقة) أو (كارخانة) ولا نقول معمل أو مصنع ، أو نقول (بيمارستان) ولا نقول مستـــشفى ، أو نقـــول (ديوان) ولا نقول (مأمر) أو نقول (أسطرلاب) ولا نقول (منظر)" . ([3])

فما الحاجة إلى اتخاذ ألفاظ أعجمية وبمقدور لغتنا صوغ ما ينوب عنها ، يقول الشدياق منزعجا من المستعربين: " وهنا تحوجني الغيرة على العربية إلى أن أقول : إن العرب المستعربين بخسوا اللغة حقها ، فإنهم عدلوا عنها إلى اللغات الأعجميـــة من دون سبب موجب فإن من يستعير ثوبا من آخر وهو مستغن عنه يحكـــم عليـــه بالزيغ و البطر، فلو نشأ في القرن الأول من الإسلام جمعية أدبية كما ترى الآن في ممالك أوربة مما يعرف عندهم بلفظ (أكاديمي) لما دخلت ألفاظ العجم في لغتنا". ([4])

---

[1] – أحمد فارس الشدياق ، الجاسوس ، ص 520 .

[2] – المصدر السابق ، ص 349 .

[3] – أحمد فارس الشدياق ، كنز الرغائب ، ج1 ، ص 202 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 202 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ثم يواصل مفترضا وجود معترض على ما ذهب إليه فيقول: " ولقائل هنا أن يقول: إن دخول الألفاظ الأعجمية في العربية غير منكر، وكل لغة من اللغات لابد من أن يكون فيها دخيل ، فاللغة هي بمنزلة المتكلمين بها ، فلا يمكن لأمة أن تعيش وحدها من دون أن تختلط بأمة أخرى" ويجيب قائلا : " إن هذا الدخيل إنما يغض عنه إذا لم يوجد في أصل اللغة ما يرادفه أو لم يمكن صوغ مثله ، فأما مع وجود هذا الإمكان فالإغضاء عنه بخس لحق اللغة لا محالة ، وإلا للزم المستعربين أن ينطقوا بالباء والكاف الفارسيتين أو أن يقدموا المضاف إليه على المضاف". ([1])

فالشدياق يدعو إلى اعتماد الاشتقاق في تنمية الثروة اللغوية ووضع المصطلحات وينهى عن الاستعانة بالألفاظ الأعجمية إذا أمكن صوغ ما ينوب عنها لأن ذلك بخس للغة. كما يلتفت إلى النحت أيضا .

ب – النحت :

ويقول الشدياق : " ... وهناك وجه آخر في العربية لصوغ ألفاظ تسد مسد الألفاظ العجمية التي اضطررنا إليها وهو باب النحت .." ([2])

فالشدياق يعتمد النحت كسبيل يغني عن الألفاظ العجمية ويدعو إليه ويشيد به كطريقة في إنماء اللغة تفتقدها لغات كثيرة غير العربية يقول : " قلت : هذا النوع تقصر عنه لغات الإفرنج تقصيرا ، وإن يكن التركيب فيها مستفيضا مشهورا ، ويرد طرف العائب حسيرا ، ويا ليت أهل زماننا يتخذون منه أسماء ناصة على ما حدث من الأشياء مما لم يره أسلافهم ، إذن لأغناهم عن التعريب وكفاهم اختلاف التسمية، ولم يكونوا جاؤوا أمرا فريا فإن أسلافنا هم الذين نهجوا لنا هذا المنهاج ، فإذا قفوناهم نحن وأكثرنا منه فلا تثريب علينا، فأما إذا جعلنا لها أسماء من باب الإضافة أو النحت كما يقولون مثلا : سفينة النار، وميزان الهواء، والنظارة المكبرة ، فإنها تأتي مستطيلة ونحن الآن في زمن يقضي بالتخلق و يحض على الترقي والتحلّق ويأمر بالشارة وينهى عن الاستعارة فعلينا أن نفيد ونستفيد وننتفع بكل من الحديث والعهيد" . ([3])

---

[1] – المصدر السابق ، ص 202 – 203 .

[2] – أحمد فارس الشدياق ، كنز الرغائب ، ج1 ، ص 3 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 4 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فالشدياق يدعو إلى النحت و يحث عليه ويراه سببا في تكثير مواد اللغة اليونانية و اللغات الإفرنجية التي تأخذ منها ، لذلك فهو يرى أن اعتمادنا على النحت شأن هذه اللغات يغنينا عن الحاجة إلى الأخذ منها ، يقول: " وكيفما كان فإن النحت طريقة حسنة تكثر بها مواد اللغة وتتسع أساليبها ولها نظير في اللغة اليونانية وسائر اللغات الإفرنجية، وهي التي كثرت مواد لغاتهم وأحوجتنا إلى الأخذ بها ، فقولنا : (الجغرافيا) و(الفلسفة) ....كلها ألفاظ يونانية منحوتة أو مركبة ، ولولا هذا التركيب لما كان للغة اليونانية فضل على غيرها بشيء ، وهي وإن فضلت لغات الإفرنج فإنها لا تفضل لغتنا ، لأن الألفاظ البسيطة عندنا أكثر من المركبة وهي أفضل ما لم تحوج الضرورة إلى التركيب أو النحت وحينئذ يعمد إليه " . ([1])

لهذا فالشدياق يؤكد على ضرورة تنمية اللغة العربية عن طريق النحت ويدعو إليه دعوة صريحة طالبا من المشتغلين بالعربية الأخذ به ، يقول : " ... كان لنا أن نرجو من الأساتذة الكرام الذين يحررون (روضة المدارس) . ([2]) أن يتواطؤوا من هذا الباب أي باب النحت على ألفاظ تغنينا عن الألفاظ العجمية التي أحوجتنا إلى استعمالها ... فإذا قرروا طريقة لصوغ الألفاظ المنحوتة اقتدى بهم جميع الكتاب والمؤلفين اللهم إلا أن يقال : إن النحت قصر على الألفاظ التي تقدمت فلا يتعدى إلى غيرها وهو مستبعد جدا " . ([3])

إن حماس الشدياق لتنمية اللغة العربية بالتوليد والاشتقاق والنحت ودعوته إلى إقرار الألفاظ المولدة كان نتيجة شعوره بحاجة اللغة العربية الماسة إلى الاستجابة للمقتضيات الفكرية و الحضارية للعصر الحديث ، وعلى هذا أعطى لنفسه حرية توليد ألفاظ ومصطلحات كثيرة أدرجها في كتابه " الواسطة في معرفة أحوال مالطة " وكتابه " كشف المخبا عن فنون أوربا " . ([4])

2 – إبراهيم اليازجي (1847م – 1906 م) :

كما أن القضية التي أخذت جانبا كبيرا من اهتمام الشيخ اليازجي وشاركه

---

[1] – المصدر السابق ، ص 204 .

[2] – مجلة علمية أدبية كانت تصدر بالقاهرة سنة 1870 م .

[3] – المصدر نفسه ، ص 205 .

[4] – أحمد فارس الشدياق ، الواسطة في معرفة أحوال مالطة ، ط2 ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية 1299 هـ، ص 20 – 23 – 27 – 51 . وكشف المخبا عن فنون أوروبا ، ص 68 – 70 – 100 ...

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فيها أيضا بعض كتاب عصره كانت قضية تنمية اللغة العربية . ([1]) حيث ترجع شهرته في المقام الأول إلى ما ولده من ألفاظ لمسميات حضارية حديثة ، فقد كان كثيرا ما يولد كلمات عربية عن طريق الاشتقاق أو نقل الدلالة لما يدل على هذه المخترعات . ([2])

غير أنه كما يبدو قد تحاشى استعمال كلمة " المولد " لارتباطها في الأذهان بالخروج عن حدود الفصاحة كما عرفها القدماء ومن ثم آثر اعتبار هذا العمل داخل نطاق التعريب لا التوليد ، نظرا للشرعية اللغوية التي اكتسبها التعريب في تاريخ اللغة العربية ، و الدليل على ذلك أننا نراه يحرص دائما على ذكر الكلمة الأجنبية أمام الكلمة المولدّة " . ([3])

و اليازجي يرى أن اللغة تابعة لأحوال المجتمع ومبلغ الأمة من الحضارة وما هي عليه من التبسط في العمران و التفنن في مذاهب الترف و التوسع في المدارك العلمية و الصناعية وما يختلف عليها من الأحوال السياسية و الدينية ، إلى ما يتصل بهذه الأطراف و ما يتشعب عنها.

لهذا فإنه " لا يستقيم – مع تجدد اللغة بتجدد الحاجات – أن يمنع المتأخر مما أبيح للمتقدم ، لأن لكل عصر لغته كما أن لكل عصر أهله ، وإنما اللغة لمن أفضت إليه وكانت في عهده وربما هو المتأخر الذي به حياتها و الذي إنما يتخذها للعبارة عن أحواله وأغراضه لا للمقتدم الذي درج ودرجت أحواله معه ، فنحن الآن منزلون منزلة المتقدمين بعينها ، ونحن وهم في أمر الوضع فيه سواء نصرف أعنتنا كيف شئنا وشاءت حالة العصر " . ([4])

وتنحصر طرق الوضع عند اليازجي في ثلاثة أمور: إحداها الارتجال وهو وضع اللفظ ابتداء أي صوغه من المقاطع الصوتية من غير توسط وضع سابق، والثانية : الاشتقاق وهو صوغ اللفظ من لفظ موضوع لاشتراكهما في أصل المعنى، والثالثة : المجاز وهو نقل اللفظ المرتجل أو المشتق إلى غير معناه الأصلي لعلاقة بين المعنيين. ([5])

---

[1] – حلمي خليل ، المولد ، ص 549 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 546 .

[3] – المرجع السابق ، ص 551 .

[4] – د. حسن عبد العزيز ، الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ص 13 ، ص 351 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 14.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وفيما ينبغي أن يتوفر في الواضع ، فيرى اليازجي أن نقل الأوضاع الحديثة من ألفاظ الحضارة أو مصطلحات العلوم إلى لغتنا ، لا يكفي فيه العلم بقوانين العربية و الإحاطة بألفاظ منها نستظهرها من بطون الدفاتر، بل مقتضاه أن يكون أكثر المشتغلين به من العارفين باللغات المنقول عنها، والمطلعين على علوم أربابها وصنائعهم وسائر فنونهم ليكونوا على بينة من مواضع النقص المشار إليها، وتحقيق المعاني التي ينبغي وضع ألفاظ لها مما يؤدي به المقصود على وجهه" . ([1])

3 – أنستاس ماري الكرملي (1866 – 1947م) :

أما الكرملي فأهم موقف تميز به هو موقفه من المصطلحات العلمية و الفنية والصناعية والعمرانية التي تكونت في اللغة العربية على مدى القرون فهي في رأيه رصيد أساسي مهم بالنسبة لتاريخ العربية ، وهو يرى استخدام العرب للكلمات الدخيلة من اللغات الأوربية في العصر الحديث غير مبرر وذلك لأن في العربية ألفاظا تكفينا مؤونة الاستعارة من غيرها من اللغات . ([2])

لقد كان الكرملي من الداعين لتنمية اللغة العربية ومن القائلين أيضا بالحفاظ على الأصول القديمة لها والابتعاد عن كل ما ينأى عن البناء الصحيح و الأسلوب القويم ، ومع ذلك فقد كان من المنادين بمبدأ التطور اللغوي. ([3]) حيث كان يعطي المولد شرعية لغوية ويرى في وجوده داخل الثروة اللغوية تنمية لها ، وفي طرحه بحجة أنه ليس من كلام العرب إفقار للغة وتضييع لثروتها من الألفاظ وخاصة المصطلحات العلمية ، وكما كان لا يمانع في دخول الألفاظ المولدة كان يسمح أيضا بدخول المولد بالترجمة ([4]) أيضا ومساهمة منه في سد النقص في مفردات العربية فكر الكرملي في وضع معجم يذكر فيه ما أغفلته المعاجم من الألفاظ ، و يسمي معجمه هذا " ذيل لسان العرب " ثم عدل عن هذه التسمية وأطلق عليه اسم " المساعد " وبهذا العمل حاول الكرملي إضافة مادة جديدة من الكلمات و التراكيب المولدة المنشورة في كتب الآداب و العلوم منذ العصر العباسي . ([5])

---

[1] – المرجع السابق ، ص 14

[2] – محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات ، ص 51 .

[3] – حلمي خليل ، المولد ، ص 553 .

[4] – المرجع السابق ، ص 559 .

[5] – المرجع نفسه ، ص 554 – 556 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

4 – معروف الرصافي (1877 – 1945 م) :

وتناول معروف الرصافي قضية المصطلحات وألفاظ الحضارة عن طريق إعادة النظر في المصطلحات المتداولة منذ العصر العثماني ، حيث كان الترك قد وضعوا كثيرا من المصطلحات الإدارية اعتمادا على كلمات عربية وذلك عن طريق التغير الدلالي أو الاشتقاق ، ذلك أن العربية كانت اللغة المصدر التي تؤخذ من كلماتها وموادها وأوزانها المصطلحات المنشودة ، وهكذا تكونت مصطلحات كثيرة في الدولة العثمانية واستخدمت في كل أنحاء الدولة ومنها الأقاليم العربية ، وقد لاحظ الرصافي وغيره أن هذه المصطلحات لا تطابق بالضرورة القواعد العربية وتختلف دلالاتها الجديدة عن دلالاتها القديمة في العربية ، وفي إزالة أدران المصطلحات العثمانية كتب معروف الرصافي كتابه" دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة" وهو من كتب التصويب اللغوي . ([1])

5 – أحمد تيمور (1871م – 1930 م) :

كما كان أحمد تيمور من المهتمين بقضية تطوير اللغة العربية في العصر الحديث ، فقد وضع كتاب "البرقيات" الذي يبدو من خلال عنوانه أن مؤلفه أراد أن يحيي بعض الألفاظ العربية القديمة التي يمكن أن تستعمل في كتابة البرقيات و المقالات، واستعماله لكلمتي البرقيات والمقالات وهما كلمتان مولدتان يوحي بأن تيمور قد أراد بإثبات هذا النوع من الكلمات في هذا المعجم الصغير أن ينبه إلى أن هناك بعض الاستعمالات التي يمكن استغلالها في العربية الحديثة وخاصة في كتابة البرقيات والمقالات، إذ هما بحكم طريقة الكتابة تحتاج كل منهما إلى ألفاظ مختصرة معبرة عن غرض الكاتب سواء كان يكتب برقية أم مقالة. ([2])

وهو في هذا الكتاب يلفت النظر إلى بعض الاستعمالات المولدة في بعض الألفاظ الاصطلاحية وهذا يؤكد أن هدفه من وراء هذا الكتاب هو طرح مادة لغوية قديمة يمكن أن تستعمل في العربية الحديثة بدلالاتها القديمة أو بدلالات جديدة ، وبهذا يسد بعض النقص في العربية الحديثة للتعبير عن ألوان الحضارة. ([3])

---

[1] – محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات ، ص 52 .

[2] – حلمي خليل ، المولد . ص 562 – 563 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 564 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وهذا ما يؤكد اهتمام أحمد تيمور الكبير بتطور اللغة العربية وإمدادها بالألفاظ التي توسع من قدرتها على التعبير عن العلم و الحضارة في العصر الحديثن فرغبة منه في التجديد اللغوي نراه يحرص على البحث والتنقيب في هذا الجانب في الحضارة العربية القديمة بهدف العثور على بعض الألفاظ التي يمكن استعمالها حديثا، ففي كتابه " أعلام المهندسين في الإسلام " هذا الكتاب الذي يبدو من عنوانه أنه كتاب في تراجم المهندسين العرب و المسلمين يتضح بعد التدقيق فيه أن الهدف اللغوي الذي قصده تيمور هو تزويد العربية الحديثة بذخيرة من الألفاظ الاصطلاحية القديمة في الهندسة والعلوم و الفنون. ([1])

6 – الأمير مصطفى الشهابي (1893م – 1968 م) :

يعتبر الأمير مصطفى الشهابي من العلماء القلائل الذين سخروا جهودهم لتوفير الكثير من المصطلحات العلمية والخاصة في علوم : النباتات والحيوان والمعادن، وأعطى لعلم النبات اهتماما خاصا بحكم تخصصه في هذا المجال، كما أنه كان أيضا من الرواد الذين التفتوا إلى أهمية استعمال التوليد والألفاظ المولدة في لغة العلوم، فكتب مقالات عديدة في مجلتي مجمع دمشق ومجمع القاهرة يلفت فيها النظر إلى أهمية اتخاذ الألفاظ المولدة وإقرار الصالح منها في لغة العلوم خاصة.([2])

ولكي يسد النقص في مصطلحات العربية وضع معجمه في الألفاظ الزراعية، هذا المعجم الذي يعتبر بحق قمة أعمال الشهابي في خدمة اللغة العربية الحديثة وتنميتها، وهو معجم فرنسي عربي للألفاظ الزراعية الحديثة في كافة مجالات هذا العلم كالزراعة العامة ، وزراعة البساتين ، وتربية الخيل و الماشية و النحل و السمك و الطيور وما له صلة بالزراعة من نبات وحيوان وحشرات ..الخ . ([3])

هـ / 2 – 2 – الجهود الجماعيّة :

وإلى جانب هذه الجهود الفردية التي حملت على كاهلها عبء توفير المصطلح العلمي العربي، وتنمية اللغة العربية الحديثة لمسايرة مستجدات العلوم

---

[1] – المرجع السابق ، ص 565 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 568 – 569 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 572 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و الفنون الحديثة المختلفة، قامت جهود جماعية بتولي هذه المهمة ، وقد تمثلت هـذه الجهود الجماعية في :

- **المجامع اللغوية العربية :**

فقد أنشئت في الوطن العربي مجامع للغة العربية بدمشق وبغداد وعمـان و القاهرة أوكل إليها بالإضافة إلى حفاظها على سلامة اللغـة العربيـة و التـراث العربي، خلق لغة علمية عربية تفي بمطالب العلـوم الحديثـة و الفنـون ، وتلائـم حاجات الحياة في العصر الحديث ، وتساير اللغات العلمية الحية المعاصرة ، وقـد أجمعت هذه المجامع العربية كلها على صلاحية اللغة العربية لأساليب اللغة العلميـة المعاصرة ومتطلباتها بيسر وطلاقة كما فعلت في الأمس البعيد ، وظهرت بـاكورة إنتاج هذه المجامع العلمية الحديثة في شكل معاجم علمية ومؤلفات ومترجمات أثرت اللغة العربية بعشرات أو مئات الآلاف من الألفاظ و المصطلحات العلمية مـا بـين مترجم و معرب ومولد ودخيل .([1])

1 – المجمع العلمي العربي بدمشق (1919 م) :

كان هذا المجمع أول المجامع الرسمية ميلادا في الوطن العربي وقد تـصدى منذ ميلاده لقضية النمو اللغوي ، ولعل أهم ما يمكن ملاحظته أنه أباح لنفـسه حـق وضع ألفاظ للمستحدثات العصرية واعتبر ذلك من أهدافه الرئيسية التي شرع فـي تنفيذها فور إنشائه . ([2])

فكان نتيجة اهتمامه بمشكلة المصطلحات العلمية أن بذل بعض أعضائه مثـل الأمير مصطفى الشهابي وغيره جهودا في هذا السبيل ، فقاموا بوضع كثيـر مـن المصطلحات العلمية الحديثة ، نشر منها المجمع جزءا كبيرا في مجلتـه و خاصـة فيما يتصل بالعلوم الزراعية .([3])

وقد قام المجمع بأعمال مختلفة منها العناية بالآثار الإسلامية كما اهتم بالتراث العربي فهرسة وتحقيقا ، وربما يكون هذا العمل أكبر جهود المجمع فقـد ظهـرت

---

[1] – مجمع اللغة العربية الأردني ، الموسم الثقافي الرابع ، ط1 ، 1407 هـ / 1986 م ، ص 10 .

[2] – حلمي خليل ، المولد ، ص 586 – 588 .

[3] – المرجع السابق ، ص 591 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

ضمن مطبوعات المجمع سلسلة ممتازة من فهارس المخطوطات ونخبة من التحقيقات العلمية لكتب تراثية مختلفة تكاد تصل إلى المائتين، و أسهم المجمع في تحقيق عدد كبير من الدواوين ونشر كتب لغوية قيمة إضافة إلى ما يقوم به أعضاؤه ببحث كل ما يتصل بقضايا تعريب المصطلحات . ([1])

2 – مجمع اللغة العربية بالقاهرة (1932 م) :

هو ثاني المجامع اللغوية العربية ميلادا ومع ذلك فقد كان ولا يزال أكثر المجامع اللغوية العربية نشاطا و أغزرها إنتاجا وأبعدها أثرا في حياة اللغة العربية وآدابها . ([2])

وقد تصدى منذ إنشائه – بكثير من النجاح – لقضية النمو اللغوي بحيث حقق جانبا كبيرا من الغرض الذي أنشئ من أجله وهو جعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم و الفنون في العصر الحديث . ([3])

ويتم تنفيذ مشروعات هذا المجمع عن طريق لجان متخصصة، فقد كان هناك لجنة للمعجم الوسيط ، ولجنة لمعجم ألفاظ القرآن الكريم، وهناك لجنة للمعجم الكبير، ولجنة للأصول، ولجنة الألفاظ والأساليب ، كما يضم المجمع عددا كبيرا من اللجان المتخصصة في المصطلحات، منها لجان : الطب والكيمياء والصيدلة والأحياء والرياضة والهندسة والطبيعة والجيولوجيا والفلسفة والقانون والإحصاء والجغرافيا والتاريخ والآثار والعمارة والفنون وألفاظ الحضارة ، ومنطلقه الأساسي في مجال المصطلحات وألفاظ الحضارة هو أن مفردات اللغة العربية لا تقتصر على ما ورد في المعجمات العامة القديمة ، فاللغة العربية نمت على مدى القرون لتلبي الحاجات المتجددة لذلك أجاز المجمع مجموعة من الوسائل اللغوية لتنمية المصطلحات، وهذه الأخيرة يقوم بنشرها عن طريق الأعضاء و الخبراء بمعاونة المحررين، فيعرضها على مدار السنة على مجلس المجمع ثم يقدم عمل العام كله إلى المؤتمر السنوي للمجمع، فتتخذ هذه المصطلحات طريقها للنشر بعد كل هذه المراحل من الإعداد والتدقيق والمراجعة ، وإلى جانب هذا كله فقد اهتم المجمع في مجال تحقيق التراث بالمعجمات بصفة خاصة ، فنشر معجمات منها : كتاب الجيم

---

[1] – محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات ، ص 56 – 57 .

[2] – حلمي خليل ، المولد ، ص 592 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 600 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

للشيباني، وديوان الأدب الفارابي، والتكملة والذيل والصلة للصاغاني . ([1])

فالمجمع يهدف إلى المحافظة على سلامة اللغة العربية وإلى جعلها مواكبة لحاجات العصر ، فهو يدعو إلى وضع معاجم وقائمات من المصطلحات و المفردات لتكون حجة على الفصاحة و صفاء اللغة، وهو يدعو أيضا إلى وضع معجم تاريخي للغة العربية. ([2]) هذا المعجم الذي كان " فيشر" أول من قدم فيه مشروعا إلى المجمع ووعده هذا الأخير بطبعه إلا أن موت المؤلف وضعف الوسائل قد حالت دون وضع أول معجم تاريخي في تاريخ العربية . ([3])

3 – المجمع العلمي العراقي (1947 م) :

هو ثالث المجامع اللغوية العربية ميلادا ولا يزال إلى يومنا يخصص جانبا كبيرا من جلساته للبحث في الكلمات و المصطلحات على اختلاف أنواعها ، ويمكن القول أن نشاط المجمع نفسه لا يتعدى دائرة المصطلحات العلمية ، أما قضية التوليد فهي لم تحظ باهتمام واضح من المجمع إذ لم يبحث فيها من الناحية النظرية ، وإن كان قد اعتمد على التوليد من الناحية العملية فيما وضعه من كلمات ومصطلحات. ([4])

وقد تأسس هذا المجمع بهدف العناية بسلامة اللغة العربية والسعي إلى جعلها وافية بمطالب الحضارة المعاصرة و تشجيع حركة نشر التراث العربي الإسلامي ونشر البحوث الأصيلة لمسايرة التقدم العلمي وتشجيع الترجمة والتأليف في العلوم والآداب والفنون .

وينتظم أعضاء المجمع العلمي العراقي في عدة لجان منها لجان متخصصة في مصطلحات الطب والهندسة. وقد أصبح هذا المجمع منذ صدور قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية (نشر في 1977/04/28 م) في العراق الوحيد المتكفل بوضع

---

[1] – محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات ، ص 58 – 59 .

[2] – محمد رشاد الحمزاوي ، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة مناهج ترقية اللغة تنظيرا ومصطلحا ومعجما ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،لبنان 1988م ، ص 51 – 52 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 98 .

[4] – حلمي خليل ، المولد ، ص 603 – 604 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

المصطلحات العلمية والفنية. ([1]) فهو يولي المصطلحات عناية خاصة لاسيما في السنوات الأخيرة حيث نشطت اللجان لانجاز معاجم كاملة ، وخصص المجمع معظم جلساته لمناقشة هذه المصطلحات التي كانت تنشر في السابق في مجلة المجمع ثم أصبحت تنشر في كتاب مستقل بعنوان " مصطلحات علمية " صدر القسم الأول منه سنة 1982 م . ([2])

4 – مجمع اللغة العربية الأردني 1976م :

وهو من أحدث مجامع اللغة العربية ،فقد صدر القانون المؤسس له عام 1976م ويعمل هذا المجمع على صيانة اللغة العربية وإحياء التراث الإسلامي ووضع المصطلحات العلمية وتوحيدها وجعل اللغة العربية تواكب متطلبات العصر الحديث في مجالات العلوم و الفنون و الآداب ، ويقوم بتحقيق هذه الأهداف بالتعاون مع المؤسسات العلمية داخل المملكة الأردنية الهاشمية وخارجها ، و بالتنسيق مع المجامع اللغوية و العلمية العربية . ([3])

5 – اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية :

وقد أدى تعدد المجامع اللغوية العربية إلى ضرورة التنسيق بينها من أجل العمل المتكامل في مجال المصطلحات وألفاظ الحضارة إلى جانب المجالات الأخرى التي تهتم بها المجامع اللغوية، وقد تم في 30 أفريل 1970 م التوقيع على مشروع النظام الأساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ومقره القاهرة ، ويتألف من مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ومجمع اللغة العربية في دمشق، والمجمع العلمي العراقي في بغداد ، ومجمع اللغة العربية الأردني ، وينظم إليه كل مجمع لغوي تنشئه دولة عربية مستقلة ويوافق مجلس الاتحاد على قبوله. وهدف اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية التنسيق بين عمل هذه المجامع في القضايا المتصلة باللغة العربية بصورة عامة ، والعمل بصفة خاصة على توحيد المصطلحات العلمية الفنية والحضارية ونشرها، وهذا الهدف يعمل على تحقيقه أيضا مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي . ([4])

---

[1] – محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات ، ص 59 .

[2] – مجمع اللغة العربية الأردني ، الموسم الثقافي الثاني ، ص 36 .

[3] – محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات ، ص 59 .

[4] – المرجع نفسه ، ص 60 – 61 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

6 – مكتب تنسيق التعريب بالرباط (1961 م) :

ويختلف عمل المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي عن عمل المجامع اللغوية في أن المكتب لا يقوم بالتعريب بقدر ما يقوم بالتنسيق بين الجهود العربية المختلفة في إطار خطة شاملة، كما يخطط مكتب تنسيق التعريب لمعجمات عن طريق الانطلاق من المعجمات الحديثة لهذه المصطلحات في اللغات الأوربية ، ثم عن طريق البحث عن المفردات المناسبة لها في اللغة العربية، وتعرض مشروعات المعجمات المتخصصة التي تضم هذه المصطلحات مع المقترحات المختلفة لتعريبها مع مؤتمرات التعريب حيث يلتقي اللغويون والعلميون لبحث هذه المصطلحات واختيار أنسبها، وقد تم انجاز عدد كبير من المعاجم التي أقرت في مؤتمرات التعريب .

ومن أوائل هذه المعجمات : معجم الرياضيات ، معجم الفيزياء ، معجم الكيمياء، معجم الجيولوجيا ، معجم النبات ، معجم الحيوان ، أما المعجمات الفردية الكثيرة فينشرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب تارة في مجلة " اللسان العربي " وتارة في طبعات مستقلة منها : معجم الفقه و القانون ، ومعجم الاقتصاد ، ومعجم أسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم . ([1])

كانت هذه أهم الجهود الجماعية الرسمية التي عنيت بالتطور اللغوي في مواجهة الحياة الحضارية الحديثة ، لم يحظ فيها التوليد اللغوي من الناحية النظرية بأهمية خاصة باستثناء مجمع اللغة العربية بمصر الذي أعطى التوليد و المولد اهتماما خاصا منذ جلساته الأولى ،غير أن ذلك لا ينفي أن هذه المجامع اللغوية الرسمية ومعها مكتب تنسيق التعريب قد لجأت إلى التوليد بصورة عملية في وضع كثير من الألفاظ و المصطلحات وإن لم تنص في وضعها على أن تلك الكلمات من المولد .([2]) وبذلك ساهمت مساهمة فعلية فعالة في توسيع وإغناء المعجم العربي وتطوير العربية وتطويعها لاستيعاب مستجدات الحضارة والمعاصرة.

فاللغة هي وعاء الفكر والحضارة وبدونها لا يمكن التعبير عن المعاني ،فهي إحدى المقومات الرئيسية التي تكون شخصية الأمة وتعطيها ملامحها وهويتها

---

[1] – المصدر السابق ، ص 62 .

[2] – حلمي خليل ، المولد ، ص 606 – 607 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

وترسي دعائم التفاهم بين أبنائها ، وكلما ارتقت لغة الأمة ونمت واتسعت مفرداتها وكثر الاشتقاق والتوليد فيها كلما دلت على حيوية الأمة و تحضرها، ومن هنا حظيت لغة الأمم الراقية باهتمام بالغ فلها مجامعها العريقة ومعاجمها المتطورة النامية ودورياتها المستمرة التي توضح ما استجد فيها وما طرأ عليها ، فثمة ألفاظ تموت بعد قرن أو أكثر من حياة اللغة، وثمة ألفاظ تولد وعلى المدى البعيد تتسع الهوة بين اللغة وأصولها القديمة . ([1])

" والحق أن لغتنا العربية قد درجت مع أسلافنا وسايرتهم في حضارتهم وجرت معهم في ذلك شوطا بعيدا اتسعت ونمت فيه لكل ما أرادوها ، وهي اليوم بين يديها حضارة ذات ألوان مختلفة لم تنبت في أرضها أو بيئتها بحيث تخرج وعليها طابع العربية ووسمها ، بل هي حضارة غريبة عنا بأسماء أعجمية المبنى والمعنى وكان لابد أن نتصل بتلك الحضارة فاتصلنا بها ونحن على بعد من لغتنا والإلمام التام بها، بل لقد كان منا من بصره باللغات الأجنبية يزيد على بصره بالعربية ، والمتداول من هذه اللغة كان ولا يزال قلة من كثرة وقطرة من نبع ، ولذا كان شعورنا دائما أمام ذلك الفيض الأجنبي من الكلمات العجز نرمي به لغتنا والنقص نتجنى به أحيانا عليها " . ([2])

فقد جاء العصر الحديث بحضارته المعقدة ووجدنا أنفسنا مدفوعين إلى أخذ هذه الحضارة ولاسيما ما يتصل بالتكنولوجيا الحديثة، وإذا بنا لا نملك لغة تتسع لهذه الحضارة الجديدة ولذلك كان علينا أن نجعل من لغتنا وسيلة صالحة للإعراب عن هذه الحضارة الجديدة ، وهذا ليس بكثير عليها أن تنهض به فقد كانت هذه اللغة لغة العلم في العالم القديم خلال قرون عدة. ([3]) فالناس في حياتهم اليومية يحتاجون كل يوم إلى مئات الألفاظ الجديدة للتعبير عن المعاني المستحدثة والمبتكرات المستجدة ولاشك في أن الاعتماد على ألفاظ عصر الاحتجاج والقياس عليها يقصران في كثير من الأحيان أمام حاجة العصر للألفاظ الجديدة . ([4])

---

[1] – د. أكرم ضياء العمري ، التراث و المعاصرة ، ط1 ، رئاسة المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية ، قطر، شعبان 1405 هـ ، ص 72 .

[2] – حلمي خليل ، المولد ، ص 7 – 8 .

[3] – إبراهيم السامرائي ، تنمية اللغة العربية في العصر الحديث ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، معهد البحوث و الدراسات العربية ، 1973 م ، ص 8 – 9 .

2 – إميل بديع يعقوب ، معجم الخطأ والصواب في اللغة ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ،لبنان ، 1983م، ص 34 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

و الحقيقة أن التوليد اللغوي هو حركة نمو متصلة الأسباب تكاد لا تنقطع في زمن من الأزمنة غير أنها تختلف قوة واتساعا من عصر إلى عصر ، ولعل العصر الذهبي للعربية أيام بني العباس ، وعصر النهضة الحديثة منذ بداية القرن التاسع عشر هي أكثر عصور العربية إنتاجا في هذا المضمار، ففي كليهما نشأت حاجات فكرية واجتماعية دفعت الأقلام والألسنة إلى توليد كثير من الألفاظ لسد تلك الحاجات وهذه الألفاظ لم ترو عمن يحتج بكلامهم من العرب القدماء .

وهنا نلاحظ أن نظرة اللغويين القدماء إلى هذه المولدات يختلف عن نظرة المحدثين، فالقدامى – فيما عدا الشهاب الخفاجي – لم يفتحوا لها حرم اللغة للدخول ضمن الثروة اللغوية ولذا بقي معظمها خارج هذا الحرم موصوما بكلمة " مولد " وكانوا أحيانا إذا ذكروا المولد ذكروه على أنه غير عربي الأصل ، وهكذا لم يعتد اللغويون القدماء بالتطور اللغوي عن طريق التوليد ولو ورد هذا المولد في كلام كبار الكتاب والشعراء ، وظل الأمر على هذا النحو حتى بداية النهضة الحديثة حين كان الشعور بضرورة مسايرة اللغة للفكر واضحا منذ بدء هذه النهضة فوقع عبء تطوير العربية لمسايرة الفكر والحضارة الحديثة على كاهل الأفراد في البداية ثم تولته بعد ذلك في المرحلة الأخيرة و المعاصرة المجامع اللغوية بعد إنشائها . ([1])

فهذه العربية الحديثة هي لغة هذا العصر الحاضر بحاجاته العديدة ووسائله المختلفة وما وجد فيه وما يجد من أشياء ومستحدثات وهي استعمالات وصيغ قائمة دائمة أردنا أم لم نرد خضعت لسنة التطور شأن جميع اللغات " لذا يؤدي رفض المولد إلى تحنيط هذه اللغة في ألفاظها ومعانيها وقبوله يعد سنة طبيعية في اللغات عامة ومظهر حيوي للغة يساعد على بقائها ونموها وتطورها، وما أكثر الكلمات العربية التي أخذت دلالات لم تكن لها ضمن عصر الاحتجاج نفسه " . ([2])

فقد أصبحت مسالة المصطلح العلمي مما يعيّرون به اللغة العربية لافتقارها له ، فلاشك أن هناك آلاف المصطلحات التي لا وجود لها في العربية ولكن ذلك ليس من ضعفها وقصورها ، فكل اللغات الحية كانت خالية من آلاف المصطلحات الجديدة التي ظهرت خلال ربع القرن الأخير. ([3])

---

[1] – حلمي خليل ، المولد ص 525 – 526 .

[2] – إميل بديع يعقوب ، معجم الخطأ و الصواب في اللغة ، ص 44 .

[3] – أحمد عبد الغفور عطار، الزحف على لغة القرآن ط1 ، بيروت 1385 هـ / 1965 م ، ص 102 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فقد أتى الإسلام بجيد مبتكر لا عهد للعربية به ،فقلب أوضاع العرب وغير العرب ممن دخلوا فيه ، فاتخذ مصطلحات جديدة تعد بالمئات انتزعها من العربية نفسها انتزاعا ووضع فيها معانيه الجديدة التي تغلبت على المعاني القديمة وأخفتها لتحل محلها ،كالصلاة و الصيام والحج والعمرة والفقه والقرآن و السنة ..الخ .

ونجحت العربية أيما نجاح عندما اتسعت لمعاني الإسلام وكل ما صحبه من تغير في العقيدة والشريعة والأخلاق والعادات والسلوك ، ثم جاءت تجربة عمر بن الخطاب (ﷺ) عندما استحدث في الإسلام الدواوين والإدارات والإحصاء والتدوين مما لا عهد للعربية والعرب بها ، فلم تجمد العربية بل اتسعت لهذه التجربة دون أي قصور مع أن عملا كهذا يعد امتحانا عسيرا لأية لغة في جميع العصور، ثم جاءت تجارب العلوم العربية و الدينية من عروض ونحو وصرف وبيان وبلاغة وفقه وتوحيد مصطلح فكانت العربية عظيمة القدر والصلاح لمصطلحات هذه العلوم.

وجاءت تجارب النقل والترجمة والتأليف في علوم لا عهد للعربية بها كالكيمياء و الطبيعة و الهندسة والجبر والرياضيات و الحساب و الجغرافيا و الطب والبصريات والميكانيك و المعادن والزراعة والتجارة والاقتصاد والسياسة والحكم ، فإذا العربية تتسع لها اتساعا عجيبا ، وإذا ظُنّ بها اليوم قصور فما هو فيها، بل القصور في أهلها لأنهم لم يشاركوا في مخترعات الحضارة الحديثة ولو شاركوا لوضعوا أسماء لها . ([1])

فالحاجة إلى المصطلح العلمي قائمة في كل لغة وهي مطلوبة ملتمسة كلما حدث جديد في العلوم و الفنون، ولا ينقطع الجديد مادام الفكر الإنساني نشيطا عاملا، ولذلك كان لكل علم أو فن مصطلح خاص ، وإذا كان العلم متطورا حافلا بالجديد في كل عصر كان على المختصين أن يهيئوا الأدوات اللغوية اللازمة للتعبير عن هذا الجديد . ([2])

لهذا فلاشك أن الاقتصار في الألفاظ على ما استعمله عرب عصر الاحتجاج يؤدي إلى النفور من العربية خاصة وأن اللغات العالمية لا تزال تستقبل كل يوم عشرات الكلمات الجديدة وخاصة المصطلحات العلمية .

---

[1] – المرجع السابق ، ص 102 – 103 .

[2] – إبراهيم السامرائي ، مباحث لغوية ، منشورات مكتبة الأندلس ، بغداد 1391 هـ / 1971 م ، ص 9 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

خاتمة :

كانت هذه أهم الجهود التي تكبدها علماء العربية قديما وحـــديثا في سبيل حفظ اللغة العربية من جهة ، وفي سبيل حفظ سلامة استعمالها من جهـــة أخرى، على أن هذه الجهود – على عظمتها – وإن كانت قد حفظت العربية طـــوال قرون من الزمن وبلغت بها العصر الذهبي ثراء وازدهارا فإنها ما تزال في عصرنا هذا تتطلب المزيد و المزيد من الجهود ، فعصر اليوم غير عهد الأمـــس ، وجهـــد علماء العربية اليوم ينبغي أن يكون مضاعفا عن جهود السابقين ، لأن الحيـــاة قـــد قفزت قفزة نوعية في جميع المجالات . وبلغت الحضارة مراتب قطعت من خلالهـــا أشواطا بعيدة عن حضارة الأمس البعيد، لذا فاللغة ينبغي أن تسير جنبا إلى جنب مع هذه الحضارة الراقية ، فليس ذنبها أن يكون أبناؤها ممن تخلفوا عـــن ركـــب هـــذه الحضارة أو لم يسهموا بالفعل فيها لأنهم إن وقفوا بها عنـــد حـــالهم فإنهـــا حتمـــا ستتوارى خلف لغات الحضارة المعاصرة ، وتتلاشى تدريجيا لتترك الصدارة للغـــة العصر ألا وهي لغة العلم و التكنولوجيا ، لغة عصر السرعة والمعلوماتية وهذا مـــا لا نتمناه للغتنا لأنها برهنت بالفعل أنها لغة العلم والحضارة ، واستطاعت أن تفرض نفسها لقرون طويلة وتنقل للعالم ذخائر تراث السابقين من الحضارات المندثرة التي نفضت عنها الغبار وكستها حلالا باهية نسجها علمـــاء العربيـــة بفكـــرهم الثاقـــب وتحاليلهم الدقيقة وآرائهم السديدة ، فكانت هذه الذخائر العلمية ومعها مختلـــف مـــا توصل إليه علماء العربية في شتى مناحي العلم وآفاقه ، مفاتيح ولج من خلالها رواد الحضارة الحديثة عالم الابتكارات والاختراعات والاكتشافات العلمية ، فقد انطلقـــوا من حيث انتهى السابقون من العرب وبنوا على أسُس صلبة هيأها لهم هؤلاء ليصلوا إلى ما وصلوا إليه اليوم.

إن اللغة العربية مسيرة تاريخية وحضارية ، وهي بالنسبة لنا نحن المسلمين رمز من رموز الدين الإسلامي الحنيف ،فهي لغة القرآن الكريم و الدين للناس كافة، فلِمَ لا تكون العربية لسان الناس كافة أيضا ؟! فقد كانت بعد الفتوح الإسلامية لـــسان المسلمين في جميع الأقطار، بها يتلون كتاب الله ويتدارسون أحكامه وتعاليمه ، ولـــم تكن يوما سببا في تخلف المسلمين كما يومئ إلـــى ذلـــك بعـــض أعـــداء الإســـلام

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

والمسلمين، وكانت لغة الحضارة العربية الإسلامية الزاهرة التي شهدها العالم في القرون الخوالي ، يُركَض لتعلمها ويتسابق المتسابقون لمنابعها ، ولم يكن لها ذلك إلا بجهد أهلها الساهرين على خدمتها وإثرائها وحفظ سلامة استعمالها.

و اللغة العربية اليوم تعاني من مشكلات عديدة منها تفشي اللحن على ألسنة أبنائها بصورة تدعو لدق ناقوس الخطر بقوة ، فأنت تسمع اللحن في كل مكان ، ومن أفواه المثقفين وخاصة أهل العلم ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الفجوة الكبيرة التي تفصل بين تعلم اللغة وبين استعمالها ذلك أن العربية أصبحت تلقن على شكل قواعد وضوابط يحفظها المتعلم بشكل آلي، يدركها بعد ذلك – أحيانا – لكنه لا يطبقها و لا يلتزم بها عند الاستعمال اللغوي ،فتراه يتكلم بركاكة وتكلف فتفتقد فيه تلك التلقائية وتلك السلامة اللغوية التي يفترض أن تكون عند ابن اللغة ، فالإنسان ابن لغته قبل أن ينسب إلى لغة أخرى بعد تعلمه لها ، وعيب على الإنسان أن يجهل لغته الأم خاصة وإن كانت لغته الأم هي اللغة العربية ، ونحن لا نقول ذلك تحيزا لها ، إنما لأنها لغة لها ما ليس لغيرها من اللغات التي يفتخر بها متكلموها في العصر الحديث و التاريخ يشهد لها بفضل كبير .

ثم إن اللغة العربية اليوم تعاني الأمرين من مزاحمة اللهجات العامية لها هذه اللهجات التي تكاثرت وانتشرت بشكل كبير جدا ، فأصبحت تنافس الفصحى حتى في مواطن استعمال هذه الأخيرة أي في أماكن الدرس ومواقع إلقاء الخطب و المواعظ ووسائل الإعلام و الاتصال وما إلى ذلك ، وهذا ما يؤسف له بحق ويدفع إلى التساؤل : ألا تفي العربية الفصحى بالغرض المنشود دون معونة من اللهجات العامية ؟ أم ترى المتكلم لا يفرق بين المستويين اللغويين فيدخل أحدهما في الآخر جهلا منه بالحدود الفاصلة بينهما ؟! أم ماذا ؟

ضف إلى هذا مشكلة العربية الفصحى مع غيرها من اللغات الأجنبية وإدخال بعض أساليب هذه الأخيرة في اللغة العربية وهي لا تتلاءم معها ومع طرق نظمها وصوغها للكلام، وإنه ليحضرنا دوما تلك المواقف الكثيرة التي مررنا بها وعشناها مع طلبة " قسم الترجمة " فقد درسنا في هذا القسم لسنوات وكانت المواقف ذاتها والأخطاء ذاتها تتكرر من سنة إلى أخرى عند هؤلاء الطلبة الذين درسناهم مادة " اللغة العربية " فكيف يعقل أن يصل الطالب إلى الجامعة وحتى أن يتخرج فيها وهو لا يحسن – في العربية – نسج جملتين متتاليتين نسجا سليما متماسكا أو يتلفظ

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

بهما بطريقة لا تشد السامع إلى أخطائه ؟ أو كيف يعقل أن يطلب من الطالب الإجابة في موضوع ما باللغة العربية الفصحى فيسأل الطالب الأستاذ مثلا عن المقابل العربي لكلمة أجنبية لأنه يتعذر عليه إيجاد الكلمة العربية في حين يسهل عليه أداء المعنى المراد بكلمة أجنبية ؟! فهو يعرف اللغة الأجنبية – أحيانا – أكثر من لغته ويفتخر بذلك ولا يحسن التكلم بالعربية ولو بشكل مقبول ، رغم أنه أمضى سنوات دراسته في مراحل تعليمية سابقة لم يستفد منها شيئا يؤهله لتوظيف ما تعلمه عند تحدثه باللغة العربية الفصحى ، وهذا أمر جلل . ثم كيف يتخرج الطالب في الجامعة بشهادة في الترجمة ، وهو لا يتقن اللغة العربية ولو بالشكل المقبول ؟! مع الإشارة إلى أن حال العربية عند طلبة " قسم الترجمة " لا يختلف – كثيرا – عن حالها عند طلبة الأقسام الأخرى ، وخاصة قسم اللغة العربية وآدابها الذي تعاني فيه اللغة العربية على أفواه طلابها وأقلامهم بشكل يدعو للقلق الكبير ، وهذا ما لمسناه بأنفسنا في حصص الدرس التي نقدمها لطلبة " قسم اللغة العربية " ، وهو الحال بالتأكيد مع الطلبة في جميع التخصصات .

إن اللغة العربية تتطلب اليوم – أكثر من أي يوم مضى – التجنيد من أهلها و القائمين عليها وتكثيف الجهود وتوحيدها حتى تؤتي الثمار أكلها ، فالجهد وحده هو الذي يحفظها كما حفظها جهد الغيارى عليها من علمائها في العصور السابقة ، و الجهد وحده الذي يرسّخ مكانتها بين أقوى اللغات العالمية ، ويحفظ موقعها مهما اشتد صدى الأصوات الناعقة عليها ، فبالجهد يثرى معجمها ويتسع ليستوعب جديد الحضارة المتسارعة ، فيهضم هذا الجديد ليخرجه في سبك عربي فصيح ، وبالجهد تتسع دائرة استعمالها أكثر فأكثر، وبالجهد يحرص هذا الاستعمال ويُقوّم إن حاد عن مسار نظامها ونهج أساليبها ،فتبقى هذه اللغة العربية فصيحة وسليمة وصالحة لا تشكو عجزا ولا قصورا ما بقي أهلها قائمين عليها وساهرين على حفظها وحفظ سلامة استعمالها وتطوير معجمها.



Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

قائمة المصادر و المراجع

* **إبراهيم أنيس (دكتور) :**

- الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو – المصرية ، بدون تاريخ .
- دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو – المصرية 1997 م .
- طرق تنمية الألفاظ في اللغة ، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- في اللهجات العربية ، الطبعة التاسعة ، مكتبة الأنجلو – المصرية ، القاهرة 1995 م.
- اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف بمصر، القاهرة ، ج م ع ، بدون تاريخ .
- مستقبل اللغة العربية المشتركة، معهد الدراسات العربية العالية 1960 م .
- من أسرار اللغة ، الطبعة السابعة، مكتبة الأنجلو – المصرية، القاهرة 1994م.

* **إبراهيم السامرائي (دكتور) :**

- التطور اللغوي التاريخي، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1401 هـ / 1981 م .
- تنمية اللغة العربية في العصر الحديث ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، 1973 م.
- العربية تاريخ و تطور، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، بيروت ، لبنان 1413 هـ / 1993 م .
- مباحث لغوية ، منشورات مكتبة الأندلس ، بغداد 1391 هـ / 1971 م .
- النحو العربي في مواجهة العصر، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان 1415هـ/ 1995 م .

* **إبراهيم مدكور (دكتور) :**

- في اللغة والأدب ، دار المعارف بمصر، القاهرة 1971 م .

* **إبراهيم مصطفى :**

- إحياء النحو، الطبعة الثانية، القاهرة 1413 هـ / 1992 م .

* **إبراهيم اليازجي :**

- لغة الجرائد ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصر، مصر بدون تاريخ .
- نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد ، وقَف على طبعه وضبَطه على أصله الأميرُ نديم آل ناصر الدين، الطبعة الثالثة، مكتبة لبنان، بيروت 1985 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **ابن الأثير(الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري 544 هـــ / 606 هـــ) :**

- النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزء الأول والثالث والرابع ، تحقيق طـــاهر أحمـــد الزاوي ، محمود محمد الطانجي، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربيـــة ، عيـــسى البابي الحلبي وشركاه 1383 هـــ / 1963 م .

* **ابن الأنباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري) :**

- لمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق الدكتور عطية عامر ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1963 م

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربـــي القاهـــــرة 1418هـــ/ 1998 م .

* **ابن الأنباري (محمد بن القاسم الأنباري) :**

- كتاب الأضداد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية صيدا ، بيـــروت ، 1407 هـــ / 1987 م .

* **ابن الجزري (الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي المتوفى سنة 833):**

- النشر في القراءات العشر، الجزء الأول، أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل علي محمد الضباع ، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ .

* **ابن جني (أبو الفتح عثمان) :**

- الخصائص ، الجزء الأول و الثاني و الثالث ، تحقيق محمد علـــي النجـــار ، المكتبـــة العلمية ، بدون تاريخ .

- سر صناعة الإعراب ، الجزء الأول والثاني ، دراسة وتحقيق الدكتور حسن هنـــداوي، الطبعة الثانية ، دار القلم ، دمشق 1413 هـــ / 1993 م .

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها ، المجلـــد الأول ، دراســـة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ،الطبعة الأولى ، منشورات محمد علي بيـــضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان 1419 هـــ / 1998 م .

- المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمـــام أبـــي عثمان المازني النحوي البصري ، الجزء الأول ، تحقيق لجنة من الأستاذين: إبـــراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ، الطبعة الأولى ، ذو الحجة 1373 هـــ / أغسطس 1954 م .

* **ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن المتوفى 597 هـــ / 1201 م) :**

- تقويم اللسان ، حققه وقدم له الدكتور عبد العزيز مطر، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، القاهرة 1966 م .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **ابن حجر (شهاب الدين الفقيه المحدث أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي المولود سنة 773 هـ والمتوفى سنة 852 هـ).**

- الإصابة في تمييز الصحابة، الجزء 2 ، مطبعة مصطفى محمد بمصر1358 هـ/ 1939 م.

* **ابن خالويه :**

- مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي ، القاهرة، بدون تاريخ.

* **ابن خلدون (عبد الرحمن) :**

- المقدمة ، الطبعة السابعة ، دار القلم ، بيروت، لبنان 1409 هـ / 1989 م .

* **ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر** ، المولود سنة 608 هـ، والمتوفى سنة 681 هـ) :

- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، الجزء الثاني و الثالث ، حققه وعلق حواشيه وصنع فهارسه محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1948 م.

* **ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن) :**

- جمهرة اللغة، الجزء الأول، حققه وقدم له الدكتور رمزي منير بعلبكي ، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، نوفمبر 1987 م .

- الملاحن، صحّحه وعلّق عليه وذيّله أبو إسحاق إبراهيم أطفيّش الجزائري، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان 1407هـ / 1987م.

* **ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني** 390 – 456 هـ/1000 – 1064 م) .

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، الجزء الأول، قدم له وشرحه وفهرسه الدكتور صلاح الدين الهوازي، الأستاذة هدى عودة، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، لبنان 1416 هـ / 1996 م .

* **ابن سعد (محمد المتوفى 230 هـ) :**

- الطبقات الكبرى، الجزء الأول، راجعه وعلق عليه سهيل كيالي ، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1414 هـ/ 1994 م .

* **ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، ت 458 هـ) :**

- المخصص، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان، بدون تاريخ .

* **ابن عبد ربه الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد) :**

- العقد الفريد، الجزء الثاني ، شرحه وضبطه ورتب فهارسه أحمد أمين ، إبراهيم الأبياري، عبد السلام هارون ، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ .

* **ابن عساكر (علي بن الحسن، المتوفى سنة 571هـ/ 1175م) :**

- تاريخ مدينة دمشق، ج25، دراسة وتحقيق محب الدين غمر غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت 1995م.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **ابن عصفور (أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي المتوفى سنة 669 هـ) :**

- المقرَّب ومعه مُثل المقرِب، تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان 1418 هـ/ 1998 م .

* **ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) :**

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1418 هـ/ 1997 م.
- معجم مقاييس اللغة ، المجلد الخامس ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت 1411 هـ / 1991 م .

* **ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) :**

- تأويل مشكل القرآن ، تحقيق سيد صقر ، طبعة القاهرة ، بدون تاريخ .
- عيون الأخبار، المجلد الثاني ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة 1346هـ/ 1928 م .
- المعارف، حققه وقدم له الدكتور ثروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف، القاهرة، ج م ع ، بدون تاريخ .

* **ابن مالك :**

- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، حققه وقدم له محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر، القاهرة 1387 هـ / 1967 م .

* **ابن مضاء القرطبي :**

- الرد على النحاة ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة، ج م ع ، بدون تاريخ .

* **ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم المتوفى سنة 711 هـ) :**

- لسان العرب ، الجزء 1 + 2 + 3 + 5 + 6+ 7 + 10 + 12 + 13 + 15 ، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حيدر ، راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1424 هـ / 2003 م.

* **ابن النديم (محمد بن إسحاق النديم) :**

- الفهرست، تحقيق الدكتورة ناهد عباس عثمان ، الطبعة الأولى ، دار قطري بن الفجاءة 1985 م .

* **ابن هشام :**

- السيرة النبوية، الجزء الأول، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الباني وأولاده بمصر، بدون تاريخ.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **ابن يعيش (يعيش بن علي النحوي المتوفى سنة 643 هـ) :**

- شرح المفصل، المجلد الأول والثاني، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

* **أبو البقاء (أيوب بن موسى الحسيني الكفوي المتوفى 1094 هـ/ 1983 م) :**

- الكليات معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية ، القسم الرابع ، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه الدكتور عدنان درويش ، محمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1976 م .

* **أبو حيان (علي بن محمد بن العباس التوحيدي المتوفى في حدود 400 هـ) :**

- الإمتاع و المؤانسة ، صححه وضبطه وشرح غريبه خليل المنصور ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

* **أبو حيان (محمد بن يوسف) :**

- البحر المحيط ، الجزء الأول و الثاني و الثامن ، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت 1993 م .

* **أبو الطيب اللغوي (عبد الواحد بن علي) :**

- مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 1423 هـ / 2002 م .

* **أبو العلاء المعري (أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري) :**

- رسالة الملائكة، تحقيق لجنة من العلماء، الطبعة الثالثة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ، 1979 م .

* **أبو الفرج الأصفهاني :**

- كتاب الأغاني، المجلد الرابع و السادس ، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء ، الطبعة السادسة ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان 1404 هـ/ 1983 م .

* **أحمد أمين :**

- ضحى الإسلام ، الجزء الثاني ، الطبعة الثامنة ، بدون تاريخ .

* **أحمد تيمور :**

- لهجات العرب، قدم له الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1393 هـ / 1973 م .

* **أحمد زكي صفوت :**

- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، الجزء الأول ، العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **أحمد سليمان ياقوت (دكتور) :**

- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم ، دار المعرفة الجامعية 2003 م .

* **أحمد شلبي (دكتور) :**

- موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية ، دار النهضة المصرية 1977 م.

* **أحمد عبد الغفار عطار :**

- الزحف على لغة القرآن ، الطبعة الأولى ، بيروت 1385 هـ / 1965 م .
- قضايا ومشكلات لغوية، الطبعة الثانية، مكة المكرمة ، 1410 هـ / 1990 م .

* **أحمد عبده عوض (دكتور) :**

- في فضل اللغة العربية – تعلما وتحدثا والتزاما – معالجة قرآنية ونبوية وتراثية ، الطبعة الأولى، مركز الكتاب والنشر، القاهرة 1420 هـ / 2000 م.

* **أحمد علم الدين الجندي (دكتور) :**

- اللهجات العربية في التراث، القسم الأول في النظام الصوتي والصرفي، الدار العربية للكتاب 1983 م .

* **أحمد فارس الشدياق :**

- الجاسوس على القاموس ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية 1299 هـ .
- الساق على الساق فيما هو الفارياق، الجزء الأول والثاني، باريس 1855 م .
- سر الليال في القلب والإبدال، الجزء الأول، الطبعة الثانية 1284 هـ .
- كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، مطبعة الجوائب بالأستانة 1288 هـ .
- الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبا عن فنون أوربا، الطبعة الثانية، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية 1299 هـ .

* **أحمد القوص :**

- المعرّب في القرآن، مخطوط دار الكتب – 465 لغة تيمور.

* **أحمد محمد قدور (دكتور) :**

- مدخل إلى فقه اللغة العربية، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان 1993 م.

* **أحمد مختار عمر (دكتور) :**

- أخطاء اللغة العربية المعاصرة عن الكتاب والإذاعيين، الطبعة الثانية، عالم الكتب 1993م.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- أنا واللغة والمجتمع، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة 1422 هـ/ 2002 م.
- تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، عالم الكتب، القاهرة، بدون تاريخ .
- علم الدلالة، الطبعة الرابعة، القاهرة 1993م.
- اللغة واختلاف الجنسين، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة 1416 هـ/1996م.

* **الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد 282 هـ / 370 هـ) :**

- تهذيب اللغة، الجزء الرابع، تحقيق الأستاذ عبد الكريم العرباوي ، مراجعة الأستاذ محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، مطابع سجل العرب ، بدون تاريخ .

* **الإستراباذي (محمد بن الحسن ، المتوفى 686 هـ) :**

- شرح شافية ابن الحاجب، القسم الأول، الجزء الثالث، حققها وضبط غريبها وشرح مبهمها الأساتذة : محمد نور الحسن، حمد الزقراق، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1402هـ/1982م.
- شرح كافية ابن الحاجب، الجزء الأول، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان 1419هـ/ 1998م.

* **الأشموني (أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى المتوفى سنة 900 هـ) :**

- شرح ألفية ابن مالك ، المجلد الأول ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن حمد ، إشراف الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، 1419 هـ / 1998 م .

* **الأصطخري (ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري) :**

- المسالك و الممالك، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني ، مراجعة محمد شفيق غربال، مطابع دار القلم بالقاهرة 1381 هـ / 1961 م .

* **أفرام البعلبكي :**

- مدخل إلى تاريخ الفكر العربي منهجية في النقد، الطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان 1984 م .

* **أكرم ضياء العمري (دكتور) :**

- التراث و المعاصرة، الطبعة الأولى، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، شعبان، 1405 هـ .

* **الألوسي محمود شكري :**

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الجزء الأول، عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، الطبعة الثالثة ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، بدون تاريخ.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر، شرح محمد بهجة الأثري، نشر المكتبة العربية، بغداد، وطبع السلفية بالقاهرة 1341 هـ.

* **أمجد الطرابلسي (دكتور) :**

- نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة و الأدب ، الطبعة الخامسة، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء 1406 هـ / 1986 م .

* **الآمدي (الحسن بن بشر بن يحي المتوفى في عام 370 هـ) :**

- الموازنة بين أبي تمام و البحتري ، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

* **إميل بديع يعقوب (دكتور) :**

- فقه اللغة العربية وخصائصها، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1982 م.
- معجم الخطأ والصواب في اللغة، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، نوفمبر 1983.

* **أمين الخولي :**

- مشكلات حياتنا اللغوية ، الطبعة الثانية، دار المعرفة ، القاهرة 1965 م .

* **أنيس فريحة (دكتور) :**

- اللهجات وأسلوب دراستها، الطبعة الأولى، دار الجيل ، بيروت 1409 هـ / 1989 م.
- محاضرات في اللهجات ، مطبعة الرسالة، 1374 هـ / 1955 م .
- نحو عربية ميسّرة ، دار الثقافة ، بيروت، بدون تاريخ.

* **أوتو جسبرس :**

- اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة عبد الرحمن أيوب ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1954 م.

* **أورنك زيب الأعظمي :**

- حركة الترجمة في العصر العباسي ، الطبعة الأولى ، دار الحرف العربي للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت، لبنان 2005 م .

* **أولمان ستيفن :**

- دور الكلمة في اللغة، ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور كمال بشر ، الطبعة الثانية عشر، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، بدون تاريخ.

* **البدراوي زهران (دكتور) :**

- مقدمة في علوم اللغة، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ج م ع، 1993م.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **البستاني (الشيخ عبد الله البستاني) :**

- البستان معجم لغوي مطول ، الطبعة الأولى ، مكتبة لبنان 1992 م .

* **بشير العيسوي (دكتور) :**

- الترجمة إلى العربية قضايا وآراء ،الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1421 هـ / 2001 م .

* **البغدادي (عبد القادر بن عمر 1030 هـ / 1093 هـ) :**

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المجلد الأول ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور محمد نبيل طريفي ، إشراف الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1418 هـ/ 1998 م .

* **البلاذري (أحمد بن يحي) :**

- أنساب الأشراف ، الجزء الأول ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، أخرجه معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر 1959 م.

* **ت.ج. دي بور :**

- تاريخ الفلسفة في الإسلام ، نقله إلى العربية وعلق عليه الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1374 هـ / 1954 م.

* **تمام حسان (دكتور) :**

- الأصول دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر العربي، النحو، فقه اللغة، بلاغة، دار الثقافة، الدار البيضاء 1411 هـ / 1991 م .
- اللغة بين المعيارية و الوصفية ، عالم الكتب ، القاهرة 1421 هـ / 2001 م

* **التهانوي (محمد علي بن علي بن محمد المتوفى بعد سنة 1158 هـ) :**

- كشاف اصطلاحات الفنون، المجلد الثالث، وضع حواشيه أحمد حسن سبج ، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1418 هـ / 1998 م.

* **توفيق قريرة :**

- المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، الطبعة الأولى ، دار محمد علي للنشر ، تونس، 2003 م .

* **الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل 350 – 429 هـ) :**

- فقه اللغة وأسرار العربية ، عنى بضبطه وتخريج أحاديثه وقدم له وعلق عليه محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، بدون تاريخ .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحي 200 – 291 هـ) :**

- مجالس ثعلب، القسم الأول ،شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر 1948 م .

* **الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) :**

- البيان والتبيين، الجزء الأول والثاني والثالث، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ،بيروت ، بدون تاريخ .
- الحيوان، المجلد الأول والثاني، شرح وتعليق الدكتور يحي الشامي، الطبعة الثالثة، دار ومكتبة الهلال 1997 م.

* **جبران مسعود :**

- لبنان والنهضة العربية الحديثة، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، بيروت 1967 م.

* **جبر ضوبط :**

- فلسفة اللغة العربية، مطبعة المقتطف والمقطم، بمصر 1929م.

* **الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد) :**

- دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1413 هـ/ 1992 م.

* **الجرجاني (علي بن عبد العزيز) :**

- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ .

* **الجرجاني (علي بن محمد) :**

- التعريفات،الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1408 هـ/1988م.

* **جرجي زيدان :**

- تاريخ آداب اللغة العربية، المجلد الأول والثاني، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان 1983 م.
- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مراجعة وتعليق الدكتور مراد كامل، دار الهلال 1969م.

* **جعفر دك الباب (دكتور) :**

- النظرية اللغوية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1996 م .

* **جعفر نايف عبابنة (دكتور) :**

- مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر و التوزيع، عمان 1404 هـ / 1984 م .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **الجمحي (محمد بن سلام 139 هـ / 231 هـ) :**

- طبقات الشعراء ، الجزء الأول ، تحقيق محمود شاكر ، طبعة المدني ، القاهرة 1974 .
- طبقات فحول الشعراء ،السفر الأول ، قرأه و شرحه أبو فهر محمود محمد شاكر، الناشر دار المدني بجدة ، بدون تاريخ .

* **جمعية المعجمية العربية بتونس :**

- وقائع ندوة إسهام التونسيين في إثراء المعجم العربي ، تونس 1، 2 ، 3 ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، مارس 1985 م .

* **جميل علوش (دكتور) :**

- ابن الأنباري وجهوده في النحو، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981 م .

* **الجنيدي خليفة :**

- نحو عربية أفضل ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان 1974 م .

* **الجواليقي(أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر المتوفى سنة 540 هـ):**

- تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة، تحقيق عز الدين التنوخي، مطبعة ابن زيدون 1936 م.
- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، وضع حواشيه وعلق عليه خليل عمران الحنصف، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419 هـ / 1998 م.

* **جورج غريب :**

- صدر الإسلام ، الطبعة الرابعة ، دار الثقافة ،بيروت ، 1983 م .

* **حافظ إبراهيم :**

- الديوان ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت ، لبنان 1409 هـ / 1989م .

* **الحريري :**

- درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها ، تحقيق وتعليق عبد الحفيظ فرغلي ، علي القرني ، الطبعة الأولى ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة 1417 هـ / 1996 م .

* **حسام البهنساوي (دكتور) :**

- أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1414 هـ / 1994 م
- العربية الفصحى ولهجاتها، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1424 هـ/ 2004 م .

* **حسن الأشموني (دكتور) :**

- أثر الترجمة في حضارة العرب، دار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، بدون تاريخ.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **حسن خميس الملخ (دكتور) :**

- التفكير العلمي في النحو العربي ، الاستقراء ، التحليل ، التفسير ، الطبعة الأولى ، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ، 2002 م .

* **حسن ظاظا (دكتور) :**

- اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة ، الطبعة الثانية ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، الدار الشامية للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت، 1410 هـ / 1990 م .

* **حسن عبد العزيز (دكتور) :**

- الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1413 هـ / 1992 م .

* **حسين نصار (دكتور) :**

- دراسات لغوية ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان 1401 هـ / 1981 م .
- المعجم العربي نشأته وتطوّره ، الجزء الأول ، دار مصر للطباعة، بدون تاريخ.

* **حلمي خليل (دكتور) :**

- مقدمة لدراسة علم اللغة ، دار المعرفة الجامعية 2000 م .
- المولد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام ، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان 1405 هـ / 1985 م .

* **حمادة إبراهيم (دكتور) :**

- الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية و اللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها، دار الفكر العربي ، القاهرة 1987 م .

* **حمزة بن الحسن الأصفهاني :**

- التنبيه على حدوث التصحيف ، تحقيق محمد حسين آل ياسين ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة ، بغداد 1997 م .

* **حنا الفاخوري :**

- الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان 1986 م .

* **خديجة الحديثي (دكتورة) :**

- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه ، مطبوعات جامعة الكويت (37) طباعة مطابع مقهوي، الكويت 1974 م .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **الخطيب البغدادي (أحمد بن علي، المتوفى سنة 463 هـ/ 1070م) :**

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الجزء 3، والجزء 13، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م .

* **الخفاجي (الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، المتوفى سنة 466هـ) :**

- سر الفصاحة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1402 هـ / 1982 م.

* **الخفاجي (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المتوفى سنة 1069 هـ) :**

- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، قدم له وصححه ووثق نصوصه وشرح غريبه الدكتور محمد كشاش ، الطبعة الأولى ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1418 هـ / 1998 م.

* **خلف الله محمد أحمد :**

- أحمد فارس الشدياق وآراؤه اللغوية و الأدبية ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية 1955 م .

* **الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرحمن 100 – 175 هـ) :**

- كتاب العين، الجزء الأول، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي ، الدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، بدون تاريخ .

* **خورشيد إبراهيم زكي :**

- الترجمة ومشكلاتها ، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1406 هـ / 1985.

* **الدمياطي (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني المتوفى سنة 1117 هـ) :**

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1422 هـ/ 2001 م .

* **ديدييه يورو :**

- اضطرابات اللغة ، ترجمة أنطون إ. الهاشم ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان، بدون تاريخ .

* **الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسن بن محمد) :**

- المفردات في غريب القرآن ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **الرافعي (مصطفى صادق) :**

- تاريخ آداب العرب ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1421 هـ / 2000 م .

* **رشدي أحمد طعيمة (دكتور) :**

- الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية إعدادها ، تطويرها ، تقويمها ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1421 هـ / 2000 م .

* **رضانا ظميان :**

- الترجمة ومناهجها التطبيقية بين العربية و الفارسية ، الطبعة الأولى ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 1423 هـ / 2002 م .

* **الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى، المتوفى 374 هـ) :**

- الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، حققها وقدم لها وعلق عليها د. فتح الله صالح علي المصري، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة، 1407 هـ/ 1987م.
- الحدود في النحو، منشور ضمن كتاب رسائل في النحو واللغة، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني، المؤسسة العامّة للصحافة والطباعة، بغداد 1969م.

* **رمضان عبد التواب (دكتور) :**

- بحوث ومقالات في اللغة ، الطبعة الثانية ،القاهرة 1988 م .
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1415 هـ/ 1995 م .
- العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية و الاستشراق ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- فصول في فقه العربية، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة 1415 هـ / 1994 م.

* **ريمون طحان ، بيطار طحان :**

- اللغة العربية وتحديات العصر، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1984.

* **الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن المتوفى سنة 379 هـ) :**

- طبقات النحويين و اللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، وقف على طبعه ونشره محمد سامي أمين الخانجي الكتبي بمصر 1373 هـ / 1954 م .
- لحن العوام ، تحقيق وتعليق وتقديم الدكتور رمضان عبد التواب ، الطبعة الأولى ، مكتبة دار المعرفة ، القاهرة 1964 م .

* **الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق المتوفى سنة 340 هـ) :**

- أمالي الزجاجي ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان 1407 هـ / 1987 م .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

- الإيضاح في علل النحو، تحقيق الدكتور مازن المبارك ، الطبعة الرابعة، دار النفـــائس، بيروت 1402 هـــ / 1982 م .
- مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، مكتبـــة الخـــانجي بالقاهرة 1403 هـــ / 1983 م .

* **زكريا إبراهيم (دكتور) :**

- طرق تدريس اللغة العربية ، دار المعرفة الجامعية 1999 م .

* **الزمخشري (جار الله محمود بن عمر المتوفى 538 هـــ) :**

- أساس البلاغة، الجزء الثاني، تحقيق محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1419 هـــ/1998م.
- الفائق في غريب الحديث، الجزء الأول، وضع حواشيه إبراهيم شمس الـــدين، الطبعـــة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1417 هـــ / 1996 م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الجزء الثاني، دار عـــالم المعرفة ، بدون تاريخ .

* **زيغريد هونكه :**

- شمس العرب تسطع على الغرب " أثر الحضارة العربية في أوربة " نقله عن الألمانيـــة فاروق بيضون، كمال دسوقي ، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، الطبعة الثامنة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1413 هـــ / 1993 م .

* **زين كامل الخويسكي (دكتور) :**

- في التحليل اللغوي والأخطاء الشائعة، دار الوفاء لدنيا الطباعة، إسكندرية، بدون تاريخ.

* **سالم علوي (دكتور) :**

- وقائع لغوية وأنظار نحوية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائ، بدون تاريخ.

* **السباعي بيومي :**

- تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، مكتبة الأنجلو– المصرية 1992 م.

* **سعيد الأفغاني :**

- حاضر اللغة العربية في الشام ، معهد الدراسات العالية ، القاهرة 1961 م .
- من حاضر اللغة العربية ، الطبعة الثانية ، دار الفكر 1971 م .

* **سعيد جاسم الزبيدي (دكتور) :**

- القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، الطبعة الأولى، دار الشروق 1997 م.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي المتوفى سنة 626 هـ) :**

- مفتاح العلوم ، حققه وقدم له وفهرسه الدكتور عبد الحميد هنداوي ، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1420 هـ / 2000 م .

* **سمر روحي الفيصل :**

- اللغة العربية الفصيحة في العصر الحديث ، اتحاد كتاب العرب 1993 م .
- المشكلة اللغوية العربية ، الطبعة الأولى ، جروس برسى، طرابلس، لبنان 1992م .

* **سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) :**

- الكتاب، الجزء الأول و الثاني ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ .

* **السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :**

- دراسات في تاريخ العرب ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية 1997 م .

* **السيرافي (أبو سعيد الحسن بن عبد الله) :**

- أخبار النحويين البصريين، تحقيق نخبة من العلماء – الناشر مكتبة الثقافة الدينية – بدون تاريخ .

* **السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين) :**

- الإتقان في علوم القرآن ، الجزء الأول ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا بيروت، 1408 هـ/ 1988 م
- الاقتراح في علم أصول النحو ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1418 هـ/ 1998 م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، الجزء الثاني ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، الجزء الأول ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ .

* **شحاذة الخوري:**

- دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، الجزء الأول والثاني، الطبعة الأولى، دار الطليعة الجديدة ، دمشق ، سوريا 2001 م.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **شرف الدين علي الراجحي (دكتور) :**

- في اللغة عند الكوفيين، كلية الآداب، جامعة إسكندرية، دار المعرفة الجامعية 2002 م.
- مصطلح الحديث وأثره في الدرس اللغوي عند العرب، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1983 م .

* **الشريف المرتضى (علي بن الحسين الموسوي العلوي 355 – 436 هـ) :**

- أمالي المرتضى غرر الفوائد و دور القلائد، المجلد الأول ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي، القاهرة ، بدون تاريخ .

* **شوقي ضيف (دكتور) :**

- تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي ، الطبعة الثالثة عشر ، دار المعارف ، القاهرة ، ج م ع ، بدون تاريخ .
- المدارس النحوية، الطبعة السابعة، دار المعارف، القاهرة، ج م ع، بدون تاريخ.

* **صبحي الصالح (دكتور) :**

- دراسات في فقه اللغة، الطبعة الثالثة عشر، دار العلم للملايين، بيروت ، أبريل 1997 م .

* **صفي الدين الحلي :**

- الديوان، دار صادر للطباعة و النشر، دار بيروت للطباعة و النشر بيروت 1382 هـ / 1962 .

* **صلاح راوي (دكتور) :**

- المدارس المعجمية العربية نشأتها ، تطورها ، مناهجها ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة العربية ، القاهرة 1411 هـ / 1990 م .

* **صلاح روّاي (دكتور) :**

- النحو العربي نشأته، تطوره ، مدارسه ، رجاله ، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة 2003م .

* **طاش كبرى زادة (أحمد بن مصطفى) :**

- موسوعة مصطلحات مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان 1998م.

* **طلال علامة (دكتور) :**

- تطوّر النحو العربي بين مدرستي البصرة والكوفة، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت 1993 م .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **طه حسين :**

- حديث الأربعاء، الجزء الثالث، الطبعة التاسعة ، دار المعارف بمص، القاهرة ، ج م ع، بدون تاريخ .

* **طيبة صالح الشذر (دكتورة) :**

- ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998 م.

* **عائشة عبد الرحمن (دكتورة) :**

- تراثنا بين ماض وحاضر، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ج م ع، بدون تاريخ.
- لغتنا والحياة، معهد البحوث والدراسات اللغوية، قسم البحوث والدراسات الأدبية و اللغوية ، مصر 1969 م .

* **عباس حسن :**

- اللغة والنحو بين القديم والحديث ، دار المعارف بمصر 1966 م .

* **عباس السوسوة (دكتور) :**

- العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، بدون تاريخ .

* **عبد الأمير محمد أمين الورد (دكتور) :**

- المصطلحات العلمية ، كيف نضعها ؟ وكيف نوحدها ؟ ومسؤولية المجامع في ذلك ، اتحاد الجامعات العربية ، ندوة تعليم اللغة العربية ، الجزائر، 5 – 7 رجب 1404 هـ / 7 – 8 أفريل 1984 م ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، بدون تاريخ .

* **عبد الحميد حسن :**

- الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها، معهد البحوث والدراسات العربية 1971 م .
- القواعد النحوية مادتها وطريقتها، الطبعة الثانية مطبعة العلوم، مصر 1953 م .

* **عبد الرحمن السيد (دكتور) :**

- مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها ، مطابع سجل العرب 1968 م .

* **عبد السلام هارون (دكتور) :**

- تحقيق النصوص ونشرها، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **عبد الصبور شاهين (دكتور) :**

- أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي أبو عمرو بن العلاء ، الطبعة الأولى ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة 1408 هـ / 1987 م .

* **عبد العال سالم مكرم (دكتور) :**

- الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1413 هـ / 1993 م .

* **عبد العزيز شرف (دكتور) :**

- اللغة العربية والفكر المستقبلي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت 1411 هـ/ 1991 م.

* **عبد العزيز عتيق (دكتور) :**

- المدخل إلى علم النحو والصرف، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ .

* **عبد الغفار حامد هلال (دكتور) :**

- أصوات اللغة العربية المستوى اللغوي للفصحى واللهجات، دار الثقافة العربية للطباعة، بدون تاريخ .
- علم الدلالة اللغوية ، جامعة الأزهر، بدون تاريخ .
- اللهجات العربية نشأة وتطورا، دار الفكر العربي، القاهرة 1418 هـ / 1998 م.

* **عبد الغني عبد الرحمن محمد :**

- دراسة في فن التعريب و الترجمة، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو- المصرية، القاهرة 1986م.

* **عبد الفتاح إسماعيل شلبي (دكتور) :**

- أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة العربية وآثاره في القراءات والنحو بمناسبة مرور ألف عام على وفاته 1377 هـ ، ملتزم الطبع والنشر، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، الفجالة ، القاهرة ، مصر، بدون تاريخ .

* **عبد القادر الفاسي الفهري (دكتور) :**

- المعجم العربي نماذج تحليلية جديدة، الطبعة الأولى، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب 1986 م .

* **عبد الكريم خليفة (دكتور) :**

- اللغة العربية و التعريب في العصر الحديث، الطبعة الخامسة، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع 1418 هـ / 1997 م .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **عبد المجيد الحرّ :**

- المعجمات والمجامع العربية نشأتها، أنواعها ،نهجها، تطورها، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت ، لبنان 1994 م .

* **عبد المحسن طه بدر (دكتور) :**

- تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (1870 – 1938)، الطبعة الرابعة، دار المعارف، بدون تاريخ .

* **عبده الراجحي (دكتور) :**

- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية للطباعة و النشر والتوزيع، إسكندرية 1998 م .

* **عبد الوهاب عزام (دكتور) :**

- مهد العرب ، دار المعارف بمصر 1946 م .

* **عدنان الخطيب (دكتور) :**

- المعجم العربي بين الماضي والحاضر، معهد البحوث والدراسات العربية 1967 م.

* **العسكري (أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد 293 هـ / 382 هـ) :**

- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق عبد العزيز أحمد، الطبعة الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة 1383 هـ / 1963 م .

* **عصام نور الدين :**

- العولمة وأثرها في المجتمع الإسلامي ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، مؤسسة شباب الجامعة 2002 م .

* **عفاف حسنين (دكتورة) :**

- في أدلة النحو، طبعة جديدة ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة 1996 م .

* **علي أبو المكارم :**

- أصول التفكير النحوي، طبع دار الثقافة، بيروت 1973م.
- تقويم الفكر النحوي، دار الثقافة، بيروت ، لبنان.

* **علي الجندي :**

- أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية 1959 م .

* **علي سامي النشار (دكتور) :**

- مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان 1404 هـ / 1984 م .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **علي عبد الواحد وافي (دكتور) :**

- علم اللغة ، الطبعة الخامسة ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة 1382 هـ/ 1962 م.
- فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر ، الفجالة ، القاهرة بدون تاريخ.
- اللغة والمجتمع، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه 1364 هـ / 1945 م.

* **عمار ساسي (دكتور) :**

- اللسان العربي وقضايا العصر رؤية علمية في : الفهم ، المنهج ، الخصائص، التعليم، التحليل، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، الجزائر 2001 م

* **عمر الدسوقي :**

- نشأة النثر الفني وتطوره ، الجزء الأول ، مطبعة الرسالة 1962 م .

* **عمر فروخ :**

- تاريخ العلوم عند العرب، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، نوفمبر 1980 م.

* **فؤاد زكريا :**

- التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1978م.

* **الفارابي (أبو نصر) :**

- كتاب الحروف ، حققه وقدم له وعلق عليه محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

* **فاضل صالح السامرائي (دكتور) :**

- أبو البركات بن الأنباري ودراساته النحوية ، دار الرسالة للطباعة ،بغداد 1975 م.

* **الفراء (أبو زكريا يحي بن زياد المتوفى سنة 207 هـ) :**

- معاني القرآن ، الجزء الأول والثالث، الطبعة الثالثة، عالم الكاتب 1403 هـ / 1983 م.

* **فندريس . ج :**

- اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ.

* **الفيروزابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) :**

- القاموس المحيط ، الجزء الثاني والرابع، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ .

* **قاسم أمين :**

- كلمات، مطبعة الجريدة بمصر 1908م.

* **القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم) :**

- الأمالي، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة بمصر1373 هـ/ 1953 م
- ذيل الأمالي والنوادر ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **قدامة بن جعفر (أبو الفرج) :**

- نقد النثر ، تحقيق طه حسين وعبد الحميد العبادي، القاهرة 1932 م .

* **القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف) :**

- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، الجزء الأول و الثاني والثالث ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة 1369 هـ / 1950 م.

* **القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله المتوفى سنة 821 هـ):**

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الأول ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

* **كارل بروكلمان :**

- تاريخ الأدب العربي ، القسم الأول 1 – 2 ، الإشراف على الترجمة الأستاذ الدكتور محمد فهمي حجازي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993 م.

* **كارم السيّد غنيم (دكتور) :**

- اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة بدون تاريخ.
- ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين، الطبعة الأولى، الزهراء للإعلام العربي 1409 هـ/ 1989 م .

* **كمال بشر (دكتور) :**

- علم اللغة الاجتماعي مدخل، الطبعة الثالثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1997 م .
- اللغة العربية بين الوهم و سوء الفهم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 1999 م.

* **لانسون مايبه :**

- منهج البحث في الأدب واللغة، نقله إلى العربية الدكتور محمد مندور، الناشر دار العلم للملايين، بيروت 1946 م .

* **ماجد الصايغ :**

- الأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية ، إشراف الدكتور عفيف دمشقية ، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، 1990 م .

* **ماريو باي :**

- أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب ، القاهرة 1419 هـ / 1998 م .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد المتوفى سنة 285 هـ) :**

- المقتضب ، المجلد الأول 1 – 2 ، تحقيق حسن حمد ، مراجعة الدكتور إميل يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1420 هـ / 1999 م .

* **المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر :**

- مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ندوة دولية نظمها المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر أيام 10 – 12 شعبان 1421 هـ الموافق 6 – 8 نوفمبر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر 2001 م

* **مجمع اللغة العربية الأردني :**

- الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني ، الطبعة الأولى ، عمان ، الأردن ، 1403هـ / 1983 م .
- الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني، الطبعة الأولى، عمان ، الأردن 1405 هـ / 1985 م .
- الموسم الثقافي الرابع لمجمع اللغة العربية الأردني، الطبعة الأولى 1407 هـ/ 1986.

* **مجموعة من أئمة الكتاب العرب :**

- البلغة في شذور اللغة، وهي مجموعة مقالات لغوية لأئمة كتبة العرب، نشرها الدكتور أوغست هفنر، والأب ل. شيخو اليسوعي، الطبعة الثانية ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت 1914م.

* **مجموعة من الأساتذة والباحثين والمبدعين العرب :**

- رفاعة الطهطاوي جسر الحضارة الجديدة ، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت 1975 م.

* **محمد إبراهيم عباده (دكتور) :**

- النحو التعليمي في التراث العربي، منشأة المعارف، إسكندرية ، بدون تاريخ .

* **محمد أحمد أبو الفرج (دكتور) :**

- مقدمة لدراسة فقه اللغة ، الناشر دار النهضة العربية ، بيروت، بدون تاريخ .

* **محمد إسماعيل صيني (دكتور) ، إسحاق محمد الأمين :**

- التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء ، الطبعة الأولى، عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، الرياض ، 1402 هـ / 1982 م .

* **محمد بن سعد (المتوفى 230 هـ) :**

- الطبقات الكبرى، الجزء الأول، راجعه وعلق عليه سهيل كيالي، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان 1414 هـ/ 1994 م .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **محمد بهاء الدين العاملي :**

- الكشكول، بدون تاريخ.

* **محمد حسين آل ياسين :**

- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، الطبعة الأولى ، دار مكتبة الحياة، بيروت ، 1400 هـ/ 1980 م .

* **محمد حماسة (دكتور) :**

- الضرورة الشعرية في النحو العربي، بدون تاريخ .

* **محمد الخضر حسين :**

- دراسات في العربية وتاريخها ، جمعه وصححه علي رضا التونسي ، الطبعة الثانية، الناشر المكتب الإسلامي، مكتبة دار الفتح، دمشق 1380 هـ / 1960 م.

* **محمد خير الحلواني (دكتور) :**

- المفصل في تاريخ النحو العربي ، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة 1979 م .

* **محمد رشاد الحمزاوي (دكتور) :**

- أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة مناهج ترقية اللغة تنظيرا ومصطلحا ومعجما، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، لبنان 1988 م .

* **محمد الطنطاوي :**

- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ، ج م ع ، بدون تاريخ .

* **محمد عبد الرحمن مرحبا (دكتور) :**

- الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ، تقديم الدكتور جميل صليبا ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1970 م .

* **محمد عبد عبد الله عطوات (دكتور) :**

- اللغة الفصحى و العامية ، الطبعة الأولى ، منشورات دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان 1424 هـ / 2003 م .

* **محمد عبد المنعم خفاجي (دكتور) :**

- الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ، دار الجيل ، بيروت 1410 هـ / 1990 م.
- دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت 1992 م .

* **محمد عبد الواحد حجازي :**

- أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، بدون تاريخ.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **محمد علي الزركان :**

- الجوانب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، دمشق ، سورية 1988 م .

* **محمد عيد (دكتور) :**

- الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث ، الطبعة الثالثة، عالم الكتب ، القاهرة 1988 م .
- المظاهر الطارئة على الفصحى، اللحن، التصحيف، التوليد، التعريب ، المصطلح العلمي، عالم الكتب، القاهرة 1980 م .

* **محمد المبارك :**

- فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، الطبعة السابعة ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع 1401 هـ / 1981 م .
- مواقف في اللغة والأدب والفكر، دار الفارابي بيروت ، مكتبة النهضة بغداد، بيروت 1974 م

* **محمد الهادي مطوي :**

- أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة ، القسم الأول والثاني، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان 1989 م .

* **محمود تيمور :**

- مشكلات اللغة العربية ، الطبعة الأولى ، المطبعة النموذجية 1956 م .

* **محمود فهمي حجازي (دكتور) :**

- الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، مكتبة غريب ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- علم اللغة العربية ، وكالة المطبوعات 27 شارع فهد السالم الكويت ، توزيع دار العلم للملايين ،بيروت ، بدون تاريخ .
- اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 1998 م .

* **المراكشي (أبو عبد الله الأفراني) :**

- منع المغيث في جواز اللحن في الحديث ، مخطوط دار الكتب، مجاميع تيمور.

* **مرزوق بن صنيتان بن تنباك (دكتور) :**

- الفصحى ونظرية الفكر العامي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض 1407 هـ/ 1986 م.

* **المسعودي (أبو الحسين بن علي) :**

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، موفم للنشر 1989 م .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، ت. سنة 380 هـ) :**

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين الضناوي، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1424 هـ / 2003 م .

* **المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) :**

- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع ، الجزء الأول ، صححه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1941 م.

* **ممدوح عبد الرحمن (دكتور) :**

- العربية والفكرالنحوي دراسة في تكامل العناصر وشمول النظرية ، دار المعرفة الجامعية 1999 م .

* **مهدي المخزومي (دكتور) :**

- الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ، مطبعة الزهراء ، بغداد 1960 م .
- في النحو العربي نقد وتوجيه، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت 1964 م .
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مطبعة دار المعرفة، بغداد 1374 هـ / 1955م.

* **نازك إبراهيم عبد الفتاح (دكتورة) :**

- مشكلات اللغة والتخاطب في ضوء علم اللغة النفسي ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة 2002 م .

* **ناصر الدين الأسد (دكتور) :**

- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، الطبعة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت 1996.

* **نايف معروف (دكتور) :**

- الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، الطبعة الأولى ، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع ، 1990 م .

* **النّويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب 677 – 733 هـ) :**

نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الثاني، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة.

* **الهمذاني (أبو الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود ، ت. سنة 334 هـ) :**

- صفة جزيرة العرب ، قام بنشره وتصحيحه ومراجعته وتحقيق بقاعه المؤرخ محمد بن عبد الله بن بلهيد النجدي ، مطبعة السعادة بمصر 1953 م .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

* **ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، المتوفى سنة 626 هـ) :**

- معجم الأدباء في عشرين جزءا ، المجلد السابع و الثامن ، الطبعة الثالثة منقحة ومصححة وفيها زيادات ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع 1400 هـ / 1980 .
- معجم البلدان ، الجزء الثاني والرابع والخامس، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان بدون تاريخ .

* **يحي عبابنة (دكتور) :**

- دراسات في فقه اللغة و الفنولوجيا العربية ، الطبعة الأولى ، دار الشرق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 2000 م .

* **يوسف حسين بكار (دكتور) :**

- الترجمة الأدبية إشكاليات ومزالق ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت 2001 م .

* **يوهان فك :**

- العربية دراسات في اللغة و اللهجات والأساليب ،ترجمه وقدم له وعلق عليه وصنع فهارسه الدكتور رمضان عبد التواب ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر 1400 هـ / 1980 م.

- **عناوين المجلات :**

- اللسان العربي، مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب، المجلد الثامن عشر، الجزء الأول، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط، المملكة المغربية، مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء 1400هـ/ 1980م.
- عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، الكويت 1989.
- اللغة العربية مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية ، العدد الثالث ، 2000م.
- المورد، المجلد الخامس، العدد الثاني، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1396 هـ / 1976م .

مراجع أجنبية :

- Bloomfield Leonard . Language . holt . Rinehart and Winston . new York .
- Firth . J . R . papers in linguistics 1934 – 1951 . London 1964 .
- Jespersen . o. Language . its nature . development and origin London 1947 .

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	صفحة

- مقدمة 07

- مدخل : العربية الباقية. 14

الباب الأول : جهود علماء العربية في حفظ السلامة اللغوية من اللحن. 29

الفصل الأول : 30

تدوين اللغة و الاحتجاج بها .

أ – الجمع و التدوين 31

ب – الاحتجاج في اللغة العربية : 36

ب/1 – الاحتجاج بالقرآن الكريم 37

ب/2 – الاحتجاج بالحديث الشريف. 46

ب/3 – الاحتجاج بالشعر. 48

ب/4 – الاحتجاج بالنثر. 52

ج – البحث عن السلامة اللغوية : 54

ج/1 – الموثوقية 54

ج/2 – المعرفية 56

ج/3 – الموضوعية 57

ج/4 – اختبار الأعراب 58

الفصل الثاني : 63

تقويم اللسان وحفظه من اللحن .

أ – اللحن قديما وحديثا 64

أ/1 – الفرق بين الفصاحة و اللحن. 64

أ/2 – نفور العرب من اللحن. 69

أ/3 – رحلة اللحن في اللسان العربي. 71

ب – موقف علماء العربية من ظاهرة اللحن. 81

ب/1 – نظرة النحاة إلى اللحن بين القواعد و الاستعمال. 89

ج – الفرق بين اللحن و التطور اللغوي. 95

ج/1 – أسباب التطور اللغوي. 98

ج/2 – مظاهر التطور اللغوي. 102

د – مقياس الصواب اللغوي عند المحدثين. 118

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

الفصل الثالث : 124
طرق حفظ اللغة نطقا وكتابة .
أ – وضع النحو العربي : 125
أ /1 – الفرق بين النحو و الإعراب 125
أ /2 – ظهور مصطلح " النحو " 128
أ /3 – وضع النحو العربي 130
أ /4 – الدعوة لتيسير النحو 137
ب – تشريع القياس : 146
ب/1 – القياس لغة واصطلاحا. 147
ب/2 – أركان القياس. 149
ب/3 – القياس بين البصريين و الكوفيين. 152
ب/4 – القياس معيار نقدي في النحو العربي. 156
ج – محاربة التصحيف و التحريف. 160
ج/ 1 – أسباب ظهور التصحيف و التحريف 163
ج/ 2 – موقف علماء اللغة من التصحيف و التحريف 166
ج/ 3 – الدعوة إلى الخط اللاتيني وموقف العلماء منه 171

الباب الثاني : جهود علماء العربية في حفظ السلامة اللغوية من تأثير اللهجات العامية 176

الفصل الأول : 177
الفرق بين اللغة و اللهجة .
– تمهيد. 178
أ – تعريف اللغة : 180
أ /1 – اشتقاقها وتصريفها 182
أ /2 – معنى اللغة 184
ب – تعريف اللهجة : 185
ب / 1 – معناها 186
ج – انقسام اللغة وتكون اللهجات : 188
ج / 1 – أسباب تشعب اللغة إلى لهجات متعددة 188
ج / 2 – أثر هذه العوامل في اللغة العربية 191
د – التوحّد اللغوي بين اللهجات : 194
د/1 – أسباب توحد اللهجات المتعددة في لغة واحدة 195
د/2 – أثر هذه العوامل في اللغة العربية 200

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

206 ..... **الفصل الثاني :**
جهود القدامى في حفظ سلامة اللغة العربية من تأثير اللهجات العامية .
207 ..... أ – اللهجات قديما .
219 ..... ب – مظاهر اختلاف اللهجات :
220 ..... ب / 1 – الإبدال وأثره في اللهجات .
231 ..... ب / 2 – القراءات مظهر لتعدّد اللهجات .
241 ..... ج – موقف علماء العربية القدامى من اللهجات .
249 ..... د – موقف النحاة من اللهجات العربية .
255 ..... **الفصل الثالث :**
جهود المحدثين في حفظ سلامة اللغة العربية من تأثير اللهجات العامية .
256 ..... أ – اللهجات حديثا .
263 ..... ب – موقف المحدثين من اللهجات .
273 ..... ج – الدعوة إلى العامية وموقف المحدثين منها .

الباب الثالث : جهود علماء العربية في حفظ السلامة اللغوية من تأثير اللغات الأجنبية .
287 .....

288 ..... **الفصل الأول :**
الفرق بين الترجمة و التعريب و التدخيل.
289 ..... – تمهيد .
290 ..... أ – تعريف الترجمة :
291 ..... أ/1 – الترجمة الحرفية .
292 ..... أ/2 – الترجمة المعنوية .
293 ..... أ/3 – الشروط التي ينبغي توفّرها في المترجم .
296 ..... ب – الفرق بين الترجمة و التعريب .
296 ..... ج – الفرق بين التعريب و التدخيل .

299 ..... **الفصل الثاني :**
حفظ سلامة اللغة العربية قديما من تأثير اللغات الأجنبية .
300 ..... أ – احتكاك العربية بغيرها من اللغات القديمة :
307 ..... أ / 1 – الشعوبية صراعٌ لغويّ .
310 ..... ب – الترجمة والتعريب قديما :
311 ..... ب/ 1 – العصر الأموي .
312 ..... ب/ 2 – العصر العباسي.

Created by eDocPrinter PDF Pro!!

Buy Now to Create PDF without Trial Watermark!!

316 ب/ 3 – أشهرُ المترجمين و النَّقَلَة . .....
317 ب/ 4 – دقة الترجمة . .....
319 ج – جهود النحاة في إخضاع المعرب للصيغ العربية . .....
329 د – أثر الترجمة في حضارة العرب و لغتهم . .....
332 هـ – أثر الترجمة العربية في حضارة الغرب . .....

339 **الفصل الثالث :** .....
حفظ سلامة اللغة العربية حديثا من تأثير اللغات الأجنبية .

340 أ – موقع اللغة العربية بين اللغات العالمية . .....
343 أ / 1 – الظروف العربية العامة في القرن التاسع عشر. .....
345 أ / 2 – النهضة الفكرية الحديثة عند العرب . .....
349 ب – دور الترجمة في العولمة . .....
355 ج – الترجمة و التعريب حديثا : .....
359 ج/1 – دور التعريب في التنميّة . .....
360 ج/2 – تجارب حديثة للترجمة و التعريب . .....
367 ج/3 – واقع التعريب في الجامعات العربية . .....
368 ج/4 – التعليم باللغة الأجنبية وسلبياته . .....
370 ج/5 – مشكلات الترجمة و التعريب في الوطن العربية. .....
374 د – موقف المُحدثين من الترجمة و التعريب . .....
378 هـ – جهود علماء العربية في توفير المصطلح العلمي. .....
384 هـ /1 – جهود علماء العربية القدامى في توفير المصطلح العلمي. ....
392 هـ /2 – جهود علماء العربية المحدثين في توفير المصطلح العلمي ...
399 هـ /2 – ₁ – الجهود الفردية . .....
408 هـ /2 – ₂ – الجهود الجماعية . .....

417 • **خاتمة .** .....
420 • **قائمة المصادر و المراجع .** .....

Created by eDocPrinter PDF Pro!!